

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية في موضوع :

مِفْهُومُ التَّرْبِيَةِ

في القرآن الكريم والحديث الشريف

إشراف الأستاذين:
الدكتور سعيد شبار
الدكتور محمد الناصري

إعداد الطالبة الباحثة:
فتيحة ساطع
رقم التسجيل: 10/2016

الموسم الجامعي: 2020-2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِهْلَاءٌ

إلى من قال الحق تبارك وتعالى في حقهما: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (24) { [الإسراء: 24، 25] أُمِّي وَأَبِي وَإِلَى جَمِيعِ إِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي أَفْرَادَ أُسْرَتِي الْكَرِيمَةِ.

إلى خالي العزيز الذي ساندي طيلة مدة البحث بتوجيهاته النيرة، وإلى كل أهلي وأقاربي وأساتذتي الأفاضل الذين مهّدوا لي طريق العلم والمعرفة وتعلّمت على أيديهم واستنرت بفكرهم، وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إتمام هذا البحث، وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

شُكْرُ تَقَاتِي

الحمد لله الذي بشكره تدوم النعم وتزيد، لك الحمد يا رب كما ينبغي للجلال وجهك وعظيم سلطانك، أسبغت علينا نعمك ظاهرة وباطنة، فأنت أحق من يشكر ويذكر ويحمد، قال تعالى: {وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل: 40]، والصلاة والسلام على رسوله القائل: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ»¹ فأحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على توفيقه بإكمال هذا العمل الذي لولا فضله وتوفيقه ما ظهر بهذه الصورة.

وانطلاقاً من العرفان بالجميل، فإنه ليسرني أن أتوجه بأجمل عبارات الشكر والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة وهي طريق العلم والمعرفة: أساتذتنا الأفاضل، وأخص بالذكر السادة الأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة العلمية الموقرة الذين تحملوا عناء قراءة هذا العمل المتواضع ومناقشته قصد تعديله وتصويب أخطائه، وتقويم اعوجاجه.

وبكل فخر واعتزاز أتقدم بأسمى آيات الود والشكر والامتنان والتقدير إلى الأساتذتين الجليلين الدكتور سعيد شبار والدكتور محمد الناصري اللذين تفضلاً بالإشراف على هذه الرسالة، رغم كثرة مسؤولياتهما؛ فكانا نعم المشرفين ونعم الموجهين، وقد تعلمت من دماثة خلقهما قبل أن أستفيد من غزارة علمهما. كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أساتذتي العلماء، أساتذة شعبة الدراسات الإسلامية وأساتذة اللغة العربية وكل الشعب الذين لهم عليّ فضل كبير بما أرشدوني وعلموني.

وأجدد الشكر لإدارة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال، على روح المسؤولية التي لمستها منها طوال الفترة التي قضيتها في الكلية، فلم يخلوا علينا بالمساعدة. كما يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من مد لي يد العون في مسيرتي العلمية وشجعني على باب العلم والمعرفة.

1- سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم 1955، قال الشيخ الألباني: صحيح لغيره. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دون طبعة ودون تاريخ.

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وجعل له العقل مناطاً للفهم والعلم والتكليف بالأحكام، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ الذي علمه ربه وآتاه الحكمة وجوامع الكلم لدعوة الناس إلى الحق، وعلى آله وأصحابه الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فيعتبر القرآن الكريم خطاباً عالمياً شاملاً، نزل ليرسم الطريق الصحيح للبشرية جمعاء، وليضع حلولاً لما يواجهها من مشاكل وأزمات. وقد نزل بلسان عربي مبين، وعربيته تعد لازمة من لوازم وحدته البنائية، وألفاظه مختلفة عن باقي الألفاظ البشرية؛ فكل لفظة فيه تحتويها نوع من الجمال، ومفرداته تمثل مدخلاً معرفياً ومنهجاً أساساً لقراءته، فهو قادر على الانفتاح على حركة الحياة في زمن النبوة وما بعدها. ولم يحظ كتاب سماوي أو أرضي بما حظي به الذكر الحكيم من عناية؛ فهو هدى ورحمة وشفاء للناس، يرشدهم إلى طريق الحق والصواب، ويعلمهم ما ينفعهم لاشتماله على جملة النظم الدينية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها، وعلى كل ما يتصل بحياة الناس. فعطائه لا ينفذ، ومعانيه لا تنتهي، وكلماته مفاتيح الهدى باعتبارها من كلمات الله عز وجل، لا تقبل تبديلاً في اللفظ ولا تغييراً في المعنى، وحباه الله بميزة خاصة؛ فمن دخل بابه شرب وارتوى والمحروم -من الخير كله- من لم يدخله.

ويأتي هذا البحث مساهمة في معالجة أعطاب الأمة الفكرية، وخاصة في مجال فهم كلمات الله، وإعادة بناء شخصية المسلم على أسس سليمة تعيد للأمة الإسلامية شهودها الحضاري في نفسها وفي علاقتها مع البشرية جمعاء.

وقد كان الدافع إلى الكتابة في موضوعه ما تعرض له مفهوم (التزكية) من تشويه تحت تأثير الغزو الثقافي الغربي للعالم الإسلامي؛ إذ حاول كثير من العلمانيين إفراغ هذا المصطلح من مضمونه الإسلامي الأصيل وشحنه بقضايا ومضامين مخالفة للمنهج الرباني. ولا يخفى أن من أسباب انحراف الناس عن شرع الله ﷻ والإعراض عن دينه سوء فهم مدلولات كتابه الحكيم، والجهل بأحكامه، فضعف التزكية اليوم ناتج عن إغفال المسلمين للمنهج القويم في تحقيقها، وعن ابتعادهم عن تفعيل مبدأ القيم الأخلاقية، مما تسبب في انتشار كثير من الأمراض والعلل الاجتماعية، وفي إيقاف عجلة التقدم والعمران، بما لا يدع مجالاً للشك في أن

حال الأمة اليوم يحتاج إلى الالتزام بقيم القرآن الكريم لإصلاح الإنسان خاصة وإعداده لحمل أمانة الاستخلاف والانبعاث الكوني ودوره في بناء العمران والشهود الحضاري .

ومصطلح (التزكية) من المصطلحات القرآنية المركزية التي تكتسي خصوصية دلالية، تجعل له موقعاً خاصاً في الرؤية القرآنية، ونسق المفهومي ينطوي على مفهوم عميق حث عليه الشرع لبلوغ مقام الإحسان، ويربط الإنسان بمقاصد الوحي انطلاقاً من تحقيق المقصد الأساس من خلقه والمتمثل في العبودية لله تعالى؛ فأساس التزكية الحق لا يصح ولا يستقيم دون تنمية الإحساس بالمسؤولية الاستخلافية، والتي تعتبر أساساً لتحقيق مقصد العبادة في أبعاده العملية المختلفة، والعمل وفق مقتضاها عن طريق تنمية قدرات النفس على حمل الأمانة العظمى وتحملها، وجعلها قادرة على أداء الواجبات وتحقيق المصالح والامتناع عن المحظورات ودفع المفسد، والنهوض بأمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فالله قد استخلف الإنسان على دينه، فهو يؤمن به عن اختيار واقتناع، ويلتزم بشرعه على المستوى الفردي والاجتماعي، واستخلفه على نفسه كي يزيها على أساس الدين ونهجه الشامل، واستخلفه في الأرض كي يعمرها ويسعى في صلاحها بالدين إذ اختاره نهجاً عاماً له في الحياة.

فأول خطوة لإصلاح حال الأمة هو إصلاح العمل، وإثما يصلح العمل بإصلاح المنهج؛ فالحاجة اليوم ماسة إلى العمل بمقتضيات التوحيد والتزكية، والجمع بين الجانب المادي والروحي في ذلك، لتكامل المعارف بين التوحيد والتزكية والعمران والاستخلاف، وكل ذلك يقوم على الانسجام بين آيات كتاب الله المسطور المتمثلة في الوحي وآيات كتابه المنظور المتمثلة في الكون، وبين عالم الغيب وعالم الشهادة. وما تحتاجه الأمة هو الدعوة الصادقة النابعة من إيمان عميق وفهم للقرآن برؤيته المعرفية التكاملية المبنية على هدى منهاجي وقراءة واضحة مبتدئة باسم الله وجامعة بين النص والوحي والواقع.

فما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى الاشتغال بكلمات الله القرآنية وتدبر معانيها ودلالاتها وفق أسس علمية رصينة، لعل من أبرزها مفهوم التزكية، وذلك بقصد إعادة بناء الأمة التي شاء الله لها أن تكون وسطاً بين الأمم، واسترجاع حضارتها من خلال تزكية نفسها وتقويتها بالإيمان وتطهيرها من شوائب الكفر والضلال وفق منهج رباني من أجل استعادة مجدها وكرامتها وتحقيق نهضتها؛ إذ المعرفة بالله سير لا ينقطع، وجمال الروح هو الأصل في الوجود كله؛ وقد رسم القرآن الكريم معالم المنهج الرباني بالدعوة إلى القراءة والتدبر تزكية

لنفس وتخليها لها من كل الرذائل وتخليها لها بالفضائل ... رسالة الإسلام رسالة عالمية تحت على التزكية وعلى بناء النفس الربانية التي كرمها الله عن سائر المخلوقات، وذلك بمنهج الوسطية والاعتدال والتوازن.

أهمية الموضوع:

تكمُن أهمية الموضوع في كونه من أشرف المجالات التي يتوجه إليها الدارسون في جميع العصور، ألا وهو مجال الدراسات القرآنية، وقد اتخذت "التزكية" موضوعاً للاشتغال فيه لكونه مصطلحاً قرآنياً أساساً، يدخل ضمن منظومة المفاهيم القرآنية، وموضوعها الإنسان المستخلف، وهو موضوع الإصلاح في الواقع الإنساني من أجل تحقيق العمران، وكانت صياغته الأخيرة على العنوان الآتي: "مفهوم التزكية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف" بمثابة الإطار العام لعمل الإنسان الذي يحمل في طياته نفسه جانب الخير والشر، مصداقاً لقوله تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)} [الشمس: 7، 8] فقيست التزكية بمقدار التخلي عن الصفات المذمومة مقابل التحلي بالصفات الحمودة، وذلك حتى تكون نفساً مطمئنة راضية. ولا يتحقق ذلك إلا من خلال ملازمتها لصفة التقوى والاستقامة مما يستدعي تحليل مظاهر الخلل في النفس البشرية ومجاهدتها حتى تتخلص من العوائق والأهواء والشهوات. بمنهج التغيير للسعي نحو الإصلاح وتحقيق الاستخلاف والتعمير في الأرض، مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: 11].

فالحديث عن التزكية يعد مقصداً من المقاصد الحاكمة لكل مناحي الحياة وخاصة للعمران والاستخلاف باعتباره مقصداً ضابطاً للسلوك الإنساني لتشكيل شخصية المسلم الإيجابية، وذلك بربطه بالقيم العقدية والأخلاقية والعملية حيث يمثل دستور الحياة الذي يتوخى الإنسان من خلاله إصلاح نفسه وتربيتها على مكارم الأخلاق، فبقدر ما تتزكى النفس ترتقي نحو الصلاح والفلاح؛ فجمال الروح هو الأصل في الوجود كله.

إشكالية البحث:

إن الإشكال أو القضية الكبرى التي سيهتم بها تتمحور حول تحديد مفهوم التزكية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، بتتبع أبعاده وقضاياه واستقراء كل مؤشرات ومساربه في النصوص، وتبين موقع التزكية من المفاهيم القرآنية المرتبطة به، وتبيان أسباب ضعف التزكية في الواقع المعاصر، والانطلاق بالمصطلح إلى أفق البناء الحضاري، وتأصيل مفهومه في الواقع الإنساني ليحقق مفهوم التوحيد والعالمية في الكون. وفي سبيل تحديد الإشكال الرئيس في البحث يحسن صياغته في قالب استفهامي على النحو الآتي:

- ما هي الأسس المرجعية التي تؤطر مفهوم التزكية؟
- ما هي معالمها وآفاقها في المصطلح القرآني؟
- وما موقعها من منظومة القيم الحاكمة؟

بالإضافة إلى هذه الإشكالية المركزية تطرح عدة أسئلة جوهرية وعميقة منها:

- ما هي دلالة التزكية؟ وما هي مجالاتها ووسائلها؟
- ما هو سبب غياب مفهوم التزكية ومقصده اليوم بعدما كان حاضراً في عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفي عهد الصحابة والتابعين؟
- كيف نبي حضارتنا انطلاقاً من مفهوم التزكية؟

أسباب اختيار الموضوع:

بديهي أن اختيار الباحثة لموضوع ما ينم عن علاقة ذاتية وموضوعية تميل به إلى ذلك الموضوع، ويأتي اختياري لهذا الموضوع "مفهوم التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف" من كونه نابغاً من إيمان عميق بأهميته نظراً لعدة اعتبارات منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي:

فالدافع الذاتي: يتجلى في شغفي الكبير بالاشتغال في مجال الدراسة المصطلحية للمصطلحات الشرعية، باعتباره مجالاً رائداً في استيعاب التسق المعرفي للمنظومة الإسلامية وفهمه؛ فلا سبيل إلى فهم الوحي بدون دراسة ألفاظه، فهي مفتاح الوصول إلى مراد الله ﷻ في ما أنزل على رسوله ﷺ، واخترت مفهوم "التزكية" باعتباره مفهوماً مركزياً مهماً في إطار التوحيد والعقيدة والعمران والسلوك.

أما الدافع الموضوعي: فلا يخرج عن الهدف العام الذي يؤطر أغلب الدراسات والأبحاث في محاولة الإسهام في تنمية التراكم المعرفي داخل مجال دراسة المصطلحات القرآنية والحديثية، والذي يرجع الفضل فيه إلى الأستاذ الكريم الدكتور الشاهد البوشيخي - نفعنا الله بعلمه-، والهدف من ذلك هو توجيه الإنسان من أجل إعادة إحياء مجد الأمة وإعادة دورها التاريخي المتمثل في تحقيق شهودها الحضاري؛ لذلك كان موضوع التزكية اليوم من أهم القضايا التي يجب الاشتغال عليها وبثها في حياة الأسرة والمدرسة والمجتمع باعتبارها مقصداً من مقاصد القرآن الكريم، حتى تتحول إلى سلوك عملي وترجمان للوحي في جميع المجالات والميادين، فيحيي الفكر من خلالها بالتدبر والتفكير، والجوارح بالانقياد، والقلب بالرضا والامتثال واستحضار الرقابة الإلهية في الوجدان.

وهناك دافع تربوي يتجلى في رغبتني وتطلعي إلى الإسهام في تقديم خدمة تربوية علمية لطلبة القرآن والعلوم الشرعية خاصة في مجال تفسير آيات الكتاب وتدبرها؛ فغياب المقاصد التربوية من أغلب كتب التفسير والعقيدة أدّى إلى كثير من الخلل في التعامل مع المفاهيم العقدية الإسلامية، والانحراف الذي وقع اليوم في العبادات والمعاملات ناتج عن الفهم الخاطئ لمقاصدها، وعن إهمال أصل العبادة الذي هو معرفة الله تعالى، وعن غياب مجموعة من الحقائق والتباس مجموعة من المفاهيم ومن بينها مفهوم "التزكية". والعلم الكفيل بتحقيق ذلك للنفس إنما هو علم التزكية.

وتم تخصيص هذه الدراسة بتأصيلها انطلاقاً من الوحي وربطه بالواقع الإنساني واستثماره في المجال الحضاري لتحقيق العمران والاستخلاف والمساهمة في معالجة أمراض الأمة الفكرية والمنهجية، فلا سبيل إلى الإقلاع الحضاري إلا بتغيير الأنفس وتركيتها والرقى بها في مدارج السالكين باعتبار التزكية الخيط الرابط بين العلم والعمل؛ فلا علم بدون تزكية ولا تزكية بدون عمل.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى محاولة الكشف عن حقيقة هذا المفهوم القرآني المركزي، وأهميته في حقل المعرفة الإسلامية، لإعادة تثبيت العلاقة الصحيحة بين الإنسان والكون وتحديدتها كما أراد ربّ العالمين، ذلك أن تبين المفهوم القرآني للتزكية وبيانه يعيدان التوازن

الفكري والعملي للعقل المسلم في حياته، فتتوسع على ذلك أوجه الاستعمال لكل ما خلق الله تعالى في السماوات والأرض، وتتعدد لخدمة الإنسان وتركيز حياته؛ فسييل بناء كل حضارة هو مداواة النفوس وإصلاحها، وتبدأ المداواة بتجديد الصلة بالله تعالى وبناء الجانب الروحي والعملي في هذه العلاقة. وقد خصصت هذه الأطروحة من أجل تأصيل هذا المفهوم في الواقع الإنساني وربطه بالقيم العقدية والأخلاقية والعملية.

فالباحثة تسعى من خلال هذه الأطروحة إلى معرفة حضور قيمة التزكية إلى جانب القيم الأخرى في الواقع الحضاري للأمة الإسلامية، وما آلت إليه اليوم في إطار تعدد الآراء والمواقف المختلفة والإكراهات السائدة في عصر العولمة والتأثيرات الخارجية والتغيرات الداخلية، لتنتقل من الذات والوعي بالضمير إلى الآخر وفق محددات منهجية ومعايير واضحة منبثقة من الوحي الرباني من خلال منهج متوازن وسلوك معتدل وفكر راق يدرس في المدارس والجامعات ويطبق في الأسر والجماعات.

الدراسات السابقة:

تم التطرق في الدراسات السابقة إلى مفهوم التزكية في إطار عمل الوعظ والإرشاد أو من خلال قضايا فكرية ضمن منظومة القيم نذكر منها:

- كتاب "آداب النفوس" لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، من دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، إصدار 1991م من مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الثانية، بيروت لبنان.
- كتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، إصدار 2015م من المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- كتاب "تزكية النفس" لشيخ الإسلام ابن تيمية، من دراسة وتحقيق محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، إصدار 1994م، دار المسلم للنشر والتوزيع.
- كتاب "إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان" لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار التقوى، الطبعة الأولى، 1999م.
- كتاب "التوحيد والتزكية والعمران: محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة." لطف جابر العلواني، دار الهادي بيروت.

- كتاب "منظومة القيم العليا: التوحيد التزكية العمران" لفتحي حسن ملكاوي، من إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، لبنان.
- كتاب "منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله" لأنس أحمد كرزون، وهو بحث دكتوراه تحت إشراف الدكتور أحمد أبو السعادات، بالمملكة العربية السعودية (1415هـ - 1995م).
- كتاب "التزكية بالقرآن الكريم: مفهومها وأهميتها وأركانها"، إعداد ياسين قاريه، عابدين، فخر الدين الزبير، أحمد محمد رشاد، بإشراف أحمد بن عبد الله الفريج، معالم الهدى، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، معالم الهدى (1439هـ - 2017م).

وجل هذه الدراسات تهتم بتزكية النفس وتنقيتها من الشوائب والمعوقات. وارتأت من خلال هذه الأطروحة دراسة مفهوم التزكية دراسة مصطلحية انطلاقاً من القرآن الكريم والحديث الشريف برؤية معرفية مساهمة في التربية على القيم ومعرفة الآفات والأمراض التي تهدم مقصد التزكية وتبيان دورها في البناء الحضاري والعمراني باعتبارها من منظومة القيم العليا الحاكمة، والتطرق إلى بعض الآفات والأمراض الروحية التي تشق عامل التزكية في الواقع الحضاري باعتبارها مدار إصلاح الإنسان.

منهج البحث:

يعد منهج الدراسة المصطلحية المنهج الأنسب والأصلح لدراسة المصطلح القرآني باعتباره المدخل الأساس لبيان ما يحمله القرآن من أسرار ومعان ودلالات وإعجاز. وهو منهج وصفي تحليلي يقوم على الاستقراء والتحليل ثم التركيب، ويتأسس على خمسة أركان أساس تبتدئ بالإحصاء، فالدراسة المعجمية، فالدراسة النصية، ثم الدراسة المفهومية، والعرض المصطلحي للمصطلح.

الإحصاء:

يعتبر الإحصاء الركن الأول الذي تقوم عليه الدراسة المصطلحية، ويقصد به الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس وما يتصل به لفظاً ومفهوماً وقضية في المتن المدروس، ويشمل:

- إحصاء المصطلح كيفما ورد شكلاً وحجماً واشتقاقاً.

- إحصاء التراكيب التي ورد فيها مفهوم المصطلح دون لفظه إحصاء تاماً.

- إحصاء القضايا العلمية المندرجة تحت مفهومه.

ويتم ذلك من خلال المتن المدروس، وهو القرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس بعد الاطلاع على المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن، والأحاديث النبوية الصحيحة من خلال صحيح البخاري ومسلم.

- الدراسة المعجمية:

ويقصد بها دراسة معنى مصطلح التزكية في المعاجم اللغوية والاصطلاحية، وتدوين المادة المعجمية التي تهم المصطلح، وذلك ب:

- تسجيل تعريفات التزكية الواردة في تفاسير القرآن الكريم.

- تصنيف التعريفات المسجلة، وملاحظة مدى تطور الدلالتين، اللغوية والاصطلاحية للفظ التزكية بمختلف مشتقاته.

- الدراسة النصية:

ويقصد بها دراسة المصطلح من النصوص المحصاة، وما يتصل به في جميع النصوص من خلال تتبع كل موارده في كل النصوص في المتن المدروس، واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه من خلال: صفاته، وعلاقاته مع المفاهيم التي ترد مرتبطة به في السياق، وضمائمه، أي كل ما ضم إليه لفظ التزكية، وقضاياها وربطها بالواقع الإنساني.

- الدراسة المفهومية:

ويقصد بها "دراسة النتائج التي فهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفاً مفهوماً، يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس"¹، واستنباط الدلالات الجزئية للمصطلح من كل النصوص المشكّلة لبنيته المفهومية، وتعتبر هذه الدراسة خلاصة الدراسة المصطلحية وزبدتها.

¹ - الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج، دراسة مصطلحية، مطبعة انفو، فاس، المغرب، ط 2، سنة 2003م، ص: 25.

- العرض المصطلحي:

عرض كل الخلاصات والنتائج المتوصل إليها، وهو الذي يمثل مرحلة البيان، ويعطينا خلاصة هذا المنهج.

خطة البحث:

تقتضي طبيعة الموضوع وأهدافه المتوخاة أن يتألف البحث فيه من مقدمة وبايين وخاتمة:

- فأما المقدمة: فتحتوي العناصر المنهجية الكبرى المتمثلة في موضوع البحث وأهميته وإشكاليته ودوافع اختياره وأهدافه وخطته والصعوبات التي اعترضته.
- وأما الباب الأول، فقد خصص للدراسة المصطلحية لمفهوم التزكية في القرآن الكريم والحديث النبوي، ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: تعريف لفظ التزكية في اللغة والاصطلاح، وذلك في مبحثين، كان مدار الأول منهما على التزكية في اللغة والاصطلاح العام، وذلك من خلال ثلاثة مطالب، خُصص الأول منها لبيان دلالة التزكية في اللغة، وخُصص الثاني لبيان دلالاته في الاصطلاح العام، وخُصص الثالث لدلالاته الفقهية عند الفقهاء وأهل الحديث والصوفية والمحدثين. وتعلق المبحث الثاني بدراسة دلالة لفظ التزكية في اصطلاح القرآن الكريم والحديث الشريف، وذلك ضمن ثلاثة مطالب، اهتم الأول منها بموارد اللفظ في القرآن الكريم والحديث الشريف وصفاً وإحصاء، بينما تناول الثاني المعاني والدلالات الجزئية لموارد التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف، واختص المطلب الثالث منها باستخلاص التعريف.

وفي الفصل الثاني تمّ الحديث عن خصائص التزكية وصفاتها في القرآن الكريم والحديث الشريف، وذلك في مبحثين، كان مدار الأول منهما على خصائص التزكية، بينما انصب اهتمام الثاني على صفاتها.

وأما الفصل الثالث فقد درس علاقات التزكية بغيره من الألفاظ التي وردت معه في القرآن الكريم والحديث الشريف في سياق واحد، وفصل القول فيه من خلال ثلاثة مباحث، تعلق الأول منها بدراسة علاقة التعاطف، حيث درست علاقة التزكية بالطهارة وهو موضوع

المطلب الأول، ثم علاقة التَّزْكِيَّة بالهداية في المطلب الثاني. وفي المبحث الثاني تمت دراسة علاقات التَّدَاخُل والتَّكَامُل من خلال ثلاثة مطالب، دار الأول منها حول علاقة التَّزْكِيَّة بالتَّقْوَى، والثاني حول علاقة التَّزْكِيَّة بالرَّحْمَةِ، والثالث حول علاقة التَّزْكِيَّة بالفلاح. وأما المبحث الثالث فقد تمت من خلاله دراسة علاقات التَّضَادِّ ومنها علاقة التَّزْكِيَّة بالتَّدْثِيَّة.

وفي الفصل الرابع: تمت دراسة ضُمائم التَّزْكِيَّة ومشتقاتها في القرآن الكريم والحديث، وذلك من خلال مبحثين، خُصَّص الأول منهما للضمائم، بينما خُصَّص الثاني للمشتقات الفعلية والاسمية.

- **وأما الباب الثاني:** فهو عبارة عن دراسة موضوعية معرفية لمفهوم التَّزْكِيَّة، ويتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الأول: تناول وسائل التَّزْكِيَّة وموانعها، وذلك في مبحثين، دار الأول منهما حول وسائل التَّزْكِيَّة من العبادات، وذلك من خلال أربعة مطالب، خُصَّص الأول منها للصَّلَاة، والثاني للزَّكَاة، والثالث للصَّوْم، والرَّابِع للحج. أما المبحث الثاني فقد دار حول موانع التَّزْكِيَّة، وذلك من خلال ثلاثة مطالب، خُصَّص الأول منها للشَّيْطَان، والثاني للهوى، والثالث للكبر.

وفي الفصل الثاني تم تناول تزكية النفس الإنسانية، من خلال أربعة مباحث، تعلق الأول منها بتزكية المال، والثاني بتزكية الجسم، وارتكز الثالث حول تزكية العقل، وتناول الرابع تزكية القلب.

أما الفصل الثالث: فكان عبارة عن دراسة معرفية لمفهوم التَّزْكِيَّة، تمت من خلاله دراسة أثر التَّزْكِيَّة في بناء العمران الحضاري، فكان الحديث عن أثر قيمة التَّوْحِيد على الحياة الفردية والجماعية، وذلك في مبحث أول، بينما تم الحديث في مبحث ثانٍ عن العلاقة بين واقع النفس وواقع العمران، حيث تم التَّطَرُّق إلى أسس العمران ومقوماته ومقصدية في ضوء القرآن الكريم، وذلك إلى جانب مفاهيم معرفية قرآنية أخرى كالإيمان والعمل الصَّالِح والعمران الحضاري وكذا إصلاح الذات، وتفعيل القيم المادية والروحية، والتَّكَامُل المعرفي بين التَّزْكِيَّة والعمران. أما المبحث الثالث فقد تمَّ الحديث فيه عن التَّزْكِيَّة ودورها في تحقيق الاستخلاف الإسلامي من خلال مبادئه الأساسية كالَّتِكْرِيم والتَّسْخِير والحرية والعدل والوسطية...

وأما الخاتمة فقد شملت أهم الخلاصات والاستنتاجات التي توصل إليها البحث، وتوصيات.

صعوبات البحث:

لا يخلو بحث من صعوبات تعترض صاحبه في سبيل إنجازه، ومن بين الصعوبات التي اعترضتني في طريق إنجاز هذا البحث كون مفهوم التزكية مفهوماً قرآنياً مقاصدياً يقتضي أخذ الحيلة والحذر في التعامل معه كباقي كلمات القرآن باعتباره كتاباً مقدساً من رب العالمين، فلا يمكن الخوض في معانيها ومدلولاتها بغير تثبت، خصوصاً وأن الدراسة المصطلحية تستدعي من الباحث التعامل مع المفردة القرآنية في كل صيغ ورودها في المتن المدروس من المفرد والجمع والمعرفة والنكرة وغيرها واستنباط ما تحمله من معانٍ ودلالات مختلفة.

الباب الأول

الدراسة المصطلحية لمفهوم التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف

توطئة

الفصل الأول: تعريف التزكية في القرآن الكريم والحديث

الفصل الثاني: خصائص التزكية وصفاتها في القرآن الكريم والحديث

الفصل الثالث: علاقات التزكية في القرآن الكريم والحديث

الفصل الرابع: ضمائم التزكية ومشتقاتها في القرآن الكريم والحديث

توطئة:

تبرز لنا أهمية الدراسة المصطلحية في كونها مفتاحاً لكل النصوص، وتتميز بمفهوم خاص يميزها عن غيرها من المجالات المعرفية، فهي ترتبط بقضايا وإشكالات تهدف إلى جمع ما تتضمنه من معان وإشارات لتركيب الصورة المفهومية للمصطلح. وهذا ما أكدّه الشاهد البوشيخي بقوله: "إنّ دراسة المصطلحات ينبغي أن تكون أولاً وقبل كل شيء دراسة مصطلحية، تهدف أول ما تهدف إلى تكوين بطاقة هوية مفصلة للمصطلح، ومن لم يدرك الفرق بين دراسة مصطلحي اللفظ والمعنى مثلاً وقضية اللفظ والمعنى فإن المنهج لن يستقيم"¹؛ فالمصطلحات مفاتيح العلوم، ولا سبيل إلى تحديد أي علم دون تحديد المصطلحات التي تميز مفاهيمه الخاصّة، وتفصله عن غيره من المجالات المعرفية، وبالتالي فلا فهم لعلم دون فهم لمصطلحاته؛ فهي المفتاح للتّحليل والتّعليل والاستنباط، وأخص بالذكر في ذلك المفردة القرآنية التي تتميز عن غيرها من المفردات بحكم شموليتها، فهي لا تقتصر على زمن محدد، بل تمتد تأثيرها في الزمان الواسع لتخاطب كل الأمم لقوله تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنعام: 115]، "فلا سبيل إلى استيعاب أي علم دون فهم المصطلحات، ولا سبيل إلى تحليل ظواهر أيّ علم وتعليلها دون فقه المصطلحات، وهنا يكمن دورها في بيان المعرفة؛ إذ في المصطلحات البسيطة الصغيرة تسكن صغائر العلم وجزئياته، وفي المصطلحات المركبة تختزن كليات العلم، وفي الأنساق المصطلحية العامّة تتمثّل أشجار مفاهيم العلوم وأشكال بنائها، ومن تلك الأنساق المتضمنة لمعاجم العلوم وأجهزتها المصطلحية يمكن استخلاص رؤيتها"².

ومن ذلك المصطلح القرآني الذي يعد مصطلحاً معجزاً عبر الزمان والمكان، وله تأثير على النفوس، تصلح من خلاله الآراء والأفكار والمعتقدات، وتنور العقول، وتطهر الأبدان، وتزكو الأنفس؛ فهو دواء وشفاء لكل الأمراض، باعتباره كتاباً معادلاً موضوعياً للكون، "لأن القرآن بناء محكم واحد، ونظام متفرد واحد، تسري فيه كلّ روح واحدة، تحوله إلى كائن حي يخاطبك كفاحاً، ويشتبك معك في جدل شامل يجيب به عن تساؤلاتك، ويسقط عنك إصر

¹ -الشاهد البوشيخي، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين: قضايا ونماذج، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1982م، ص: 31.

² -الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج، دراسة مصطلحية 2، مطبعة أنفو، فاس المغرب، الطبعة 3، 2004م، ص: 15.

شبهاتك، ويقيد تصميم تصوراتك وبناء قواعد أفكارك ومنطقاتها، ويصحح معتقداتك، حتى يضعك على الصراط المستقيم لتستقيم على الطريقة، وتبلغ شاطئ الحقيقة¹. وكل المصطلحات القرآنية تتناسق في ما بينها، انطلاقاً من الدلالة اللغوية والاصطلاحية عامة والقرآنية خاصة.

ويختلف المصطلح القرآني عن المصطلح البشري بحكم قدرته وعالميته وشموليته، ويحتوي على ألفاظ الوحي التي تعبّر عن مفاهيم خاصة ضمن تصورات الوحي العامة، وله أبعاد دلالية واسعة تزيد على دلالات الألفاظ والتراكيب العادية وعلى آثارها بمقدار كبير؛ فمعانيه أجل المعاني وأعظمها، فهي لا تنضب لارتباطها بهداية الخلق والإعجاز بمختلف أنواعه. وتأسيس المفاهيم القرآنية مبني على فهم تعاليمه الصحيحة انطلاقاً من الكتاب الحكيم، وكمال العلم بمعاني الكلمات ومدلولات الألفاظ لا يتم إلا بتجديد المنهج واستقراء جميع موارد المصطلح في القرآن والسنة من خلال المقامات والسياقات من أجل تحصيل رؤية شاملة مبنية على فهم سليم ورؤية واضحة. فالبحث في مصطلحات القرآن الكريم هو بحث عن معاني الشرع ومضامينه وقيمه وأسراره وحكمه وأحكامه، ودراسة هذه المصطلحات في ضوء نصوص الوحي هو بلا شك خطوة أساس في منهج الفهم الصحيح الذي يتجدد به أمر الدين².

ف" استرجاع الأمة الإسلامية لهويتها الحضارية اليوم مشروط بإصلاح العطب الذي أصابها، ففصل واقعها السقيم من أصلها السليم، ولما كان هذا الإصلاح لا يتم إلا بالعلم والفهم السليم للوحي الذي يمثل مقوم الأمة الأساس فإن فقه مصطلحات الوحي أول مراتب هذا الإصلاح"³.

¹ - سعيد شبار، "المحددات المنهجية في القرآن الكريم، أصول تفسيرية ذات أولوية، محدد الكمال والتمام نموذجاً". المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، فاس، (2015)، ص: 7.

² - كما يقول أستاذنا الشاهد البوشيخي حفظه الله: "لن يتجدد أمر الدين حتى يتجدد فهم الدين، ولن يتجدد فهم الدين حتى يهتدى في منهج الفهم التي هي أقوم". الشاهد البوشيخي، القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، فاس: مطبعة أنفو برانت، 2002م، ص: 10-11.

³ - فريدة زمر، "القرآن الكريم والدراسة المصطلحية". الدورة التأهيلية الأولى بفاس (27 ذو الحجة 1434هـ - 3 محرم 1435هـ. الموافق: 2-7 نونبر 2013م"، ورقة قدمت بالجامعة العالمية المفتوحة للدراسات المصطلحية. ص: 5.

فكانت الحاجة إلى ضبط المفاهيم القرآنية أمراً مهماً في فهم الدين بصورة واقعية وصحيحة، وكل لبس فيها يوقع الفرد في كثير من الأخطاء، وأخطرها مجال العقيدة وتطبيقها في الواقع الإنساني. وهذا ما سعى إليه الزنادقة المتطاولون على الإسلام، إذ وصفوا الحجاب بالترمت والانغلاق، واعتبروا إعطاء المرأة نصف ما يعطى لأخيها في الإرث من طرف الشرع ظلماً لها، ومترلة أدنى من شقيقها الرجل، وتأولوا الوحي الإلهي على أنه إفراز أسطوري وإنتاج ثقافي... وغير ذلك من المفاهيم. فجّل الذين انبهروا بالحضارة الغربية المادية سقطوا في فخ الغزو الثقافي، مما غير أفكارهم وسلوكاتهم ومعتقداتهم، فنقلوا كل ما يتعلق بالنموذج الغربي إلى عالمنا الإسلامي رافعين شعار عصنة الإسلام وتحديثه، ومعتبرين أن سبب تخلف المسلمين اليوم ناتج عن التثبّت بهذا الدين. وهذا ما سعت إليه الحضارة المعاصرة، حيث لم تكتف بمراجعة واحدة تستمد منها معارفها، بل أحدثت خللاً في المنظومة الإنسانية والقيم الأخلاقية وشرخاً في البنية الاجتماعية والحضارية.

إن مسألة إنتاج المصطلحات من أبرز العلامات الدالة على قوة الحضارات أو انحطاطها، إذ الحضارة القوية تكون أقدر من غيرها على إنتاج المصطلحات، بينما تكون الحضارة الضعيفة تابعة ومستهلكة فقط وخاضعة للمصطلحات الوافدة، وهذا ما استثمره الغرب في تأويل المفاهيم وطمس هويتها الثقافية والدينية من خلال هيمنته في مختلف المجالات. و"بما أن الغرب في هذا العصر هو الأعلى، فقد غمر مصطلحه تلقائياً كل الأراضي المنخفضة عنه، فاكتمح مصطلحه مصطلح العلوم المادية كلّها أو كاد، وغلب على مصطلح العلوم الإنسانية كلّها، ولم يسلم من طوفانه لانخفاضه وارتفاعها إلا مصطلحات العلوم الشرعية"¹.

وبذلك يمكن القول إن منهج الدراسة المصطلحية منهج دقيق، وخاصة في تناوله المصطلح القرآني، فهو "يجسد بحق أصدق برهان على إعجاز القرآن الكريم؛ الذي منح اللفظ العربي امتداداً في المدلول وجدة في المعنى؛ فأحدث في مدة يسيرة ثروة لغوية باهرة لم تشهدها لغة من لغات البشر؛ بحيث فك الألفاظ من عقالها، لتتسع لأحدث المعاني، وأضخم الحقائق، وأعمق التصورات والدقائق..."².

¹ - الشاهد البوشيخي، "مصطلح الأمة بين الإقامة والتقويم والاستقامة". دراسة مصطلحية: 8. ندوة مناهج الاستمداد من الوحي، بتطوان، (5-6 مارس 2008م) ص: 33.

² جميلة بوزيان، منهجية البحث في المصطلح القرآني من الدراسة المصطلحية إلى التفسير الموضوعي، فاس، ط 1، 2013-2014، ص: 11

وهذه الخصوصية نابعة من طبيعته، فحاجة الأمة إليه من أهم الحاجات الأساس اليوم، وذلك من أجل استرجاع هويتها وهويتها الحضارية، وهذا الإصلاح لا يتم إلا من خلال الفهم السليم للمنهج، كما يقول تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: 29]، فكل لفظة في القرآن يحتويها نوع من الجمال، ومفرداته تمثل مدخلاً معرفياً ومنهجياً أساساً لقراءته، ولكي نفهمه يجب أن نرقى إلى مستواه، فهو الغذاء الروحي للإنسان.

ومنهج الدراسة المصطلحية من أكثر المناهج دقة في مراعاة النص القرآني لما يحتويه من قدسية وإعجاز وبيان ووضوح وشمولية...؛ فكان عليه الصلاة والسلام هو المبلغ بواسطة الملك الأمين بدءاً من أول آية {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: 1]، موضحاً المنهج ليتدبر هذا النص فهماً وتحليلاً واستنباطاً.

فالدراسة المصطلحية تقوم على أركان وقواعد أساسية عبر مراحلها بدءاً من الدراسة المعجمية إلى مرحلة العرض المصطلحي تحتاج إلى دقة ووضوح وبيان، وهذا ما أكده محمد الأزهرى بقوله: "لقد أكد توظيف منهج الدراسة المصطلحية في العديد من البحوث والدراسات على مدى أزيد من ثلث قرن من الزمن بالمغرب، ولهذا فالتّمكن منه ضروري من أجل التّمكن من هذه الصناعة والتّمهر فيها"¹.

وفي هذا الباب نصبو إلى وضع بطاقة هويّة لمصطلح التّركية من خلال السّياق القرآني والحديثي من خلال أربعة فصول:

الفصل الأول: خصصناه لدلالات لفظ التّركية في المعاجم اللغوية والاصطلاحية.

والفصل الثاني: تناول خصائص التّركية وصفاتها.

والفصل الثالث: سنتحدّث فيه عن علاقات التّركية.

والفصل الرابع: يتعلق بضمائم لفظ التّركية ومشتقاته في القرآن الكريم والحديث الشّريف.

¹ - محمد الأزهرى، "أركان منهج الدراسة المصطلحية" الدورة التأهيلية الأولى في موضوع: "القرآن الكريم والدراسة المصطلحية- الرؤية والمنهج". فاس، (27 ذو الحجة 1434هـ - 3 محرم 1435هـ، الموافق (2-7) نوفمبر 2013م).

الفصل الأول: تعريف التّزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف

المبحث الأول: التّزكية في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: دلالة لفظ التّزكية في اصطلاح القرآن الكريم والحديث الشريف

الفصل الأول:

تعريف التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى تعريف مصطلح التزكية وتحديد متعلقاته الذاتية وامتداداته وفق ما تقتضيه الدراسة المصطلحية، وذلك بتبيين موقع التزكية في النص القرآني والحديثي، وأثرها في مجال العقيدة والعبادة والسلوك، وكيف استطاع أبناء الجيل الأول أن يرتفعوا بأخلاقهم ويسموا بعقولهم ويزكّوا أنفسهم، وكيف تطوّرت دلالاتها في عصرنا الحالي. ولهذا فإن البحث في ذلك يستلزم تتبع الخطوات التالية:

أولاً: بحث مفهوم التزكية في اللغة، إذ لا يتمُّ الكشف عن معناه الاصطلاحي دون معرفة معناه في اللغة التي نزل بها القرآن.

ثانياً: بحث مفهوم التزكية في الاصطلاح، والقصد منه تتبع التطور الدلالي للفظ من معناه اللغوي إلى معناه الاصطلاحي، وملاحظة الحد الفاصل بين الدلالة الاصطلاحية العامة والدلالة الاصطلاحية الخاصة.

ثالثاً: بحث مفهوم التزكية في الدلالة الفقهية، من خلال تتبع رأي الفقهاء وأهل الحديث والصوفية والمفكرين في تعريفها وما آل إليه مفهومها.

رابعاً: بحث مفهوم التزكية في الاصطلاح القرآني والحديثي، من خلال إحصاء موارد اللفظ في القرآن الكريم وتحليل دلالاتها، ورصد المعاني الجزئية لها، وتصنيفها لاستخلاص التعريف من ذلك.

المبحث الأول: التزكية في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: دلالة التزكية في اللغة

وردت مادة (ز.ك.ا) في المعاجم اللغوية تحمل معاني عدة، منها: التَّماء والزيادة، والطَّهارة، والصَّلاح، والمدح؛ ونفصل القول في ذلك على النحو الآتي:

المعنى الأول:

التَّماء والزيادة: زَكَ الزَّرْع يزْكُو زكاءً ازدادَ ونَمَا، وكلُّ شَيْءٍ ازدادَ ونَمَا فهو يزْكُو زكاءً¹. فالزَّاي والكاف والحرف المعتل أصلٌ يدل على نَماءٍ وزيادة²، والزَّكاء ممدود التَّماء والريغ، ويُقال: هذا أمرٌ لا يزكو بفلانٍ، أي: لا يليقُ به³، ومنه قول الشاعر:

وَالْمَالُ يَزْكُو بِكَ مُسْتَكْبِرًا يَخْتَالُ قَدْ أَشْرَقَ لِلنَّاطِرِ⁴

ويقال: زرع زاك بين الزَّكاء⁵، وزكا المال والزَّرْع وغيرهما يزْكُو زكاءً بالمدِّ، وزكواً بالفتح... وفي المحكم كَعُلُوٌّ نَمًا وِرَاعٌ وكلُّ شَيْءٍ يَزْدَادُ وَيَسْمُنُ فهو يَزْكُو، زكاءً، وزكاه الله تزكيةً وأزكاه أئمَّاهُ وجعلَ فيه بركةً، وزكا الرَّجُلُ يزْكُو زكواً صلح، وزكى نفسه تزكيةً: مَدَحَهَا، وزكاه: أخذ زكاته، وتزكى تصدَّق وأيضاً تطهَّر⁶.

المعنى الثاني:

الطَّهارة: "زكاةُ المال وهو تطهيره"⁷، "وبزكاةِ النَّفس وطهارتها يصير الإنسان بحيثُ يستحقُّ في الدنيا الأوصافَ الحمودةَ، وفي الآخرةِ الأجرَ والمثوبةَ"⁸، "ويقال: الطَّهارةُ زكاةُ المال، قال

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مادة (زكو)، تحقيق مهدي مخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج5، ص: 394.

² - أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (زكا)، راجعه وعلق عليه أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ-2008م)، ص: 386.

³ - محمد بن أحمد بن الأزهر، تهذيب اللغة، مادة (زكا)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، ج10، ص: 175.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (زكا)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ، ج14، ص: 358.

⁵ - أحمد بن فارس، مجمل اللغة، مادة (زكو)، دراسة وتحقيق زهير عبد الحسن سلطان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ-1986م)، ج1 ص: 437.

⁶ - محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جوهر القاموس، مادة (زكو)، تحقيق عبد الحليم الطحاوي، راجعه عبد الستار أحمد فراح، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (1400هـ-1980م)، ج19، ص: 494.

⁷ - الفراهيدي، كتاب العين، مادة (زكو)، ج5، ص: 394.

⁸ - الزبيدي، تاج العروس، مادة (زكو)، ج19، ص: 495.

بعضهم: وسميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه. وقال بعضهم: سُميت زكاة لأنها طهارة، قالوا: وحجة ذلك قوله جل ثناؤه: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: 103]، والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين وهما: النماء والطهارة¹.

المعنى الثالث:

الصَّلاح: يقال: "رَجُلٌ تَقِيٌّ زَكِيٌّ أَي زَاكٌ، من قوم أَتَقِيَاءَ أَزْكِيَاءَ... وقال تعالى: {خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةٌ} [الكهف: 81]، أَي خيراً منه عملاً صالحاً، وقال الفراء: زكاةٌ صلاحاً، وكذلك قوله عز وجل: {وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً} [مریم: 13]، قال: صلاحاً²، وزكا الرجل يزكو، إذا صَلَحَ، وزكَّيته بالتثقيل نسبته إلى الزكاء، وهو الصَّلاح³.

المعنى الرابع:

المَدَح: يقال: "زكَّاهُ اللهُ وزكَّى نفسه تزكيةً مدحها، وزكَّى الرجل نفسه إذا وصَّفها وأثنى عليها"⁴.

وإذا أمعنا النظر في المعاني التي تدور عليها مادة «ز ك ا» في المعاجم اللغوية وجدنا أنها فعلاً تعود إلى أصل واحد ودلالة واحدة؛ حيث إن الصَّلاح والطهارة وسيلتان من وسائل النماء والزيادة. فالصَّلاح في الحقيقة هو زيادة العمل الجيد، ولذلك لا تنافي بينهما، والطهارة كذلك زيادة في الإصلاح؛ فزكاة المال إصلاحه والإصلاح يؤدي إلى الزيادة والتماء.

وجملة القول: جاء فعل زكا من أصله الثلاثي بالمد ليدل على معنى الزيادة والتماء والصَّلاح. وفعل زكى الرباعي بالتشديد مصدره تزكية، بمعنى التطهير، لقوله تعالى: {وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ} [فاطر: 18]. أما الفعل الرباعي المهموز أزكى مصدره إزكاء والزكاء ما أخرجه الله من الثمر، كما جاء في لسان العرب⁵، والمفعول مزكى للمتعدّي.

1- ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (زكى)، ج: ص: 386.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة (زكا)، ج 14، ص: 358.

3- الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، مادة (ز ك و)، المكتبة العلمية، بيروت، ج 1، ص: 254.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة (زكا)، ج 14، ص: 358، الزبيدي، تاج العروس، مادة (زكو)، ج 19، ص: 496.

5- ابن منظور، لسان العرب، مادة (زكا)، ج 14، ص: 358.

ومن خلال المعاجم اللغوية نجد أن التّزكية تدل على الطّهارة والنّماء والبركة والمدح، وكل هذه المعاني اللغوية ترتبط بالنّماء للدّلالة على الخير، فكانت التّزكية نماءً وزيادة في الحسن والنّفع والطّهارة والصّلاح والمدح والمحمود من الأقوال والأفعال.

وترتبط التّزكية في تعريف الزبيدي بمجال طهارة النّفس، ويتحقق من خلالها الأجر والثّواب، فشملت التّزكية الطّهارة؛ فلا تزكية بدون طهارة. وكل هذه المعاني تستدعي ترقية النّفس وتطهيرها وتنميتها بالتّقوى والصّلاح للبلوغ بها إلى الدّرجات العلى.

وهذه الدّلالات اللغوية تمهد السّبيل للبحث والتّنقيب على دلالة اللفظ في الاصطلاح عامة وفي الاصطلاح القرآني خاصّة، للكشف عن معانيه ودلالاته، ومن هنا نكون قد تعرفنا على منشأ لفظ التّزكية، ومدار مادته، ثم على دلالاته اللغوية، مما يمكننا من الكشف عن دلالاته الاصطلاحية وتتبع التّطور الدّلالي لهذا اللفظ.

المطلب الثاني: التزكية في الاصطلاح العام

ورد لفظ التزكية في الاصطلاح بمعنى النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية، قال تعالى: {فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا} [الكهف: 19]، "ومنه الزكاة: لما يخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة أو لتزكية النفس، أي تنميتها بالخيرات والبركات أو لهما جميعاً... وبزكاة النفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة وفي الآخرة الأجر والثوبة... وتزكية الإنسان نفسه ضربان: أحدهما بالفعل، وهو محمود، وإليه قصد قوله: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس: 9]، وقوله: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى: 14]، والثاني بالقول، كتزكية العدل وغيره، وذلك مذموم أن يفعله الإنسان بنفسه، وقد نهى الله تعالى عنه، فقال: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ} [النجم: 32]¹.

وجاء الزكاء بمعنى النماء، "فكل شيء يزداد فهو يزكو زكاة، ويسمى ما يخرج من المال للمساكين بإيجاب الشرع زكاة؛ لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه وتوفره وتقيه من الآفات"²، فكانت الزكاة أداة ووسيلة للتزكية، "وقد تطلق الزكاة على التزكية فهي عبارة عن التزكي بإيثار الحق على الخلق"³.

والناظر في هذه التعريفات الاصطلاحية يرى أن معنى التزكية فيها لا يخرج في الاصطلاح عن معناه اللغوي وهو التطهير والنماء والزيادة، فقد ارتبطت التزكية بفريضة الزكاة، كما أشار إلى ذلك الكفوي بلفظ الواجب، الدال على الصدقة أو الركن الثالث من أركان الإسلام لقوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: 103]، وقوله تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} [الليل: 17، 18]؛ فالتزكية ناتجة عن فعل الزكاة، تعود بالمنفعة الذاتية على الفرد وبالمصلحة العامة على المجتمع على السواء، وهي استجابة العبد لأمر ربه وتلبية لندائه،

¹ - الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة (زكا)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة، (1430هـ - 2009م)، ص: 380-381.

² - أبو البقاء الكفوي، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، فصل [الزاي]، تحقيق عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص: 486.

³ - الثَّهَّانَوِي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، حرف [الزاي]، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى، 1996م، ج 1، ص: 907.

تقوم على غرس المحبة والمودة وروح التعاون والألفة، ونزع الحقد والحسد والكراهية، وزيادة البركة ونموها وتحقيق مقصد عدم احتكار الأموال بين الأغنياء، قال تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [المزمل: 20].

المطلب الثالث: التزكية في الدلالة الفقهية

تطور مفهوم التزكية واشتهر أساساً في مجال علم الفقه، وعلم الحديث وعلم التصوف وغيرها. ومهما اختلفت عبارات هؤلاء في تحديد معنى التزكية فقد اتفقت في الرجوع إلى المعنى اللغوي الدال على التطهير والنماء والزيادة. ولبيان ذلك نتبع مفهوم هذا اللفظ في علم الفقه والحديث وعلم التصوف والفكر.

بعد الاطلاع على تعريفات الفقهاء لمفهوم التزكية تبين لنا أنها تعود إلى المعنى اللغوي الذي سلف ذكره، وسنبين كل تعريف على حدة مع التعليق والتحليل حتى يتسنى لنا توضيح العلاقة الكامنة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لهذا المصطلح، ثم ننظر في تعريفات رجالات التصوف كذلك، لنرى هل تتوافق مع تعريفات الفقهاء أم تختلف؟ وإن اختلفت فما سبب اختلافهم؟ وما الإضافة النوعية الناتجة عن هذا الاختلاف؟

أولاً: عند الفقهاء:

نجد من أهم التعريفات الفقهية لمفهوم التزكية ما يلي:

أ - ابن تيمية (ت 728هـ):

أشار ابن تيمية في تعريفه للتزكية بقوله: "الزكاة في اللغة: النماء والزيادة في الصلاح، يقال: زكا الشيء إذا نما في الصلاح، فالقلب يحتاج أن يتربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح، كما يحتاج البدن أن يربى بالأغذية المصلحة له، ولا بد مع ذلك من منع ما يضره، فلا ينمو البدن إلا بإعطائه ما ينفعه ومنع ما يضره، كذلك القلب لا يزكو فينمو ويتم صلاحه إلا بحصول ما ينفعه ودفع ما يضره، وكذلك الزرع لا يزكو إلا بهذا... وتطهير النفوس وإصلاحها بالعلم النافع، والعمل الصالح، وفعل المأمورات، وترك المنهيات"¹.

¹ - أحمد ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، (1426 هـ - 2005 م)، ج 10، ص: 96.

أكد ابن تيمية في تزكية النفس أنها ترتبط بشروط وضوابط؛ فأول عمل لإصلاح حال الفرد هو إصلاح عقيدته، وتثبيت التوحيد في نفسه، و"من الأمور التي تحصل بها تزكية النفس إجمالاً وليس تفصيلاً:

1 - الإيمان والتوحيد.

2 - المتابعة لرسول الله ﷺ.

3 - الفرائض والواجبات والسنن.

وهذا هو الطريق الشرعي لتزكية النفس"¹.

واقترن منهج التزكية عند ابن تيمية بمحاربة الأباطيل والشعوذة والانحرافات العقدية، والتحذير من الكفر والشرك والنفاق والشك واتباع الهوى والحسد والغيبة والعجب وكل آفة ذميمة تتعلق بباطن الإنسان، وتغضب الحق سبحانه. والهدف من ذلك تحقيق العبودية لله تعالى وحده وطاعته والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه، ومجاهدة النفس للرقي بها في مدارج العلم والعمل؛ إذ بالعلم يعرف الإنسان ربه، ويزداد خشوعه ومحبة وخشيته لله تعالى، ويحقق كيانه ووجوده في الكون، ومن خلاله يبني معارفه ومستقبله وحضارته.

واعتبر ابن تيمية أن الدين كله يقوم على تزكية النفس وتأديبها، باعتبار ذلك مقصداً من مقاصد الشارح، وهذه التزكية رهينة بإصلاح الباطن أي: القلب وتطهيره من الشر والبدع والهوى؛ فلا يحب إلا الله، ولا يبغض إلا الله، ولا يوالي إلا من والاه الله، ولا يعطي ولا يمنع إلا لله؛ وبذلك مثلت التزكية عنده الامتثال الحقيقي الذي يشمل الظاهر والباطن معاً، كما مثل بدعوته صورة العابد الزاهد المجاهد الطارد لكل انحراف وضلال وابتداع، من خلال الاهتمام بالقرآن والسنة لتحقيق مفهوم العبودية لله الحق دون سواه.

ب - ابن قيم الجوزية (ت 751هـ):

يعد ابن قيم الجوزية من تلاميذ ابن تيمية، وقد جاءت كتاباته لتتناول ما كان يعيشه المجتمع من تقلبات فكرية ومذهبية؛ إذ اختلط مفهوم التزكية بمفاهيم فاسدة من خلال تلك الفلسفات الوافدة، فكانت الحاجة ماسة إلى عملية إصلاحية للتهوض بالأمة الإسلامية.

¹ - ابن تيمية، تزكية النفس، تحقيق محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار المسلم، الطبعة الأولى، (1415هـ - 1994م)، ص: 16.

وابن القيم واحد من الذين أسهموا بكتاباتهم في تثبيت العقيدة والتوحيد الصحيح المبني على الفهم السليم للقرآن والسنة، ومواجهة كل ما يحوم بها من ضلالات وشرك، والابتعاد عن التعصب والحمية التي تحث على التفرقة والعداوة. ودعا إلى إصلاح النفس الإنسانية، من خلال تقسيمها تقسيماً تأصيلياً مرده إلى القرآن الكريم حيث تحدث عن ثلاث مستويات من الأنفس وهي: نفس أمارة ونفس لوامة ونفس مطمئنة، وحاول بذلك التصدي لمجموعة من الأفكار اليونانية التي تسَلَّت إلى مجال العقيدة، وكان الهدف منها إضعاف النفس الإنسانية والسيطرة عليها. ولخطورة الأمر اتَّجه ابن القيم بدعوته إلى التَّشبُّث بالقرآن والسنة ومحاربة التقليد والتأكيد على أن ذلك هو العلاج الحقيقي لكل أمراض النفس.

من تم جاء تعريفه لمفهوم التزكية تلخيصاً لما سبق من خلال قوله: "التزكية أصله النماء والزيادة والبركة، فإنَّه إنَّما يحصل بإزالة الشرِّ، فلهذا صارت التزكية تنظم الأمرين؛ فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح هو التوحيد، والتزكية جعل الشيء زكياً إما في ذاته، وإما في الاعتقاد والخبر عنه"¹.

وهنا، ربط ابن القيم التزكية بالتوحيد لتحقيق العبودية لله عز وجل، فهي اللبنة الأساس والمدخل لتطهير النفس، والإقرار بوحداية الله في ذاته وصفاته وأفعاله وألوهيته وربوبيته، باعتبار أن التوحيد أساس التزكية؛ فلا تتحقق إلا بالتوحيد الذي من خلاله يعيش الإنسان في حرية واطمئنان، ويحقق ذاته بأداء الواجبات من شعائر وأحكام. فقد جمع ابن القيم بين الجانب المادي والروحي في هذا باعتبار أن النفس البشرية تتكون من روح وجسد لتأسيس نسق معرفي حضاري متوازن لا إفراط فيه ولا تفريط، عكس ما فعل البعض في مجال العبادات بالغلو فيها، بحرمان النفس من متطلبات الحياة وما تقتضيه الحضارة الإنسانية من اجتهاد وعمل وتدبر وتفكير.

وذهب ابن القيم في تحديده لمفهوم التزكية إلى أنها "عملية كسبية يصل بها المرء إلى كمال النفس المطلوب وسعادتها"²، الموصل إلى المقصد الأعظم وهو العبودية. وقد أشار إلى أن

¹ - ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار التقوى، الطبعة الأولى، 1999م، ص: 52.

² - رقية طه جابر العلواني، "منهج ابن قيم الجوزية في تزكية النفس"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، مج 19، ع 31 (رمضان 1425هـ-2004م): ص: 170.

غاية النفس استكمال القوتين العلمية والعملية معاً، فالتزكية عنده تقوم على التطهير والتوبة والإنابة؛ إذ لا بد من مجاهدة النفس وغسلها من الأدران والأوساخ حتى تنمو وتصفو وتتحلى بالصفات الإيجابية من خلال عمل القلب، "القلب الذي إذا تخلص من الذنوب بالتوبة فقد استفرغ من تخليطه، فتخلصت قوة القلب وإرادته للخير، فاستراح من تلك الجوانب الفاسدة والمواد الرديئة، وزكاً ونماً وقوي واشتد... فلا سبيل لركاته إلا بعد طهارته"¹.

كما أشار إلى أن التزكية ليست من الأمور السهلة، بل تحتاج إلى صبر ومجاهدة وعزيمة صادقة بقوله: "وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة التي لم يجرى بها الرُّسل، فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، فالرُّسل أطباء القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحتها إلا من طريقهم وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد، والتسليم لهم، والله المستعان"².

فعبّر عن التزكية بجهد النفس من خلال است فراغ القلب من الذنوب والمعاصي والتحلي بالأخلاق الحميدة، ولا يتم ذلك إلا بتحقيق الوسائل اللازمة انطلاقاً من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبين في معظم كتاباته³ كيفية علاج النفس من غواية الشيطان وحب الدنيا وملذاتها، وكيفية تطهيرها والرقى بها في مدارج السالكين وذلك انطلاقاً من:

- الالتزام بالقرآن الكريم والسنة النبوية.
 - تحقيق التوحيد وتصحيح العقيدة ومحاربة الشرك.
 - محاربة البدع والأهواء والتقليد وكل التيارات المخالفة للمنهج الإسلامي الحنيف.
 - اتباع الأوامر واجتناب المناهي ومحاسبة النفس من خلال التوبة والإنابة.
- فمنهج ابن القيم في تزكية النفس يحقق مقاصد وغايات هامة في تصحيح سلوك المسلم وتوجيهه نحو الاستقامة والتقرب إلى الله تعالى؛ فسعادة النفس البشرية وحصولها على درجة الطمأنينة بالنسبة إليه لا يتم إلا من خلال ممارسة العمل الكسبي، وبذلك تحقق التزكية الجتمع بين العلم النافع والعمل الصالح.

¹ - ابن القيم، إغاثة اللهفان، ص: (46-47).

² - ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، صححه وخرج أحاديثه محمد عبد الله، دار التقوى، شبرا الخيمة، 2004م، ج 2، ص: 31.

³ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان - مفتاح دار السعادة - الفوائد...

ج - ابن جزى الغرناطي (ت741هـ) ¹:

تطرق ابن جزى الغرناطي في كتابه (القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية) إلى تزكية القلوب بفعل المأمورات وتجنب المنهيات؛ فعقد في كتابه أبواباً، تطرق في الباب السابع منها إلى المأمورات المتعلقة بالقلوب وهي عشرون: الخوف من الله تعالى، الرجاء، الصبر، الشكر، التوكل، التفويض إلى الله وَعَلَى، حسن الظن به، التسليم لأمره، الرضا بالقضاء، الإخلاص لله تعالى، المراقبة، المشاهدة، التفكير، معرفة الله، التوحيد، اليقين، محبة الله تعالى، التواضع، الحياء، سلامة الصدر للمسلمين. وتطرق في الباب الثامن إلى المنهيات المتعلقة بالقلوب وهي: الرياء في العبادات، العجب، الغرور، الكبر، الحسد، الحقد، الغضب، التسخط من الأقدار، خوف الفقر، حب المال، حب الجاه، حب المدح، كراهية الذم، طول الأمل، كراهية الموت، تعظيم الأغنياء، احتقار الفقراء، نسيان العبد عيوب نفسه، خوف غير الله، الإصرار على الذنوب، الغفلة ².

ومن خلال كتابه يتبين لنا أنه اهتم بالفقه وربطه بالتزكية، وإصلاح أمور العبادة والنفس باعتبارها أساس ذلك، فكان تركيزه على القلوب وبيان عللها وطرق علاجها ودوائها وعلى كيفية تنقيتها من قبائحها وتصفيتها من أدرانها وبيان ما يجب عليها. وتطرق إلى تعريف الطهارة في الشرع على أن المقصود بها الحسية والمعنوية بقوله: "الطهارة في الشرع: معنوية وحسية، فالمعنوية: طهارة الجوارح والقلب من دنس الذنوب، والحسية: هي الفقهية التي تتراد للصلاة، طهارة الحدث والخبث" ³.

من خلال عرض التزكية عند الفقهاء، يظهر لنا أنها ارتبطت بالجانب الوجداني الروحي والمعنوي الذي يرمي إلى التطهر من السوء والترقي في الخير، وذلك بالاتصاف والتحلي بالصفات الحميدة والابتعاد عن الصفات المذمومة، والهدف من ذلك إصلاح النفس الإنسانية والقيام بمبدأ التغيير انطلاقاً من الذات لتشمل الآخر.

¹ - محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزى الكلبي الغرناطي وكنيته: أبو القاسم، ولد سنة (693هـ وتوفي 741هـ) من أهل غرناطة فقيه من العلماء بالأصول واللغة، ومن كتبه "تقريب الوصول إلى علم الأصول" و "الفوائد العامة في لحن العامة و"التسهيل لعلوم التنزيل"... وهو من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب "كتاب الأعلام للزركشي، دار العلم للملايين، الطبعة 15 أيار مايو 2002م ج 5 ص: 325.

² - ابن جزى الغرناطي، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق: ماجد الحموي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، (1434هـ - 2013م)، ص: (711-718).

³ - ابن جزى، نفس المصدر، ص: 47.

ثانياً: عند أهل الحديث

لا شك أن مصطلح الزكاة عند علماء الحديث لا يقل أهمية عنه عند الفقهاء، خاصة أنهم لم يغفلوا الاعتناء بجانب التزكية، والتي عبر عنها بمفهوم الرقائق والزهد، فقد تطرق البخاري في كتابه (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) إلى كتاب "الرقائق"، وتبعه النسائي في سننه الكبرى، وخصص الإمام مسلم في صحيحه كتاباً لـ "الزهد والرقائق"، وكذلك فعل الإمام الترمذي في كتابه (الجامع) بإفراد كتاب منه لـ "الزهد"، وسمى ابن ماجه في "سننه" كتاباً بـ "الزهد"، وسمى الإمام الدارمي في "سننه" كتاباً بـ "الرقاق".

إن علماء الحديث بهذا الاعتناء بالأخلاق والآداب قد أغنوا مجال الحديث عن التزكية، بتبيين معانيها، ومهدوا بذلك السبيل للذين يأتون من بعدهم في كتب الوعظ والرقائق والزهد والأخلاق والقيم... وكل تلك المعاني عندهم تدور حول مفهوم التزكية المستمدة أصوله من السنة النبوية، فقد ركزت كثير من الأحاديث على حسن الخلق، كقوله صلى الله عليه وسلم: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"¹، وقوله: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذَرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ"²، وقوله: "مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ"³، وقوله صلى الله عليه وسلم حينما سُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُلْجِ النَّاسُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ: "حُسْنُ الْخُلُقِ"⁴. وكل هذه المعاني عند علماء الحديث تهتم بالجانب الروحي وتنمية القلب بالإجابة والمحبة والتوبة والإخلاص، وتقويم السلوك العملي بالموازاة مع الجانب الخلقي.

¹ - سنن الترمذي، كتاب الرضاع عن رسول الله، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم: 1162. قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

² - سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، رقم 4800، وصححه الألباني، دار الكتاب العربي، بيروت، دون طبعة ودون تاريخ، والأحاديث مذيلة بأحكام الشيخ الألباني.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم: 25578، قال محقق المسند شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح لغيره. مؤسسة قرطبة - القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها، دون طبعة ودون تاريخ.

³ - سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب: ما جاء في حسن الخلق، رقم 2002، وصححه الألباني.

⁴ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج 13، رقم: 7894، وحسنه شعيب الأرناؤوط.

ثالثاً: عند المتصوفة:

ظهر التصوف الإسلامي ابتداء من القرن الثالث الهجري مع بعض الأعلام والرموز الصوفية، فكتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك الحارث المحاسبي (ت 243هـ) في كتابه (الرعاية)، و(آداب النفوس)، وأبو القاسم الجنيد (ت 297هـ) في كتابه (السّر في أنفاس الصوفية)، وكتابه (دواء الأرواح)، وصنف أبو القاسم القشيري (ت 465هـ) كتابه (الرسالة القشيرية في علم التصوف)، وألف الغزالي (ت 505هـ) كتابه (إحياء علوم الدين)...

وحقيقة التصوف السني تكمن في الالتزام بتعاليم الشريعة والالتجاء إلى الله تعالى دون غيره والخوف منه، رغبة في طاعته، وابتعاداً عن معصيته، وسعيًا إلى النجاة وابتغاء مرضاته. ولا سبيل إلى ذلك إلا بأن يجعل التقوى مناره، والعلم سلاحه، والتزكية هدفه، والنفس هي السبيل الموصلة إلى ذلك؛ لاختلاف مراتبها بين الأمانة بالسوء واللؤامة والمطمئنة، "والنفس الزكية هي النفس الطيبة الطاهرة البعيدة كل البعد عن كل دنس، وبين الحق سبحانه ذلك بقوله تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 7 - 10]، أي: فاز من طهرها من الذنوب، ونقاها من العيوب، وجملها بالعلم والعمل الصالح، وقد خسر من ترك تكميلها بالفضائل، ودنسها بالردائل"¹.

لهذا فقد اهتمت الصوفية من خلال كتاباتها ومؤلفاتها بعلاج القلوب ودوائها، وبينت أن السالك لطريق التصوف لا بد له من مجاهدة النفس بطهارتها وتنقيتها من الردائل والأمراض والعلل التي تحجب العبد عن الله، حتى يصير النفس البشرية مستحقة للأوصاف الحمودة في الدنيا، وللأجر والمثوبة في الآخرة، "فكان من الضروري معالجة هذه الأمراض وذلك بالوقوف على الداء أولاً، وتوصيف العلاج ثانياً؛ ذلك لأن النفس البشرية تحمل في العادة جملة من الصفات التي تحتاج إلى تهذيب وتقويم، مثلها مثل الجسد الذي يحتاج إلى تربية ورعاية"².

¹ - نصر الجويلي، "التصوف الإسلامي: مدرسة التربية الروحية" مجلة قوت القلوب، التكامل بين الفقه والتصوف،

ملف عدد: 4، (1435هـ - 2014م): ص: 137.

² - المرجع السابق، ص: 134.

وقد كان مبدأ التربية مركز اهتمامها باعتبارها ركنًا أساسيًا في فقه التصوف؛ إذ ارتكزت على شيخ مرشد مرب صادق عارف بأسرار الطريق، يساعد مريده على تجاوز عثراته وتخطي العقبات والصعوبات. وغاية التربية هو الصلاح وبناء الفرد وإعداده لمرحلة التغيير من قلب غافل لاهٍ إلى قلب مؤمن مطمئن راضٍ. "وهذه التربية موكولة بالأساس إلى الصوفية الذين يقدمون التصوف كأساس للتربية النفسية، ووسيلة تحقيقها المثلى؛ لأن المتصوفة يجمعون بين طريفي التربية، وذلك بالعلم والعمل، والتفكير والتدبر والنظر والممارسة، وكانت الأخلاق غايتهم الأساس في بناء الإنسان"¹.

ولا يتوقف الصوفي عند طهارة الظاهر فقط، وإنما ينتقل إلى طهارة الباطن، وهي محاسبة النفس ومجاهدتها، ويظهر أثر التزكية عند الصوفية في التربية، "وإن النفس المزكّاة هي التي تخلقت بمقامات القلوب التي هي الأثر المباشر عن معرفة الله عزّ وجلّ، وهي التي تطهّرت من الأمراض، فالتزكية تطهّر وتخلّق وتحقّق"².

كما ربط الصوفي التزكية بالتخلية لتحقيق التخلية. ومن هذا المنطلق، نتبع تعريفات رجالات التصوف قصد تبين ما سبق بيانه.

أ- التزكية عند أبي حامد الغزالي (ت 505هـ):

يعد الغزالي من العلماء الذين أعطوا للنفس البشرية اهتمامًا كبيرًا، وركز على الجانب المعنوي في التزكية المتجلى في إصلاح القلب وتطهيره باعتباره الثور الباعث لكل أعضاء الجسم، فبصلاحه يصلح الجسد كله، وبفساده يفسد الجسد كله. وتناول في كتاباته التي خصّصها لهذا الجانب كل ما يربط الإنسان بخالقه من إصلاح عقيدته وتربية ذاته على المحبة والخوف والرجاء والمراقبة وتهذيب الأخلاق ومعالجة الأبدان من أمراض القلوب وبيان عللها وطرق علاجها.

فربط التزكية بالتربية، تربية النفس على التخلق بالصفات الحميدة من توبة واستغفار وصبر وشكر وصدق وإخلاص ومراقبة ومحاسبة... وعلى الابتعاد عن الصفات الذميمة من حقدٍ وحسدٍ ونفاقٍ وتكبرٍ وعُجبٍ وغرور... ولا يتم ذلك إلا بالمجاهدة، يقول: "واعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، وقد خلقت أمارة بالسوء ميّالة إلى الشرّ فرّارة من الخير،

¹ - المرجع السابق، ص: 134.

² - سعيد حوى، المستخلص من تزكية الأنفس، دار السلام، القاهرة - مصر، الطبعة التاسعة، (1423هـ - 2002م) ص: 377.

وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن ذاتها"¹، فكانت التزكية مرتبطة بعملية التطهير.

إن تزكية النفس عند الغزالي تتم عن طريق المجاهدة للتخلية من الصفات المذمومة، وضبط الأخلاق، وذلك عن طريق التعلق بالله تعالى وقطع العلائق بغيره والانفراد عن الخلق، للارتقاء في مدارج العبودية لله وإصلاح النفس والعمل على تقويمها يقول: "القلوب كالأواني، ما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء، فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله"²، فالقلب عند الغزالي هو أداة المعرفة، ولا تتم هذه المعرفة إلا من خلال التفكير والتدبر، وهو ما يسمى عند الصوفية بمحلة الشهود التي يصل إليها الفرد من خلال مجاهدته وارتباطه بخالقه فلا يرى إلا بنور الله، همه هو ابتغاء مرضاته والتعلق بآخرته والزهد في دنياه. وهذا ما أشار إليه بقوله: "وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمع لي في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا، بالتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى"³.

فسييل السالك إلى الجنة لا يكون إلا عن طريق التجرد من علائق الدنيا، وهذا المفهوم هو ما أطلق عليه بالزهد في الإسلام، وهو ما كان عليه الرسول ﷺ والصحاب الكرام؛ فلم تشغلهم الأموال الطائلة عن ذكر الله تعالى وعبادته، فالإسلام دين وسطية واعتدال في كل أحكامه، سواء في العقائد أو التشريعات، أو في العبادات والمعاملات. ولا يزال المسلم وهو يسلك السبيل إلى ربه وجنته نصب عينيه، تتجاذبه الدنيا بشهواتها حيناً، ويذكر ربه فيفرُّ إليه حيناً آخر، فلا يأمن إلا بقطع كل تعلق بغير الله تعالى، وتخلية النفس من كل أدراكها، وتعزير ذلك وتعزيزه بالعمل الصالح شغلاً للنفس بالطاعة عن المعصية. وإلى ذلك أشار الغزالي بقوله: "إن السالك إلى الله تعالى يرى الجنة وهو في الدنيا، والفردوس الأعلى معه في قلبه إن أمكنه الوصول إليه، وإنما الوصول إليه بالتجرد عن علائق الدنيا... وذلك عند تصفية نفسه عن هذه الكدورات، والوصول إلى ذلك هو السعادة، والعمل هو المعين على الوصول إليه"⁴.

¹ - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت، ج 4، ص: 416.

² - الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 3، ص: 16.

³ - الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبي، دار الأندلس، بيروت، دون طبعة، 1973م، ص: 134.

⁴ - الغزالي، ميزان العمل، شرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية، 2012م، ص: 27.

فكان الاهتمام بتزكية النفس وتغذيتها من الضَّرورات، كما يتغذى الجسد، بل هي الأكثر حاجة إلى الغذاء الروحي، لما يترتب عن ذلك من اجتهد ومثابرة وجهاد وترقٍّ في الخير، بالسَّعي في العمل الصَّالح والحرص عليه للوصول إلى السَّعادة. فالسَّعادة تنال بتزكية النفس وتكميلها، وإن تكميلها باكتساب الفضائل كلّها؛ فإنَّ النفس إن كملت وكانت زَاكِيةً حسنت أفعال البدن، وكانت جميلة. وكذا البدن، فمن زكَّى نفسه وغذّاها بغذاء العلوم الحقيقية قوي في المواظبة على العبادة، بل صارت الصَّلَاة قرّة عينه، وصارت خلوة الليل أطيب الأشياء عنده لمناجاة ربه، وهذه العلامة لا بد منها في أول المنازل، وتبقى إلى آخرها، وإن لم يكن لمنازل السَّير إلى الله تعالى نهاية. وأن يكون حاضر القلب مع الله في كل حال حضوراً ضرورياً غير متكلّف، وأن يكون الحضور انكساراً وضراعةً وخضوعاً لما انكشف عنده من جلال الله وبهائه، ولا يفارق ذلك في أطواره وأحواله وإن اشتغل بضروريات بدنه من تناول طعام وقضاء حاجة وغسل ثوب وغيره¹.

وإذا كان الدّهْرانيون يركزون على العقل كوحدة للمعرفة نجد الصّوفي يهتم بالقلب باعتباره أداة الفهم، وهو المخاطب وموقع الهداية والزيغ، لقوله ﷺ: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"². لذلك اعتبر الصّوفي تزكية القلب مدخلاً أساسياً لسلوك سبيل النّجاة والتّرقّي في مدارجه بغية الوُصول إلى الله ﷻ.

ب- التّزكية عند سعيد حوى (ت1409هـ):

من خلال قراءتنا لفكر سعيد حوى³ وما تطرّق إليه بخصوص تزكية النفس، نجده يقارب منهج الغزالي من خلال حديثه عن إصلاح النفس البشرية وبيان عللها وأمراضها وما يحيط بها من

¹ - الغزالي، المرجع السابق، ص: (58-60-142) بتصرف.

² - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم: 52، حققه طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان بالمنصورة، طبعة جديدة محققة، (1423هـ-2003م).

صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم: 1599، دار الاعتصام - القاهرة، الدار الذهبية طبعة جديدة مضبوطة ومحققة، 2011م.

³ - سعيد حوى: "ولد في 29 أيلول سبتمبر سنة 1935م بدمشق، شارك في أنواع العمل الإسلامي، طرح مجموعة من القضايا الكلية والنظريات المثينة المتكاملة لتكون قاعدة الانطلاق والبناء، كان عضواً في مجلس الشورى سنة 1409هـ".

الشّوائب. فقد أورد في كتابه (المُسْتَخْلَصُ فِي تَزْكِيَةِ الْأَنْفُسِ) تعريفاً للتَّزْكِيَةِ، يقول فيه: "التَّزْكِيَةُ تَطْلُقُ وَيُرَادُ بِهَا عَمَلُ التَّزْكِيَةِ وَفِعْلُ التَّزْكِيَةِ، فَتَكُونُ التَّزْكِيَةُ عِنْدُنَا بِمَعْنَى التَّطْهِيرِ مِنَ السُّوءِ وَالتَّرْقِيَةِ فِي الْخَيْرِ، فَبَقْدَرِ مَا يَطْهَرُ الْإِنْسَانُ وَيَرْتَقِي يَكُونُ مَزَكًى أَوْ زَكِيًّا"¹.

لقد اهتم سعيد حوى بالتربية الروحية واعتبرها أساس التَّزْكِيَةِ وأصدر ثلاث كتب في التربية والتَّزْكِيَةِ والسلوك وهي: (تربيتنا الروحية)، (المستخلص في تزكية الأنفس)، (مذكرات في منازل الصّديقين والرّبّانيين)، وتكشف كل هذه العناوين قضايا السّير إلى الله تعالى وأصول الوصول إليه من خلال تزكية النّفس، وتربيتها على التّحقق والتّحلي بالصفّات المطلوبة منها، والتّخلي عن سائر الأمراض القلبية المؤدّية إلى الهلاك والفساد.

وتظهر آثار التَّزْكِيَةِ عنده في الجوارح، بالانقياد والطّاعة، وتحقيق القلب للإخلاص والمحبة والرّجاء والخوف، والشّكر والتّوبة، والإنابة والخضوع والامثال، والطّاعة والتّخلي عن الرّياء والسّمعة، والكبر والحقد والحسد، والظّلم، إلى غير ذلك من الرّذائل.

ونجده في الباب الثّاني من كتابه "المستخلص" يتطرّق إلى وسائل التَّزْكِيَةِ من صلاة وصيام وزكاة وحج وذكر ومحاسبة... وفي الباب الثّالث يتطرّق إلى زكاة النّفس بتطهيرها من البخل والشّح والرّياء... وتحقيقها بالتّوحيد والزّهد، وعرفها بقوله: "زكاة النّفس تطهيرها من أمراض وآفات، وتحقيقها بمقامات، وتخلّقها بأسماء وصفات، فالتَّزْكِيَةُ فِي النّهَايَةِ تَطْهَرُ وَتَحَقّقُ وَتَخْلُقُ"².

بهذا يكون سعيد حوى قد حدّد حذو الغزالي رحمه الله في التّصوف من خلال تركيزه على منهج التربية التي تحقّق ثمرة التَّزْكِيَةِ باعتبارها الأساس في عملية الولاية، فاهتم بإصلاح القلب وتطهيره من كل آفة مفسدة له، فتكون التَّزْكِيَةُ عملية إصلاحية تحيينية لوظيفة القلب، ولا يتمّ ذلك إلا من خلال الاطّلاع على المنهج القرآني والحديث النبوي لدراسة الأخلاق والمكارم الفاضلة.

¹ = عمل في التدريس، وله عدة مؤلفات وتوفي سنة 1989م "بتصرف من كتاب هذه تجربتي وهذه شهادتي، دار التوفيق النموذجية، الأزهر، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى (1407 هـ - 1987م)

² - سعيد حوى، "النظر العقلي وأثره في تزكية النفوس: مقدمة في ضرورة بناء علم التزكية على الحقائق الثابتة"، مجلة إسلامية المعرفة، السنة 14، العدد 54، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي - فرجينيا، (1429 هـ - 2008م)، ص: 66.

³ - سعيد حوى، المستخلص في تزكية الأنفس، دار السلام، القاهرة، الطبعة التاسعة، (1423 هـ - 2002م)، ص: 3.

ومن خلال تتبعنا لمنهج التزكية عند الغزالي وسعيد حوى ومن اتبعهما في طريقتهما نلاحظ المنحى الصوفي في فعل التزكية، فقد اتخذت التزكية طريقاً صوفياً، فاهتموا بالأذواق والمجاهدة بإصلاح القلوب، وكفّ النفس عن الهوى والإقبال على الله تعالى والتّقرب إليه بألوان العبادة. وأخذوا بالأسباب الموصلة إلى ذلك، بالاجتهاد في الطّاعة وتحسين مكارم الأخلاق والإعراض عن الدّنيا وزينتها.... فكان الزّهد الوسيلة للتّغلب على ملذات الدّنيا والسيطرة عليها من خلال اتّباع منهج الوسط والاعتدال.

رابعاً: التزكية عند بعض المعاصرين:

أ - طه عبد الرحمن:

للتزكية عند طه عبد الرحمن مفهوم عميق، إذ ترتبط عنده بالشخصية الإنسانية، فلها دلالات وغايات ومقاصد وأهداف لا تعطي ثمرتها إلا من خلال ارتباطها بالروح، فلا يقتصر العمل على تزكية النفس وحدها، يقول: "كلّ تزكية لا بد أن تكون روحية؛ ولا يقال: إن التزكية تضاف أصلاً إلى النفس كما في العبارة المقرّرة: «تزكية النفس»؛ لأننا نقول: إن إضافتها إلى النفس ليست إضافة حقيقية؛ لأنها بمنزلة إضافة الفعل إلى مفعوله، في حين أن إضافتها إلى الروح هي إضافة حقيقية؛ لأنها بمنزلة إضافة الفعل إلى فاعله، كأنما الصيغة الأصلية والتامة لقولنا: «تزكية النفس» هي: «تزكية النفس بتوسّط الروح»، إذ النفس تتوسل بالروح للحصول على تزكيتها"¹.

فتربية النفس وما يندرج تحتها من مراتب ومقامات لا تقتصر على الظاهر التّعبدية فقط، بل تتعدّى إلى الجانب الروحي الانتمائي بمحاربتها للتّسيد والسّلطة وكل أشكال العنف، والكشف عن أسرارها وخباياها وما يعترضها من اختلالات وقضايا مختلفة مرتبطة بالواقع المعاصر المتجدّد؛ فلا يقتصر العمل التّركوي على "إصلاح ظاهر السّلك الفردي والجماعي، وإنما هو عمل يدور في أعماق الإنسان نافذاً إلى الجذور المعلولة في نفسه، فيجتثها من أصلها مستبدلاً مكانها بدوراً روحية لا تفتأ بعد حسن الرّعاية أن تنشئ فضاءً معرفياً في باطنه أو في قلبه، تتحوّل معه مدارك الإنسان رأساً على عقب بدءاً بعقله وانتهاء بحسّه، فالعمل التّركوي لا ينفك يحول الإنسان باطناً وظاهراً حتى يقوى على حمل الأمانة الإلهية"² على أكمل وجه.

¹ - طه عبد الرحمن، روح الدين: من ضيق العلمانية إلى سعة الانتمانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2012م، ص: 274.

² - طه عبد الرحمن، سؤال العمل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2012م، ص: 161.

والتأظر في ما قاله طه عبد الرحمن يجده يربط التزكية بالتربية وعدم اقتصارها على الفرد فقط، بل تشمل الجماعة أيضاً، وتجمع بين الجانبين المادي والروحي معاً؛ فتزكية النفس تقتضي التخلي عن الأخلاق الذميمة والسلوكات السيئة، وإحلال الأخلاق الفاضلة محلها؛ لتصبح النفس طاهرة نقية، تسعى إلى التّجمل بصفات إيجابية والتّرقى في مدارج الصّلاح، ويكون ذلك بالحرص على المجاهدة والمراقبة. يقول: "التزكية تربية فردية وجماعية معاً، بحيث لا تنفك مجهودات الفرد في تنمية نفسه عن سياق جماعي يحضنها، محدداً لمقاصدها ومزوداً لها بالوسائل التي توصل إليها، كما لا تنفك الجماعة بدورها تحقق إمكاناتها الخلقية وتكثف مكوناتها الروحية بفضل تفاعل مجهودات الأفراد بعضها مع بعض؛ لأنه لولا هذا الفناء الفردي لما كان ثمة بقاء جماعي"¹؛ فلا يمكن للفرد أن يعيش بدون جماعة، والعكس كذلك، بل هناك نظام التوافق والترابط بين الاثنين واشتراك المصالح وتقاطعها؛ فإذا زكى كل فرد نفسه وعمل من أجل بقاء الآخر بالإيجابية والنفعية وساهم في التنمية والإصلاح والتطهير من كل الآفات السيئة يمكن أن يدخل في حالة من الشّفافيّة الروحية والرفعة الوجدانية تسمى (التجلي)².

ومن هنا نلاحظ أن طه عبد الرحمن يخالف النهج أو المنحى العلماني الذي يعتمد على المادة فقط بدون اعتبار للروح، حيث ركز على المنظومة الأخلاقية في التربية الروحية، باعتبار التزكية شاملة للدين والأخلاق معاً، ولا مجال للفصل بينهما، إذ العمل الائتماني يتجلى من خلال تحصيل ترقية النفس عن طريق الأخذ بمبادئ ثلاثة؛ مبدأ الأمانة ومبدأ الشهادة ومبدأ التزكية. يقول: "إن مبدأ التزكية يقضي، كما يقضي مبدأ الثالث المرفوع، بالأخذ بمقتضى البذل، إذ لا خيار للإنسان إلا بين أمرين: إما أن يأتي العمل الذي يزكي نفسه، خارجياً كان أو داخلياً، وإما أن يأتي العمل الذي يفسدها، خارجياً كان أو داخلياً، أو باختصار إمّا تزكية أو تدسية"³.

¹ - طه عبد الرحمن، يؤس الدهرانية: النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2014م، ص: 17.

² - التجلي مصطلح صوفي أضافه طه عبد الرحمن على لفظي: (التخلي والتجلي)، وهما لفظتان من المصطلحات الصوفية تمثلان إطاراً عاماً لوسائل التزكية، فالتزكية بمعنى التطهير والتنقية، هي التخلي عن سائر الصفات المذمومة التي قبّحها الله ونهى عنها، والتجلي لا تعني ترك الإنسان خالياً فارغاً، وإنما تعني إعدادة ليمتلئ بما يحلو من الصفات الممدوحة التي زينها الله له وأمره بها.

³ - طه عبد الرحمن، يؤس الدهرانية، ص: 19.

فالتزكية لا ترتبط بالفرد فقط بل تسري روحها إلى الأمة، فهي خطاب تربوي للجميع من أجل تطهير النفس والمسارة بها إلى فعل الخير، فالتنفس إما أن تنزكي وتنطهر وترتقي بالعمل الصالح لبلوغ درجة الإحسان ونيل رضوان الله تعالى، وإما أن تبتعد عن ذلك وتنحط في الخيبة وغضب الله لاختيارها طريق التدسية، انطلاقاً من قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9، 10]، فكان مقصد التزكية هو إصلاح الإنسان من خلال مبدأ الموازنة بين المادّي والروحي لتحقيق الخلافة والعبودية لله تعالى.

فالتزكية هي مقصد الأمة جمعاء، لا تقوم إلا بتحقيق الخيرية كما في قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران: 110]، والوسطية كما في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ} [البقرة: 143].

ويمكن القول إن التزكية ركن أساس في فقه التصوف للمساهمة في الرقي بالإنسان عن طريق محاسبة النفس ومجاهدتها؛ بواسطة شيخ مرب عارف بأسرار الطريق. ولا يتم ذلك في منهج الصوفية إلا من خلال الاقتناع بضرورة الإقلاع عن الآثام، والتحلي بالصفات الفاضلة؛ لتحقيق التزكية البعد المحوري في ترقى الروح والسعي بها إلى مدارج السالكين.

ب- طه جابر العلواني (ت 1437هـ/2016م)¹:

ساهم طه جابر العلواني بدوره في غرس قيم التربية الروحية في النفوس بدعوته إلى التوحيد والتخلص من براثن الشرك والكفر عن طريق التطهير والإصلاح بشتى أنواعه.

¹ - طه جابر العلواني "من مواليد العراق عام (1935م)، هو مفكر وفقه إسلامي عراقي. حصل على دكتوراه أصول الفقه، كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر، عام 1973م. شارك في تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الولايات المتحدة عام 1981م، كما كان عضواً في المجلس الفقه الإسلامي الدولي بجدة له عدة مؤلفات". الأزمة الفكرية ومنهج التغيير، دارالهادي- بيروت، الطبعة الأولى (1424هـ-2003م) ص: 227.

وأشار إلى أن التّزكية تشمل القول والفعل معاً لتحقيق مقصد الاستخلاف وعمارّة الأرض، وهي ملازمة للتّوحيد والعمران. يقول: "فمن دون التّوحيد لا تزكية، ومع اختفاء إنسان التّزكية يغيب العمران بالصّورة التي ينشدها التّوحيد. إعداد إنسان التّزكية هو إنسان متّزن تسود حياته العقلانية والمعنوية، ويساهم بتطهير الاجتماع البشري من الكثير من العاهات والحالات العدوانية"¹.

يربط طه جابر العلواني في قوله هذا بين مقصدين عظيمين من مقاصد الشّريعة الإسلامية؛ مقصد أصلي أو إن شئت قل ابتدائي، وهو مقصد التّوحيد، وهو الغاية من خلق الإنسان، ومقصد فرعي أو إن شئت قل غائي، وهو مقصد الاستخلاف وعمارّة الأرض، ويجعل من التّزكية جسراً رابطاً بينهما، فلا تزكية بدون توحيد. ويحق لنا بهذا الصدد أن نفهم التّوحيد على أنه التّوحيد الخالص من شوائب الشّرك بنوعيه الأصغر والأكبر، توحيد يربط الإنسان بربه فلا يتعلق إلا به، يتحقق بمقتضاه مبدأ الاستخلاف وعمارّة الأرض على الوجه الذي ارتضاه الله عزّ وجلّ لخلقه، ولا يكون ذلك إلا بالإنسان المحقّق لفعل التّزكية، وهو الإنسان المتّزن الذي يهتدي بعقله وقلبه، ويسهم بإصلاح نفسه في إصلاح مجتمعه والرّقي به بتنقيته من العاهات والأمراض والآفات. فقيمة التّزكية تظهر من خلال تعامل الإنسان مع نفسه، بسلوك منهج التّوازن والاعتدال، لا إفراط ولا تفريط، كما يتبيّن ذلك من خلال آية الانفاق في قوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} [الإسراء: 29].

وخلاصة القول إن التّزكية مقصد من أعظم المقاصد، وذلك لارتباطها بالتّقوى وطهارة القلوب، وإصلاح الذات باتّباع المنهج القرآني والسّنة النبوية الشّريفة، وكل من سار على هذا المنهج في تربية النّفس وتزكيتها فاز وأفلح، كما جاء في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس: 9].

¹ - طه جابر العلواني، التّوحيد والتّزكية والعمران: محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، دار الهادي، - بيروت، ص: 6، بتصرف.

ج - حسن ملكاوي¹:

جاءت كثير من مصطلحات التصوف في ثلاثيات: كثلاثية التخلي والتجلي والتجلي، وثلاثية الشريعة والطريقة والحقيقة... ومما يميز ممارسات التزكية تفضيل ثواب الدار الآخرة.

والتخلية والتجليه تمثلان إطاراً عاماً لوسائل التزكية، فالتخلية بمعنى التطهير والتنقية، و"تعني التخلي عن سائر الصفات المذمومة التي قبحها الله ونهى عنها، كالرياء والعجب والكبر والاعتزاز والحسد... والتخلية لا تعني ترك الإنسان خالياً فارغاً، وإنما تعني إعداده ليمتلئ بما يحلو من الصفات المدحوة التي زينها الله له وأمره بها، وهي كذلك صفات كثيرة أهمها القيام بالفرائض والنوافل، وتعهد القرآن الكريم بالقراءة والتدبر والتفكير، والتجلي بالتقوى، وكثرة ذكر الله سبحانه، أي حضوره سبحانه في قلب الإنسان فلا يغفل عنه"².

لقد اعتبر حسن ملكاوي التزكية من الأمور الهامة في حياة الفرد انطلاقاً من تطبيقه لمنهج التخلي والتجلي، ف"التخلي يعني ضرورة الإقلاع عن الآثام، وكان التخلي ضرورة الأخذ بالصفات الفاضلة، لهذا فإن ممارسة التخلي والتجلي إلى مستوى معين، يمكن أن يدخل فيه المريد السالك حالة من الشفافية الروحية والرفعة الوجدانية يسمونها التجلي، حين يستشعر السالك فيها تجلي الحضرة الإلهية عليه"³.

وربط حسن ملكاوي التزكية بالإصلاح، إصلاح الواقع الإنساني، فربطها بمنظومة القيم العليا كالتوحيد والعمران، والتكامل بين هذه العناصر يحقق منظومة المعرفة لإصلاح الواقع الإنساني باعتبار التوحيد القيمة المركزية، وهو مصدر القيم الأخرى، وهو أساس المعرفة ومنطلق الرسائل السماوية للإصلاح، وهو الذي تنبني عليه كل القيم والأنظمة الاجتماعية

¹ - فتحي حسن ملكاوي: تربوي وأستاذ جامعي أردني، حصل على دكتوراه في التربية العلمية وفلسفة العلوم في جامعي ولاية ميشيجان الأمريكية وماجستير في علم النفس التربوي في الجامعة الأردنية، ودبلوم عالي في تدريس العلوم في جامعة ردينغ البريطانية، وبكالوريوس في الكيمياء والجيولوجيا في جامعة دمشق عمل في التعليم المدرسي والجامعي مدة ثلاثين عاماً ثم تفرغ للعمل الفكري منذ عام 1996، يعمل حالياً باحثاً في المعهد العالمي للفكر الإسلامي وهو عضو مجمع اللغة العربية. التربية الفكرية في سياق النهوض الحضاري، مجموعة من المؤلفين تاريخ النشر 24-9-2021 (صفحة الغلاف).

² - فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا: التوحيد، التزكية، العمران، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنند-فرجينيا، الطبعة الأولى، 1434هـ-2013م، ص: 112.

³ - فتحي حسن ملكاوي، المرجع السابق، ص: 100.

والسياسية والاقتصادية والأخلاقية والفكرية، وهو ما جاء في قوله: "فإذا أراد الإنسان أن ينسجم مع فطرة العالم فلا بد أن يتركّ ويتوجه إلى الله وحده بالعبادة، فالتزكية هدف العمران ووسيلته، وهي تدخل في صميم البناء الاجتماعي والعمران البشري"¹.

ولا يتم ذلك إلا عن طريق الوعي بالمنهج القرآني والدور الاستخلافي الذي يتحقق في إعمار الأرض وبناء حضارتها، فلا تنبعث التزكية إلا من خلال التغيير، انطلاقاً من الذات بالتخلي عن كل الآفات السلبية، والتخلي بكل ما يرضي الله تعالى، وهذا لا يتأتى إلا من خلال منهج التطبيق العملي؛ فلا تزكية بدون عمل، ولا عمل بدون تزكية، مع إخلاص القول والفعل لله تعالى.

إضافة إلى التعريفات السالفة الذكر نجد ماجد عرسان الكيلاني يصفها بأنها تنمية بقوله: "التزكية هي تطهير وإصلاح وتنمية شاملة، هدفها استبعاد العناصر الموهنة لإنسانية الإنسان، وما ينتج عن هذه التنمية من صلاح وتقدم وفلاح في حياة الأفراد والجماعات؛ فالتزكية هي تزكية معنوية ميدانها المعتقدات والقيم، وتزكية مادية مادتها النظم والتطبيقات"² فكانت تزكية النفس ترتقي بالتنمية عن طريق الرقابة الإلهية والتربية على القيم والمبادئ الرفيعة، فهي تعبر عن جملة الجهود الفردية والجماعية التي تبذل من أجل الانقياد لأوامر الله سبحانه وتعالى والانضباط عليها وهذا ما أشارت إليه جميلة بوزيان بقولها: "فالتزكية تربية على الخلق الراقي وترتكز على دعامي التحفيز والتحذير، وترمي إلى صيانة الفطرة البشرية روحياً وجسدياً وفكرياً وأخلاقياً واجتماعياً، وذلك يحتاج إلى تعهد مستمر لما خلقه الله مستقيماً في الإنسان ، وأعظمه الإيمان به والحاجة إلى عبادته"³.

¹ - فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثانية، (1437هـ-2016م)، ص: 251.

² - ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الثانية، (1416هـ-1995م)، ص: 142.

³ - جميلة بوزيان، "قراءة في مفهوم التزكية وقضاياها التنموية أمثودجا" المؤتمر العالمي الرابع للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع المصطلح القرآني وعلاقته بمختلف العلوم، (15-16-17 رجب 1438هـ، الموافق 13-14-15 أبريل 2017م) بالمركب الثقافي الحرة فاس ، ص: 312.

ومن خلال عرض التزكية في الاصطلاح العام، يتبين لنا أن التعريفات اختلفت وتنوّعت حسب المقاصد والغايات والرؤى العامّة والخاصّة، نخلص منها إلى أن:

- التزكية من أعظم مقاصد الدّين، ومن أجلها بعث الأنبياء والرّسل، هدفها تطهير النّفوس من الآفات والسّعي بها للوصول إلى مدارج السّالكين، ولأهميتها ودورها الفعال في إصلاح الفرد والمجتمع شملت المجال العقدي والتّعدي، الفكري السّياسي والاقتصادي...
- للتزكية دور في العملية التّربوية وبناء الشّخصية الإسلامية.
- ارتكزت الصّوفية على مفاهيم أساسية للتزكية منها التّحلية والتّخلية والتّجلية.
- اعتبر ابن تيمية وغيره التزكية ضرورة شرعية تقوم على الجمع بين الجانب المادّي والروحي، ولا يتم ذلك إلا من خلال العلم والعمل.
- والتزكية في المنظومة المقاصدية كما استنبطها طه جابر العلواني وحسن ملكاوي وغيرهم، ارتبطت بالتّوحيد والاستخلاف وعمارة الأرض في إطار منظومة متكاملة ومترابطة، فلا تزكية بدون توحيد ونشوء عمران؛ فالمنهج القرآني جمع بين عالم الغيب والشّهادة، وبين المادّة والروح في إطار وحدة القيم لتحقيق الهداية والاستخلاف والعدل والحرية والمساواة...

المبحث الثاني:

دلالة لفظ التّركية في اصطلاح القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

نسعى من خلال هذا المبحث إلى وضع تعريف للفظ التّركية من خلال تتبع دلالاته في النّصوص الشرّعية، (القرآن كريم والحديث النبوي الشريف)، وسنقتصر بهذا الخصوص على صحيح البخاري ومسلم وذلك من خلال ما يلي:

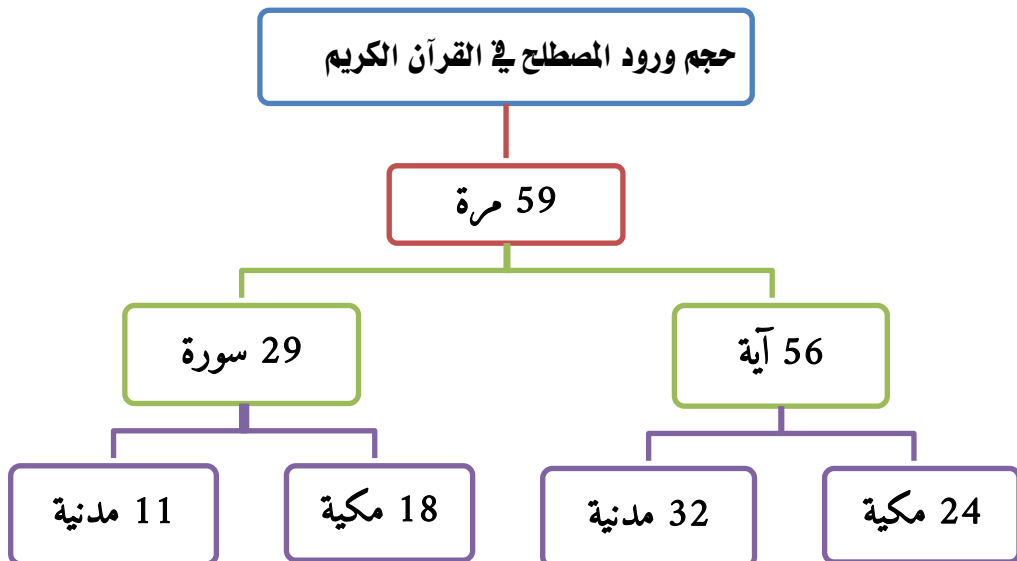
- الاستقراء التّام لكل النّصوص التي ورد بها المصطلح المدروس إحصاءً ووصفًا.
- تحليل أحجام الورد وأشكالها.
- تحليل دلالات الورد الجزئية التي تضمّنها كل مورد، والتي ستكون عناصر تعريف المصطلح.

المطلب الأول: موارد التّركية في القرآن الكريم والحديث الشريف

* أولاً: وصف وإحصاء:

أ - في القرآن الكريم

وردت مادة (ز ك ا) في القرآن الكريم من خلال ستّة مشتقات تتوزّع على تسعة وخمسين موضعاً، ضمن ستّ وخمسين آية، مفرقة في تسع وعشرين سورة، وثمانٍ عشرة سورة مكيّة، تضمّنّت أربعاً وعشرين آية، وإحدى عشرة سورة مدنية تضمّنّت اثنتين وثلاثين آية. وتتوزّع على النّحو الآتي كما هو موضّح في الخطاطة الإحصائية الآتية:



التوزيع الإحصائي لأشكال ورود مشتقات التزكية في القرآن الكريم:

ورد لفظ التزكية ومشتقاته في القرآن الكريم بأشكال مختلفة؛ إذ ورد اسماً بصيغة "أزكى" أربع مرّات، وورد اسماً بصيغة "زكاة" اثنتين وثلاثين مرة، ومرة بصيغة "زكي"، و"زكية". كما ورد مرة فعلاً من الثلاثي المجرد، واثنين عشر مرة فعلاً من الرباعي من باب "فعل" "زكى"، وثمان مرّات فعلاً من الخماسي من باب "تفعل" "تزكى". وتتوزع على النحو الذي يبرزه الجدول الإحصائي الآتي:

جدول يبين حجم ورود مشتقات لفظ التزكية وصيغته:

الصيغة	حجم الورد	النكرة	المعرف بأل	المعرف بالإضافة	السور والآيات
أزكى	4	4			أزكى: البقرة (232)، الكهف (19)، النور (28-30)
الزكاة	32	3	29		الزكاة: البقرة (42-82-109)، النساء (76-161) المائدة (13-57)، التوبة (5-11-18-72)، الأعراف (156)، الكهف (80)، مريم (30-55)، الأنبياء (72)، الحج (39-76)، المؤمنون (4) للزكاة، النور (30-36-54)، النمل (3)، لقمان (3)، الأحزاب (33)، فصلت (4)، المجادلة (33)، المزمل (18)، البينة (5)، زكاة: مريم (12)، الكهف (80)، الروم (38)
زكى	1	1			زكى: مريم (18)
زاكية	1	1			زكية: الكهف (73)
فعل ماض من الثلاثي المجرد	حجم الورد	المتكلم	المخاطب	الغائب	السور والآيات
زكى	1			1	النور (21)
فعل ماض من باب "فعل"	حجم الورد	المتكلم	المخاطب	الغائب	السور والآيات
زكى	1			1	الشمس (19)
فعل مضارع من باب "فعل"	حجم الورد	المتكلم	المخاطب	الغائب	السور والآيات
يزكى	11		2	9	البقرة (128-151-176)، آل عمران (76-164)، النساء (76)، النور (21)، الجمعة (2)
فعل ماض من باب "تفعل"	حجم الورد	المتكلم	المخاطب	الغائب	السور والآيات
تزكى	3		1	2	طه (75)، النازعات (18)، الأعلى (14)
فعل مضارع من باب "تفعل"	حجم الورد	المتكلم	المخاطب	الغائب	السور والآيات
يتزكى	2			2	فاطر (18)، الليل (18)
يزكى	2			2	عبس (3-7)
تزكى	1		1		التوبة (103)

جدول يبين حجم ورود مشتقات لفظ التزكية:

النسبة المئوية	عدد مرات الورد	صيغ الورد
49.15	29	الزكاة
5.08	3	زكاة
1.69	1	زَاكِيَّة
6.77	4	أَزْكِي
5.08	3	تَزَكَّى
11.68	7	يزكي

ب - في الحديث النبوي الشريف

موضع الورد	عدد مرات الورد	صيغ الورد
صحيح البخاري+صحيح مسلم	11	أَزْكِي
صحيح البخاري+صحيح مسلم	2	أَزْكَى
صحيح البخاري+صحيح مسلم	1	يزكي
صحيح البخاري+صحيح مسلم	1	تَزَكَّى
صحيح البخاري+صحيح مسلم	1	تَزَكُّوا
صحيح البخاري+صحيح مسلم	7	يزكيهم
صحيح البخاري+صحيح مسلم	1	زكَّها
صحيح البخاري+صحيح مسلم	1	زكَّاهَا
صحيح البخاري+صحيح مسلم	19	زكاة
صحيح البخاري+صحيح مسلم	45	الزكاة
صحيح البخاري+صحيح مسلم	4	زكَّاته
صحيح البخاري+صحيح مسلم	7	زكَّاهَا
صحيح البخاري+صحيح مسلم	1	بِزكاة
صحيح البخاري+صحيح مسلم	101	المجموع

ثانياً: تحليل معطى الإحصاء على مستوى مواضع الورد:

أ - في القرآن الكريم:

وردت مشتقات التزكية موزعة على تسع وعشرين سورة، منها ثمانية عشر مكية، وهي مرتبة حسب ترتيب المصحف الشريف: الأعراف، الكهف، مريم، طه، الأنبياء، المؤمنون، النمل، الروم، لقمان، فاطر، فصلت، النجم، التازعات، عبس، الشمس، الأعلى، الليل. ومنها إحدى عشرة مدنية وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، التوبة، الحج، الثور، الأحزاب، المجادلة، الجمعة، المزمل، البينة.

ب - في الحديث النبوي

ذكرت مشتقات التزكية مائة مرةً وواحدة في الحديث النبوي الشريف في "الصحيحين" بصيغ مختلفة تتنوع بين الأفعال: الفعل الماضي والمضارع والأمر، وصيغ الأسماء نكرة ومعرفة.

- على مستوى حجم الورد:

في القرآن الكريم: تتوزع الاشتقاقات على تسع وعشرين سورة، وكانت أكبر نسبة لحجم الورد في السور المدنية: في سورة البقرة تسع مرّات، وفي سورة النور ست مرّات، وفي سورة التوبة خمس مرّات، وفي النساء أربع مرّات... إلى غير ذلك من السور، بينما في السور المكية فقد كانت أعلى نسبة ورود في سورة مريم أربع مرّات، ثم تليها سورة فاطر مرتين، ثم عبس مرتين...

تحتل اشتقاقات المصطلح داخل النسق القرآني مكانة متوسطة؛ وترتبط ارتباطاً قوياً بالقضايا العقدية الكبرى؛ وخاصة الغيبية منها كالتوحيد والرسالة والعقيدة والبعث والجزاء والعقاب والإيمان والحساب والجنة والنار والمصير، فنسبة حضور المكي متقاربة مع المدني مما يدل على أن مفهوم التزكية له وزنه داخل القرآن الكريم.

وعلى مستوى القرآن المدني يحضر المصطلح مرتبطاً بقضايا الجانب التشريعي والتأسيسي للمدينة الإسلامية، من قبيل ترتيب أمور المعاملات وتنظيم الحقوق والواجبات، وما يترتب عن ذلك من تقوية العلاقات وتوطيد روح الإخاء، والتضحية والبذل والعطاء، وكل القضايا التي تختص بالإنسان ومعاملته وعلاقته بالآخر لبناء مجتمع متكامل.

ثالثاً: تحليل معطى شكل ورود

تميزت التركيبة بتنوع دلالاتها واشتقاقاتها؛ مما يبين قوة المفهوم ووزنه في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وذكرت التركيبة في القرآن والسنة بالصيغتين الفعلية والاسمية لأهميتها ومكانتها، وتشمل تفصيلات عن طبيعة النفس البشرية وأقسامها وما آلت إليه.

وفي تحليلنا للصيغ والأشكال الصرفية والاشتقاقية التي ورد عليها هذا المصطلح، نجد أنه ورد في القرآن الكريم بأشكال مختلفة، حيث وردت مشتقاته بالصيغ المصدرية معرفة بالألف واللام، مع قلة وروده نكرة. وورد لفظ "الزكاة" اثنتين وثلاثين مرة، منها تسع وعشرون معرفة ومسبوقة بفعل الإيتاء¹ على صيغة الماضي المضارع والأمر بأشكال مختلفة: (وَأَتَى الزَّكَاةَ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةَ، وَأَتُوا الزَّكَاةَ، وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ)، وهذا يبين تنوع دلالتها الاصطلاحية حيث إنها تشمل جميع الأحوال، وصالحة لكل زمان ومكان، وهي من صفات المؤمنين، فكلما زاد فعل الإيتاء بالنسبة للعبد، حصلت قربته لله تعالى وطهارته لنفسه. ومن ثم نلاحظ الترابط الوثيق بين الدلالة اللغوية للزكاة وتصريفاتها والدلالة الاصطلاحية المتمثلة في السياقات القرآنية.

وقد ورد لفظ "زكاة" في القرآن الكريم نكرة ثلاث مرّات². ومن خلال تتبع ورود اللفظ نجد أنه كثيراً ما يقترن بلفظ "الصلاة"، مع ملاحظة أن لفظ الصلاة يقترن بالإقامة، ويقترن لفظ الزكاة بفعل الإيتاء للدلالة على العطاء، فالدين عقيدة وجدانية وشرعية عملية، وتمثل الصلاة فيه عبادة روحية، والزكاة عبادة مالية عملية، تختص بالنفس والمال، وإيتاؤها تطهير لهما من الشح والبخل، بالسعي إلى البذل والعطاء والإنفاق في سبيل الخير، وأداء الحقوق والواجبات، وخلق التكافل والتراحم والتعاطف ونشر المحبة والإخاء...

¹ - كقوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ} [البقرة: 177].

وقوله تعالى {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ} [البقرة: 110]، وقوله تعالى: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [النمل: 3].

² - وهي المواضع التالية: - قال تعالى: {وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا} [مريم: 13].

- وقال سبحانه: {فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا} [الكهف: 81].

- وقال عز وجل: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لِيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ} [الروم: 39].

وتكتسب الأفعال داخل النسق القرآني دلالاتها الزمنية، من خلال شكل ورود وحجمه، ومن خلال صيغها الصرفية والتركيبية ووظيفتها الدلالية والبلاغية؛ فالفعل الماضي والمضارع يدلان على الممارسة والتفاعل مع فعل التزكية، ويمتاز الفعل المضارع بكونه دالاً على التجدد والحدوث والاستمرارية لفعل التزكية في كل وقت وحين، فكان أكثر ورود صيغتها بالفعل المضارع المسند إلى الله كما في قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (49) } [النساء: 49] وإلى الرسول عليه الصلاة والسلام معلم التزكية للناس كما في قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [الجمعة: 2]، وفيه تنبيه على أن بعث الرسول هو فضل من الله فكانت دلالة التزكية على أنها خطاب تربوي للأمة.

ووردت صيغة الفعل الماضي المبني للمعلوم، منسوباً إلى ضمير الغائب المفرد في قوله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } [الشمس: 9]، ففعل (زكَّاهَا) بتضعيف عين الفعل أفاد التكرار والقوة، للدلالة على أن فعل التزكية في صيغة الماضي مسندة إلى نفس الإنسان، إذ الأمر يحتاج إلى مجاهدة ومكابدة وتدريب، ولا يتحقق في لحظة، بل هو نتيجة عمل وإصرار ومثابرة. ومنسوباً إلى ضمير المخاطب الجمع قوله تعالى: { وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا } [النور: 21]، وهو الأمر الذي يتأكد من خلال صيغة الورد الثانية في قوله تعالى: { مَا زَكَا مِنْكُمْ }، حيث ورد حصول فعل الزكاة معلقاً على التفضل من الله عز وجل على عباده المخلصين في العمل والميئين إليه بالتوبة بعد كل زلة.

ووردت صيغة الفعل المضارع (يُزَكُّونَ، يُزَكِّكُمْ، يُزَكِّيهِمْ) مضافاً إلى ضمير الغائب الجمع كما في قوله تعالى: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [البقرة: 129]، وأحياناً مضافاً إلى ضمير المخاطب الجمع كما في قوله تعالى: { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } [البقرة: 151]، لتعليم أصول الفضائل والحكمة حتى لا يكون للأمة حجة بعد هذا الفضل، ووجود علاقة التعاطف بين التعليم والكتاب والحكمة تدل على التلازم بينهما، وأحياناً مضافاً إلى ضمير المخاطب بصيغة الجمع كما في قوله تعالى: { فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النجم: 32]

وهذه التزكية المنهي عنها هي المتجلية في مدح الإنسان نفسه والثناء عليها؛ فتقوى القلوب بيد الله وهو العالم بأسرار النفس ومكنوناتها، فالذي يريد أن يتركى عليه أن يتخلص من الأنا السلبية.

ووردت اسم الفاعل صفة لعيسى عليه السلام لقوله تعالى: {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} [مريم: 19]. ووردت صيغة التفضيل "أزكى" مقرونة إلى ضمير المخاطب والغائب، (أزكى لكم) و(أزكى لهم)، فتكررها في السياق القرآني دعوة لتطهير الضمير وحث على الآداب والأخلاق الحميدة وعلى التمسك بالقيم الرفيعة للحفاظ على حرمت المجتمع وأعراضه؛ وقد وقعت هذه الصيغة في أربعة مواضع داخل السور المكية والمدنية، منها قوله تعالى في سورة النور: {وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [النور: 28]، وقوله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ} [النور: 30]، فعبّر عن دلالة التزكية بالتطهير والحفاظ على عفة الحياة الزوجية واستمرارها من خلال التخلق والتربية على مكارم الأخلاق، والدعوة إلى عدم إفساد النفس بالشهوات والفواحش.

وهذا على مستوى النص القرآني، أما على مستوى الحديث النبوي الشريف فقد ورد المصطلح بصيغ كثيرة منها: صيغة الفعل الماضي والمضارع والأمر واسم التفضيل وبصيغة المصدر معرفة ونكرة، وهذا يوحي أن المصطلح يحتوي على دلالات مختلفة. فقد ذكر مصطلح التزكية بمشتقات متنوعة بين الأفعال: الفعل الماضي (زكّاها)، والمضارع (أزكى يزكى تزكى يزكى)، والأمر (زكّها)، وبين الأسماء نكرة (زكاة)، ومعرفة بالإضافة (زكاتها) (زكاته)، ومعرفة بالألف واللام (الزكاة)؛ للدلالة الواضحة على أن اشتقاقات مصطلح التزكية تنوع بين الأفعال والأسماء، فدلّ الفعل الماضي (زكّاها)¹ على ثبات المعنى ورسوخه، وأن تزكية النفس البشرية فعل يكون من الله تعالى، وعلى العبد أن يطلب العون منه ليوفقه إلى هذه التزكية.

¹ - ورد هذا الفعل في حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبَخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا». صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم 2722.

وجاءت مقترنة بالتَّقْوَى؛ فالتَّوَقُّفُ إذا لازمت التَّقْوَى تَزَكَّتْ وحققت الفلاح. وجاء فعل الأمر (زكَّها) دعاءً وطلباً من الله أن يوفق العبد إلى ذلك.

أما صيغة الاسم (زكاة والزكاة) فتمثل الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة المتمثلة في فريضة (الزكاة) التي تعد من شرائع الدين الكبرى بعد الشهادتين والصلاة¹، ولها ارتباط وثيق بالعقيدة وبالتوحيد، وقد شرعها الله تعالى لتطهير النفوس، وتقوم بغرس المحبة والموودة بين أفراد المجتمع، وهي اختبار من الله تعالى وامتحان لعباده في أداء الواجب، ورَّتب سبحانه وتعالى العقوبة على الامتناع عن أدائها، وتأدية الفرد لها حماية لنفسه من الرذائل والآفات، وحفظ لماله بالنمو والزيادة وحصول البركة فيه، ولجتمعه بالاستقرار والأمن وتطهير له من مشاعر الحقد والحسد. وبذلك حقق اسم "زكاة" و"الزكاة" الاستمرارية من أجل تحقيق كل هذه المعاني النبيلة.

ودل الفعل الرباعي المضارع (أزكى) المسبوق بصيغة النهي والقسم باسم الجلالة على كراهية تزكية الإنسان نفسه، وخصوصاً مع تأكيد الرسول ﷺ بقوله: «والله لا أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي»². والحديث فيه دلالة واضحة على أن فعل التزكية ينسب لله تعالى وليس للعبد؛ فهو سبحانه الذي يحكم على أفعال العباد، فرسول الله ﷺ الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لم يغتر بعمله، فكيف بإنسان لا حول له ولا قوة أن يزكي نفسه، أو يزكي أحداً غيره، وهذا ما أشارت إليه أمنا عائشة من خلال حديثها في الدفن³، حيث ورد

¹ - ورد هذا اللفظ في عدة مواضع كحديث عبد الله بن عمر قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ». أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي صلى الله عليه وسلم (بني الإسلام على خمس) رقم: 8، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ». رقم: 16.

² - الحديث بتمامه أخرجه البخاري في صحيحه عن أمِّ العلاء رضي الله عنها، قَالَتْ: طَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ فِي السُّكْنَى، حِينَ اقْتَرَعَتِ الْأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ، فَاشْتَكَيْ فَمَرَضْنَاهُ حَتَّى تُوُفِّيَ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا السَّائِبَ، فَشَهِدَاتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، قَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ؟» قُلْتُ: لَا أَدْرِي وَاللَّهِ، قَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَا أَدْرِي - وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ - مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ» قَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ: فَوَاللَّهِ لَا أَزْكِي أَحَدًا بَعْدَهُ، قَالَتْ: وَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ فِي النَّوْمِ عَيْنًا تَحْرِي، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «ذَلِكَ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ» صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات، رقم 2687.

³ - وهو الحديث الذي رواه البخاري عن عائشة، قَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: « اذْفِنِّي مَعَ صَوَاحِبِي، وَلَا تَذْفِنِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْبَيْتِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُزَكَّى » صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَخَصَّ عَلَى اتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ... رقم 7327.

الفعل هنا مبنياً لغير فاعله، ويتبين من خلال السياق أن عائشة رضي الله عنها كرهت أن تكون سبباً غير مباشر في أن تُزَكَّى من غيرها، وذلك إن هي دفنت إلى جنب النبي ﷺ، وهذا يدل على التزكية لا يبغي أن يدعيها أحد سواء لنفسه أو لغيره.

ودل الفعل (لا يُزَكِّيهم) المتكرر سبع مرّات والمسبوق بلا النافية والمقترن بالعذاب الأليم على عدم صفاء قلوبهم وخبثها وعدم طهارتها، فُنفي استحقاق التّكريم الإلهي عن كل من اتّصف بتلك الصّفات القبيحة من المنّ والإسبال في اللباس والحلف بالكذب، فعن أبي ذرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ»¹.

والمعطيات الوصفية والإحصائية لموارد مصطلح التّزكية واشتقاقاته في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف تبين مركزية هذا المفهوم داخل هذا النسق المزدوج؛ فمفهوم مصطلح التّزكية مفهوم شامل، لارتباطه بقيم الإسلام والإيمان والإحسان، ولدلالته على وجود فعل لعملية التّزكية. وتنوع الصيغ الفعلية والاسمية للمصطلح أفاد تنوعاً في دلالات الحدوث، فأتي بالفعل المضارع للدلالة على التّجدد والاستمرار والديمومة، وبالفعل الماضي للدلالة على ثبات الفعل ورسوخ أثره. وكل هذه الاشتقاقات توحى بحقيقة إعجاز لغة القرآن الكريم بالإضافة إلى إحكامه، وأن هذه التّزكية شاملة للاسم والفعل، الجمع والمفرد، المذكر والمؤنث، الحاضر والغائب، فلم تحدد للمتزكّي عمراً أو جنساً، وتهدف إلى إصلاح الإنسان والارتقاء به إلى الفلاح. فدلالة التّزكية تطورت من خلال المنظور القرآني لتنتقل من فعل زكا بالتخفيف إلى معنى مثقل شامل للجانبين معاً المادي والروحي. وما أحوج الأمّة اليوم لتزليل هذا المفهوم وتفعيله في الواقع الإنساني الدنيوي قبل الأخروي وربطه بالمنهج القرآني.

¹ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب، بيان غلط تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية، رقم 106.

المطلب الثاني: المعاني والدلالات الجزئية لموارد التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف

أ - في القرآن الكريم

إنَّ المتأمل لمصطلح التزكية في جميع سياقات وروده لا تخفى عليه دلالة على الطهارة والصَّلاح والنِّماء، كما هو مقرر في المعنى اللغوي، لكن الاستعمال القرآني والنبوي لهذا اللفظ أضاف إليه من القيود ما جعله ذا أبعاد دلالية جديدة، وتلك المعاني التي اشتملت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، من مضامين وأحكام وتشريعات، تقودنا إلى الفهم العميق لكل موارد هذا اللفظ وهدفها الحقيقي هو تحقيق أعلى مراتب العبودية التي خلق الإنسان من أجلها، وجاءت لمراعاة مصالح النَّاس في المعاش والمعاد، وتحقيق النَّفع للبلاد والعباد، وإخراج النَّاس من الغلو والتَّقصير إلى منهج التَّوسط والاعتدال، ومن الجهل والهوى إلى العلم والحكمة والمعرفة، وسيتم عرضها في مجموعة من المعاني على الشكل الآتي:

أولاً: التزكية بمعنى التوحيد:

جاء ذلك في سياق قول موسى عليه السَّلام لفرعون في خطابه ودعوته للتوحيد، وبيان معاناته معه من طغيانه وجبروته، وذلك في قول الله تعالى: {فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ} [النازعات: 18، 19]، وهذا السُّلوك الحضاري يبيِّن لنا أن الإسلام يدعو إلى الحوار، فهو أحد أساليب التأثير والتفاعل والتواصل بين النَّاس، وهو دعوة باللين والرحمة، قال تعالى: {ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125]

وقد جاءت دعوة الأنبياء والرَّسل لتثبيت هذه العقيدة في القلوب، وترسيخها في العقول، وتحذير النَّاس من الشُّرك والوثنية، قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36]، وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25]

فالتزكية لها أثر في بناء الشَّخصية الإنسانية وتطهير النَّفس من الكفر والطُّغيان، والأساس الأول لتزكية النَّفس توحيد سبحانه وتعالى، والاعتقاد الجازم بأنَّه الواحد الفرد الصِّمد، فلا ربَّ سواه، فهو واحد في ألوهيته، لا شريك له، وهو وحده المستحق للعبادة، وسر فلاح العبد وتوفيقه راجع إلى توحيد وإفراده العبادة لله وحده. قال ابن القيم رحمه الله:

"فأصل ما تزكُّو به القلوب والأرواح هو التَّوْحِيد"¹، فالتَّوْحِيد أرقى العبادات وأجلها، ولا يقتصر على التَّصور الذهني أو الاعتقاد القلبي بل يتطلَّب القول والعمل.

ومن خلال استقراءنا لكتب التفسير نجد أن مفهوم التَّزكية يدل على الطهارة من الشُّرك وذنس الكفر، وهو ما يحيل على معنى توحيد الله تعالى والإيمان به سبحانه. قال عز وجل: {فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى} [النازعات: 18]، جاء في تفسير الطبري رحمه الله لهذه الآية قوله: "فقل له: هل لك إلى أن تتطهَّر من دنس الكفر، وتؤمن بربك؟ قال ابن زيد في قوله تعالى: {هَلْ لَكَ إِلَّا أَن تَزَكَّى} أي تسلم وقوله تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى} قال: يسلم. والتزكي في القرآن كُلُّهُ الإسلام"². وفي الحديث الشريف عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النَّبي ﷺ: "يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَاد؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا"³.

فكان الدين كله سبيلاً للتَّزكية والشرعية الإسلامية بما فيها من اعتقادات وعبادات وأخلاق وأحكام شرعية في مجالات مختلفة كلها طريق للتَّزكية، وربطت بالتوحيد باعتبارها أساس الطهارة.

ثانياً: التَّزكية هي فعل الله ﷻ:

إن التَّزكية من فعل الله عز وجل بعبده، وقد نهي سبحانه عن تزكية الإنسان لنفسه بالمدح والثناء تفاخراً بالصَّلاح والتقوى، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَائرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: 32].

فسياق هذه الآية يدل على النهي عن تزكية النفس ومدحها، وجاء الفعل المضارع مجزوماً بلا الناهية، ومسبوقاً بالفاء، {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ}، أي: "فلا تنسبوها إلى زكاء العمل

¹ - ابن القيم، إغاثة اللهفان، ص: 49.

² - أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (1420هـ - 2000م)، ج 24، ص: 201.

³ - صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، رقم 7373.

وزيادة الخير وعمل الطاعات، أو إلى الزكّاء والطّهارة من المعاصي، ولا تثنوا عليها واهضموها؛ فقد علم الله الزّكي منكم والتّقي أولاً وآخرًا قبل أن يخرجكم من صلب آدم، وقبل أن تخرجوا من بطون أمّهاتكم¹، فالنّهي صريح عن الثّناء على النّفس ومدحها، فالله سبحانه هو المطّلع على أحوالها، "فلا عبرة بتزكية الإنسان نفسه، بل العبرة بتزكية الله له إذ يَقتَضِي الغَضَّ مِنَ الْمُزَكِّي لِنَفْسِهِ بِلِسَانِهِ، وَالْإِعْلَامَ بِأَنَّ الزَّكَايَ الْمُزَكَّى مَنْ حَسُنَتْ أَفْعَالُهُ وَزَكَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ²، فالتّزكية إذا كانت من الذات المتفاخرة كانت مذمومة، ومنه قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء: 49]، فتزكية الإنسان لنفسه شيء مذموم، ومنهي عن مدح المرء نفسه والتّظاهر بالصّلاح والتّقوى، فالحق سبحانه أعلم بالسرائر وهذه الآية جاءت في سياق "توبيخ للذين يزكّون أنفسهم من اليهود والنّصارى ومن نحّا نحوهم، من كل من زكّى نفسه بأمر ليس فيه؛ وذلك أن اليهود والنّصارى يقولون: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} [المائدة: 18] ويقولون: {لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} [البقرة: 111] وهذا مجرد دعوى لا برهان عليها،... ولهذا قال هنا {بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} أي: بالإيمان والعمل الصّالح، والتّخلي عن الأخلاق الرذيلة والتّخلي بالصفات الجميلة³، فاليهود يدعون أنّهم شعب الله المختار، وأهل الطّاعة والكمال، ومقربون إلى الله عز وجل من دون الخلق، وهذه الآية فيها تخصيص بعد تعميم، تشمل كل من ادّعى التّزكية، ونفى عن نفسه النّقص والمعاييب، وبذلك كانت التّزكية من فعل الله تعالى، فعلى الإنسان أن يعمل ويترك الأجر والثّواب لله تعالى.

ثالثاً: التّزكية من خصائص النّبوة

¹ - الزمخشري أبو القاسم جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التّزويل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ، ج 4 ص: 426.

² - أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، (1384هـ - 1964م)، ج 5، ص: 246، بتصرف.

³ - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (1420هـ - 2000م) ج 1، ص: 182.

نسبت التزكية إلى الرسول ﷺ، فهو القدوة فيها، والداعي للخير والصّلاح والتّاهي عن الشرّ والفساد، قال تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 151].

فتزكية الأنبياء والرسل عليهم السلام من الرحمان تنبيه للمؤمن من أجل الاقتداء بهم والسير على منهجهم، فدعوة الأنبياء أشرف الغايات، وجاءت لتحقيق مقاصد التزكية، وهذه الآية تعيد بالنّص دعوة سيّدنا إبراهيم وهو يرفع القواعد من البيت، ووصف هذا الرسول صلى الله عليه وسلم بإتمام نعمته عليكم باستيلائكم على بيته، وتطهيركم إيّاه من عبادة الأصنام والأوثان، كما أتمّها عليكم بإرساله رسولاً منكم، فالقبلة في بلادكم، والرسول أمّتكم، والخطاب للعرب، {يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا} بما اشتملت عليه من الآيات العقلية والعلمية على أصول العقائد والقواعد، لتطهير النفوس من الأخلاق السّافلة، والرذائل الممقوتة، ويخلّقها بالأخلاق الحميدة¹. وفي الآية إعادة تكرار فعل التعليم في الجملة الأخيرة {وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ}، وهو من الخصائص اللغوية البديعة للقرآن الكريم المتمثل في التّخصيص بعد التّعميم، وجاء الفعل بصيغة المضارع، دليلاً على أن التلاوة والتعليم والحكمة والتزكية مستمرة ودائمة، تتجدّد في كل وقت وحين.

وجاء الخطاب موجهاً إلى النبي عليه الصّلاة والسّلام بما يفيد تحقيق فعل التزكية للمؤمنين، وذلك في قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: 103]، فكان الأمر بأخذ الصدقة موجهاً إلى الرسول ﷺ، وفيه تبيان لدورها في الطّهارة والتزكية.

رابعاً: التزكية من فعل الإنسان

يظهر فعل التزكية من خلال تعامل الإنسان مع نفسه وحثّها على الصّلاح والتّقوى، وذلك في قوله تعالى: {وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصّٰلِحٰتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجٰتُ الْعُلٰى جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى} [طه: 75، 76]، وقد ورد فعل التزكية في هذه الآية على صيغة (تفعّل) وهي "المطاوعة فعل نحو كسّرتَه فتكسّر، وللتكلف نحو تشجّع وتحلّم، وللاتخاذ نحو توسّد، وللتجنب نحو تأثمّ وتحرّج، وللعمل المتكرّر

¹ - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج 2 ص: 23، بتصرف.

في مهلة نحو تجرّعته، ومنه تفهّم، وبمعنى استفعل، نحو تكبّر وتعظّم¹. وجل هذه المعاني ظاهرة في هذه الآية، فالمطاوعة لفعل التزكية حاصلة من العبد إذ يزكّيه الله عز وجل ابتداءً وتفضلاً، كما رأينا سابقاً، والتكلف ظاهر إذ التزكية مجاهدة ومكابدة ومثابرة، فلا تحصل للعبد بأدنى جهد، وهي نتاج عمل متكرر في مهلة، لا يحصل دفعة واحدة، وهذا يؤكد قوله عز وجل: {وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ} [طه: 75]، وعمل الصالحات لا يكون دفعة واحدة وإنما هو على فترات.

والأمر نفسه يظهر في قوله تعالى: {فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى} [الكهف: 19]، فقد نسبت التزكية إلى العبد؛ لأنه يزكّي طعامه بالبحث عن الكسب الطيب، ويزكّي نفسه بالإيمان والمجاهدة، وذلك واضح في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس: 9].

خامساً: التزكية بمعنى التربية والتعليم للآداب والأخلاق الإسلامية

التزكية تربية للإنسان، تنمي فيه عناصر الخير والفلاح والسعي نحو العمل الصالح، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [النور: 27 28]. وقد جاءت هذه الآية في سياق تشريع نظام المعاشرة، وطلب الإذن، مما يدل على عظمة هذا الدين في تشريعه لآداب المعاملة، وضمان حق الإنسان في حرّيته وكرامته. وقد ذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره أن "من أكبر الأغراض في هذه السورة تشريع نظام المعاشرة والمخالطة العائلية في التّجاوز، وبيان أحكام التّزاور وتعليم آداب الاستئذان. ومن ذلك أن المرء لا ينبغي أن يكون كلاً على غيره، ولا ينبغي له أن يعرض نفسه إلى الكراهية والاستئثار، بل ينبغي أن يكون الزائر والمزور متوافقين متأنسين، وذلك عون على توفر الأخوة الإسلامية"².

وأشير في آيات أخرى إلى آداب الاستئذان على أنه من علامة الإيمان، كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ

¹ - الاسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، (1425 هـ - 2004 م)، ج 1، ص: 259.

² - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984م، ج 18 ص: 196، بتصرف.

فَأَذِّنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ { [النور: 62] ، وهذا من أجل تحقيق مصلحة المسلمين، وحتى لا تعم الفوضى.

سادساً: التزكية بمعنى الطَّهْر

تقوم التزكية على مبدأ التطهير من كل عوارض القدح، وذلك ما ورد في قوله تعالى: {ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 232] ، وكذلك في قوله تعالى: {وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [النور: 28]، وفي قوله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [النور: 30]

سابعاً: التزكية بمعنى التطهير من الشرك

وجاءت التزكية بمعنى التطهير، تطهير النفس من الأدران والأوساخ كما في قوله تعالى: {وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى} [طه: 76]، أي: "طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك، وعبد الله وحده لا شريك له، وصدق المرسلين في ما جاءوا به من خير وطلب"¹. وقوله تعالى: {وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً} [مريم: 13]، فشملت الزكاة "الطهارة من الدنس والآثام والذنوب"².

ثامناً: التزكية بمعنى الصِّلاح:

يظهر فعل التزكية من خلال تنظيم العلاقات العامة بين الناس من خلال قيم التعاون والتآخي ونبذ التعصب والعدوان، قال تعالى: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 232].

وقد جاءت الآية في سياق "مخاطبة أولياء النساء، ألا يمنعوهن من مراجعة أزواجهن بعد أن أمر المفارقين بإمساكنهن بمعروف ورغبتهم في ذلك، إذ قد علم أن المرأة إذا رأت الرغبة من الرجل الذي كانت تألفه وتعاشره لم تلبث أن تقرر رغبته برغبتها، فإن المرأة سريعة

¹ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، (1420-1999)، ج5 ص: 307.

² - تفسير ابن كثير، ج5 ص: 216.

الانفعال قربة القلب، فإذا جاء منع فإثما يجيء من قبل الأولياء، ولذلك لم يذكر الله ترغيب النساء في الرضا بمراجعة أزواجهن، ونهى الأولياء عن منعهن من ذلك¹.

وقال سبحانه في موضع آخر: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [النور: 30]. وقد جاءت هذه الآية بعد آية الاستئذان في دخول البيوت، والأصلح لمن دخل بيتاً بعد أن استأذن أهله أن يغض بصره، فمن صفات المؤمنين حفظ النفس من المحرمات والتزامها بالآداب الشرعية، كغض البصر وحفظ الفرج. وجاء الفعل {يَغُضُّوا}، {وَيَحْفَظُوا} بصيغة المضارع، دليلاً على الاستمرار في كل وقت وحين، وأمر الشارح بحفظ الفرج مطلقاً؛ لعدم إباحة فعل (الزنا)، وغض البصر جاء بصيغة التبعيض؛ نظراً للحاجة والضرورة.

تاسعاً: التزكية بمعنى التوبة:

تعدّ التوبة أهم مقامات العبودية، وقد ارتبطت بالتزكية من خلال التخلية من الرذائل والتخلية بالفضائل، قال تعالى: {هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى} [النازعات: 18]، أي "هل لك رغبة وميل إلى أن تتطهر من الذنوب والآثام؟"²، مما يتبين لنا معه أن هناك علاقة تلازمية بين التزكية والتوبة.

عاشراً: التزكية بمعنى التوفيق والهداية:

التزكية هي فعل من أفعال الله تعالى، فهي توفيق من الله لعباده الصالحين، وذلك واضح في قوله تعالى: {بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} [النساء: 49]، ف"بفضله ورحمته يطهر من يشاء بتوفيقه للتوبة النصوح وقبولها منه، يهدي ويزكي، لا بفضل أعمالهم، فهو أعلم بحقائق الأمور وغوامضها"³.

والقرآن الكريم هو مصدر الهداية والتوفيق والصّلاح للنفس البشرية، لما له من تأثير عظيم على العقول والضمائر والسلوك، قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2، ص: (425-426).

² - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، الطبعة الأولى، (1417هـ، 1997م)، ج2، ص: 489.

³ - المرجع السابق، ج 2، ص: 305، بتصرف.

وَهْدَى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: 89]، فكان فعل الهداية ملازمًا للتزكية كما سيتم التطرق إليه في باب العلاقات.

حادي عشر: التزكية بمعنى إيتاء الزكاة المفروضة:

الزكاة ركن من أركان الإسلام، فعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْحَجُّ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ"¹. ووظيفتها تطهير النفس من الشح والبخل، وإدخال الأنس والمحبة بين القلوب، وقد جاءت في القرآن الكريم والحديث الشريف تبييناً لأهميتها، ودورها في حياة الفرد والمجتمع.

وجاء في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ} [البقرة: 83]، وجاءت هذه الآية في سياق الحديث عن بني إسرائيل توبيخاً لهم حينما خانوا العهود والمواثيق، إذ أمرهم الله تعالى بالتوحيد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإحسان إلى الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين، فكان رد فعلهم التولية والإعراض.

- ارتباط التزكية بالمال لتطهير النفس من الشح: قال تعالى: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} [الروم: 39]. وقال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ} [المؤمنون: 4]. فالزكاة تهدف إلى تحقيق تنمية المال من خلال تشجيع الاستثمار، فتحلّ فيه البركة والنماء، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال فعل أداء الزكاة، قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 261، 262]. وتوعد الله تعالى المعرضين عن أداء الزكاة بقوله ﷻ: {وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [فصلت: 6، 7]. وقد جاءت الآية في سياق الوعيد للمشركين بسوء خاتمتهم وعقوبتهم في

¹ - سبق تخريجه.

الآخرة، و"ذكر المشركين إظهاراً في مقام الإضمار، وتعليق الوعيد على استمرارهم على الكفر من الإخبار عن الويل بكونه ثابتاً للمشركين والموصوفين بالذين لا يؤتون الزكاة، وبأنهم كافرون بالبعث، ويعلم أن مانع الزكاة من المسلمين له حظ من الويل الذي استحقه المشركون، والزكاة في الآية هي الصدقة لوقوعها مفعولاً {يُؤْتُونَ} ، ولم تكن يومئذ زكاة مفروضة غير الصدقة دون تعيين نصيب ولا أصناف الأرزاق المزكاة، وكانت الصدقة مفروضة على الجملة، ول بعض الصدقة ميقات، وهي الصدقة قبل مناجاة الرسول ﷺ¹، فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة، فضّلوا شهوات الدنيا، فلم يخلصوا لربهم ولم يذكروا أنفسهم، بل عاشوا في ضلال مبين، وتوعدهم الله بالعذاب الأليم.

وفي المقابل وعد الله عز وجل الراسخين في العلم بالأجر العظيم، كما في قوله تعالى: {لَكِنَّ الرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 162] ، فعطف صفة المؤمنين على الراسخين في العلم، وعم الجميع بالمدح والأجر العظيم، الذين ثبت العلم في قلوبهم، فآمنوا بكتابهم الذي أنزل عليهم وبالكتب السابقة، وأثرو الإيمان في قلوبهم، وتوجهوا إلى الله تعالى بالإخلاص والعبودية له.

الثاني عشر: التزكية بمعنى العمل الصالح:

والتزكية سلوك فعلي تقترب بالإيمان والعمل الصالح، وذلك قوله تعالى: {فَارْزُقْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا} [الكهف: 81] ، وقوله تعالى: {وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا} [مريم: 13]. واقترنت بالصلاة في قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ} [البقرة: 110].

فهناك علاقة تلازمية بين التزكية والعمل الصالح، تتحقق من خلالهما السعادة، كما في قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: 97].

وتكون تزكية النفس من خلال فعل الطاعات من صلاة وزكاة وصيام وحج وذكر وتلاوة للقرآن وسائر العبادات والقربات، فالعمل يربط الإنسان بربه فيعبده لا يشرك به شيئاً،

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 24، ص: (239-240)، بتصرف.

ويؤدي ما عليه من الحقوق الواجبات اتجاه خالقه، فالمؤمن الحق يتوجه إلى الله دائماً في كل أعماله ويشعر بمراقبته، ويتعهد علاقته مع نفسه بإصلاحها وتطهيرها وتركيتها وتخليصها من الشوائب والمعاصي، كما يتعهد علاقته مع أخيه الإنسان، وهذا هو دور المستخلف في الأرض لتحقيق التوازن والانسجام داخل الكون.

الثالث عشر: التزكية بمعنى الحسن:

تعبر التزكية عن الحسن والجمال كما في قوله تعالى: {أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا} [الكهف: 74] ، أي نفساً طيبة طاهرة، وقرأ "الجمهور زَاكِيَّةً بالألف وقرأ الكوفيون وابن عامر زَكِيَّةً بغير ألف وتشديد الياء؛ قيل المعنى واحد، قال أبو عمرو الزاكِيَّة التي لم تذب قط، والزَكِيَّة التي أذنبت ثم تابت"¹.

ومن خلال تتبعنا للتنوع الدلالي لمصطلح التزكية في القرآن الكريم انطلاقاً من موارده المختلفة، نستطيع تجميع معاني هذا المصطلح؛ سواء أكانت التزكية من فعل الله سبحانه بعباده الذين اصطفاهم، أم كانت من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته، أم من الإنسان لنفسه لتحقيق العبودية لله وحده، فنستنتج ما يلي:

-ارتباط التزكية بمجموعة من القيم، فالتزكية سلوك قيمي ذو أبعاد دلالية مختلفة تتمظهر في مجال العقيدة باعتبارها قيمة تعبدية من خلال علاقة الإنسان بربه بإخلاص العبادة له وتوحيده، وعلاقته مع نفسه بتزكيتها وتطهيرها من كل برائن الشرك، وعلاقة الإنسان مع الآخر في مجال المعاملات بالصدق والوفاء والبر والعدل والإحسان.

- التزكية قيمة اجتماعية تتبلور من خلال تنظيم العلاقة بين الأزواج وكيفية التعامل في ما بينهم، من غضّ البصر وكفّ الأذى واجتناب المحرمات واحترام الحقوق والواجبات.

- إسهام التزكية في تحقيق مقصد الأمن المجتمعي من خلال أداء الزكاة، فهي طهرة لأموال المزكي، تحفظ نفسه من الأنانية والبخل والطمع، وتحقق مبدأ التعاون والإخاء تحقيقاً لقوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

¹ -تفسير القرطبي، ج11ص: 20.

العقاب { [المائدة: 2] وقوله ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"¹.

- اقتران التزكية بالإيمان والعمل، ويظهر ذلك من خلال قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ} جَزَأُوهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ { [البينة: 7-8]، فهؤلاء هم الذين مدحهم القرآن الكريم، ووصفهم بالمفلحين والفائزين لجمعهم بين القول والعمل.

- ارتباط التزكية بالهداية والصّلاح والحسن والتّوبة، وكلّها وسائل لتزكية النّفس تسعى إلى تطهيرها والارتقاء بها إلى درجة الإحسان، فالإسلام دستور جامع ينظم حياة الفرد والجماعة، ويهتم بالحياة الروحية للفرد من خلال إصلاح علاقته بخالقه، وإصلاح نفسه وذلك بتحمل مسؤولية الخلافة في الأرض لتحقيق مبدأ العمران والبناء الحضاري.

ب- في الحديث النبوي الشريف

من خلال اطلاعنا على عدد لا بأس به من كتب شراح الحديث النبوي الشريف نلاحظ أنهم لم يفصلوا الشرح² في معاني الأحاديث الصحيحة التي ورد فيها مفهوم التزكية، حيث اكتفوا بما ورد عند المفسرين، غير أن ما ورد عندهم من معان عائد إلى المعنى اللغوي الذي يدل على التطهير والتماء، وورد في حديث آخر بمعنى الشّاء والتّعظيم، ونبين ذلك في الآتي:

أولاً: التزكية بمعنى المراقبة

من الأحاديث التي ورد فيها ذكر " التزكية " بهذا المعنى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُعَاوِيَةَ الْغَضَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ

¹ - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس بالبهائم، رقم 6011، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم رقم 2586 واللفظ له.

2- وهذا ما أشار إليه صاحب (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) حيث قال: "وعجي من الشُّراح كيف أهملوا تحرير مثل هذا ونظائره". ينظر: أحمد بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج18، ص: 259.

فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي كُلِّ عَامٍ، وَلَمْ يُعْطِ الْهَرَمَةَ وَلَا الدَّرَنَةَ وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَكِنْ مِنْ أَوْسَطِ أَمْوَالِكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهَا وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهَا، وَزَكَّى نَفْسَهُ»، فَقَالَ رَجُلٌ: وَمَا تَزَكِيَةُ النَّفْسِ؟ قَالَ: «أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»¹. ويتبين لنا من هذا الحديث أن التزكية تعني مراقبة الله عَزَّ وَجَلَّ في كل صغيرة وكبيرة، ويلزم عن ذلك أن العبد يستشعر معية الله دائماً ويؤمن بذلك، و"ذلك يحمله على مراقبة الله، وعلى خوفه، وعدم الخروج عن طاعته، وعدم ارتكاب شيء من معاصيه. تقول له نفسه وقلبه كيف تتجراً على مخالفته وهو مراقب لك أعمالك؟ ويحمله هذا على إصلاح الأعمال وعدم إفسادها، وعلى الإكثار من الحسنات والبعد عن السيئات، وهذه فائدة الإيمان بالمعية"³.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَدَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»⁴. وقال ملا علي القاري: "(زكَّاهَا) يعني: طهرها بتأديك إيَّاها كما يؤدِّب المولى عبده، وقال الطيبي: (أَنْتَ

1 - مذهب أهل السنة والجماعة اتباعُ السلف الصالح في باب الأسماء والصفات، وحاصل مذهبهم أن الله سبحانه وتعالى يُبَيَّن له من الأسماء الحسن والصفات العلى ما ثبت في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

ومعية الله قسمان :

" المعية العامة فيالسمع والبصر والعلم، كقوله تعالى: { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [الحديد : 4] .. والمعية الخاصة كقوله: { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } أي: معهم بتأييده ونصره ومعونته، وقوله: { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا } [الأنفال : 12] ، وقوله لموسى وهارون: { لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى } [طه : 46]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم للصديق وهما في الغار: { لَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } [التوبة : 40] "

تفسير ابن كثير، ج 4، ص: 615. بتصرف

2- رواه الطبراني في المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت ، عمان، الطبعة الأولى، 1405هـ - 1985م)، الحديث رقم 555، ج 1، ص: 334، وقد صحح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى، (1415 هـ - 1995 م)، ج 3، ص: 39، رقم 1046.

³ - ابن جرير، التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية، تحقيق أبو أنس علي بن حسين، دار الوطن للنشر، 1998م، ج 1، ص 242.

⁴ - صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن لم يعمل، رقم 2722.

وَلِيَّهَا وَمَوْلَاهَا) استئناف على بيان الموجب، وأن إيتاء التقوى وتحصيل التزكية فيها إنما كان لأنه هو متولي أمورها ومالكها، والتزكية إن حملت على تطهير النفس عن الأفعال والأقوال والأخلاق الذميمة كانت بالنسبة إلى التقوى مظاهر ما كان مكمناً في الباطن، وإن حملت على الإنماء والإعلاء بالتقوى كانت تحلية بعد التحلية؛ لأن المتقي شرعاً من اجتناب التواهي وأتى بالأوامر، وعن بعض العارفين، تقوى البدن الكفّ عما لا يتيقن حله، وتقوى القلب عما سوى الله في الدارين وعدم الالتفات إلى غيره سبحانه¹.

إن هذا الاستشعار الدائم لحضور الله سبحانه وتعالى مع العبد يجعل المسلم كلما همّ بالمعصية تذكّر أن الله عزّ وجلّ يطّلع عليه فتنبض نفسه عنها فلا يأتيها، ولا يزال كذلك حتى تصفو نفسه من الأكدار، وتلك هي مرتبة التحلية في عرف أهل التصوف، ثم يحلّي ذلك بالقربات والطاعات، فإن المحبّ الصادق كلما رأى محبوبه تقرّب إليه بما ينال به الخطوة عنده، وتلك مرتبة التحلية في عرفهم، ويرتقي شيئاً فشيئاً في مدارج السلوك إلى الله ﷻ حتى يصل إلى مرتبة الإحسان وهي عبادة الله كأنه يراه، وتلك مرتبة التجلية.

ثانياً: جاءت التزكية بمعنى التطهير في إطار الدعاء والتعوذ من غضب الله ﷻ وطلب العون منه ﷻ:

عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ إِزَارَهُ، وَالْمَنَانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»².

وقال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: "قليل: ومعنى (لَا يُزَكِّيهِمْ): لا يطهرهم من الذنوب، وقيل: لا يُثني عليهم"³. وقال الزمخشري: "والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه، أو بمعنى الإنماء والبركة في المال"¹.

1- الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، (1422هـ - 2002م)، ج 4، ص: 1706.

2 - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية... رقم 106، سنن الترمذي، كتاب البيوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ماجاء فيمن حلف على سلعته كاذباً رقم 1211.

3- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب قوله من بايع ثم استقال البيعة، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، ج 13، ص: 203.

وتجيء التزكية أيضاً بمعنى التَّماء والبركة والمدح، وكل ذلك قد استعمل في القرآن.
فُعبر عن التزكية بالتطهير والتنمية والزيادة في الحسن والنفع، فهي مدار صلاح
الإنسان وفلاحه، وبقدر تحقيقها يرتقي الفرد إلى مدارج السالكين، ومن لم يركبها آلت نفسه
إلى الخسران والفساد، وختم له بالشقاء والعذاب الأليم.
ثالثاً: جاءت التزكية بمعنى الشَّاء والتَّعظيم:

فعن عائشة رضي الله عنها أنها أوصت عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فقالت:
"لَا تَدْفِنِي مَعَهُمْ وَادْفِنِي مَعَ صَوَاحِبِي بِالْبَيْعِ، لَا أُزَكِّي بِهِ أَبَدًا"²، وبرواية أخرى: عَنْ عَائِشَةَ
قَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: «ادْفِنِي مَعَ صَوَاحِبِي، وَلَا تَدْفِنِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
الْبَيْتِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُزَكَّى»³.

و"قَوْلُهَا: (لَا أُزَكِّي بِهِ أَبَدًا)، أي: لا يثنى علي بسببه، وأزكى بصيغة المجهول من
التزكية قال ابن البطال: فيه معنى التواضع، كرهت عائشة أن يقال: إنها مدفونة مع النبي ﷺ
فيكون في ذلك تعظيم لها"⁴. فيكون معنى التزكية هنا هو الشَّاء والمدح الحاصلين من الغير للعبد
لصلاح ظاهر فيه، أو مستدل عليه.

ونستخلص مما سبق أن التزكية في الحديث الشريف تعني مراقبة الله عز وجل
واستحضار معيته. كما تعني التطهير بتقوى الله سبحانه وتعالى؛ سواء أكان التطهير مادياً، وهو
المعنى المستخلص من مفهوم الزكاة، أو كان معنوياً، وهو المرتبط بتنقية النفس وتخليتها من
الأخلاق الذميمة والصفات القبيحة. كما تدل على الشَّاء والتَّعظيم؛ وهو نوعان: محمود إذا
كان من الله سبحانه وتعالى لمن يستحقه من عباده المخلصين، ومذموم إذا كان من العبد لنفسه
أو لغيره إذا حصل على جهة القصد إليه والطلب له من المزكى.

ومن خلال ما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، يتبين أن مصطلح
التزكية يحتوي على دلالات شاملة وعطاءات متنوعة، وهو ذو رؤية معرفية كونية ومرجعية

¹ - الزمخشري، الكشاف، ج 2 ص: 307.

² - صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما
رقم: 1391.

³ - صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحض على اتفاق أهل
العالم، رقم 7327.

4 - العيني، عمدة القاري ج 8، ص: 228.

قرآنية، وهي كتاب الله عز وجل، والإنسان هو المخاطب بهذه التزكية، باعتباره خليفة الله في الأرض، وهو مطالب بتوظيف طاقته العلمية والعملية، لتحقيق عبوديته لله تعالى وبناء حضارته على قيم أخلاقية راقية، ولا يتأتى له ذلك إلا بالتزكية. وبذلك شكل مصطلح التزكية دلالة قوية وثقيلة داخل القرآن الكريم والحديث الشريف لعدة اعتبارات نذكر منها:

- ارتباط التزكية بالعقيدة والتوحيد والرسالة.
- اختصاص التزكية بالذات الإنسانية.
- اعتبار التزكية من مهمات الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ومقصداً من مقاصد البعثة.
- ارتباط التزكية بالتنمية والقدرة على حمل أمانة الاستخلاف لتحقيق الفلاح.

المطلب الثالث: استخلاص التعريف

من خلال تتبعنا للمعاني والدلالات الجزئية لمصطلح التزكية في نصوص الوحي، نصوغ تعريفاً لمفهومه حسب السياق القرآني والحديثي على الشكل الآتي:

التزكية هي: فعل الله في النفس الإنسانية الذي جعله من مهام رسله على عباده المتقين لتطهير أنفسهم، بقصد الهداية والإصلاح. بمنهج الاستخلاف.

فقولنا (التزكية فعل الله)؛ ذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو المزكي، أي: أن الله هو الذي يتولى تزكية عباده؛ فلا عبرة بتزكية الإنسان نفسه، وإنما العبرة بتزكية الله له، كما في قوله تعالى: {وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا} [النور: 21]، فجاء اللفظ صريحاً في الآية لأخذ الحيلة والحذر من الاغترار بالنفس، والخضوع التام المطلق للحق سبحانه، فهو المطلع على أسرار النفوس وخفاياها.

وأما قولنا: (في النفس الإنسانية)، ففيد يجتزئ به عن القصد إلى مطلق أفعال الله عز وجل، فهي لا تخص، وتخصيص لها يحصرها في ما يقع على النفس الإنسانية من التطهير والتخلي والتحلية وما تصل إليه من مقام التجلية.

وأما قولنا: (جعله من مهام رسله) فتخصيص بجعل فعل التزكية من مهام أنبياء الله الذين وكل إليهم تطهير أممهم عن طريق الدعوة إلى الله، لقوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: 164]. فالتزكية هي إحدى

الركائز الأساسية في البعثة، وجاءت دعوة الأنبياء لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإنكار كل المعتقدات الواهية من الوثنية والجوسية وغيرها، وتصحيح كل ما وقع في الأديان السماوية من تحريف وتزوير. وترتبط التزكية بالتلاوة والعلم والحكمة، فلا تزكية بدون علم والعكس كذلك، فالعلم واجب شرعي على كل مكلف عاقل، بأن يعرف أمور دينه وما يجب عليه القيام به، وهذا ما حرص عليه الأنبياء والرسل في الدعوة والتبليغ بالبيان والإيضاح. وتعد تزكية الله تعالى لهم هداية للبشر، بأن يعلمهم الكتاب والحكمة وما لم يكونوا يعلمون، فبعثة الرسول عليه الصلاة والسلام فضل من الله على الأمة المخاطبة — وحتى لا يكون للأمة على الله حجة بعد هذا الفضل.

وقولنا: (على عباده المتقين)؛ لأن التطهير لا يتأتى إلا بالتقوى؛ لقوله تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: 32].

والتقوى كلمة جامعة لمجامع الدين، فسرت بالخشية والمراقبة وبالإخلاص وغيرها من المفاهيم، وقد وصف الله تعالى عباده المتقين في كثير من الآيات، منها قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور: 52]، وكرم سبحانه عباده المتقين في قوله تعالى: {إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ} [الحجرات: 13]، وفي قوله ﷺ: "أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ"¹، مما يدل على أن التقوى صفة الأنبياء والرسل والعباد الصالحين. وقد خاطب الحق سبحانه عباده المتقين بالمؤمنين كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} وبذلك فكل مؤمن مطالب بفعل التقوى والتزكية.

وأما قولنا: (لتطهير أنفسهم)؛ فلأن التزكية تفيد التطهير من الدنس والردائل، قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ} [التوبة: 103]، أي تطهير النفس من كل العقائد الفاسدة والتأوياء الخبيثة، وتنميتها بالفضائل النبيلة والقيم السامية لبلوغ مراتب الكمال؛ فالغاية من التزكية تطهير النفس لتحقيق المنهج التكاملي الذي يجمع بين المادة والروح، بين العلم والمعرفة في البناء الحضاري الإسلامي. فعبير عن التزكية كقيمة دلالية بالتنمية في الخير

¹ - صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح رقم: 5063.

والبركة، وهذا الأمر لا يتم إلا من خلال عملية (التطهير)، التطهير من السوء والترقية في الخير، وهو ما عبر عنه الصوفية بمفهوم التخليية والتحلّية. وبذلك شمل مفهوم التزكية في إطاره المعرفي التخليية من الرذائل والتخليية بالفضائل، فالنفس يعترّيها المرض والشوائب، وتعكر صفوها الأدران حتى تحتاج إلى تنقية وتطهير لتحصيل النماء والاستمرارية على ذلك، لترقى إلى نفس طيبة طاهرة زكية. ولا يصل إلى ذلك إلا من سار أشواطاً لتطهيرها بالمجاهدة والتوبة والإنابة ... لتصبح نفساً زكية طاهرة نقيّة.

وأما قولنا: (قصد الهداية والإصلاح)؛ فلأن التزكية تحصل وفق مقاصد معينة للمزكي، وهذه المقاصد نجملها في الهداية والإرشاد وإصلاح الفرد والمجتمع، ودليل ذلك قوله تعالى: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [البقرة: 129]. فقد جاء مفهوم الهدى والإصلاح لتصحيح العقيدة وبيائها للناس على الوجه الصحيح، وبيان أن أسباب الضعف والعجز والكسل في النفوس نتيجة لعدم الاستجابة للهدى، ومن الآيات التي تدل على ذلك قوله تعالى: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [المائدة: 108]، وقوله سبحانه: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 264].

ولما كان الهدف من إصلاح الذات والمجتمع هو تحقيق مبدأ الاستخلاف في الأرض، كان من الحتمي وضع منهج يعتمد عليه المزكي في عملية التطهير، ولهذا جاء في التعريف القيد بقولنا: (من خلال منهج الاستخلاف)، وذلك احتراراً عن كل تزكية لا تلتزم بهذا المنهج، فإنها مظنة للزلل والزيغ عن سواء السبيل. وتخصيص الإنسان بالخلافة يتجلى ذلك في قوله تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [الحجر: 29]، وهذا هو دور الإنسان الفعال في البناء العمراني والشهود الحضاري لتحقيق الإيجابية والتفعية، فأمر الله ملائكته بالسجود لآدم وتكريمه في الأرض باعتبار الإنسان أكرم الخلق بعمارته، والغاية من ذلك تحقيق المقصد والهدف من وجوده، فليس المقصود من تسيده فوق الأرض بأن يطلق لنفسه العنان فيفعل ما يشاء، بل إن وجوده مرتبط بضوابط وأحكام وقوانين، تربطه بالسنن الإلهية والكونية، فصلاح الكون مرتبط بصلاح الإنسان، والنفس البشرية بين أمرين إما أن تزكى كما قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس: 9]، وإما أن تقع في التدسية، كما قال تعالى: {وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 10]. وبذلك كان الإيمان محور صلاح

الإنسان، وهو الأساس في بناء الفرد والمجتمع لتحقيق العبودية لله تعالى والسعي لتطبيق منهج الاستخلاف في الأرض لتشكيل رؤية معرفية متكاملة جامعة بين العطاء الروحي والمادي وساعية نحو الإصلاح.

خلاصة الفصل الأوّل:

الدّلالة اللغوية والاصطلاحية للفظ التّزكية:

يرجع الأصل اللغوي للفظ "التّزكية" إلى جذر (ز.ك.ا) الثلاثي، وقد وردت بعض مشتقاته في القرآن الكريم، كما وردت في الحديث النبوي الشريف بألفاظ الماضي والمضارع والأمر (زكّا، وزكّى، زكّاها، وزكّي وأزكي ...) ومنها ما ورد على صيغة الأسماء معرفة ونكرة (أزكى، زكياً، والزكاة).

وتنوعت مشتقاته في الحديث النبوي في صحيح البخاري ومسلم بين الفعل الماضي والمضارع والأمر. ومن خلال دراستنا لمفهوم هذا المصطلح، تبين لنا أنه اشتمل على معنى الطّهارة، أي تطهير النّفس من الرّذائل والآفات، وترقيتها في مجال الخير، فتزكيتها من الأولويات الأساسية لحياة الفرد خاصة والمجتمع عامة.

حجم ورود لفظ التّزكية ومشتقاتها:

ورد لفظ التّزكية في القرآن الكريم تسعاً وخمسين مرة، وورد لفظ "زكاة" اثنتين وثلاثين مرة، وعبرت بعض الآيات عن تزكية الأنبياء والرّسل باعتبارها مقصداً من مقاصد الوحي.

وفي الحديث الشّريف ذكر لفظ التّزكية مائة مرة ومرة، وتنوعت مشتقاته من حيث صيغها الصّرفية والتّركيبية بين صيغ الفعل الماضي والمضارع والأمر للدّلالة على تفاعل المفهوم مع أحداث الواقع، ففي الزّمن الماضي تدل على ضرورة اكتساب فعل التّزكية، وفي الزّمن المضارع تدل على المداومة والاستمرارية والتّجدد ليرقى فعل التّزكية إلى المستوى المطلوب.

التّزكية عند مدارس أهل الحديث والفقهاء والتّصوف.

تنوع مفهوم التّزكية بين مدارس أهل الحديث والفقهاء والتّصوف، وعبر عن هذا المفهوم بالزهد في عصر الصحابة والتّابعين، وبالتّزكية في مدارس أهل التّصوف، وهذا التّطور ناتج عما كانت تعيشه الحياة الاجتماعية من تغيرات أدت إلى فساد القلوب وانحرافها، وأوقعت الكثير في الانغماس في ملذات الدّنيا وشهواتها، وتقرب أكثر العلماء إلى السّلاطين والحكام من أجل المال والجاه، مما ألجأ كثيراً من العلماء كالغزالي وغيره إلى الزّهد والتّصوف، فاهتموا بمجال تربية النّفس البشرية، وتهذيبها بالذكر والاستغفار والملازمة للشيّوخ، وكل ذلك

يستدعي عند أهل التصوف التّرقّي في مدارج الوصول بين مراتب (التّخلي والتّحلي والتّجلي)، فإذا لم يحصل للمريد المرور من هذه المراحل فلا فائدة من تصوّفه، فالتّخلي بالتّطهر من المعاصي والآثام لتتحلى النفس بالأخلاق الفاضلة الرّفيعة لترتقي إلى مرتبة الإحسان إلى مرتبة التّجلي.

وترتبط التّزكية عند أهل الفقه بأمور العبادة، واتباع الأوامر التي أمر الشّارع بها واجتناب النّواهي التي نهى عنها، ولا يتم ذلك إلا بالمتابعة. وتم التّطرق في معظم كتب الفقه إلى مفهوم الطّهارة والمقصود بها الطّهارة الحسيّة التي تختص بالجسد والطّهارة المعنوية التي تختص بالقلب.

وعند أهل الحديث تم التّطرق إلى مفهوم التّزكية من خلال أبواب الرّقائق والزهد، كما في الكتب السّنة وغيرها، وجل هذه المعاني عند علماء الحديث تهتم بالجانب الرّوحي، وذلك بتنقية القلب بالإنابة والمحبة والتّوبة والإخلاص، وتقويم السّلوك الفعلي والجانب الخلقي.

في بيان التعريف

التّزكية مفهوم شامل، ومن خصائصه أنّه:

- مرتبط بفعل الله عزّ وجلّ وفضله.
- صفة الأنبياء والرّسل حيث جاءت دعوتهم لإخراج النّاس من الظّلمات إلى النّور، وأساس ذلك الإقرار بالتّوحيد.
- مرتبط بالإنسان فهو المحقق لمنهج الاستخلاف في الأرض، لتشكيل رؤية معرفية شاملة وجامعة بين العطاء الرّوحي والمادّي، ساعية نحو التّغيير والإصلاح.

الفصل الثاني

خصائص التزكية وصفاتها في القرآن الكريم والحديث الشريف

المبحث الأول: خصائص التزكية في القرآن الكريم والحديث

المبحث الثاني: صفات التزكية القرآن الكريم والحديث

الفصل الثاني:

خصائص التّركية وصفاتها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

سنتطرق في هذا الفصل إلى تحديد خصائص مفهوم التّركية وصفاته، داخل المتن المدروس، وهي المرحلة الثّانية بعد التعريف، ويقع الاشتغال فيها على توسيع دائرة المفهوم من خلال الكشف عن أبعاده الدّلالية ومجالاته المتنوّعة، وسياقاته ومدارسته بجميع الصيغ الاشتقاقية، سواء في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف. ويقتضي ذلك معرفة حجم وروده وقيّمته الدّلالية المتنوعة من خلال القضايا المختلفة التي يثيرها، والكشف عن مقوماته الذاتيّة وفق ما يقتضيه منهج الدّراسة المصطلحية، وذلك من خلال:

- حجم ورود المصطلح وموقعه داخل أسرته المفهومية، ووظيفته وقوته الاستيعابية داخل النّسق القرآني والحديثي.
- حجم المفهوم من حيث درجة الاتّساع أو الضيق، ومدى قوته الاستيعابية داخل النص المدروس.

أما بالنسبة للصفّات وهي الخاصّة بذات المصطلح فتبين على الشّكل الآتي:

- الصفّات المصنّفة: تحديد الوظيفة التي يؤديها المصطلح.
- الصفّات المبيّنة: وهي الخصائص التي تبين درجة الاتّساع أو الضيق، ومدى قوته وضعفه داخل النّسق المفهومي للمصطلح.
- الصفّات الحاكمة: الصفّات الحاكمة أو الحكمية التي تفيد حكمًا على المصطلح، واستخلاص ما تضيفه من إضافات جديدة عليه.

المبحث الأول:

خصائص التّركية

وهي المرحلة الثانية بعد التعريف، وتسهم هذه الخاصية في توسيع دائرة المفهوم من خلال أبعاده الدّلالية ومجالاته المتنوّعة، وسياقاته ومدارسته بجميع الصّيغ الاشتقاقية سواء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ويقتضي ذلك معرفة حجم وروده، وقيّمته الدّلالية المتنوعة من خلال القضايا المختلفة التي تثيرها.

1- على مستوى حجم الورود.

* من حيث حجم وروده، لم يشمل حيزاً كبيراً في القرآن الكريم مقارنة بمصطلحات أخرى، كالّتقوى والرّحمة والنّعمة والعدل وغيرها من المصطلحات، مما انعكس ذلك على حجم علاقاته بغيره من المصطلحات والضمائم وعلى القضايا المرتبطة به، أما في الحديث النبوي الشريف فقد تكرر ورود المصطلح بمشتقاته بما يزيد على مائة مرة بدون حساب الصيغ المكررة.

* موقع المصطلح داخل أسرته المفهومية، مصطلح التّركية له علاقة وطيدة مع مصطلحات قرآنية أساس، كالإحسان، والإيمان، والتّقوى، والرّحمة، والإيثار والعطاء أو البذل بل مع القرآن كلّّه؛ فهي وسيلة لمفاهيم أخرى، فإذا تزكّت النفس تحققت العبودية، ودفعتها إلى السّمو والاتجاه لتحقيق الفضائل وتقويم السّلوك، لبناء الشّخصية المسلمة الحقّة؛ إذ نجد كثيراً من الآيات تنص على مكارم الأخلاق وعلى القيم، وبذلك تحقق التّركية مقصداً عظيماً من مقاصد الوحي، فيصير الإنسان طيباً كريم الأخلاق وقويم السّلوك وسعيداً في دنياه وأخراه، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: 97]. وقد أشار سيد قطب (ت 1385هـ) رحمه الله في تفسيره إلى أن كلاً من "الجنسين الذّكر والأنثى متساويان في قاعدة العمل والجزاء وفي صلتهم بالله وفي جزائهما عند الله... وأن العمل الصّالح مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض، وفي هذه الحياة أشياء غير المال تطيب بها كالاتّصال بالله والثّقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه"¹.

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة السابعة عشر - 1412هـ، ج 4، ص:

فالإنسان مدعو للامتثال للمنهج القرآني في التربية، وتحقيق التزكية في كل الجوانب من حياته، في فكره وسلوكه وآدابه وفي عقيدته وعبادته ومعاملاته، وذلك بتخليه عن كل الصفات المذمومة التي قبحها الحق سبحانه مقابل التحلي بالصفات الحمودة، وكلما اكتسب هذه الفضائل نال شرف الاستخلاف ومرضاة الحق سبحانه، كما في قوله تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس: 62، 63].

من الناحية الدلالية لشكل ورود، فإن مصطلح التزكية جاء في صيغ متعددة، وتميز بتنوع اشتقاقاته الصرفية، كالأسماء المتمثلة في (المصدر، واسم الفاعل، والصفة، واسم التفضيل) والأفعال. ويدل تنوع صيغ ورود الفعلية بين الماضي والمضارع والأمر على أنه مصطلح حركي ومتجدد مع فعل الإنسان، يدل على الاستمرارية والدَّيمومة ومطلوب في كل وقت وحين كالنقوى والرحمة والبر والعفو... فالتزكية بالفعل محمودة كما في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس: 9]، وقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى: 14]. أما التزكية بالقول كتزكية الفرد لنفسه أو لغيره فمذمومة. وقد اقترنت بأداة النهي كما في قوله تعالى: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: 32]

أما ورود بصيغة الاسم معرفة ونكرة، فقد أفاد الدلالة على الثبات وطلب التكليف والامتثال، وقد جاء مسبوقاً في جل الآيات بفعل (الإقامة والإيتاء)، كما في قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: 43]، فوظف الأمر للطلب والطاعة والالتزام بالأوامر الإلهية، والتحذير من عدم الامتثال ونيل الغضب والخسران، فهو مقتضى عملي يظهر في الواقع، وينطبع على سلوك الإنسان.

وورد لفظ التزكية بضمير المخاطب المفرد مقروناً بضمير الجمع الغائب المذكر ومعطوفاً على معنى التطهير، وذلك في قوله تعالى: {تُطَهَّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ} [التوبة: 103]، ويجوز أن يكون العطف هنا بمعنى البيان كما يجوز أن يكون على معنى المغايرة، والمعنى الثاني أرجح، وإلى ذلك أشار الطاهر بن عاشور، حيث فرق بين التطهير والتزكية فقال: "فقوله: {تُطَهَّرُهُمْ} إشارة إلى مقام التخلية عن السيئات، وقوله: {وَتُزَكِّيهِمْ} إشارة إلى مقام التخلية بالفضائل والحسنات، ولا جرم أن التخلية مقدمة على التخلية، فالمعنى أن هذه الصِّدقة

كفارة لذنوبهم ومجلبة للثواب العظيم"¹، فتكون العلاقة هنا بين المعنيين علاقة تضمن فلا تزكية بدون تطهير.

2- على مستوى الدلالة المعجمية:

ترتبط الدلالة المعجمية للفظ "التزكية" بدلالته الاصطلاحية؛ فإذا كانت دلالته المعجمية تتضمن معنى التطهير والنماء، فإن هذين المعنيين يثويان بوضوح في دلالته الاصطلاحية، فالتزكية تطهير من السوء وترقية في الخير، قال سبحانه وتعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9، 10]، وبذلك تتحقق التزكية بالطهارة التي هي من المفاهيم الأساسية في الإسلام، وتضم الطهارة الحسية والمعنوية، طهارة القلب من الغل والحسد والغرور..... وطهارة النفس من الهوى والانحراف، وطهارة الفكر من العقائد الفاسدة، وطهارة الجسد من الأوساخ والأدران. فالتزكية تمثل جسر القيم، فكلما زكت النفس ارتقت في مدارج الصلاح، وبقدر ما تصيبها الشوائب تكون عرضة للفساد والضياع.

3- على المستوى الوظيفي: انطوى مصطلح التزكية على مفهوم عقدي تعبدي، ومقاصدي حضاري، فهو مفهوم عميق؛ ذو أبعاد دلالية مختلفة، تتمحور أساساً حول شخصية الإنسان، وتتمحور عملية التزكية حول تعريف الفرد بمسؤولياته تجاه خالقه، وأساسها عبادته. ويبرز ذلك من خلال المحافظة على الصلاة في وقتها، وأدائها بأركانها وبخشوع، فهي ميزان النفس المزكاة ومقياسها، وتعزز هذه التزكية بالإنفاق، وتطهير النفس من البخل والشح، وكذلك بالصوم وذلك بتعويد النفس على الصبر عن شهوتي البطن والفرج، وفي ذلك تربية لها على عدم الانصياع لرغباتها وعدم مطاوعتها في نزوعها إلى الشهوات، بل بعدم انغماسها في المباحات، وهو بذلك يقوي الإرادة والقدرة والمراقبة والصبر والعزيمة، ويحرر الفرد من سلطان شهواته، ويخلصه من قيود عاداته... وكذلك بأداء مناسك الحج، حيث يظهر التسليم والانقياد والامتثال والخضوع لله عز وجل في أسمى صورته. وعليه يمكن التمييز بين وظيفتين للتزكية:

● **وظيفة تربوية:** تتمحور حول بناء الشخصية الإنسانية على التفاعل الإيجابي، عن طريق التعاون والتكافل ونشر الخير؛ لتحقيق السلم والسلام والأمن والأمان داخل المجتمع وخارجه. ويمكن تسمية هذه الوظيفة بالوظيفة السلوكية، حيث تظهر من خلال المعاملة مع الآخر، وضبط السلوك والمحافظة على توازن الشخصية، وتدفق مشاعر الرحمة على اليتامى

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 11، ص: 23.

والفقراء والمساكين، والخشية في قراءة الآيات القرآنية بتدبرها، وتطبيق أوامره تعالى واجتناب حدوده، والإحسان بمراقبة الله في السر والعلانية، والتربية والمجاهدة والتخلي عن كل ما يخرم أدبها مع الله، وتحقيق الاستقامة والاستسلام لله تعالى في جميع الأمور؛ فموضوع التزكية يرتبط بالبناء الأخلاقي، وما يتعلق به من منطلقات السلوك القويم.

● **وظيفة دعوية إصلاحية**، يظهر ذلك في دعوة الأنبياء والرسل، وأدائها بالبيان والتبليغ والإيضاح: {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ} [الجمعة: 2] والدعوة إلى التزكية والتعليم، {وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [آل عمران: 164]، فهي خطاب دعوي إصلاحي، يطلب تطهير النفس وإصلاحها وترقيتها في الخير والإحسان، فوظيفة التزكية شاملة لكل المسلمين، تنطلق من الفرد لتشمل الجماعة في كل فعل، من صلاة وزكاة، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر. وهي تنمية شاملة للإنسانية جمعاء لتحقيق الصلاح والتقدم والفلاح والفوز برضوان الله في الدنيا والآخرة.

وهذا يؤدي إلى إصلاح المجتمع وسدّ باب الفساد من خلال ربط علاقات التعاون والتبادل وتحقيق المصلحة والمنفعة بين الناس، فضبط الشارع الحكيم ذلك من خلال أداء فريضة الزكاة والحدّ من الجرائم في المجتمع، فنجد كثيراً من الآيات تشير إلى أثر الإنفاق في تأليف القلوب، كما في قوله تعالى: {وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ} [الأنفال: 63]، ففي أداء الزكاة إحسان إلى الخلق، مما يغرس قيم التآلف والحبّة وتنمية الشعور النفسي بالتّرابط والتّلاحم، كما قال عليه الصلاة والسلام "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"¹.

● **وظيفة تعبديّة**: تحقّق التزكية العبودية لله ﷻ، وهذا المقصد يعد من أعظم المقاصد، ويكون التّعبّد لله عز وجل بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، قال تعالى: {وَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: 43]، فهي عبادة فرضها الله تعالى على عباده، وأمرهم بأدائها وإعطائها لمستحقيها، وامتثال المؤمن بإخراجها هو غاية العبودية والطّاعة لله تعالى، كما في قوله عز وجل: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} [البينة: 5].

¹ - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المسلمين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم 2586.

قوّته الاستيعابية: بقدر ما يكثره المصطلح من إشكالات وقضايا علمية، تتسع قدرته الاستيعابية، وهذا يظهر واضحاً في مصطلح "التزكية"، فمشروع الزكاة مقصد من مقاصد التزكية، وهي صفة من صفات المؤمنين، الذين يعمرّون مساجد الله، قال تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [التوبة: 18].

وخلاصة هذه الوظائف المتعددة لمفهوم التزكية أنها تؤسّس لمبادئ وغايات أساسية تنطلق من مقصد العبادة والاستخلاف في الأرض لتحقيق مقصداً عمرانياً حضارياً مبنياً على قيم راقية لإصلاح النفس والأسرة والمجتمع. وبقدر ما يتحقّق الانسجام التّفسي داخل الواقع انطلاقاً من رؤية شرعية كونية يرقى مفهوم التزكية إلى درجة الإحسان والشّعور بالأمن والطمأنينة داخل الفرد، فإذا انسحب الأمر على جميع الأفراد لا جرم كان في ذلك سعادة المجتمع كلّه وفلاحه في الدارين.

والتزكية تحثُّ على مبدأ العطاء والتعاون والإخاء والرحمة والشفقة، كما جاء في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ} [المؤمنون: 4]، إذ مثلت مقصداً من مقاصد حفظ المال، وغاية عظمت لصيانة النفس وحمايتها من الترف والفساد والانحراف؛ فهي طاعة لله عزّ وجلّ لإقامة حياة اقتصادية مبنية على نظام إسلامي يحقق أرقى مظاهر العدالة الاجتماعية. وكل ما شرع في مجال الزكاة فهو من أجل قضاء مصالح الناس وجلب الخير والمنفعة والصّلاح لهم، ودفع السوء عنهم، وحلّ مشكلاتهم الاجتماعية والاقتصادية، ووسيلة لتحقيق التكافل الاجتماعي والأمن والسّلم داخل كيان الفرد وخارجه.

وبين الحق سبحانه أثر الزكاة في تحقيق الأخوة الإيمانية والترابط بالدين، كما في قوله تعالى: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَتُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [التوبة: 11].

وربط سبحانه وتعالى الزكاة بالبر، كما في قوله: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ} [البقرة: 177]، فيتحقّق البر من خلال إيتاء الزكاة، وأداؤها من أسباب النصر من الله عز وجل لعباده وتمكينهم في الأرض، كما في قوله تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ} [الحج: 40، 41]. وأثنى سبحانه وتعالى على من يقوم بأمر هداية الناس، كما

في قوله تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} [الأنبياء: 73].

ولها أثر في الاعتصام بالله، وذلك واضح في قوله تعالى: {فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} [الحج: 78]، حيث جاء الخطاب بصيغة الجمع (اعتصموا)، أي: "اجعلوا الله ملجأكم ومنجأكم"¹؛ للدلالة على منافع الزكاة وأثرها على الفرد؛ إذ تعد من الأسباب المؤدية إلى الاعتصام بالله سبحانه، وما ينجم عنه من التآزر والتلاحم، فقد جعل الله سبحانه وتعالى أولى القربى من ضمن الأصناف الثمانية الذين تصرف لهم الزكاة، وليس خفياً أن أول مظاهر الالتحام المجتمعي تبدأ من الأسرة والعائلة. وجعل الحق سبحانه الامتناع عن أداء الزكاة موجباً للعذاب الأخروي، كما في قوله تعالى: {وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [فصلت: 6]، [7].

واعتبرت الزكاة من أعظم أسباب رحمة الله تعالى لعباده المؤمنين، كما في قوله تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 156]، وقوله عز وجل: {وَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النور: 56]، فمن خلالها يتراحم الناس في ما بينهم، ويتعاطفون، ويحس بعضهم بحاجة بعض.

وتعتبر الزكاة مؤشراً من المؤشرات الدالة على المجتمع المسلم السليم المتآزر، قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ} [التوبة: 71]. وبين الحق سبحانه أن من صفات المؤمنين أن في أموالهم حقاً للسائل والمحروم، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25)} [المعارج: 19 - 25]، فأخراجها دليل على سلامة النفس من الجزع من المكاره، وخلوها من نقيصة الحرص والشح والبخل.

¹ - ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج 17، ص: 352.

ويظهر فضل الزكاة ونماؤها وحلول بركتها من خلال قوله تعالى: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ} [الروم: 39]، وقوله تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ} [البقرة: 276]، وقوله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبا: 39]، وقوله ﷺ: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ"¹.

وذم الله تعالى المفرطين في حق الزكاة قهاوناً من أنفسهم، كما ذم المشركين التاركين لها، وذلك في قوله تعالى: {وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [فصلت: 6، 7]، وتوعد بالعذاب الأليم الذي لا يحض على طعام المسكين، كما في قوله تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34)} [الحاقة: 30 - 34]. وشدد أبو بكر الصديق رضي الله عنه على من منعها بقوله: "وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا² كَانُوا يُؤْذُونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ"³.

فمفهوم التزكية في منظور القرآن الكريم والسنة النبوية يرتبط بمفاهيم متعددة، ويحمل دلالات مختلفة، تتجدد عبر الزمان والمكان، وتحت على التربية الذاتية للفرد وعلى تطهير المجتمع انطلاقاً من المنظور القرآني الذي يربي القلوب على التوحيد والمراقبة لله تعالى والتدبر في آياته وتدريب العقل على التفكير في الأنفس والآفاق.

إن فعل (التزكية) مطلوب في كل زمان وقد جاء مصرفاً في جميع الأزمنة في السياقات القرآنية، مما يؤكد على ضرورة القيام بفعل التزكية واستمراريتها مع حياة الإنسان، كما حمل أبعاداً أخلاقية واجتماعية وحضارية تدل على قوة المفهوم حيث يندرج ضمن دائرة القواعد الكبرى، فشملت التزكية فريضة الزكاة لتطهير النفوس البشرية من الشح والبخل وتهذيب السلوك الإنساني، قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}

¹ - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب: استحباب العفو والتواضع، رقم 2588.

² - وفي رواية: "وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا"، ومعنى (عنا) هو الحبل الذي تشد به يد البعير مع ذراعه حتى لا يشرد. (وعناقاً) العناق: الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم لها سنة. صحيح البخاري شرح (تعليق مصطفى البغا 6/2657) ج 9 ص 93.

³ - صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة رقم 1400، ورقم 1456 ورقم 6925، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم 20.

[التوبة: 103]؛ فلم يغفل القرآن الكريم والسنة النبوية هذا الجانب. فبالزكاة تتخلص النفس من أدرانها، كالأنانية والكبر وحب الذات والتعالي على الفقراء.... وتستبدل ذلك بقيم التآزر والتضامن والإحساس بالآخرين والشعور بروح الانتماء الاجتماعي لدى العبد المزكى. فهي تنمية للمال وتركبة للنفس وسمو بها عن الشهوات، وهي مهمة الأنبياء والرسل قال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: 164].

وبذلك تتقاطع مع أبرز سمات التشريع الإسلامي المتجلية في ما يلي:

- تحقيق العبودية المطلقة لله تعالى: فالزكاة عبادة فرضها الله على عباده، وفي إخراجها امتثال لله تعالى واستسلام له باتّباع أوامره واجتناب نواهيه، قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} [البينة: 5].

- القيام بمهمة الاستخلاف، فمن مقاصد الزكاة حفظ النفس وحفظ المال للإصلاح في الأرض وعدم الإفساد فيها، قال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: 56]، ومن نتائج ذلك توفير الأمن المجتمعي والاستقرار النفسي من خلال سدّ حاجات الفقراء والمساكين.

- إخراج الزكاة طاعة لله ومرضاة له وتطهير للنفس من الآفات والرذائل، وتساهم في بناء الحياة الاقتصادية على منهج قائم على الإنتاج ومحاربة الكساد، أما كثر المال واحتكاره في يد فئة غنية وإهمال باقي الفقراء فإنه يؤدي إلى أضرار كثيرة منها توقيف الإنتاج وتكدس الثروات في يد فئة دون أخرى، فينتج عن ذلك الترف وحب السيطرة والظهور والفساد، وكل هذا الشر تحول دونه الزكاة ويحول دونه منهج الله في توزيع المال وفي دورة الاقتصاد¹.

وبذلك شرعت الزكاة للفقراء والمحتاجين لسدّ الخصاص وتحقيق التوازن؛ فلا فرق بين غني وفقير ولا أسود وأبيض إلا بالتقوى، فمشكلات الفقر والبطالة تعالج بمنظور شرعي مبني على أسس ومقومات تنبثق من الواقع الإنساني، ومن أصول مرجعية أسسها من القرآن الكريم والسنة النبوية، ويبقى الدور على العلماء في مسائل الاجتهاد وتزليل الأحكام على

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 2، ص: 858.

الواقع، والإشارة إلى حاجة الأمة لسدّ العوز، واستغلالها للأموال في المصلحة العامّة في كل الميادين.

المبحث الثاني: صفات التزكية

الصفات التي يراد تناولها في هذا المبحث هي الصفات الحاكمة أو الحكمية، وهي الصفات التي تضيف حكماً على المصطلح، وألصقت به على سبيل المدح أو الذم. والهدف من ذلك هو تحليل هذه الصفات وبيان طبيعتها واستخلاص ما تضيفه إلى دلالة المصطلح من الإشارات.

وسينم تناول المفهوم بإطاره العام من خلال مشتقات مصطلح التزكية، كالفعل (يُزَكِّيهِمْ)، وهو مضمون دعوة الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله عز وجل إلى العباد لتخليصهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى العدل والإحسان، ومن برائن الشرك والكفر وظلامهما إلى نور التوحيد. فقد مثلت التزكية المقصد الأسمى الذي بعث من أجله الأنبياء والرسل، وتشترك جميع الرسالات السماوية في مقاصدها، وفي الدعوة إلى التوجيه والإرشاد والنصح والبيان، وإلى تعلّم الكتاب والحكمة، والهداية ونشر الطمأنينة والسلام، وتهذيب النفوس من أجل تقوية هذا الجانب الديني والروحي في الإنسان، يقول ابن القيم: "إن تزكية النفوس مسلّم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة وتعليماً وبياناً وإرشاداً... وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكّى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة التي لم يجئ بها الرسل، فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه"¹.

أولاً: صفة الرسول

- ورود المصطلح صفة للرسول

1- ورد ذلك في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الجمعة: 2]. وهذه الآية ترسم منهاجاً في تربية الأمة، تتكامل مكوناتها في رسم صورته، وتحديد خصائصه، ومنها الركن الأول: وهو تلاوة الآيات، ويتضمن ذلك محو الأمية، والارتفاع إلى مستوى التكريم الإلهي بتلاوة آيات القرآن الكريم والانتفاع بما فيها. والركن الثاني: التزكية، وتشمل خصائص الطهر والبركة والتنمية وصفاتها. والركن الثالث: هو تعليم الكتاب بما فيه

¹ - ابن القيم، مدارج السالكين، ج2، ص: 315.

من علم وهدى. أمّا الركن الرابع: فهو تعليم الحكمة، أي تعليم مادة الكتاب وثمره تعليمه، وهي الإصابة في القول والفعل والعمل¹.

وعطفت التزكية على البعثة مع التأكيد على المقاصد الأربعة: التلاوة والتزكية والتعليم والحكمة، من إرسال الرسول إلى قوم انتشرت فيهم عبادة الأصنام وكل الفواحش، وقد خصّه سبحانه وتعالى بالأمّي حتى لا يكون هناك طعن في نبوته، لقوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} [العنكبوت: 48]، وجاءت الآية في سياق إرسال الله رسوله إلى الأمة الأمّية، "ليجعلهم طاهرين من خبائث العقائد والأعمال، ويعلمهم الشرائع والأمور العقلية التي تكمل النفوس وتهذبها"².

2- وورد في قوله تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 151]. ففي هذه الآية خطاب تربوي لعموم الأمة بتطهيرها وتزكيتها، فجاءت الصيغة في الآية الكريمة بالتلاوة كما في قوله تعالى: {يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا} وتبيان "صفة {رَسُولًا}، وفيه إشارة إلى طريق إثبات نبوته عليه الصّلاة والسّلام؛ لأن تلاوة الأمّي الآيات الخارجة عن طوق البشر باعتبار بلاغتها واشتمالها على الإخبار بالمغيبات والمصالح التي ينتظم بها أمر المعاش والمعاد أقوى دليل على نبوته. وقوله: {وَيُزَكِّيكُمْ} أي يطهركم من الشرك وهي صفة أخرى للرّسول، أتى بها عقب التلاوة؛ لأن التّطهر عن ذلك ناشئ عن إظهار المعجزة لمن أراد الله تعالى: {وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} صفة إثر صفة، وأُخِّرَتْ؛ لأن تعليم الكتاب وتفهم ما انطوى عليه من الحكمة الإلهية والأسرار الربّانية إنّما يكون بعد التّخلي عن دنس الشكّ بالاتباع³.

3- وورد في قوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: 164]. وقد تمّ الابتداء في الآية السابقة بالبعثة لعموم الأمر، بينما نجد السيّاق في

¹ - فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا، ص: 88.

² - أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، (1365هـ - 1946م)، ج 28، ص: 95.

³ - الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ، ج 1، ص: 417.

هذه الآية ابتداءً بالمنة، منة الله على المؤمنين وتخصيصهم بذلك الامتنان دون غيرهم، لاتباعهم منهج التعليم، وسعيهم إلى العمل الصالح. وتزكية الله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام جاءت في مواضع من القرآن الكريم، فوصفه بالرحمة واللين في قوله تعالى: {فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَكَوْ كُنْتَ فظاً غليظاً القلبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159] ، وزكاه في مقام آخر بقوله {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 128]، ومدحه بالخلق الحسن والفضل الجميل، فخاطبه الحق سبحانه بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4].

4- وورد ذلك أيضاً في قوله تعالى: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [البقرة: 128، 129]. حيث ابتدأت الآية بدعاء سيدنا إبراهيم وإسماعيل بإلحاح على الله تعالى بدوام نعمة الإسلام، وطلب التوبة، واستمرار الرسالة، فلا تنقطع الخلائق عن عبادة الله تعالى، وهذا من عظيم التزكية؛ وجاءت معطوفة على البعثة، استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام، وأن يتصف هذا الرسول بصفات التلاوة والتعليم والحكمة، وبذلك كانت علاقة التزكية ببعثة الرسل قوية جداً، من خلالها وصلت الرسائل التربوية إلى الناس؛ فجاءت التلاوة مقرونة بالبعثة للقضاء على الجهل والأمية ونشر العلم والمعرفة وتتميم مكارم الأخلاق.

وكل هذه الآيات ترسم منهاجاً في تربية الأمة، تتكامل مكوناتها في رسم صورته الحضارية، وتحديد خصائصه وأركانه، ومنها:

الركن الأول: هو تلاوة الآيات، ويتضمن ذلك محو الأمية، والارتفاع إلى مستوى التكريم الإلهي بتلاوة آيات القرآن الكريم والانتفاع بما فيها، و"يفيد أن أول مرتبة من تعلم وتعليم القرآن هي التلاوة، فهي تبليغ مادي وسيلته اللسان... فالتالي للكتاب ينبغي أن يفهم القرآن ويتدبره ويعمل به ليصل إلى مرحلة التخلق به (التزكية)"¹؛ فالتلاوة لها تأثير بالغ على المستمع، وقد طلب الرسول عليه الصلاة والسلام من أحد الصحابة أن يتلو عليه القرآن، فعن عبد الله بن مسعود قال: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: اقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُزِل؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ

¹ - جملة بوزيان، "قراءة في مفهوم التزكية" مرجع سابق، ص: 313.

{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء: 41] ، قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ»، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ¹.

والركن الثاني: التَّزْكِيَّةُ، وتشمل خصائص الطَّهر والبركة والتَّنْمِيَّةُ، لما لها من دور كبير في تشكيل شخصية المسلم، فكان أطول قسم في القرآن الكريم يتعلق بتزكية النفس؛ إذ التقوى الإيمانية تورث راحة نفسية وهي سبب الفلاح والنجاح والاطمئنان والأمان.

والركن الثالث: هو تعليم الكتاب بما فيه من علم وهدى، فتعليم الكتاب والحكمة لا يكتفيان في إصلاح الفرد والمجتمع، بل لابد أن يقترن التعليم بالتَّزْكِيَّةُ من خلال التربية على الفضائل وتطهير النَّفْسِ من الأخلاق الذميمة وحثها على الفعل الحسن.

أما الركن الرابع: فهو تعليم الحكمة، أي تعليم مادَّة الكتاب. و"ثمرة تعليمه الإصابة في القول والفعل والعمل، واكتساب ملكة البصر بالأمور، ووضعها في نصابها، ووزنها بموازينها، وإدراك أسبابها وغاياتها"².

ومن خلال الآيات السابقة يتبيَّن لنا أن التَّزْكِيَّةُ مرتبطة بقيم التَّلاوة والتعليم والحكمة، هذا الأسلوب يعد من وجوه الإعجاز القرآني من خلال تكرار التَّزْكِيَّةُ ضمن رباعية مقاصدية تنطلق من التَّلاوة لتصل إلى تعليم الحكمة ومن خلال هذا الاقتراح نلاحظ الآتي:

-تقديم التَّزْكِيَّةُ على التعليم في موضع، وتأخيرها عنه في سياق آخر، وهذا ما يظهر لنا من خلال التَّرتيب أن التَّلاوة في المرتبة الأولى، والصفَّات الأخرى من التعليم للكتاب والحكمة والتَّزْكِيَّةُ بعدها، وهذا يفيد أن القرآن قول وعمل بعد تلاوته باللسان، يفهم ويتدبر ويعمل به حتى تصير النَّفْسُ مَزَكَّاةً، وتظهر ثمراته في بناء الذات وتكوين المجتمع على القيم النبيلة للراقي به.

- تقديم التَّزْكِيَّةُ على التعليم، ويدل ذلك على أن بينهما علاقة تلازم وتداخل، فلا تزكية بدون تعليم، والعكس كذلك.

¹ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ حسبك، رقم: (5050 و5055)، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من الحافظ للاستماع رقم: 800.

² - فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا، ص: 88.

- تقديم التعليم على التزكية، كما جاء في دعوة إبراهيم عليه السلام؛ إذ يكون التعلم أولاً، ثم تكون التزكية ثمرته، وهذا يبين لنا وظيفة الأنبياء والرسل، وهي هداية الناس وإرشادهم إلى طريق الصلاح.

- قدمت التزكية تارة وأخرت أخرى "لأنها علة غائية لتعليم (الكتاب والحكمة)، وهي مقدمة في القصد والتصور، مؤخرة في الوجود والعمل، فقدّمت وأخرت رعاية لكل منهما"¹. ويمكن القول: إن التزكية هي المقصد الأسمى الذي من أجله بعث الأنبياء والرسل، وتشترك جميع الرسائل السماوية في مقاصدها، ومنها التوجيه، والإرشاد، والنصح والبيان، والحث على تزكية النفوس، وتطهيرها من الشرك والضلال، والتعليم للكتاب والحكمة، والتوحيد والهداية ونشر الطمأنينة والسلام، وتهذيب النفوس... من أجل تقوية هذا الجانب الديني والروحي الذي خلق عليه الإنسان. "إن تزكية النفوس مسلم إلى الرسل وإثما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة وتعليماً وبياناً وإرشاداً... وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشدّ، فمن زكّى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة التي لم يجئ بها الرسل فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه"².

وبهذه الصفات تبين لنا دور الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله واختارهم دون باقي البشر، وقد تم ذكر صفاتهم في كثير من الآيات؛ حيث وصف لوط بالعلم والحكمة والصلاح، ووصف إسماعيل بصدق الوعد والطاعة والامتثال والرضا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ذُكِّرُوا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يُأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: 54، 55].

وفي آية أخرى زكّى سبحانه إسماعيل وإدريس وذا الكفل، ووصفهم بالصبر والصلاح في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: 85، 86]. وزكّى إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل واليسع في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ذُكِّرُوا عَبْدًا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَى الدَّارِ (46) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (47) وَإِذْ ذُكِّرُوا إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: 45 - 48].

¹ - الألوسي، روح المعاني، ج 2، ص: 151.

² - ابن القيم، مدارج السالكين، ج 2، ص: 315.

وخاطب الله تعالى محمداً عليه الصلوة والسلام بقوله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} [المائدة: 41]، وأعطاه علماً لا يدانيه فيه أحد من البشر حيث قال سبحانه: {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء: 113]... وغير ذلك من الأنبياء الذين زكاهم الله. فبعثة الرسل كما جاء في الآيات الكريمة منة من الله تعالى على البشرية جمعاء، فهناك من اصطفاه إلى أقوام خاصة كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران: 33] ، والرسل عليه ﷺ جاءت رسالته خالدة، وأرسل للناس عامة، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذَنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} [الأحزاب: 45، 46] فشملت رسالته خطاباً تربوياً عاماً للأمم جمعاء بطلب تطهيرها وإصلاحها.

ثانياً: ورود المصطلح صفة للغلام {غُلَامًا زَكِيًّا}:

وذلك في قوله تعالى: {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} [مريم: 19]. وجاءت الآية في سياق جواب الملك لدفع الخوف عن مريم عليها السلام حينما تعوذت بالله منه، وذلك لبيان أنه مرسل من عند رب العالمين، يقول عز وجل: {إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} [مريم: 18] ، وبيان حملها معجزة بولادة عيسى عليه السلام بدون أب، والضمير كان عائداً إلى الوهب المأخوذ من قوله: {لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا}، هذا قطع للمراجعة وإنباء بأن التخليق قد حصل في رحمها¹.

والهبة منة وعطية من الله، كما جاء في سورة آل عمران {رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} [آل عمران: 38]، وجاءت لفظة {زَكِيًّا} نكرة بصيغة المبالغة صفة للغلام الذي وصفه الله بصفة الطهارة والتقوى، دلالة على الخير والصلاح، ويفيد أيضاً عدم تحديد العطاء والمن الإلهي وحصرهما، يقول تعالى: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} [مريم: 30 - 33].

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 17، ص: 83.

خلاصة الفصل الثاني:

تم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين، مبحث أول: يضم خصائص التزكية، ويقتضي ذلك معرفة حجم وروده في المتن المدروس، وموقعه داخل أسرته المفهومية وقيمه الدلالية المتنوعة باعتبار سياقات وروده. وفي هذا الإطار رأينا أن المصطلح لم يشكل حيزاً كبيراً داخل المنظومة القرآنية، لكن له دلالة قوية؛ لارتباطه بالجانب السلوكي في تقوية الذات الإنسانية، فالقرآن الكريم يشمل العبادات والمعاملات، ولا شك أن التربية القرآنية هي أعلى تربية للنفس البشرية، وكل من عمل على تطهير نفسه، وتقويتها بالإيمان والعمل الصالح وصل إلى أعلى درجات اليقين. فاتباع القرآن من خلال المنهج النبوي هو نور وهداية، يقول تعالى {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} [المائدة: 15].

فمن الناحية الدلالية لشكل الورد، رأينا تنوع اشتقاقات المصطلح الصرفية، من أسماء وأفعال. ويدل استعماله مع أزمنة مختلفة بين الماضي والمضارع والأمر على أنه مصطلح متجدد تتفاعل معه الذات الإنسانية .

وعلى مستوى الدلالة المعجمية، فإنه من الناحية اللغوية والاصطلاحية يتبين لنا أن مصطلح التزكية عرف تنوعاً في مفاهيمه وامتداداته، ويبرهن ذلك على قوته الاصطلاحية، ومدى اتساع مداه، فهذا المصطلح، يحمل في دلالاته اللغوية معنى التطهير والنماء، وهذا المعنى وارد في دلالاته الاصطلاحية فهو التطهير من السوء والترقية في الخير.

وعلى المستوى الوظيفي: فهذا المصطلح عدة وظائف، وظيفة تربوية، ووظيفة سلوكية، ووظيفة دعوية إصلاحية، وكلها تهتم بالجانب الإصلاحي للنفس، بحفظها وصيانتها وتطهيرها ومجاهدتها للسير بها نحو الفلاح ونيل رضوان الله تعالى.

وعلى مستوى قدرة المصطلح الاستيعابية فقد رأينا في هذه الدراسة اتساع هذه القدرة، بما يتضمنه من قضايا وإشكالات، تبين لنا على أنه مقصد من مقاصد القرآن الكريم والحديث الشريف، ورمز العطاء والإنفاق والتعاون والإخاء بين الناس.

أما المبحث الثاني فتم التطرق فيه إلى صفات المصطلح، وذلك في مطلبين، رأينا في الأول منهما أن التزكية من مهات الأنبياء والرسل، وفي هذا الإطار بينا علاقة هذا المفهوم بالتلاوة وتعليم الكتاب والحكمة. أما في المطلب الثاني فقد تناولنا بالتحليل لفظ "زكياً" الذي جاء وصفاً لـ "علماً" والإضافات الدلالية التي اكتسبها المصطلح في هذا السياق.

الفصل الثالث

علاقات التزكية في القرآن الكريم والحديث

المبحث الأول: علاقة التعاطف

المبحث الثاني: علاقة التداخل والتكامل

المبحث الثالث: علاقة التضاد

الفصل الثالث:

علاقات التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف

قبل الخوض في دراسة امتدادات المصطلح عبر القضايا، لا بد من الوقوف أولاً عند البحث عن علاقات المصطلح مع أسرته المفهومية داخل المتن المدروس، وتبيان نوع الفروقات والترابطات بينه وبين غيره من المفاهيم، كالطّهارة والهدى والفلاح والصّلاح والتّقوى والتّدسية... وكل هذه المصطلحات تدل على قوّة دلالة المصطلحات القرآنية والحديثية التي امتازت بخصائص ومميزات منها صلاحيتها في كل وقت وزمان. وقد ارتبط هذا المصطلح بالعقيدة الإسلامية وبمفهوم الدّعوة إلى الله من خلال رسالة الأنبياء والرّسل، فعلاقة التّداخل والتّكامل تدل على تثبيت المفهوم وارتباطه بالمجال السلوكي العقدي من حيث خصائصه وصفاته، وارتباطه بمبادئ الدّين الكبرى (الإسلام والإيمان والإحسان)، وعلاقة التّضاد والتّفي تدل على رفضه للسلوك المنحرف عن المجال الديني.

ولذلك سنحاول استقراء موارد هذه العلاقات بين هذا المصطلح وغيره، ومعرفة أوجه الائتلاف والترابط، وحدود الاختلاف والتّضاد بين المصطلح المدروس وغيره من المصطلحات، مما يسهم في إيضاح مفهوم المصطلح وبيان كيفية عمله داخل نسقه المفاهيمي. ولأجل ذلك سنقسم هذا البحث كما يلي:

1-علاقة تعاطف: وهو عنوان المبحث الأول، ويتضمن مشتقات التّزكية وعلاقتها بالمصطلحات الأخرى ك"الطّهارة" و"الهداية".

2-علاقة تداخل وتكامل: وهو عنوان المبحث الثاني ويشمل علاقة التّزكية بـ"التّقوى" و"الرّحمة" و"الفلاح".

3-علاقة التّضاد: وهو عنوان المبحث الثالث: ويتضمن علاقة التّزكية بـ"التّدسية".

المبحث الأول: علاقات التعاطف

المطلب الأول: التزكية والطهارة

أ. مورد العلاقة :

ورد ذلك في قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: 103].

ب- تعريف الطهارة في اللغة والشرع:

وردت مادة (طهر) في المعاجم اللغوية بمعنى النقاء وزوال الدّنس. ومن ذلك: "الطّهر: خلاف الدّنس. والتّطهر: التّزّه من الدّم وكل قبيح"¹. وجاء في مختار الصحاح "طَهَرَ الشَّيْءُ بَفَتْحِ الْهَاءِ وَضَمِّهَا يَطْهَرُ بِالضَّمِّ طَهَارَةً فِيهِمَا. وَالاسْمُ (الطَّهَرُ) بِالضَّمِّ. وَ(طَهَّرَهُ تَطْهِيراً) وَ(تَطَهَّرَ) بِالْمَاءِ وَهُمْ قَوْمٌ يَتَطَهَّرُونَ أَي يَتَنَزَّهُونَ مِنَ الْأَدْنَسِ"². و"الطّهاره في الشّرع: عبارة عن غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة، فالطّهاره ضربان: طهارة جسم وطهارة نفس، وحمل عليهما عامة الآيات، يُقال: طَهَّرْتُهُ فَطَهَرَ وَتَطَهَّرَ وَاطَّهَرَ، فهو طَاهِرٌ وَمُتَطَهَّرٌ"³. وأشار الغزالي إلى أن الطّهاره تشمل الظّاهر والباطن بقوله: "فأما الباطن فطهارة القلب من كل شيء سوى الله تعالى، فإذا وجدت من القلب هذه الطّهاره الصّافية الكاملة صار القلب محلاً للفيض الرّباني والعلوم الدّينية. أما طهارة الظّاهر فبالوضوء والتّيمم"⁴.

فالتّعريف اللغوي يتقارب مع التّعريف الاصطلاحي باعتبار أن الطّهاره شاملة للجانبين المادي والمعنوي، فطهارة البدن بالماء من وضوء وغسل، وطهارة النّفس متخلية في طهارة القلب من الأدّران والأوساخ أي من الآفات القلبية من كل ذميم. ومنه جاء في التّعريف أن التّطهر هو التّزّه من الدّم ومن كل قبيح وهي أساس التّزكية، أي التّخلية للوصول

1- ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (طهر)، ص: 539.

2- الرازي، مختار الصحاح، مادة (ط ه ر)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م، ج1، ص193.

3- الراغب، المفردات، مادة(طهر) ص: 25، بتصرف.

4- الغزالي، مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الفكر - بيروت، (1421هـ-2000م)، ص: 477.

إلى التحلية.

أ.النظم اللغوي في قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: 103]

جاء الفعل {خُذْ} بصيغة الأمر، وضمير {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ} يعود على جميع الناس، وهو عمومٌ يراد به الخصوص، واتصال الضمير "هم" بالفعل المضارع دليل على أن التزكية مستمرة ودائمة في كل وقت وحين، وحرف "من" يفيد التبعية، ويفيد تخصيص جزء من المال بالصدقة، وليس كل المال، ولفظ {وَتُزَكِّيهِمْ} في هذه الآية دعوة إلى تطهير المال وتزكيته لحصول البركة والتماء، وابتغاء وجه الله، فلا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وطاهراً من جميع الشبهات.

والخطاب موجه إلى الرسول ﷺ {خُذْ} أي "خذ أيها الرسول مِنْ أَمْوَالِ مَنْ ذَكَرَ وَمِنْ سَائِرِ أَمْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، وَمِنْهَا مَالُ التَّجَارَةِ {صَدَقَةً} مُعَيَّنَةً كَالزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ، أَوْ غَيْرِ مُعَيَّنَةٍ، وَهِيَ التَّطَوُّعُ، وَقَوْلُهُ {تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}، أَيِ تَطْهَرُهُمْ بِهَا مِنْ دَنَسِ الْبَخْلِ، وَالطَّمَعِ وَالِدَّنَاءَةِ، وَالْقَسْوَةِ عَلَى الْفُقَرَاءِ الْبَائِسِينَ، وَمَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنَ الرَّدَائِلِ، وَتُزَكِّي أَنْفُسَهُمْ بِهَا، أَيِ تُنَمِّيْهَا وَتَرْفَعُهَا بِالْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ الْخَلْقِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ حَتَّى تَكُونَ بِهَا أَهْلًا لِلسَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ، فَالْمَطْهَرُ هُنَا الرَّسُولُ، وَالْمَطْهَرُ بِهِ الصَّدَقَةُ، وَالتَّزْكِيَةُ صِيغَةُ الْمُبَالَغَةِ مِنَ الزَّكَاةِ"⁽¹⁾.

وقوله: {تُطَهِّرُهُمْ} إشارة إلى مقام التحلية عن السيئات، وقوله: {وَتُزَكِّيهِمْ} إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات، ولا جرم أن التحلية مقدمة على التحلية، فالعنى أن هذه الصدقة كفارة لذنوبهم، ومجلبة للثواب العظيم"⁽²⁾.

ج. بيان مورد التعالق بين الطهارة والتزكية في الآية:

جاءت التزكية معطوفة على الطهارة، والمقصود بالطهارة في الآية الطهارة القلبية، فصلاح الفرد مرتبط بصلاح قلبه واستقامته، فالقلب الطاهر -لكمال حياته ونوره، وتخلصه من الأدران والخبائث- لا يشبع من القرآن، ولا يتغذى إلا بحقائقه، ولا يتداوى إلا بأدويته،

1- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج11، ص: 20.

2- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج11، ص: 23.

بخلاف القلب الذي لم يطهره الله تعالى، فإنه يتغذى من الأغذية التي تناسبه، بحسب ما فيه من النجاسة، فإن القلب النجس كالبدن العليل المريض، لا تلائمه الأغذية التي تلائم الصحيح⁽¹⁾.
 فعلاقة الطهارة بالتزكية علاقة مترابطة، وذلك لأهمية الطهارة حيث اعتبرت شرطاً من شروط صحة الصلاة، وقد يتخلف شرط الطهارة لذوي الأعذار فيقتصر على التيمم، بينما الطهارة الباطنة تبقى مستمرة طول الزمن وفي تجدد بسبب ما يعرض له من الذنوب والغفلة، ويكون تطهير القلب بالتوبة والاستغفار والإنابة، فلا قيمة للطاعة ولا معنى للعبادة إلا بالتزكية وتطهير القلب، قال عليه الصلاة والسلام: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»⁽²⁾.

فالطهارة الحسية في الآيات القرآنية ترتبط بالوضوء والغسل، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: 6]. وقال سبحانه: {وَيَا بَنِي إِسْرَءِيلَ فَطَهَّرُوا} [المائدة: 4]. قال الواحدي: اختلف المفسرون في معناه، فروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "يعني من الإثم ومما كانت الجاهلية تميزه. وهذا قول قتادة ومجاهد، قالوا: "نفسك فطهرها من الذنب". وقال عكرمة: "لا تلبس ثوبك على معصية، ولا على فجرة". واحتج بقول الشاعر:

وَأَنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا ثُوبَ غَادِرٍ لَبِسْتُ وَلَا مِنْ خَزْيَةٍ أَتَقَنَعُ

فوصف الصالح بطاهر الثياب والغادر والفاجر بدنس الثوب. وذهب بعضهم في تفسير هذه الآية إلى ظاهرها، وقال إنه أمر بتطهير ثيابه من النجاسات التي لا تجوز معها الصلاة، وهو قول ابن سيرين وابن زيد⁽³⁾.

ولا مانع من أن يكون المقصود المعنيان معاً، وذلك تمام الطهارة، فإن الإنسان جسد

1- ابن القيم، إغاثة اللهفان، ص: 57.

2- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، رقم 52.

3- ابن القيم، إغاثة اللهفان، ص: (55-56).

وروح، ومطلوب منه أن يطهرهما معاً، وقد قيل: "التَّطَاة من الإيمان"، وهذا تدل عليه المشاهدة، فإن المسلم إذا قوي إيمانه حرص على أداء شعائر الله من صلاة وصيام، وقد قال سبحانه: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: 31]، وحث النبي ﷺ على ذلك في كثير من أحاديثه، فيلزم عن ذلك أن يكون طاهر البدن والثوب في كل حين. فالله سبحانه بحكمته جعل الدخول عليه موقوفاً على الطهارة بمعنييها الحسي والمعنوي، فلا يدخل المصلي عليه حتى يتطهر؛ ولا تقبل صلاة من غير خشوع، وهو أمر لا مكان له في قلب امتلاً حقداً وغلاً وحسداً ورياءً... "فطهارة القلب بالتوبة، وطهارة البدن بالماء، فلما اجتمع له الطهران صلح الدخول على الله تعالى، والوقوف بين يديه ومناجاته"⁽¹⁾. وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوفاً على الطيب والطهارة، فلا يدخلها إلا طيب طاهر، فهما طهارتان: طهارة البدن، وطهارة القلب، ولهذا شرع للمتوضئ أن يقول عقيب وضوئه: "أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ"⁽²⁾.

وبذلك كانت علاقة الظاهر والباطن علاقة وطيدة تتفاعل مع الذات الإنسانية لتستجيب لأمر الله تعالى باتباع الأوامر كالوضوء والغسل وعدم اقتصارها على الجانب الحسي فقط، بل تتم ذلك بطهارة الجانب المعنوي، قال تعالى: {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} [التوبة: 108]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 222].

فالتوبة ملازمة للطهارة، والطهارة معطوفة على التوبة، وسبقت محبة التوابين على المتطهرين، إذ بفضل التوبة والاستغفار تتم تنقية القلب من الشوائب والمعاصي. وقد أشار إلى ذلك ابن القيم بقوله: "نجاسة الفواحش والمعاصي في القلب بمثلة الأخلاط الرديئة في البدن، وبمثلة الزغل في الزرع، وبمثلة الخبث في الذهب والفضة والنحاس والحديد، كما أن البدن إذا استفرغ من الأخلاط الرديئة تخلصت القوة الطبيعية منها، فاستراحت فعملت عملها بلا معوق ولا ممانع، ففما البدن؛ فكذلك القلب إذا تخلص من الذنوب بالتوبة فقد استفرغ من تخليطه

¹ - المرجع السابق، ص: 58.

² - سنن الترمذي، كتاب الطهارة عن رسول الله ﷺ، باب: فيما يقال بعد الوضوء رقم 55.

فتخلّصت قوة القلب وإرادته للخير فاستراح من تلك الجوانب الفاسدة والمواد الرديئة، ونما وقوي واشتد... فلا سبيل له إلى زكّاته إلا بعد طهارته"¹.

لهذا استجلبت صفة الطّهارة والتّوبة محبة الله تعالى لعبده، فالطّهارة الظّاهرة مرتبطة بالماء وما ينوب عنه من الرّخص كالتيّمين، والطّهارة الباطنية تشمل تطهير القلب من الكفر والمعاصي ومن الأمراض والرّذائل. فكما أن الطّهارة المائية ضرورية ولا تتم العبادة إلا بها، فكذلك الطّهارة المعنوية متّمة لها وهي أساس التّقوى والإيمان وتطهير القلب من الأدران والأوساخ لقوله ﷺ «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءَاتِ وَالْأَرْضِ»⁽²⁾.

وعليه فالطّهارة والتّزكية حققت مقصداً مهماً من مقاصد القرآن الكريم، وعبر عن التّزكية في معناها اللغوي بالطّهارة في قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: 103]، و{وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} قالوا: تُطَهِّرُهُمْ بها"⁽³⁾؛ فمعناه تطهير الإنسان للسّعي إلى الإصلاح والاستمرار في الاستخلاف والعمران، وتطهير العقل من الأفكار الهدّامة، ودعوته إلى التّجديد والبناء المعرفي الحضاري، وتطهير الأرض بنشر العدل والمساواة والرحمة والتّسامح بين النّاس، وتطهير العقيدة من الشّرك.

فالشّريعة الإسلامية هي منبع المكارم والأخلاق، تحثُّ على الفضيلة والطّهارة والصّفاء الرّوحي والإبداع المعرفي، ولا شك أن القرآن الكريم جاء شاملاً لجميع هذه العناصر، حيث دعا إلى إصلاح النّفس وتطهيرها وتزكيتها، فأى إصلاح ينطلق من النّفس الإنسانية لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: 11]

وفي الحديث الشريف:

مورد العلاقة:

1- وردت صيغة التّزكية مقرونة بالطّهارة كما في الرواية عن أبي رافع «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَافَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى نِسَائِهِ، يَغْتَسِلُ عِنْدَ هَذِهِ وَعِنْدَ هَذِهِ»، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

1- ابن القيم، إغاثة اللّهفان، ص: (46-47).

2- صحيح مسلم، كتاب: الطّهارة، باب: فضل الوضوء، رقم 223.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة (زكا) ج 14، ص: 358.

أَلَّا تَجْعَلُهُ غُسْلًا وَاحِدًا، قَالَ: «هَذَا أَزَكَّى وَأَطْيَبُ وَأَطْهَرُ»⁽¹⁾. وأشار إليه الرسول ﷺ في الحديث الشريف بقوله: «ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَخَدَهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ... وَزَكَّى عَبْدَ نَفْسِهِ: فَقَالَ رَجُلٌ: فَمَا تَزَكِيَةُ الْمَرْءِ نَفْسُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُمَا كَانَ»⁽²⁾.

جاء لفظ التزكية على صيغة اسم تفضيل، للدلالة على فضل الطهارة والنظافة في الإسلام، وهذا الحديث يدل على استحباب الغسل، ولا حرج في ذلك كما جاء الحديث السابق في سنن أبي داود، هذا أَمْدَحُ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَطْيَبُ لِلْقَلْبِ، وَأَطْهَرُ لِلْبَدَنِ، وَفَعَلَهُ ﷺ هذا على سبيل الاستحباب لا الوجوب؛ لِأَنَّهُ قَدْ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ طَافَ عَلَى نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَ الْأَمْرَيْنِ فِي وَقْتَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ لِبَيَانِ الْجَوَازِ فِيهِمَا، وَالتَّخْفِيفِ عَلَى الْأُمَّةِ، وَرَفْعِ الْحَرَجِ عَنْهُمْ.

2- عن أنس بن مالك قال: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ، فَرَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَنْتِ هِيَ؟ لَقَدْ كَبُرْتَ، لَا كِبَرَ سِنُكِ»، فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكَ يَا بِنْتِي؟ قَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلِيٌّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا يَكْبُرَ سِنِّي، فَالآنَ لَا يَكْبُرُ سِنِّي أَبَدًا أَوْ قَالَتْ: قَرْنِي، فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تُلَوِّثُ خِمَارَهَا حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا: «يَا أُمُّ سُلَيْمٍ مَا لَكَ؟»، قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَدْعَوْتُ عَلَى يَتِيمَتِي؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ يَا أُمُّ سُلَيْمٍ؟» قَالَتْ: زَعَمْتُ أَنَّكَ دَعَوْتَ عَلَيْهَا أَنْ لَا يَكْبُرَ سِنُّهَا، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «يَا أُمُّ سُلَيْمٍ أَمَا تَعْلَمِينَ شَرْطِي عَلَى رَبِّي؟ إِنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا أَهْلٌ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽³⁾.

فجاءت التزكية معطوفة على الطهارة، وهو ما يدل على أن بينهما تداخلا، فإن

¹ - سنن أبي داود، كتاب: الطهارة، باب: الوضوء لمن أراد أن يعود، رقم 219، وحسنه الشيخ الألباني.

² - سبق تخريجه.

³ - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه، وليس أهلاً لذلك كان له زكاة وأجرًا ورحمة، رقم: 2603.

العطف في اللغة يقتضي المغايرة، ولا يجوز أن تكون المغايرة هنا على معنى الاختلاف والتضاد، لأن المعنى العام للحديث يأباه، بل إن المعنيين وإن اختلفا عند من قال بنفي الترادف بين المتعاطفين فإنهما متعاضدان، يكمل أحدهما الآخر ويقويه.

وخلاصة القول إنه لا تركية بدون تطهير، والهدف منها واحد، وهو بلوغ درجة الإيمان والارتقاء إلى الإحسان لتحقيق الغاية التي خلق من أجلها الإنسان، وهي عبادة الله على الوجه الأكمل وتحقيق عبوديته وابتغاء مرضاته، فالعبد المؤمن دائماً يسعى إلى هذا التطهير ظاهراً وباطناً؛ فعبير عن التزكية تطهيراً للجانب المادي والمعنوي وبذلك كانت الطهارة أشمل وأعم من التزكية.

المطلب الثاني: التزكية والهداية

مورد العلاقة

ورد ذلك في قوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (15) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (16) أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} [النازعات: 15 - 19].
أ. تعريف الهداية:

1. الهداية في اللغة والاصطلاح:

- في اللغة:

اتجه معنى الهداية في المعاجم اللغوية نحو معنيين اعتبرهما ابن فارس (ت 395هـ) أصلي مادة (هـ د ي) فقال: "الهاء والدال والحرف المعتل أصلان: أحدهما التّقدم للإرشاد، والآخر بعثة لطف. فالأول قولهم: هديته الطريق هداية، أي تقدمته لأرشدته، وكل متقدم لذلك هاد⁽¹⁾، والهدى ضد الضلال وهو الرّشاد، قال رَجُلٌ: {قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى} [الأنعام: 71] أي الصّراط الذي دعا إليه هو طريق الحق.. قال قتادة في قوله تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ} [فصلت: 17] أي بيّنا لهم طريق الهدى وطريق الضلالة فأثروا الضلالة على الهدى⁽²⁾. وعبر عن الهدى بالطاعة والورع، وفي لغة أهل الغور أطلق عليه التّهار والطّريق.

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (هدي)، ص: 33.

² - ابن منظور، لسان العرب، مادة (هدي) ج 15، ص: 354.

- الهداية في الاصطلاح:

"الهدى والهداية اسم مصدر والمصدر هو الهدى"⁽¹⁾. وعند الراغب (ت 502هـ) (الهداية دلالة بلطف ، وقد خصَّ الله لفظَ الهدى بما تولَّاهُ وأعطاهُ ، واختصَّ هو به دونه ما هو على الإنسان "⁽²⁾. وعند الجرجاني (ت 816هـ) هي "الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب. وقد يقال: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب"⁽³⁾، وهديته إلى الطريق، وهداه الله إلى الإيمان، والهدى البيان، واهتدى إلى الطريق"⁽⁴⁾.

فمادة هدى في اللغة والاصطلاح تدل على البيان والطاعة والإرشاد والحق، وكل هذه المعاني متقاربة في ما بينها، فهي مؤسسة للحياة الإنسانية لتشمل نظام الكون بصفة عامة والإنسان بصفة خاصة.

2. الهداية في القرآن الكريم:

ورد لفظ الهدى في القرآن الكريم من خلال أحد عشر مشتقاً تتوزع على اثنين وعشرين وثلاثمائة (322) موضع⁵،

قال ابن كثير: "يطلق الهدى ويراد به ما يقر في القلب من الإيمان، وهذا لا يقدر على خلقه في قلوب العباد إلا الله ﷻ، قال تعالى: {إِنَّكَ لَأَتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص: 56] ، وقال: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ} [البقرة: 272] وقال { مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ } [الأعراف: 186]. وقال: { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا } [الكهف: 17] إلى غير ذلك من الآيات. ويطلق ويُراد به بيان الحق وتوضيحه والدلالة عليه والإرشاد، قال تعالى {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52]⁶.

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص: 188.

² - الراغب، المفردات، مادة (هدي) ص: (835- 839).

³ - الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، ص: 215.

⁴ - الفيومي، المصباح المنير، مادة (هـ د ي)، ج 2، ص: 636.

⁵ - الحبيب مغراوي، مفهوم الهدى في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، دبي، الطبعة الأولى، (1432هـ - 2011م)، ص: 86.

⁶ - تفسير ابن كثير، ج1، ص: 74.

وأشار الطاهر بن عاشور في تفسيره أن " الهداية هي الدلالة على الطريق للوصول إلى المكان المقصود فالهادي هو العارف بالطرق .. وفي اصطلاح الشرع حين تُسند إلى الله تعالى هي الدلالة على ما يرضي الله من فعل الخير، ويقابلها الضلالة وهي التّغير"⁽¹⁾، وهي الدلالة على الطريق الموصل إلى المطلوب إذا قبلها المهدي"⁽²⁾. وقسّم الراغب الأصفهاني الهداية إلى أربعة أوجه⁽³⁾:

الأول: الهداية التي كلّف الله بها أصحاب العقول والمعارف في قوله تعالى: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: 50].

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء، وذلك قوله تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} [الأنبياء: 73].

الثالث: هداية التّوفيق، وذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد: 17] وقوله تعالى: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ} [الكهف: 17].

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة، وذلك قوله تعالى: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف: 43].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن مفهوم الهداية مفهوم عقدي عميق شرعه الخالق على المكلف، وتكلف سبحانه بهذا الهدى، فهو العالم بأسرار ما خلق من إنسان وحيوان وجماد، فكانت الهداية بيده سبحانه، حتى الأنبياء والرسل مهمتهم التبليغ والإرشاد وإخراج الناس من الضلال والشقاء ومن الظلمات إلى النور، يقول تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [المائدة: 15، 16].

فالهداية يُفَوِّضُ شأنها إلى الخالق فهو المختص بها ولا يتصف بها أحد غيره " لكونه سبحانه العالم بأسرار النفوس، وبخائنة الأعين وما تخفي الصدور، العالم بالجهات التي تميل إليها

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص: 188.

2- نفسه، ج 31، ص: 77.

3- الراغب، المفردات، مادة (هدى)، ص: (835-836).

قلوب المكلفين فيهدي بإذنه من يشاء الهداية ويضل من يشاء لقوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (30)} [النجم: 30]¹ فالله سبحانه وتعالى تولى الهداية بنفسه، من خلال إرسال الرسل ونشر الخير والصّلاح وهداية الكون، وكل ما في الوجود يدل على أن الهداية من واحد أحد فرد صمد فهو هادي كل مخلوق هدى لطلب المنافع ودفع المضار. وهداية الدلالة يختص بها الرسل عليهم السّلام، ومن سار على درهم في طريق الدعوة والبيان، وإرشاد النّاس وهدايتهم إلى العقيدة السّليمة التي لا اعوجاج فيها ولا انحراف، وتوضيح مسار حياتهم وعاقبة ذلك في دنياهم وأخراهم قال تعالى: {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} [الرعد: 7]

واعتبر الهدى من الأمور الاختيارية استناداً إلى العقل انطلاقاً من قوله تعالى: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} [الكهف: 29]، ولذلك خلق الله سبحانه الثّواب والعقاب والجنّة والنّار، فليختر الإنسان ما شاء ولينتظر جزاءه يوم الوقت الموعود.

وبذلك شكّلت الهداية في القرآن دلالة معرفية وثراءً مفهوماً ذا قيمة عظيمة وغاية سامية خلق من أجلها الإنسان؛ يمثل القرآن منهجها وسبيلها، فهو نور مبين، جاء لإخراج الناس من الظّلمات إلى النّور وهدايتهم إلى الطّريق المستقيم، يتجلّى ذلك في قوله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [المائدة: 15، 16]، وقوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: 9]، فهدايته شاملة للقلب والعقل والوجدان، وما أحوج الأمّة الإسلامية اليوم للرجوع إليها والوقوف على أسرارها ومعانيها وتدبر ألفاظها، وفهمها في ضوء مقاصد حضارية، بعيدة كل البعد عن محدودية الملابس الزّمانية والمكانية والبشرية حتى يتمكن الفرد من أداء وظيفته الاستخلافية بقناعة ذاتية ووعي معرفي حضاري.

أ. النظم اللغوي في الآية: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (15) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (16) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} [النّازعات: 16 - 19].

¹ الحبيب مغراوي، مفهوم الهدى في القرآن الكريم ص (130-131)

الهداية هي "الدلالة على الطريق الموصل إلى المطلوب إذا قبلها المهدي ، وقد جاء كل من فعل التزكية والهداية بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرارية والتجدد، وجاء فعل "تزكى" وأصله تتزكى بتاءين، مضارع تزكى مطاوع زكاه أي جعله زكياً، وتفرع "فتخشى" على "أهديك" إشارة إلى أن خشية الله لا تكون إلا بالمعرفة،¹ وهذه الآية فيها دعوة وترغيب في تطهير النفس من الذنوب والآثام، وتحذير من مخالفة الله ﷻ. وتخصيص الخطاب لفرعون بالقول لتجاوز الحد ولتكبره على الله عز وجل، وهذا التخصيص يراد به التعميم للرسول ﷺ ومن تبعه في منهاج الدعوة إلى الله.

ب. بيان مورد التعالق بين الهداية والتزكية من خلال الآية

علاقة التزكية بالهداية علاقة تعاطف، حيث ابتداء فعل التزكية بالسؤال في خطاب موسى عليه السلام لفرعون، تسلياً للرسول ﷺ مما عاناه مع قومه المشركين كأمية بن خلف، وأبي جهل وغيرهم من صناديد قريش، وتبياناً له أن طريق الدعوة والإرشاد تحتاج إلى اللين والأدب والرحمة انطلاقاً من قوله تعالى: { اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [النحل: 125] وعبر عن التزكية في الآية "بالتطهر من النقائص والتلبس بالفضائل، وفسر بعضهم "تزكى" بـ "تسلم"، وفسرها بعضهم بقول "لا إله إلا الله"، وهذا تخصيص².

ونلمس كذلك من خلال التصوص التي وردت فيها التزكية والهداية أن هناك علاقة تداخل وتكامل بينهما؛ ذلك أن التزكية أخص من الهداية، فهما مفهومان أساسان في العقيدة، فكلما تزكت النفس اهتدت وتخلقت بالمنهج القرآني الذي أنزله الله تبياناً لكل شيء، فهو هداية وإرشاد وتوجيه وشفاء وصلاح للبشرية جمعاء قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } [يونس: 57].

وقد أثرت مجموعة من الإشكالات من طرف المتلبسين بالدين والمنحرفين عن الطريق المستقيم؛ فزاغت أفكارهم وشردت أذهانهم، وكتبوا في مجال العقيدة أموراً لا صحة لها

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص: 77، بتصرف.

² - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ، ج 5، ص: 433.

في مفهوم الهدى، وأثارت هذه القضية مجموعة من النقاشات من طرف الفرق المتكلمة في قضية الجبر والاختيار، والقضاء والقدر، وذلك بسبب انحرافهم في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: 93]، وقوله تعالى: {وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: 36]، فضلوا وأضلوا وتجرؤوا على الله تعالى بادعائهم نفي القدر، وزعمهم أن العبد مجبور على الهداية والضلال، فالعبد المؤمن يحقق معنى العبودية لله تعالى اختياراً، يحب ما يحبه الله، ويبغض كل ما يبغضه محبوبه، ويمشي بمشيئته، وكل ما قُدر عليه يرضى به ويعتبره خيراً له فيرتاح، ويحقق الطاعة والتسليم المطلق للحق سبحانه. فالله سبحانه بين طريق الهداية من خلال إنزال الكتب وإرسال الرسل، وكرم الإنسان في الأرض، وترك له حرية الاختيار، فمن هدى إلى الطريق فبفضل الله تعالى ومن انحراف فبعده سبحانه وحكمته وكذلك من زكى نفسه وطهرها، فبهدايته سبحانه. ويمكن القول: إن التزكية والهداية قد حققا في المحصلة معنى واحداً، فبقدر تزكية النفس وتطهيرها وترقيتها تتوفق للهداية، وإذا وجدت الهداية في الفرد حصلت له التزكية وكان من أهلها، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [يونس: 9]، فخص الله هذه الهداية بالاتباع، وقال تعالى: {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه: 123].

والقرآن الكريم هو مصدر الهداية لقوله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} [الأنعام: 104]، وكل ما في الكون يدعو للهداية عن طريق التفكير والتدبر والتبصر والاعتبار لتحقيق الشهود الحضاري، فحاجة الأمة اليوم إلى فهم مقاصد القرآن عامة ومقصد الهداية والتزكية خاصة لتشكيل كيان المسلم للسعي نحو الإصلاح.

المبحث الثاني: علاقات التداخل والتكامل المطلب الأول: التزكية والتقوى

أ. مورد العلاقة:

ورد ذلك في قوله تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} [الليل: 17، 18].

ب. تعريف التقوى:

1- التقوى في اللغة والاصطلاح:

- في اللغة:

جاء في معجم العين أن "التَّقْوَى في الأصل (وَقَى) على وزن (فَعَلَى)، من وَقَيْتُ، فلما فُتحت الواو أبدلت تاءً، فتركت في تصريف الفعل في التُّقَى والتَّقْوَى والتَّقَاة والتَّقِيَّة"¹. وجاءت مادة (و ق ي) عند ابن فارس بمعنى: "دَفَعُ شَيْءٍ عن شَيْءٍ بغيره، يقال: وَقَيْتُهُ أَقْبَهُ وَقِيًّا، والوقاية: مَا يَقِي الشَّيْءَ"². فالتَّقْوَى اسم مصدر تدلُّ على الوقاية والحفظ والصيانة.

- في الاصطلاح:

عرف الجرجاني التقوى بـ "الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك، والتقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية يراد بها التَّرك والحذر"⁽³⁾.

وقد أشار الغزالي⁽⁴⁾ إلى أن خيرات الدنيا والآخرة قد جُمعت تحت خصلة واحدة وهي التقوى، وأن الذي يختص بهذا الشأن من أمر العبادة ثلاثة أصول:

الأول: التوفيق والتأييد أولاً حتى تعمل، وهو للمتقين، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: 128].

الثاني: إصلاح العمل وإتمام التقصير حتى يتم وهو للمتقين، كما في قوله تعالى:

¹ - الفراهيدي، كتاب العين، مادة (وقى) ج5، ص: 239.

² - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (وقى)، ص: 963.

³ - الجرجاني، التعريفات، ص: 58.

⁴ - الغزالي، مجموعة الرسائل، ص: 142.

{يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [الأحزاب: 71].

الثالث: قبول العمل إذا تمّ وهو للمتقين، كما قال تعالى: {قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: 27]. ومدار العبادة على هذه الأصول الثلاثة: التوفيق والإصلاح والقبول. ويرتبط معنى التقوى في الاصطلاح العام بأصله اللغوي وهو الوقاية، ليدل على الحفظ والصيانة، فهي اتقاء النار باتقاء حدود الله عز وجل، ولا يكون ذلك إلا بأمرين متلازمين، أولهما صيانة النفس وحفظها من الآثام ومن الوقوع في المعاصي مطلقاً، وثانيهما إتيان الأوامر والطاعات بحسب الطاقة والمستطاع، وقد جاء في الخبر عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَا نُهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ¹).

فالتقوى تتجلى في الامتثال لأمر الله سبحانه واجتناب نهيه، وهي منهج يتقرب العبد به إلى الله تعالى، وقد أشار الرسول ﷺ إلى القلب فقال: «التَّقْوَى هَاهُنَا»²، فمحلها القلب، وهي بمعنى الوقاية والحفظ والخشية والمراقبة، هدفها ابتغاء مرضاة الله، ولا يتدبرها إلا أصحاب القلوب المستنيرة، كما قال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا} [الطلاق: 10].

2- في القرآن الكريم:

وقد وردت كلمة التقوى في القرآن الكريم بمختلف مشتقاتها وبتكرارها مائتين وثمانين وخمسين مرة بصيغ مختلفة³، وارتبطت بجميع العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وفي كثير من الآيات. فالتقوى من المفاهيم العقدية، تمثل شعبة من شعب الإيمان الكبرى، وهي محور التزكية وأساسها، وأم القيم الخلقية الإيمانية والتربوية، وهي قائمة على خشية الله ومحبه،

¹ متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم 7288، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، رقم: 1337.

² صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم 2564.

³ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، دار الكتب المصرية - القاهرة، دون طبعة، (1364هـ - 1945م)، ص: (758-761).

وتشمل الإيمان والعمل، وهي الإطار العام لعمل الإنسان لتحقيق مفهوم العبودية والاستخلاف في الأرض.

ونلاحظ في هذا الورود ارتفاع نسبة المشتقات الفعلية قياساً إلى المشتقات الاسمية، (70% من مجموع المشتقات في القرآن، و63% من مجموعها في الحديث)¹، وهذا يدل على أن مصطلح التَّقْوَى مصطلح عملي في القرآن الكريم والحديث، وقد اقترن بصيغ فعل الأمر (اتَّقِ، اتَّقُوا، اتَّقُون)، واقتربت بالأوامر أكثر من اقترانها بالنواهي، وجاء فعل الأمر بالتَّقْوَى في سياق الترغيب والترهيب، في حين اقترنت المشتقات الاسمية بأعمال المتقين وأوصافهم.

والتَّقْوَى وصية الله لعباده في كثير من الآيات: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102]، وقال جل وعلا: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ} [التغابن: 16]، وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء: 1]، وقال عز من قائل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب: 70]، وقال جل شأنه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119]، وقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: 18]. كما أنها وصية الرسول ﷺ في كثير من الأحاديث، من ذلك قوله: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»².

وبذلك كانت التَّقْوَى عاملاً مهماً في تزكية النفس البشرية، يصلح بها حال الفرد والجماعة، وتترتب عليها آثار عظيمة عند الله ﷻ، كما في قوله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13].

ووصف الله المتقين في كثير من الآيات بالفائزين، ووعدهم بجنة النعيم، قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ} [القمر: 54، 55]،

1- محمد البوزي، مفهوم التقوى في القرآن والحديث: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، رسالة دكتوراه، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، (1432هـ، 2011م)، ص: 126.

2- سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في معاشره الناس، رقم 1987. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 133].

فالتقوى هي سبب الفوز والفلاح، ولا تكون إلا باتباع الأوامر واجتناب النواهي. قال تعالى: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور: 52]، والتقوى هي خير لباس؛ فإذا كان المرء يحرص على أن يظهر بمظهر حسن بين الناس فإن الله عز وجل يؤكد على أن حسن الباطن وصلاحه أولى بالحرص عليه، قال: {وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف: 26]. فالتقوى هي كل ما يلزم الفعل الحسن من اتباع المأمورات واجتناب المحظورات، وهذا ما زرعه الرسول ﷺ في نفوس الصحابة بتحري تقوى الله في السر والعلن، فهي سبب الصلاح والفلاح والفوز المبين.

ب. بيان نوع التعالق بين التزكية والتقوى:

إن علاقة التزكية بالتقوى علاقة تداخل وتكامل، فإيتاء الزكاة لمستحقيها دليل على تمام التزكية، وجاء لفظ (الأتقى) في الآية السابقة واصفاً وموصوفاً، وصفة يراد بها المبالغة للدلالة على منتهى القصد، "فالأتقى هو الذي ينفق أمواله في وجوه البر، طالباً بذلك طهارة نفسه وقرباً من ربه لا مريداً بذلك رياءً ولا سمعةً، ولا طالباً مديح الناس له، فإن ذلك ضرب من التفاق الذي يطلُّ معه العمل، ولا يكون لصاحبه عليه ثواب مهما أتعب نفسه، فالله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه"¹، وجاء لفظ الأتقى على صيغة اسم تفضيل للدلالة على خشية والورع، وهذه من صفات النفس الزكية، التي تحرص على مراقبة الله تعالى وخشيته.

-وفي الحديث:

الخطاب بلزوم التقوى يشمل عموم الناس، وفيه تنبيه وتحذير عن التفاخر بالأنساب، وهذا ما أكدته ﷺ حينما سُئِلَ، قِيلَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟» قَالَ ﷺ: «أَتْقَاهُمْ»²، وقد بين الله تعالى الصفات الجزائية للأتقى بدخوله الجنة وابتعاده عن النار، وهذا لازم عن اتباعه لما

1- تفسير المراغي، ج 30، ص: (179-180).

2- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} سورة النساء (125)، رقم 3353.

أنزله الله إليه، فإنه لا يدخل الجنة إلا إذا كان على منهج ربه الذي سطره له، وكثير من الآيات تحت على التقوى باعتبارها كلمة جامعة صالحة لكل زمان ومكان، هم الفرد والمجتمع كما هم الذكر والأنثى.

وفي الحديث عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»¹.

نلاحظ علاقة تعاطف بين التزكية والتقوى في الحديث النبوي الشريف، حيث تكرر فعل التزكية لأهميته ولحاجة النفس البشرية إليه، بطلب الإعانة من الله تعالى أَنْ يَمُنَّ عَلَى الْعَبْدِ بِتَقْوَى نَفْسِهِ، وَالتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَالْإِيمَانُ بِأَنَّهُ لَا مُزَكِّيَ لِلنَّفْسِ سِوَاهُ سُبْحَانَهُ. وتزكية الظاهر والباطن تتم عن طريق المجاهدة والمواظبة على الطاعات، فهي تقاس بمقدار التحلي عن كل الصفات الذميمة من الكسل والخمول والبخل... والتحلي بالصفات الحميدة من العلم النافع والقلب الخاشع واللسان الذّاكر...

وخلاصة القول إِنَّ التَّقْوَى لَهَا ارتباط بكثير من المصطلحات القرآنية كالورع والخشية والخوف... فكان فعل الانقياد ملازماً للمتقين من خلال اتباع الأوامر واجتناب التواهي؛ فهي تربية وسلوك ناتجان عن فعل المراقبة لله تعالى ومجاهدة النفس من خلال التخلية للوصول إلى التحلية، وهي فعل مستمر باستمرار الحياة، وغير مرتبطة بزمان ولا بمكان، وشاملة للذكر والأنثى، مرتبطة بالعلم ومنافية للجهل.

والتَّقْوَى والتزكية من صفات المؤمن، ووسيلته لإصلاح نفسه والرقى بها إلى الدرجات العلى، فلا صلاح للإنسان إلا بالتقوى من خلال حفظ النفس من كل إثم واجتناب كل فني وامتنال لكل أمر، فهي خضوع وتذلل للخالق سبحانه، تربي الفرد على محبة خالقه، وتحرر تفكيره من اتباع الهوى، وتوقظ ضميره على المراقبة والمحاسبة؛ وتنمي في المجتمع التعاون والإخاء والتعارف، قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13].

1- صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم 2722.

والتقوى خير زاد يتزود به المؤمن، وهي أساس الأعمال الصالحة، وهي وصية الله للأولين والآخرين، وتعد شعبة من شعب الإيمان، تتمظهر في الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان وعمل الجوارح، وقد قال النبي ﷺ حين سئل أي الناس أفضل: كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ. قَالُوا مَا مَخْمُومِ الْقَلْبِ؟ قَالَ: ﷺ هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ¹.

إن مفهوم التقوى مفهوم عميق يشير إلى أبعاد وغايات هادفة تتجلى في كيفية تعامل الفرد مع نفسه أولاً من خلال تحكمه في انفعالاته وضبط دوافعه والسيطرة على ميوله وأهوائه، وأن يحسن معاملته مع الناس بعدم ظلمهم والاعتداء عليهم، وأن يكون معياره الحق والاستقامة وابتغاء وجه الله والإخلاص له، فلا يحبُّ إلَّا الله، وَلَا يَبْغِضُ إلَّا الله، وَلَا يُعْطِي إلَّا الله، وَلَا يَمْنَعُ إلَّا الله؛ فالمتقي يتقي الشبهات، ويتورع عن الحرام. كما جاء في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَالْحَرَامَ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ"².

فالتقوى منهج يضبط السلوك، ويرتقي بالإنسان في درجات الكمال من خلال المجاهدة والتحكم في الشهوات والأهواء، فهي التجسيد الفعلي للإيمان، وهي أساس التزكية للنفس، ولا تنضج ثمرتها إلا من خلال التطهير والتعهد بماء الإخلاص.

¹ - سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب: الورع والتقوى، رقم 4216، وصححه الشيخ الألباني، دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

² - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب: فضل من استبرأ لدينه رقم 52، وصحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات رقم 1599.

المطلب الثاني: التزكية والرحمة

أ. مورد العلاقة

ورد ذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: 21].

ب. تعريف الرحمة:

- الرحمة في اللغة والاصطلاح:

- في اللغة:

قال ابن فارس: "الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرأفة والعطف والرأفة، والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى، والرحم علاقة القرابة، ثم سميت رحم الأنثى رحماً من هذا لأن منها ما يكون ما يرحم ويرق له من ولد¹. فالرحمة مصدر بمعنى "الرقّة والتعطف"⁽²⁾، يقال: رَحِمَهُ يَرْحِمُهُ أي: رَقَّ له وتَعَطَّفَ عليه. وَرَحِمَ عليه: دَعَا له بالرحمة. واستَرْحَمَهُ: سَأَلَهُ الرحمة. وتراحَمَ القوم: رَحِمَ بعضهم بعضاً. والرحموتُ من الرحمة؛ وفي المثل: "رَهَبْتُ خَيْرٌ مِنْ رَحَمَتٍ"، أي: لأنّ ترهب خير من أن ترحم⁽³⁾.

- الرحمة في الاصطلاح:

"الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تُستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رَحِمَ الله فلاناً. وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلّا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وعطف.

فالرحمة منظوية على معنيين: الرقة والإحسان، فركز تعالى في طبائع الناس الرقة وتفرّد بالإحسان، فصار كما أن لفظ الرحم من الرحمة فمعناه الموجود في الناس من المعنى

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (رحم) ص: 375.

² - ابن منظور، لسان العرب، مادة (رحم)، ج 12، ص: 230.

³ - نفسه، ج 12، ص: 230.

الموجود لله تعالى، فتناسب معناهما تناسب لفظيهما"⁽¹⁾.

ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي نستنتج أن الرحمة تدلُّ على العطف والرفقة والرفق واللين، وهذه الأوصاف كلها تستتبع الإحسان، فإن من رَقَّ لحال غيره وعطف عليه أحسن إليه إن استطاع، وكان ذلك في مكتته، ولذلك انفرد الباري عزَّ وجلَّ بالرحمة مطلقاً، لأنه القادر على الإحسان في كل وقت وحين.

- الرحمة في القرآن الكريم

ورد لفظ الرحمة ومشتقاته في القرآن الكريم في ما يزيد على ثلاثة ومائة مورد؛ إذ ورد بالصيغة المصدرية سِتَّ عَشْرَةَ ومائة مرة؛ وأكثر وروده نكرة أو معرفة بالإضافة إلى اسم الجلالة، ظاهراً أو مضمراً⁽²⁾. وقد جاءت الرحمة بعدة معانٍ في القرآن الكريم، فجاءت الرحمة بمعنى الجنة في قوله تعالى: {أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: 218]، وبمعنى النبوة، وذلك في قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [البقرة: 105]، وتأتي بمعنى المطر، وذلك في قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} [الأعراف: 57]، وبمعنى الرزق، وذلك في قوله تعالى: {قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَثُورًا} [الإسراء: 100]، وبمعنى المغفرة والتوبة، وذلك في قوله تعالى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام: 54]، وصفة كما في قوله تعالى: {وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ} [الأنعام: 133]، فمن أسمائه الحسنى الرحمن الرحيم... "والرحيم والرحمة مشتق بعضها من بعض، وقد دل على ذلك في الحديث القدسي عن عبد الرحمن بن عوف قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله ﷻ: أَنَا الرَّحْمَنُ، وَهِيَ الرَّحِيمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّه»⁽³⁾.

فهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة لعباده وأوجب عليهم في مقابلها شكر النعمة، "فالرحمة من الله إنعام وإفضالٌ ومن الآدميين رقة وتعطفٌ، فالرحمة منطوية على معنيي الرقة

¹ - الراغب، المفردات، مادة (رحم) ص: 347.

² - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص: (304-309).

³ - أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، 1411 - 1990، مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص، رقم 7267، وصححه الذهبي في التلخيص.

والإحسان، فركزَ تعالى في طبائع الناس الرِّقة وتفرَّد بالإحسان¹ وبين الرَّحْم والرَّحمة مناسبة معنوية، كما أن بينهما نسبة لفظية.

والرَّحمة قسمان: رحمة عامَّة ورحمة خاصَّة:

فالأولى تشمل الجميع من إنسان وحيوان ونبات ومؤمن وكافر، فقد فرَّق الأرزاق سبحانه على جميع خلقه، وسَخَّرَ لهم الكونَ من جبال وشمس وقمر وهواء، قال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف: 156]، وقال تعالى: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [القصص: 73]. والرَّحمة الخاصة خصَّ بها عباده المؤمنين دون غيرهم، إذ ارتبطت محبتهم بمحبته، فجدُّوا واجتهدوا وجاهدوا بكلِّ غالٍ ونفيسٍ من أجل نيل رضوانه.

والرَّحمة مقصد عظيم من مقاصد الشرع الحنيف، بمقتضاها يتحقق إيصال الخير إلى الغير، وبرحمة الله يزكى الفرد، وبالرَّحمة وُجدنا في هذا الكون الفسيح، وبالرَّحمة نتعامل ونتعايش كل يوم في ما بيننا. قال ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى»².

أ. النظم اللغوي في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ أَنَّهُ فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: 21].

جاء فعل (زكا) بصيغة الماضي للدلالة على أن فعل التَّركية يسند إلى الله تعالى، فهو المطلع على أحوال عباده في السر والعلانية، وجملة {مَا زَكَا} جواب شرط غير جازم، ووردت مع نكرة "من أحد" في سياق التفي للدلالة على عموم الاستغراق؛ ف"حصول التَّركية للفرد معلق على حصول التَّفضُّل من الله عزَّ وجلَّ بذلك، فلولا فضله ما تطهَّر أحد من اتِّباع خطوات الشَّيْطَانِ، إذ يسعى هو وجنده في الدَّعوة إليها، والنَّفس ميَّالة إلى السُّوء، وأمارَّة به، والتَّقصُّ مُستَوَلٍ على العبد من جميع جهاته، والإيمان غير قوي، ولهذه الدَّواعي مَا زَكَا أحد بالتَّطهر من الذُّنوب والسيئات والنِّماء بفعل الحسنات، فإن الزَّكاء يتضمَّن الطَّهارة

¹ - الراغب، المفردات، مادة (رحم)، ص: 347.

² - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم 6011.

والنماء، ولكن فضله ورحمته أوجبا أن يتزكى منكم من تزكى"⁽¹⁾، وتُسند التزكية إلى الرسول ﷺ، فهو المبعوث بالحق للعالمين ليُعلمهم الكتاب والحكمة، وتُسند إلى المكلف باتِّباع أوامره واجتناب نواهيه وإخراج صدقاته على الفقراء وذوي الحاجة، وبرحمة الله وتوفيقه يجاهد نفسه في طهارتها وتزكيتها، فالتزكية لا تُنال إلَّا من الله تعالى برحمته، وهذا فضل من الله تعالى لعباده المؤمنين، يزكي مَنْ يستحق التزكية ويُوفِّقه للخير والصَّلاح.

ب. بيان التَّعَالُق

العلاقة بين التزكية والرحمة علاقة تداخل وتكامل؛ إذ لولا فضل الله وتوبته ورحمته عليهم ما حصل أحدٌ على التزكية، ولذلك خاطب الحق سبحانه عباده المؤمنين وحذَّره من اتِّباع خطوات الشياطين، وإن أخطأوا وتَّابوا وأنابوا إليه راجين رحمته ومغفرته قبلهم الحق سبحانه، فهو الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، ورحمته وسعت السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ، قال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 156].

إضافة إلى رحمة الله تعالى بعباده نجد رحمة النبوة، فهي من صفاته ﷺ كما في قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 128]، وقوله تعالى: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} "يفيد الحصر، بمعنى أنه لا رَأْفَةٌ ولا رَحْمَةٌ له إلَّا بالمؤمنين. فأما الكافرين فليسَ لَهُ عَلَيْهِمْ رَأْفَةٌ وَرَحْمَةٌ... ذلك أن التَّغْلِيظَ على الكافرين والمنافقين. وأما رحمتي ورأفتي فمخصوصة بالمؤمنين فقط"².

وإضافة إلى الرَّحْمَةِ الْخَاصَةِ نجد الرَّحْمَةَ الْعَامَّةَ كما في قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107]، فكانت رسالته مؤشِّراً على انتشار ثقافة جديدة في العالم الإسلامي، هي ثقافة الرَّحْمَةِ، حيث دعا إلى ترسيخ هذا المفهوم، فشملت الرَّحْمَةُ كلاً من الإنسان والحيوان والعدوُّ والصَّدِيق...

ويمكن القول إن مفهوم الرَّحْمَةِ مفهوم عميق له أبعاد دلاليَّة في التشريع الإسلامي، فالدين هو مصدر الرَّحْمَةِ، ينمِّي شعور الإنسان بمحبة الله ومحبة الآخرين، والرَّحْمَةُ ركيزة

¹ - تفسير السعدي، ج 1، ص: 563 بتصرف.

² - فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ، ج 16، ص: 179.

أساسية يقوم عليها المجتمع تحقق معنى الوحدة والألفة؛ فهي صفة تتعلق بالنفس البشرية، فالرحمة تتطهر الأمة وتنزكي وتتعاطف وتتعاون، وما وصلت إليه الأمة اليوم من تأخر وتدهور ناتج عن عدم تحقيق هذا المفهوم في الواقع والاقتصار على المنفعة الذاتية فقط وحب التملك والسيطرة، مما أحدث خللاً وعدم توازن داخل الكون؛ وفرضت سلطة الشعوب القويّة على الضعيفة والفقيرة، وتمّ إلغاء الآخر وتهميشه في إطار المسيرة الحضارية للإنسان. ونرى تجليات هذا في الفلسفة الغربية، حيث يرى هيجل مثلاً "أن عالم الحرية لا يبدأ إلا في اليونان، حيث تشرق حرية وعي الذات في الغرب، وتنزل الروح في ذاتها، أما في الشرق فينمحي الفرد باعتباره مجرد انعكاس للماهية، ولا توجد فلسفة بالمعنى الحقيقي إلا في الغرب"¹.

وخلاصة القول إن القرآن الكريم منهج للبشرية جمعاء، رسم منهج الرحمة في كل شيء، وذلك بأن يكون الإنسان رحيماً بنفسه وبأسرته وأهله وجيرانه ومجتمعه، وأن يتقي الله في كل حركاته وسكناته ومعاملاته في الحياة، وأن يربي نفسه على الصّلاح والخير، فيرحم الصّغير ويوقر الكبير، ويرق قلبه للمسكين واليتيم والأرملة والفقير والحيوان ... لتنتقل الرحمة من البعد الفردي إلى البعد الجماعي.

¹ - منى أبو الفضل - أميمة عبود - سليمان الخطيب، الحوار مع الغرب: آلياته، أهدافه، دوافعه، سلسلة 7، دار الفكر، دمشق: ص: 153.

المطلب الثالث: التزكية والفلاح

أ. مورد التعالق:

1- ورد ذلك في قوله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى } [الأعلى: 14] .

ب. تعريف الفلاح في اللغة والاصطلاح:

- في اللغة:

قال ابن فارس: "الفاء واللام والحاء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على شَقٍّ، والآخر على فَوْزٍ وَبَقَاءٍ، فالأول فَلَحَتْ الأرضُ شَقَقَتْهَا بِالْحَدِيدِ، والأصل الثاني: الْفَلَّاحُ: الْبَقَاءُ وَالْفَوْزُ وَالْفَلَّاحُ: السَّحُورُ، قَالُوا سُمِّيَ فَلَاحًا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ تَبَقَّى مَعَهُ قُوَّتُهُ عَلَى الصَّوْمِ"¹.

وجاء في لسان العرب: "الْفَلَحُ وَالْفَلَّاحُ الْفَوْزُ وَالنَّجَاةُ وَالْبَقَاءُ فِي التَّعِيمِ وَالْخَيْرِ، وَفِي الْأُذُنِ حَيٌّ عَلَى الْفَلَاحِ يَعْنِي: هَلُمَّ عَلَى بَقَاءِ الْخَيْرِ، وَقِيلَ: أَيُّ: عَجَلٌ وَأُسْرَعٌ عَلَى الْفَلَاحِ، وَمَعْنَاهُ إِلَى الْفَوْزِ بِالْبَقَاءِ الدَّائِمِ، وَقِيلَ: أَقْبِلْ عَلَى النَّجَاةِ"².

- في الاصطلاح:

قال الأصفهاني: "الْفَلَّاحُ أَيُّ: الظَّفَرُ وَإِدْرَاكُ بُغْيَةٍ، وَذَلِكَ ضَرْبَانِ: دُنْيَوِيٌّ وَأُخْرَوِيٌّ، فَالدُّنْيَوِيُّ الظَّفَرُ بِالسَّعَادَاتِ الَّتِي تَطِيبُ بِهَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَهُوَ الْبَقَاءُ وَالْغِنَى وَالْعِزُّ، وَفَلَاحُ أُخْرَوِيٌّ وَذَلِكَ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ، بَقَاءٌ بِلَا فَنَاءٍ، وَغِنَىٌ بِلَا فَقْرٍ، وَعِزٌّ بِلَا ذُلٍّ، وَعِلْمٌ بِلَا جَهْلٍ"³.
ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي يتبين أن الفلاح شيء عظيم في حياة الإنسان، يعبر عن الفوز المبين، فهو الفوز والربح والنجاح بالتوفيق من الله بإصلاح النفس وتزكيتها وتطهيرها من جميع أنواع الشر وأدران الشرك. وأشار ابن كثير إلى صفات المفلحين بقوله: هم "المدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله من الفوز والثواب والخلود في الجنات والنجاة مما أعده الله لأعدائه من العقاب"⁴.

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (فلح)، ص: 719.

² - ابن منظور، لسان العرب، مادة (فلح)، ج 2 ص: (547-548).

³ - الراغب، المفردات، مادة (فلح)، ص: 644.

⁴ - تفسير ابن كثير، ج 1، ص: 172.

-الفلاح في القرآن الكريم :

ورد لفظ (أفلح) في القرآن الكريم أربع مرّات، في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} [المؤمنون: 1، 2] ، وفي قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9، 10] ، وفي قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى: 14] ، وورد على لسان السحرة في قوله تعالى: {فَاجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى} [طه: 64].

وورد لفظ "المفلحون" في القرآن في ثلاثة عشر موضعاً، منها قوله تعالى: {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: 5]، وقوله تعالى: {وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104].

فالفلاح والتزكية مفهومان مترابطان ومتجانسان، وقد مثل الفلاح فعلاً من أفعال التزكية، فبذل المال زكاةً وصدقةً تطهير للنفس من البخل، يقول تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (15) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [التغابن: 15، 16].

ويمكن القول إن الفلاح مقصد عظيم وغاية عظيمة يسعى الفرد المؤمن لتحقيقها. ومن أعظم أسباب الفلاح التزام المسلم بقواعد الإسلام وتطبيقها في واقعه والعناية بالعبادات القلبية من تزكية النفس وتطهيرها والعمل بإخلاص، فالهدف الأول لكل مؤمن أن يزكّي نفسه، لأن تزكية النفس ثمن دخول الجنة، وفلاحها مرهون بالأعمال الصالحة، فصفاء الروح وطهارتها واستقامتها من خلال المنهج الرباني القرآني يجعل الفرد يعيش مطمئناً ساكن القلب نقي السريرة، بعكس من أعرض عن كتابه، كما جاء في قوله تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا} [طه: 124، 125].

ت. بيان التّعالق بين التّزكية والفلاح: في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى:

[14].

العلاقة بين الفلاح والتزكية علاقة تداخل وتكامل، فقد ابتدأت الآية بحرف تحقيق، فكلُّ من انتفع بالقرآن وعمل به فاز بتزكية نفسه وتطهيرها من كل شر وإثم. والآية تشير إلى أنه قد "أدرك الفلاح وظفر بالبُغية مَنْ طَهَّرَ نفسه ونَقَّاهَا من أَوْضَارِ الكُفْرِ، وأزال عنها أدران

الشُّرك والآثام، ومن هذا نعلم أن تزكية النَّفس إنما تكون بالإيمان بالله، ونفي الشُّركاء، والتَّصديق بكل ما جاء به رسوله ﷺ مع صالح العمل"⁽¹⁾. وقد تَضَمَّنَت الآية وعداً من الله عز وجل لمن اتَّبَعَ هديه وزكَّى نفسه وتخلَّق بالصفَّات الحميدة أنه يفلح ويفوز برضوان الله تعالى في الحياة الدُّنيا والآخرة.

2- قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس: 9]

علاقة التَّزكية بالفلاح علاقة تداخل وتكامل وترابط، وهو ترابط سبب بنتيجة، أو علَّة بمعلول، فالفلاح هو الفوز وصلاح الأحوال الدُّنيوية والأخروية، والتَّزكية هي سبيل الفلاح ونيل رضوان الله. "قال قتادة وابن عيينة وغيرهما: قد أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى نفسه بطاعة الله، وصلاح الأعمال. وقال الفراء والزَّجاج: قد أَفْلَحْتَ نَفْسُ زَكَّاهَا اللهُ وَقَدْ خَابَتْ نَفْسُ دَسَّاهَا اللهُ... فلفظ {مَنْ زَكَّاهَا} اسم موصول، ولا بد فيه من عائِد على (مَنْ)، فإذا قيل: قد أَفْلَحَ الشَّخْصُ الَّذِي زَكَّاهَا، كان ضمير الشَّخْص في (زَكَّاهَا) يُعَوِّد على (مَنْ) هذا وجه الكلام الذي لا ريب في صحته.. وأما إذا كان المعنى قد أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاه اللهُ لم يبقَ في الجملة ضمير يعود على (مَنْ)، فإن الضَّمير على هذا يعود على الله"⁽²⁾، فإِسناد التَّزكية إلى العبد بتوفيق من الله تعالى وهدايته له. و"يجوز أن تكون الجملة جوابَ القسم وأن المعنى تحقيق فلاح المؤمنين وخيبة المشركين... ويجوز أن تكون جملة معترضة بين القسم والجواب، بمناسبة ذكر إلهام الفُجور والتَّقوى، أي قد أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى نفسه، واتَّبَعَ ما أَلْهِمَهُ اللهُ مِنَ التَّقْوَى، وخاب من اختار الفُجور بعد أن أَلْهِمَ التَّمْيِيز بين الأمرين بالإدراك والإرشاد الإلهي"⁽³⁾.

فبلوغ الفلاح يكون من خلال التَّزكية والمجاهدة والقيام بالحقوق والواجبات على اختلافها وتنوعها، والابتعاد عن الرَّذائل والمحرمات.

إن القرآن الكريم يشكل مرجعاً أساسياً للقيم الإسلامية، فما كان صالحاً من القيم

1- تفسير المراغي، ج 30، ص: 128.

2- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، (1416هـ-1995م)، ج 10، ص: (625-626).

3- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص: 370.

السابقة على نزوله حافظ عليه، وما كان مخالفاً للمنهج طرحه وأعطى البديل عنه. فكل من قيم الرّحمة والتّقوى والفلاح وغيرها تشكل بعداً حضارياً لفعل التّركية؛ فالقيم الإسلامية شرط أساس لاستكمال العمران الحضاري، تسعى إلى تحقيق إنسانية الإنسان من خلال تفعيل دوره الاستخلافي. وتفعيل هذه القيم لا يكون إلا بتزليل الكتاب العزيز والسُّنة النبوية الشّريفة على الواقع المعيش، وتوليد روح التّعاون والرّحمة بين النّاس، وإصلاح الذات وتطهيرها لترتقي إلى الإحسان للآخر ومساندته مادياً ومعنوياً. وهذه الرّوح العالية يطلبها الإنسان المؤمن لتحقيق مفهوم الخيرية، فتدفعه إلى السعي لإقامة العمران بالابتكار والاختراع وجلب المنعة لأكبر عدد ممكن من النّاس.

المبحث الثالث: علاقات التضاد

المطلب الأول: التزكية والتدسية

أ. مورد التعالق:

ورد ذلك في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9، 10].

ب. تعريف التدسية في اللغة والاصطلاح:

- في اللغة: "الدَّسُّ هو إدخال الشيء من تحت، دَسَّهُ يَدُسُّهُ دَسًّا، فاندَسَّ، ودَسَّسَهُ ودَسَّاه. قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9، 10]، وقيل: دَسَّاهَا جعلها خسيصة قليلة بالعمل الخبيث. وقال الفراء: خابت نفس دَسَّاهَا الله وَعَجَّلَ. ويقال: قد خاب مَنْ دَسَّى نفسه فأخملها بترك الصدقة والطاعة⁽¹⁾. ودَسَّى نفسه أخفاها وأخملها {وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} دفنها وبخسها بالانغماس في المعاصي"⁽²⁾.

- في الاصطلاح: معنى {دَسَّاهَا} حال بينها وبين فعل الخير. وأصل فعل دَسَّى: دَسَّ إذا أدخل شيئاً تحت شيء فأخفاه"⁽³⁾. قال تعالى: {وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} أي دَسَّسَهَا في المعاصي، فأبدل من إحدى السنين ياءً"⁽⁴⁾.

وهكذا نجد أن التعريفين اللغوي والاصطلاحي يتفقان على أن التدسية تدل على الدَّس والإخفاء والانغماس في المعصية والتحقير، ومنه جاء قوله تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [النحل: 58، 59].

في القرآن الكريم:

ورد في تفسير البغوي أن معنى قوله تعالى: {وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} أهلكتها،

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (دسس) ج 6 ص: 82.

² - محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 2010 م، ص: 653.

³ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص: 370، بتصرف.

⁴ - الراغب، المفردات، مادة (دس)، ص: 314.

وأضلَّها، وحملها على المعصية، فجعل الفعل للنفس. ودسَّها أصله: دسَّها من التدسيس، وهو إخفاء الشيء. والمعنى هاهنا: أحمَلها وأخفى محلها بالكفر والمعصية⁽¹⁾. ففعل "دسَّها" حال بينها وبين فعل الخير⁽²⁾.

وجاء في الكشف أن "التدسية النقص والإخفاء بالفجور، وأصل دسَّى: دسَّ، وأما قول مَنْ زعم أن الضمير في زكَّى ودسَّى لله تعالى، وأن التانيث راجع إلى "مَنْ" لأنه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدرًا هو بريء منه ومتعال عنه، ويحيون ليااليهم في تحمل فاحشة ينسبونها إليه"³ فقد أشارت أن أفعال العباد تُنسب إليهم، ولا تتعلق بإرادة الله سبحانه، فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل باعتقادهم أن ذلك مقدَّر عليهم و"زعمت هذه الفرقة أن العباد أنفسهم هم الخالقون لأفعالهم وليس لله تعالى دخل فيها، ولا تتعلق بما إرادته وقدرته -سبحانه- على اعتبار كونهم المكلفين بالأفعال"⁴ بينما الشرع أنزل أحكامه وشرائعه على المكلفين، وبسط لهم حرية الاختيار، استنادًا إلى حرية العقل، وما توصلوا إليه به من بعثة الأنبياء والرسل، وبذلك اهتدى من أراد الهداية، وضل من أراد الغواية، مصداقًا لقوله تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} [الكهف: 29]، وقوله تعالى: {مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} [الإسراء: 15]، فهداية الله مُيسَّرة لمن أراد ذلك، وكانت إرادته موافقة لإرادة الخالق، ونظر بعين البصيرة وتدبَّر في الكون، وعرف المقصد من وجوده، فارتاح ضميره، وسلَّم أمره كلّ للخالق سبحانه الذي بيده كل شيء، وهو على كل شيء قدير.

وقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} في تفسير الآية كما جاء في قول الألوسي (ت1270هـ) أنها "جواب القسم، على ما أخرج الجماعة عن قتادة، وإليه ذهب الزجاج وغيره، وحذف اللام كثير، لا سيما عند طول الكلام المقتضي للتخفيف، أو لسد مسدها،

1- البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ، ج 8، ص: 437.

2- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص: 371.

3- الزمخشري، الكشف، ج 6، ص: 383.

4- الحبيب مغراوي، مفهوم الهدى، ص: (338-339).

وفاعل {زَكَّاهَا} ضمير «من»، والضمير المنصوب للنفس، وكذا في قوله تعالى: {وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}، وتكرير «قد» فيه لإبراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والإيدان بتعلق القسم به أصالة، والتزكية: التنمية، والتدسية: الإخفاء. وأصل دَسَّى دَسَّس، فأبدل من ثالث المتماثلات ياء، ثم أبدلت ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها، وأطلق بعضهم فقال: أبدل من ذلك حرف علة كما قالوا في (تقضض) تقضَّى ودَسَّسَ مبالغة في دَسَّ بمعنى أخفى¹.

ث. بيان التَّعَالُقِ بَيْنَ التَّزْكِيَةِ وَالتَّدْسِيَةِ:

العلاقة بين التَّزْكِيَةِ وَالتَّدْسِيَةِ علاقة تضاد، ويبرز هذا التضاد من خلال دراسة الحقل الدَّلالي للسياق الواردة فيه الآية، فقد ذكر سبحانه وتعالى، بأسلوب الطَّباق، تقسيماً لما يُلْهِمُ النَّفْسَ إِيَّاهُ مِنْ تَقْوَى أَوْ فَجُورٍ، وهذان قسمان لا ثالث لهما، وهما على طرفي نقيض. ثم أعقب ذلك بعقد مقابلة بين أحوال بني آدم مع هذا الإلهام، وكيف يكونون، فهم بين مفlech زُكِّيَتْ نَفْسُهُ، وبين خائب دُسِّيتْ نَفْسُهُ. ونستطيع أن نفهم من هذا الطَّباق وهذه المقابلة في هذا السِّياق أن التَّزْكِيَةَ مرتبطة بالتَّقْوَى، بينما ترتبط التَّدْسِيَةُ بالفُجُور. ويمكننا أن نعيد تشكيل هذا الحقل الدَّلالي على شكل مجموعتين كالآتي: (تَقْوَى، أَفْلَحَ، زَكَّى) في مقابل (فُجُور، خَابَ، دَسَّى). فالنفس بين أن تسير على طريق التَّقْوَى فيفلح صاحبها بتحقيق تزكيتها، وبين أن تسلك طريق الفجور فيخيب صاحبها بتدسيته. ففطرة الإنسان تشمل جانب الخير والشر، وهذا ما أشار إليه طه عبد الرحمان بقوله: "لقد خلق الله الإنسان على الفطرة، وألهمه التَّقْوَى والفجور، بحيث يتساوى البشر في استعداداتهم لهما، وخلق الله مع هذا الإنسان قابلية للتَّزْكِيِ حتى يصير تقياً شكوراً، وقابلية للتَّدْسِيِ حتى يصير فاجراً كفوراً، وكلما زاد الإنسان تزكية نقص تدسية، والعكس بالعكس، كلما نقص تزكية زاد تدسية"².

فكانت التَّزْكِيَةُ مرحلة انتقال من قلب مريض ونفس مضطربة إلى قلب سليم ونفس مطمئنة راضية مرضية ومحقة للعبودية من خلال الانضباط لأوامر الله تعالى، وكلما ابتعد الإنسان عن المنهج القويم تعرض للتَّدْسِيَةِ ومنها إلى الخيبة والهلاك.

1- الألوسي، روح المعاني، ج 15، ص: 360.

²- طه عبد الرحمن، روح الدين، ص: 267.

فالتزكية توحى بالارتقاء والزيادة في التربية الإيمانية لبناء الفرد وإصلاح الأمة، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (28) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ { [الرعد: 28 29].

وفعل التدسية ينتج عنه التمرد والطغيان والظلم والفجور والعجب والقلق والاعتراض والاضطراب وحب الانتقام والتشاؤم والغفلة وسوء الظن والتباغض والتحاسد وكثير من الآفات. وقد توعد سبحانه بالعذاب الأليم من خالف وعده، وذلك في قوله تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا { [طه: 124، 125]. فالنفس البشرية إذا لم تشغلها بفعل الخير والصالحات انحازت إلى الشر فانشغلت به وضلت الطريق، وحُصرت في اتباع الهوى والشهوات وطريق المنكرات، ولا يتأتى ذلك إلا بالمجاهدة، وإصلاح النفس بإخراجها من داعية هواها، إلى سبيل الفلاح والفوز العظيم.

خلاصة الفصل الثالث:

تعرضنا خلال هذا الفصل إلى بيان العلاقة بين مشتقات التزكية ومفاهيم أخرى، وذلك في ثلاثة مباحث، تناولنا في المبحث الأول منها علاقات التعاطف، وفي المبحث الثاني تناولنا علاقات التداخل والتكامل، وتطرقنا في المبحث الثالث إلى دراسة علاقات التضاد، وذلك على الشكل الآتي:

1 - علاقة التعاطف:

- التزكية والطهارة: وردت علاقة التعاطف بين التزكية والطهارة في قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: 103]، والمقصود بها الطهارة القلبية، والعلاقة بين الاثنين علاقة تلازم وترابط، فالتزكية سبب من أسباب الطهارة، فتم ربط السبب بالمسبب.

- التزكية والهداية: وردت علاقة التعاطف بينهما في قوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (15) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (16) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19)} [النازعات: 16 - 19]؛ إذ عطفت الهداية على التزكية، وتمت دعوة فرعون إلى التزكية والتطهر أولاً من أدران الشرك والكفر وإلى التزامه بأمر الله عز وجل، وهو ما يحقق فعل الهداية.

- التزكية والتقوى: وردت هذه العلاقة في حديث زيد بن أرقم، قال: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا، أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»¹، حيث نجد علاقة تعاطف بين التزكية والتقوى، طلب التقوى والتزكية بالدعاء وهي علاقة اقتضاء ولزوم.

وهذا العطف فيه:

- عطف الخاص على العام: التزكية/ الهداية.

- عطف يفيد التداخل والتلازم بين الطهارة/ التزكية/ الهداية.

1 - سبق تخرجه.

- علاقة اقتضاء ولزوم: تحقيق التزكية بالتقوى.

2 - علاقة التداخل والتكامل

- التزكية والتقوى: وردت بينهما علاقة ربط، وذلك في قوله تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} [الليل: 17، 18].
وتبين من تحليل هذه العلاقة أنها:

● علاقة تداخل وتكامل، فإيتاء الزكاة لمستحقيها دليل على تمام التزكية، والتقوى والعمل بمقتضاها.

● علاقة لزوم وسببية، فإعطاء المال لمستحقيه سبب للنجاة من النار وصفة للمتقين.
- التزكية والرحمة: وردت هذه العلاقة في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: 21].

وعلاقة التداخل بين الرحمة والتزكية تبرز من خلال ربط لفظ الرحمة والفضل بالتزكية باستعمال (لولا) الشرطية، فتكون التزكية مشروطة بتدارك الله عز وجل لعباده بالرحمة والفضل.

- علاقة تداخل وتكامل بين التزكية والفلاح: اقتضرت فيها على آيتين في:

- قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى: 14].

- قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس: 9].

ابتدأت الآيتان معاً بحرف التحقيق، إذ اعتبرت التزكية جواب القسم لتحقيق شرط الفلاح، فقد أفلح من زكَّى نفسه وطهرها، وأفلح من زكاه الله وانتفع بالقرآن وجاهد نفسه للظفر بالبغية والتجاح.

3-علاقة تضاد

وهي علاقة تضاد بين التزكية والتدسية، وقد برزت في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9، 10]؛ حيث ارتبطت التزكية في هذا السياق بالفلاح والتقوى، وجاءت في مقابل التدسية التي ارتبطت بالفجور والخيبة والخسران.

والملاحظ في كل من علاقات التداخل والتكامل والتعاطف وجود خصائص مشتركة ومترابطة داخل النسق المفهومي لمفهوم (التزكية)، تدل على وجود مجموعة من العلاقات خفية غير ظاهرة، يفرضها هذا المفهوم كعلاقته بالتطهير والفلاح والهدى والتقوى... وغير ذلك المفاهيم.

وفي المقابل نجد هذا المفهوم داخلا في علاقة تضاد مع مفهوم التدسية وما يرتبط به من مفاهيم فرعية كالفجور والخيبة والخسران.

الفصل الرابع

ضمائم ومشتقات التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف

المبحث الأول: ضمائ التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف

المبحث الثاني: مشتقات التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف

الفصل الرابع:

ضمائم التزكية ومشتقاتها في القرآن الكريم والحديث الشريف

سنقوم من خلال هذا الفصل بتحليل ضمائم الوصف والإضافة والمشتقات، ويتجلى الهدف من دراسة هذه الضمائم في تبين معان جديدة لمفهوم التزكية، يتبين ذلك في التفكيك والتحليل والتركيب، أما بالنسبة لمشتقات التزكية فقد وردت في القرآن الكريم سبع عشرة مرة على شكل فعل سند إلى الله ﷻ، كما في (يُزَكِّيهِمْ)، أو يسند إلى الرسول ﷺ كما في قوله تعالى: (يُزَكِّيْكُمْ)، أو يسند إلى الشخص نفسه كما في (تزكَّى).

وتعددت الاشتقاقات بين الفعل الماضي والمضارع والأمر للدلالة على أن فعل التزكية يكون في كل حين، بما يفيد الاستمرارية والتجدد، فجاءت مشتقاتها في الزمن الماضي (زكَّى، زكَّاهَا..)، وفي الزمن المضارع: (يزكِّيكم، يزكِّيهم يزكِّي، يتزكَّى...). بما يفيد الحال والاستقبال. وجاء اسم التفضيل "أزكَّى" أربع مرات، وورد لفظ "الزكاة" معرفة ونكرة، اثنتين وثلاثين مرة، لتدلّ على ثبات المفهوم وإطلاقيته في الزمان والمكان كباقي المفاهيم الأخرى التي اختصت بها الشريعة.

ولتتبع لموارد التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف، لا بد من تبيان الألفاظ التي تنتمي إلى جذره اللغوي والمفهومي، ولهذا سيتم تقسيم مشتقات التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف إلى قسمين:

- قسم أول متعلق ببحث دلالات المشتقات الفعلية.
- قسم ثان متعلق ببحث دلالات المشتقات الاسمية.

المبحث الأول: ضمائم التزكية في القرآن والحديث

المطلب الأول: ضميمة (تزكية النفس)

مورد الضميمة: ورد ذلك في الحديث عن عبد الله بن معاوية الغاضري، حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ ﷻ وَخَدَهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي كُلِّ عَامٍ، وَلَمْ يُعْطِ الْهَرَمَةَ وَلَا الدَّرَنَةَ وَلَا الْمَرِيضَةَ، وَلَكِنْ مِنْ أَوْسَطِ أَمْوَالِكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهَا، وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهَا، وَزَكَّى نَفْسَهُ»، فَقَالَ رَجُلٌ: وَمَا تَزَكِيَةُ النَّفْسِ؟ فَقَالَ: «أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»¹.

أولاً : تعريف النفس في اللغة :

ورد في مقاييس اللغة أن "التون و الفاء والسين أصل واحد يدل على خروج التسيم كيف كان من ريح أو غيرها وإليه يرجع فروعه"².

وتطلق النفس في اللغة على عدة معان:

- النفس بمعنى الروح؛ قال أبو إسحاق: النفس في كلام العرب يجري على ضربين، أحدهما: قولك خرجت نفس فلان أي رُوحه، وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا، أي في روعه والضرب الآخر: معنى النفس فيه معنى جملة الشيء وحقيقته، تقول قتل فلان نفسه، وأهلك نفسه، أي أوقع الإهلاك بذاته كلها وحقيقته، والجمع من كل ذلك أنفس ونفوس"³.

و"النفس عَيْنُ الشَّيْءِ وَكُنْهُهُ وَجَوْهَرُهُ يُؤَكِّدُ بِهِ يَقَالُ: جَاءَنِي الْمَلِكُ بِنَفْسِهِ، وَرَأَيْتُ فَلَانًا نَفْسَهُ، وَالنَّفْسُ بِمَعْنَى الْعَقْلِ وَالتَّمْيِيزِ، رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لِكُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسَانِ: إِحْدَاهُمَا نَفْسُ الْعَقْلِ الَّتِي يَكُونُ بِهِ التَّمْيِيزُ، وَالْأُخْرَى نَفْسُ الرُّوحِ الَّتِي بِهَا الْحَيَاةُ"⁴.

و"النفس بمعنى الدَّم، يقال سَالَتْ دَمُهُ، كما في الصَّحَّاح، وفي الأساس دفع بنفسه، أي دمه"⁵. والنفس بمعنى العين والحسد إلى غير ذلك من المعاني.

¹ - سبق تخريجه.

² - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (نفس)، ص: 910.

³ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (نفس) ج 6، ص: 233.

⁴ - الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (ن ف س)، تحقيق مجموعة من المحققين دار الهداية، ج 16، ص: 561.

⁵ - المرجع السابق، ج 16، ص: 559.

وهناك زيادة في لسان العرب في استعمالات النفس بقوله: "النَّفْسُ الْعَظْمَةُ وَالْكَبِيرُ، وَالنَّفْسُ الْعِزَّةُ وَالْهِمَّةُ، وَالنَّفْسُ عَيْنُ الشَّيْءِ وَكُنْهَهُ وَجَوْهَرُهُ، وَالنَّفْسُ الْأَنْفَةُ، وَالنَّفْسُ الْعَيْنُ الَّتِي تَصِيبُ الْمَعِينِ، وَالنَّفْسُ الْفَرَجُ مِنَ الْكَرْبِ"¹.

ومن خلال التعريفات اللغوية التي أشير إليها نخلص إلى أن النفس أحياناً يشار إليها بالعقل وأحياناً بالروح أو الدَّم وأحياناً بالعظمة والكبر... ونستنتج من ذلك أن النفس مرتبطة بكيان الإنسان، تتجلى من خلال إحساساته وانفعالاته المتمثلة في الغضب والرضا والحب والكراهية والفرح والحزن... إلى غير ذلك، فهي قوَّة إدراكية مرتبطة بالعالم الخارجي.

ثانياً : تعريف النفس في الاصطلاح

تعددت تعريفات النفس ومدلولاتها في الاصطلاح، ففي معجم التعريفات جاء أن "النفس هي الجوهر البخاري اللطيف، الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، فهو جوهر مشرق للبدن، فعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن وباطنه"².

وعرفها التَّهَانُوي بقوله: "الجوهر المفارق عن المادة في ذاته دون فعله، وهو على قسمين نفس فلكية، ونفس إنسانية، وعلى ما ليس بمجرد بل قوة مادية، وهو على قسمين أيضاً: نفس نباتية، ونفس حيوانية"³.

وعرفها الغزالي بقوله: "أما النفس فتُطلق بمعنيين، أحدهما أن يطلق ويراد به المعنى الجامع للصفات المذمومة وهي القوى الحيوانية المضادة للقوى العقلية، وهو المفهوم عند إطلاق الصُّوفِيَّة، فيقال: من أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك، وإليه الإشارة بقول نبيِّنا عليه السَّلام أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ. والثاني أن يطلق ويراد به حقيقة الآدمي وذاته، فإن نفس كل شيء حقيقته، وهو الجوهر الذي هو محل المعقولات وهو من عالم الملكوت"⁴.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (نفس)، ج 6، ص: 236.

² - الجرجاني، التعريفات، ص: 204.

³ - التَّهَانُوي، كشف اصطلاحات الفنون، ج 2 ص: 1713.

⁴ - الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفه النفس، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الثانية، 1975م، ص: 15.

والنفس لفظ مشترك بين معنيين: أحدهما يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة، والثاني يراد به اللطيفة التي هي الإنسان بالحقيقة، وهي نفس الإنسان وذاته¹.

ويمكن القول: إن النفس تختص بالذات الإنسانية روحاً وجسداً، قال تعالى: { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا } [النحل: 72]، فجوهرها الروح، وكيانها الجسد، ولها ارتباط بالعقل، فهو الأداة المميزة بين الخير والشر، فكلما تطهرت واستقامت وتزكت نالت رضوان الله، وكلما زاعت وانحرفت واتبعت خطوات الشيطان ولم تحكم العقل نالت غضب الله تعالى. ولا يمكن فهم النفس ومجال تركيتها وأنواعها إلا من خلال النظر في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كما سيتبين ذلك.

ثالثاً: النفس عند الفلاسفة:

لم يغفل الفلاسفة مجال النفس ومكوناتها، بل احتلت مكانة خاصة عند فلاسفة القدماء كالرومان واليونان والمسلمين فكيف كان منهجهم وتصوراتهم في البحث في هذا المجال؟

يرى سقراط: "أن النفس ذات روحية قائمة بذاتها، وأنها هي جوهر الإنسان الحقيقي، وأن البدن ليس إلا أداة لها، وأن الموت خلاصها وتحريرها"².

ويرى أفلاطون أن "النفس هي العنصر الجوهرى في الإنسان، وأنها ذات مستقلة، فلا يدخل البدن في تعريفها، ولا يعد جزءاً من ماهيتها، وحقيقتها، وحينئذ فهي المبدأ الذي تفيض منه الحياة على الجسم، وهي التي تحركه، وتدبره، وتعنى بأمره. فالإنسان ليس جوهرًا واحدًا، وإنما هو مركب من جوهرين: أحدهما نفسه، والآخر بدنه، وكل من هذين الجوهرين مستقل عن الآخر ومختلف عنه في طبيعته اختلافًا جوهريًا"³.

وقسم أفلاطون النفس إلى ثلاثة أقسام وهي: النفس الغضبية والنفس الشهوانية والنفس العاقلة⁴.

¹ - بشير الجلطى، حقيقة التصوف بين التأصيل والتأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1433هـ، 2012م)، ص: 180.

² - محمود قاسم، في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، 2019م، ص: 23.

³ - نفسه، ص: 32 - 33، بتصرف.

⁴ - سميح عاطف الزين، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، الطبعة الأولى، (1411هـ، 1991م)، ج 1 ص: 15.

بينما يرى أرسطو أن النفس جزء من عالم الطبيعة، وأن العقل هو الأصل، وهو مبدأ الحياة في الإنسان، وعن هذا العقل تصدر الظواهر النفسية جميعها¹.

وعند فلاسفة العرب نجد ابن سينا² يقول: "إن النفس جوهر مغاير للجسم، وهي تستطيع أن تكون بدون بدن، ولكنها لا تكون قبله بل توجد معه، من أجل ذلك تبقى ولا تفنى بفناء الجسد. وقد قسم ابن سينا النفس إلى ثلاثة أقسام:

- 1- النفس النباتية: وهي كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتولد ويربو ويتغذى.
- 2- النفس الحيوانية: وهي محرّكة (شهوانية غضبية) ومدرّكة ومنها المفكرة الحافظة، الذاكرة.
- 3- النفس الإنسانية: وهي عاملة (العقل العملي) وعاقلة (العقل النظري).

ويتوافق الغزالي معه في تقسيم النفس إلى نفس شهوانية وغضبية وعاقلة هي الميزة لدى الإنسان ليرقى إلى مقام العبودية لله تعالى، يقول: "إن أول ما يخلق عند الطّفل هي النفس الشهوانية التي يشترك فيها مع الكائنات الحيّة الأخرى من نبات وحيوان، ثم تخلق له النفس الغضبية التي يشترك فيها مع الحيوان فقط، وأخيراً تخلق النفس العاقلة التي تنفرد عن الكائنات الحية الأخرى، ويكون التطابق على أساس مقابلة النفس الشهوانية مع النبات والغضبية مع الحيوان والعاقلة مع الإنسان"³.

نجد من خلال هذه التعريفات أن الفلاسفة لم يتوصلوا إلى حقيقة النفس وإلى سبر أغوارها، ولم يتمكنوا من استنباط المعنى الحقيقي لها، فهي شيء معقد، فسقراط توصل إلى أن هذه النفس تنتهي بانتهاء الأجل لارتباطها بالروح، بينما يرى أفلاطون أن النفس شيء مستقل عن البدن، فهما يسيران في مركب واحد، وكل واحد يكمل الآخر، وأبرز الفلاسفة المسلمون يشيرون إلى الجانب الروحي للنفس، وهو ما يتوافق مع قول أرسطو وأفلاطون بأنّها جوهر روحي، بينما ربط أرسطو النفس بالعقل، مما أثار جدالاً حول طبيعة هذه النفس وهل تعد قديمة أم محدثة.

¹ - نفسه، ج 1 ص: 15.

² - نفسه، ج 1 ص: 16.

³ - الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 3، ص: 15.

لقد تعددت التعريفات حول طبيعة النفس، مما انعكس على تصور المنهج الأمثل لفهمها والتعامل معها. لكن فهمها الصائب يتضح من خلال الوحي واتباع منهج النبي ﷺ في تربيتها، والمعراج بها نحو القيم الراقية من خلال تعليماته في تربية الفرد في حركاته وسكناته ومعاملاته داخل أسرته وخارجها.

وبذلك شكلت النفس البشرية باباً قيماً في العلوم الإنسانية وعند علماء المسلمين خاصة من خلال البحث والتنقيب في طبيعتها، وردَّ الإمام الراغب الأصفهاني على كل من أنكر وجود النفس بالبراهين العقلية بقوله: "إن وجود النفس في الإنسان أمر لا يحتاج أن يدل عليه لوضوح أمره بل ينتبه الجاحد لها والغافل عنها بأنها هي التي بحصولها في الجسم تحصل الحياة والحركة والحس والعلم والرأي والتمييز"¹.

وقد أشار الإسلام إلى كل ما يحيط بالنفس من نزوات وهوى، فلم يطلق لها العنان بأن تفعل ما تشاء، بل حدد لها معايير وقيوداً وضوابط للعمل، فهي من أشد أعداء الإنسان، لما تدعو إليه من الطغيان والفساد وحب ملذات الحياة الدنيا على الآخرة، وحقيقتها وكنهها من علم الغيب لا يعلمه إلا خالقها. وقد أشار القرآن الكريم إلى الوسائل الكفيلة بتطهيرها وتزكيتها بالعبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج والذكر وكل أفعال الخير، وهي من الأسباب الموصلة للجنة لقوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} [النازعات: 40، 41].

رابعاً: النفس في القرآن الكريم:

وردت النفس في القرآن الكريم بمعان متعددة وباستعمالات مختلفة، نذكر منها:

- النفس بمعنى ذات الله سبحانه وتعالى، وذلك في قوله عز وجل: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام: 54]، قال ابن كثير: "أوجبها على نفسه الكريمة تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً"².

¹ - الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (1400هـ) -

1980م) ص: 20.

² - تفسير ابن كثير، ج 3، ص: 262.

- الإشارة إلى أصل الإنسان وما توسوس به نفسه، كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: 16].
 - النفس بمعنى الروح، وذلك في قوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الزمر: 42]. قال ابن جرير الطبري: "يجمع بين أرواح الأحياء وأرواح الأموات فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف، فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجسادها"¹.

- النفس بمعنى القلب وما يتصل به من الصدر والفؤاد وغيرهما، ومنه قوله تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [الأعراف: 55].
 - النفس بمعنى الإنسان كله روحًا وجسدًا، ومنه قوله تعالى: {مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [لقمان: 28].
 وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1]، قال جمهور المفسرين: المراد بالنفس الواحدة آدم وجعل منها زوجها حواء"².

- النفس وارتباطها بقوة الخير والشر: وذلك في قوله تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس: 7، 8].
 - والنفس بمعنى الغيب، وذلك قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [المائدة: 116].

¹ - تفسير الطبري، ج 21 ص: 298.

² - تفسير القرطبي، ج 7، ص: 337.

وغير ذلك من المفاهيم المتعددة ذات الدلالات المختلفة، وكلها تدل على عمق المفهوم، بصلاحتها يصلح حال الفرد وبفسادها يفسد أمره.

نستنتج من الآيات القرآنية أن النفس هي ذات الإنسان، وهي جوهره وروحه، لها انطباعات مختلفة وانقسامات متعددة، إما أن تسعى إلى طريق الخير فتحقق السعادة الدنيوية والأخروية. وإما أن تسعى إلى طريق الشر، فتتال الخسران وعدم الفلاح.

وكل هذه الآيات تستدعي وقفة مع النفس وتغيراتها؛ فقد أشار ماجد عرسان إلى تعريف النفس بقوله: "لقد تردد ذكر النفس في مئات المواضع من القرآن الكريم والحديث الشريف، ويستخلص من هذه الاستعمالات المتكررة فيهما أن النفس هي الوجود الحي للإنسان كله، وأن وجود النفس هذا ينقسم إلى قسمين: قسم معنوي يشار إليه باسم القلب، وقسم مادي هو الجسم"¹.

فالنفس في القرآن الكريم مرتبطة بكيان الإنسان وجوهره، وهي جامعة لكثير من الصفات والخصائص، وبذلك أعطيت لها عناية خاصة من طرف الشارع؛ تحت المسلم على التأمل والتفكير في خلق الله سبحانه، كما في قوله تعالى: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: 21]. وقد قال سيد قطب رحمه الله في تركيبة الإنسان العجيبة: "وهذا المخلوق الإنساني هو العجيبة الكبرى في هذه الأرض، ولكنه يغفل عن قيمته، وعن أسرار الكامنة في كيانه، حين يغفل قلبه عن الإيمان، وحين يحرم نعمة اليقين، إنه عجيبة في تكوينه الجسماني: في أسرار هذا الجسد، عجيبة في تكوينه الروحي: في أسرار هذه النفس، وهو عجيبة في ظاهره وعجيبة في باطنه"².

فالنفس مكن من مكامن الإعجاز في خلق الإنسان، لها أسرار ومقاصد وغايات، وقد تطرق الشاطبي وغيره في مقاصد الشريعة الإسلامية إلى أنه من الضروريات الخمس "حفظ النفس"، حيث أوجب الشارع الاهتمام بها والعناية بحفظها، ونهى عن الاعتداء عليها بقتل أو بأي نوع من أنواع الأذى بقوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: 151]، فوصفها يتغير من حال إلى آخر؛ تجمع بين

¹ - الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية، مرجع سابق ص: 138.

² - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص: 3379.

طبيعتين: طبيعة الحيوان من المأكل والمشرب والشهوة، وطبيعة الإنسان الرّاقية المفكرة بالمنهج العقلي الدّاعية للخير والنّاهية عن الشرّ؛ وأعطاهما القرآن الكريم عناية خاصّة لما يترتب عن ذلك من نتائج متنوعة، هدى وتوفيق من الرّحمن وفلاح أو ضلال وخسران. ولم يغفل الرّسول ﷺ العناية بهذا الجانب، بل ربّى الصّحابة رضوان الله عليهم على تقوية الجانب الرّوحي فيهم، فنجد من دعائه عليه السّلام طلب العون من الله تعالى على تربية النّفس وتزكيتها كما في قوله: { اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا }. وفي مراتب النّفس البشرية وطبيعتها نجد أنّها تنقسم إلى ثلاثة أوصاف ودرجات مختلفة كما ذكرها القرآن الكريم:

1- نَفْسٌ مُطْمَئِنَّةٌ، وهي في المرتبة العليا، كما في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي { [الفجر: 27 - 30].

2- ونفسٌ لَوَّامَةٌ، تلوم صاحبها، كما في قوله تعالى: { لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ { [القيامة: 1، 2].

3- ونفسٌ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، يطغى عليها جانب الشرّ، كما في قوله تعالى: { وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ { [يوسف: 53].

ويتبين من خلال الآيات الكريمة أن النّفس مراتب، كلما أطلق لها الفرد العنان مالت إلى الشّهوات، وزاغت وانحرفت فانحطت إلى أدناها. وقد كان الصّحابة رضي الله عنهم يخافون على نفوسهم فيحاسبونها ويعاقبونها، ويخضعونها للمراقبة والمحاسبة خوفاً من الرّحمن ورغبة في نيل الجنان. وقد أشار ابن عجيبة إلى ذلك بقوله: "إذا تطهّر القلب من الأكدار ملئ بالأنوار، فأشرقت فيه نفوس العرفان، وتمكن من حضرة الشّهود والعيان، فهذه سنّة الله في أوليائه وأصفياه، يفرون أولاً من النّاس حتى يحصل لهم منهم الإيأس، ثم يردّهم الحقُّ إليهم رغماً لهم من الإيأس لمقام الدّلالة والإرشاد، فينتفع بهم البلاد"¹.

ودرجة النّفس المطمئنة هي أعلى الدرجات وأعظم القربات، من نالها نال الإحسان، فاشتاق إلى لقاء ربه، وأنس بقربه، واطمأن إلى قدره، فاستوى عنده فوت حظ من حظوظ الدّنيا أو نواله، فلا تحزن نفسه على ما فاتّها ولا تفرح بما أتّاها. فالمؤمن يسعى إلى تزكية نفسه

¹ - أحمد ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، دار المعرفة، بيروت، ص: 149.

وتطهيرها من برائن الشرك والذنوب، باعتبارها من أعظم مقاصد الدين، وأعلى مراتبه، وطريقاً موصلاً إلى الإحسان الذي قال عنه النبي ﷺ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَهُوَ يَرَاكَ"¹.

وفي السنة النبوية سأل الرسول ﷺ ربه بأن يزكي نفسه، وتعوذ به من شرها، كما في قوله ﷺ: "اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا"². وحث المؤمنين على مراقبة أنفسهم ومجاهدتها بقوله ﷺ: "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"³.

فمحور التزكية هو الوجدان الإنساني، الذي يكون موضوعاً للتربية والتثنية، وهذا "الوجدان وجدانان: وجدان نزوعي ووجدان إدراكي، فالوجدان النزوعي له دوافع غريزية أو جبلية وحاجات مادية، ويرتبط بما يصفه القرآن بالنفس الأمارة بالسوء. أما الوجدان الإدراكي فتمثله دوافع الفطرة البشرية في تلمس الحاجات الروحية، ويتحرك الإنسان معها من البعد المادي إلى البعد الروحي، فتكون لديه نفس لوامة، لا تزال تترقى في درجات التزكية، لتصبح النفس مطمئنة، التي تستحق خطاب الله سبحانه لها بقوله⁴: {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّاتِي (30) } [الفجر: 27-28-29-30].

لقد وجه القرآن الكريم إلى النظر في الأنفس من خلال قوله تعالى: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: 21]، وذلك بتتبع نشأة الإنسان في بطن أمه ومراحل تكوينه إلى غاية خروجه إلى الكون الفسيح، ثم بالنظر في هيئاته وبديع صنع الله فيه، وكيف أكرمه الله على سائر المخلوقات بعقله الذي هو مناط التكليف، ووفر له كل ما في الكون لخدمته، ويسر له

¹ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب، تفسير القرآن، باب قوله: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} سورة لقمان/34، رقم: 4777، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم 8.

² - سبق تخريجه.

³ - سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرته الناس، رقم 1987. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

⁴ - ملكاوي، منظومة القيم العليا، ص: 83.

رزقه. كما دعا سبحانه وتعالى بني آدم من خلقه إلى النظر في الآفاق بقوله: {سُنِّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: 53]، فهذه دعوة للتأمل والتدبر في خلقه سبحانه والتضرع إليه، فهو المالك لكل شيء، وطمأنينة النفس وراحة البال لا تتأتى إلا بالتقرب إليه تعالى والتشبع بروح الإيمان به.

وخلاصة القول فتزكية النفس من الأمور التي حث عليها الشارع، ولا تقف عند الفرد فقط بل ترقى إلى الأسرة والمجتمع؛ فالقرآن الكريم يخاطب النفس الإنسانية من أجل القيام بالخلافة والبناء والتشييد والعمران وتحقيق العدل والمساواة في الأرض، وهي تجمع في ذلك بين الجانب المادي والمعنوي، وتدعو العقل إلى الاستثمار والمعرفة لفهم الكون والإصلاح فيه. ومنطلق الحضارة يكون من تغيير الأنفس. واستمرار رقيها مرتبط بصلاح أفرادها، لما تحققه من إخلاص وتعاون وانسجام واحترام للآخر وعدم الاعتداء عليه، فمهما حقق الإنسان من حضارة يبقى اضمحلال الجانب الروحي والإيماني فيها وقصوره عائقاً في وجه استمرارها، مما ينعكس على الطبيعة البشرية، فتوصف بالحقْد والحسد والكبرياء والغرور والأنا ويفقدها مهمتها الاستخلافية والكونية في الأرض.

العلاقات: من خلال الحديث الشريف شمل مفهوم التزكية قواعد مهمة من أركان الإسلام ومعاني عميقة تتجلى في:

—علاقة التداخل: بين (التوحيد/التزكية) و(الإيمان/الإحسان/التزكية)، تبين لنا مفهوم التزكية العميق في معرض حديث النبي ﷺ عن ذوق طعم الإيمان والوصول إلى مقام الإحسان، وهذه أعظم الدرجات بعد الإيمان. وبذلك "فالتزكية تكون بالإيمان بالله ونفي الشركاء والتصديق بكل ما جاء به الرسول ﷺ مع صالح العمل"¹ والاعتداء به، والظفر بأعظم نعم الخالق عز وجل على عباده وهي الشعور بمعيتة سبحانه في الأقوال والأفعال، فهي من أعظم منازل السالكين إليه سبحانه وتعالى.

¹ - تفسير المراغي، ج 30، ص: 128.

-الصفات: صفة الإيمان والإحسان، وهذا الحديث الشريف ضمّ قواعد كَلِّية للدين الحنيف من الإسلام والإيمان والإحسان، وبين أهميتها في حياة المسلم، ونجد دلالاتها ومعانيها في حديث جبريل عليه السلام حينما سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان.

المطلب الثاني: ضميمة تزكية الأعمال

مورد الضميمة :

وردت هذه الضميمة في حديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَذَا الطَّعْنُ عَرَفْنَاهُ فَمَا الطَّاعُونَ؟ قَالَ: " يُشْبِهُ الدَّمْلَ، تَخْرُجُ فِي الْأَبَاطِ وَالْمَرَاقِ، وَفِيهِ تَزْكِيَةُ أَعْمَالِهِمْ، وَهُوَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ شَهَادَةٌ"¹.

وروي بصيغة أخرى، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "سَتُهَاجَرُونَ إِلَى الشَّامِ، فَيَفْتَحُ لَكُمْ، وَيَكُونُ فِيكُمْ دَاءٌ كَالدَّمْلِ، أَوْ كَالْحَرَّةِ يَأْخُذُ بِمَرَاقِ الرَّجُلِ، يَسْتَشْهَدُ اللَّهُ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيُزَكِّي بِهِ أَعْمَالَهُمْ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مَعَاذَ بْنَ جَبَلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ هُوَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ الْحِطَّ الْأَوْفَرَ مِنْهُ، فَأَصَابَهُمُ الطَّاعُونَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَطَعَنَ فِي أَصْبُعِهِ السَّبَابَةَ، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَسُرُّنِي أَنْ لِي حُمْرَ النَّعَمِ"².

لقد حرص الرسول ﷺ على تزكية نفوس الصحابة وتقويتها بالإيمان ونزع كل ما يشوبها من أدران الشرك والجاهلية. وفي هذا الحديث إشارات إلى الصبر على الابتلاء بالمرض وعدم الفرار من البلد الذي يفشو فيه الطاعون، ومن ابتلي فله أجر الشهادة وثوابها. فتمَّ "منع القدوم على بلدة فيها الطاعون، ومنع الخروج فراراً منه"³ حتى لا ينتشر الوباء. قال ابن عبد البر: "الطَّاعُونَ غُدَّةٌ تَخْرُجُ فِي الْمَرَاقِ وَالْأَبَاطِ، وَقَدْ تَخْرُجُ فِي الْأَيْدِي وَالْأَصَابِعِ وَحَيْثُ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَقِيلَ: الطَّاعُونَ انْصَابُ الدَّمِّ إِلَى الْعُضْوِ، وَقِيلَ هَيَجَانُ الدَّمِّ وَانْتِفَاحُهُ"⁴.

العلاقات: يتضح من خلال الحديث الشريف أن مفهوم التزكية احتوى على معان عميقة تتجلى في الأجر والثواب الذي يناله من التزم بطاعة الله عزَّ وجلَّ واتباع أوامره.

—علاقة التداخل: (التزكية / الشهادة)⁵، (الإسلام / التزكية)

¹ - سبق تخريجه.

² - مسند الإمام أحمد، ج 36، رقم 22088، قال شعيب الأرناؤوط: المرفوع منه صحيح لغيره.

³ - عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 4، ص: 148.

⁴ - العيني، عمدة القاري، ج 2، ص: 256.

⁵ - جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «ما تعدون الشهيد فيكم؟» قالوا: يا

رسول الله، من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: «إن شهداء أمتي إذا لقليل»، قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: =

التَّزْكِيَّةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَسَاسِ تَقْوِيَةِ النَّفْسِ وَتَطْهِيرِهَا مِنْ بَرَاثِنِ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ، بِحَيْثُ لَا يَصْلُحُ حَالُ الْفَرْدِ إِلَّا بِالْإِتِمَارِ بِتَعَالِيمِ الدِّينِ وَالْعَمَلِ بِهَا قَوْلًا وَعَمَلًا؛ فَلَا تَزْكِيَّةَ بَدُونِ عَمَلٍ، وَلَا قَوْلٍ بَدُونِ فِعْلٍ، وَقَدْ أَشَارَ رَشِيدُ رِضَا إِلَى التَّزْكِيَّةِ بِقَوْلِهِ: "الْحِكْمَةُ الْإِشْرَاقِيَّةُ مَبْنَاهَا عَلَى تَزْكِيَّةِ النَّفْسِ بِإِزَالَةِ كِدَرَاتِ الْبَهِيمِيَّةِ عَنْهَا بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ، بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ لِلْإِنْسَانِ قَوْتَانِ: إِحْدَاهُمَا رُوحَانِيَّةٌ مُنْبَتَّةٌ فِي قَرَارَاتِهَا مِنَ الْجِسْمَانِيَّةِ كُلِّهَا"¹. وَفِي الْحَدِيثِ تَرَابُطٌ وَتَدَاخُلٌ بَيْنَ التَّزْكِيَّةِ وَالشَّهَادَةِ؛ فَالَّذِي يَمُوتُ مِنَ الطَّاعُونَ يُعْتَبَرُ شَهِيدًا، وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ تَزْكِيَّةٌ لِعَمَلِهِ وَتَطْهِيرٌ لَهُ وَتَنْمِيَّةٌ، فَقَدْ يَكُونُ الْعَمَلُ مُرَدُّدًا عَلَى صَاحِبِهِ لِشَائِبَةِ تَشَوُّبِهِ مِنْ رِيَاءٍ أَوْ سَمْعَةٍ أَوْ عَدَمِ مُوَافَقَةِ صَرِيحَةِ لِمَقَاصِدِ الشَّارِعِ الْحَكِيمِ، أَوْ يَكُونُ حَقِيرًا فِي نَفْسِهِ لَا تَتَّقِلُ بِهِ مُوَازِينَ صَاحِبِهِ وَلَا يَبْلُغُ بِهِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى، فَتَأْتِي الشَّهَادَةُ تَزْكِيَّةً لِهَذَا الْعَمَلِ وَتَنْمِيَّةً لَهُ وَتَطْهِيرًا. وَلِهَذَا اسْتَبْشَرَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بِإِصَابَتِهِ بِالطَّاعُونَ، فَقَالَ: "مَا يَسْرُنِي أَنَّ لِي حُمْرُ النَّعَمِ" لِعَدَمِ تَيَقُّنِهِ مِنْ صِلَاحِ أَعْمَالِهِ لِحَفَاءِ دَيْيَبِ الرِّيَاءِ إِلَيْهَا، وَلِانْفِرَادِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِعِلْمِ قَبُولِهَا مِنْ رَدِّهَا، أَوْ لِإِيْمَانِهِ بِكَوْنِهَا قَاصِرَةً عَنْ أَدَاءِ شُكْرِ النِّعْمَةِ وَحَقِّهَا، وَكَذَلِكَ لَعَلِمَهُ الَّذِي لَا يَخَالِطُهُ شَكٌّ بِأَجْرِ الصَّبْرِ عَلَى الْإِبْتِلَاءِ بِالطَّاعُونَ لِسَمَاعِهِ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ مُبَاشَرَةً.

_____ ﴿﴾ =
«مَنْ قَتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونَ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ»... «وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ». كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ: بَيَانُ الشُّهُدَاءِ، رَقْمُ 1915.

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2، ص: 159.

المبحث الثاني: مشتقات التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف

المطلب الأول: مشتقات الفعل الماضي لمصطلح التزكية

1- صيغة: (زكا)

ورد فعل "زكا" غير مشدّد مرّةً واحدةً في موضع واحد بصيغة الفعل الماضي المبني على الفتح المقدّر على الألف للتّعذر، وذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (21) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 21، 22]، ووروده في هذا السياق القرآني بصيغة الفعل المنسوب إلى الله تعالى يبين أن فعل التزكية طارئ على الإنسان، وفضل من الله سبحانه وتعالى يمن به على من يشاء من عباده، أي من مقتضيات الهداية والتّمكن الإلهي للعباد.

و"يقال: وزكا الشيء إذا نما في الصّلاح، فالقلب يحتاج أن يتربّى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح"¹، وقرأ الجمهور (ما زكا) بتخفيف الكاف، أي ما اهتدى ولا أسلم ولا عرف رشدًا، وقيل: ما زكى أي ما صلح،.. فتزكّيته لكم وتطهيره وهدايته إنّما هي بفضله لا بأعمالكم"²، فجواب لولا محذوف، أي: لعاجلكم بالعقوبة للذين خاضوا في الإفك، وقال ابن قتيبة: ما طهر منكم من أحد، والآية على العموم عند بعض المفسرين ومعناه: ما طهر من هذا الذّنْب ولا صلح أمره بعد الذي فعل، وهذا قول ابن عباس³، وفي رواية عطاء، قال: ما قبل توبة أحد منكم أبداً، ولكن الله يزكي، يطهر، من يشاء، من الذّنْب بالرحمة والمغفرة، والله سميع عليم"⁴.

¹ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، طبعة مجمع الملك فهد، ج 10، ص: 96.

² - تفسير القرطبي، ج 12، ص: 207.

³ - قال ابن عباس: يريد مسطحاً وحسان، وهذا الخطاب عند بعض المفسرين يفيد العموم كما في تفسير البغوي.

⁴ - البغوي، معالم التنزيل، ج 3، ص: 395.

والآية تبين عظمة الخالق سبحانه ورحمته بعباده وافتقار خلقه إليه؛ فلولا فضل الله ورحمته بعباده ما اهتدى أحد من الناس، وما كان أحد منهم زاكياً؛ فالتنفس مجبولة على حب الشهوات داعية إلى المهالك، ولذلك وضع الشرع لها حدوداً وضوابط حتى لا يُطلق لها العنان، وتصير إلى الطغيان والتّمرّد والعصيان، وأكرم الله الإنسان بالعقل من أجل التّمييز بين الخير والشرّ، والخبيث والطّيب، وبين الطّاعة والعصيان، والكفر والإيمان، ودعاه إلى مجاهدتها، وقد ألّف الفقهاء والعلماء كتباً من أجل استقامتها. وهذا ما أشار إليه الحافظ ابن قيم الجوزية باعتبار النفس طريقاً مثل الجبل، "فمنهم من شقّ عليه الصّعود إليه، ومنهم من هو سهل عليه، فقد استعدوا بالإيمان ومصابيح التّقوى لتلك القواطع، فانقلبت تلك المخاوف أمناً، فبين العبد وبين السّعادة والفلاح قوة وعزيمة وثبات قلب، بينما أكثر السّائرين رجّعوا عن أعقابهم، فاشتدّت مخاوفهم، وعجزوا عن قطعه واقتحام عقباته"¹.

-علاقات المصطلح المشتق "زكا"

إن قراءة القارئ للنص القرآني الذي ورد فيه فعل "زكا" تفيد أن هذا الفعل له ارتباط بعدة مفاهيم وبعلاقات متنوعة أهمها:

- علاقة التّداخل والتّكامل: وتتجلّى في علاقة التّركية بالرحمة، فالرحمة عامّة تشمل عباد الله أجمعين، والتّركية خاصة، تشمل المتّقين منهم فقط، وهو ما يشكل نوعاً من التّداخل والتّكامل.

-صفات المصطلح المشتق (زكا): من ذلك صفة الفضل والرحمة والمّنة من الله تعالى، فلولا رحمته تعالى ما زكا من أحد من عباده، فالرحمة ملازمة لفعل التّركية. وكل ذلك تيسير من الرّحمن الرّحيم على عباده المؤمنين، فلولا فضل الله تعالى ورحمته ما وُفّق أحد إلى الاهتداء إلى سبيل الرّشاد، واستقامة القلب، وما تخلص من وساوس نفسه وحظوظها، فالتنفس الزّكية تحتاج إلى خالقها في كل حرّكاتها وسكناتها.

¹ - ابن القيم ، مدارج السالكين، ج 1، ص: 226 بتصرف.

2- صيغة (زكّاهَا) :

ورد لفظ (زكّاهَا) مرّة واحدة وذلك في قوله تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 7 - 10].

ابتدأت الآية بالقسم لعظمة الأمر، و" أقسم بالنفس وما سَوَّاهَا، وركب فيها قواها الباطنة والظاهرة، وحدّد لكل منها وظيفة تؤديها، وألف لها الجسم الذي تستخدمه من أعضاء قابلة لاستعمال تلك القوى"¹، وأقسم الله بهذه النفس لأهميتها، وبين أن قد أفلح من زكّى نفسه بطاعة الله تعالى بالخضوع والانقياد لأوامره ونواهيه، فقومها أحسن تقويم، وركبها في أجمل هيئة، وأصلحها بالمنهج القرآني، وسقاها بنور الإيمان والمعرفة، فهي إمّا إلى طريق الصّواب، فجنة عرضها السّماوات والأرض، وإمّا إلى طريق الشرّ باتباع المعاصي والمنكرات، فنارٌ والعياذ بالله. فتسويتها من عظمة الله تعالى، وهي شاملة للخير والشرّ، وتركيتها وسيلة للفلاح، يقول سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 35].

العلاقات: من خلال الآية الكريمة يتبين لنا أن التّزكية تحتوي على معان عميقة ودلالات مختلفة تتجلى في ما يلي:

-علاقة التّداخل والتّكامل: بين (النّفس والتّزكية) وبين (الفلاح والتّقوى والتّزكية)؛ فغاية الدّين الإسلامي هو إصلاح الفرد والمجتمع، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تزكية النّفس، ومعرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وما أوجبه من الحقوق والواجبات، ومن خلال التّقوى يتحقّق الفلاح والفوز بسعادة الدّنيا والآخرة، فحياة المؤمن رهينة بإصلاح نفسه والرقى بها في مدارج السّالكين.

- علاقة التّضاد: بين (تزكية النّفس وتدسيّتها):

فالنّفس مجبولة على حبّ الشّهوات، ومن استغرق وقته وحياته في ذلك فقد دسّ نفسه في المعاصي والآثام، واستحقّ الخيبة والخسران وغضب الرّحمن، ومن جاهد في طاعة الحقّ سبحانه فقد نال الفوز، وربح الجنة والرضوان.

-الضمائم : إضافة الفعل إلى ضمير الغائب "زكّاهَا".

¹ - تفسير المراغي، ج 30، ص: 168.

3- صيغة (زكى)

ورد فعل (زكى) في الحديث بصيغة الأمر للدلالة على الطلب والإلحاح على الله تعالى في الدعاء وطلب العون منه سبحانه لتطهير النفس وربطها بخالقها، فعن زيد بن أرقم قال: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ. اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا"¹.

وردت صيغة الأمر الدال على الطلب "آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا" للدلالة على أن التزكية من الله تعالى، ولذلك يجب الاستعانة على طاعته بالتوجه بالدعاء إليه؛ فالتنفس مجبولة على حب الشهوات، وداعي الهوى مستحكم فيها إلا أن يتدارك الله سبحانه وتعالى عبده برحمته فيحفظه من شرها فتنقاد إليه، ولا سبيل إلى استحقاق هذا الفضل إلا بالاستعانة بالله والاستغاثة به واللجوء إليه في كل حين.

العلاقات: يتبين لنا من قراءة نص الحديث الشريف أن معنى اللفظ (زكّاها) له ارتباط بعدة مفاهيم وله علاقات متنوعة نذكر منها:

- **علاقة التعاطف:** حيث عطفت الجملة المتضمنة لطلب التقوى على الجملة المتضمنة لطلب التزكية، والملاحظ هنا أن مفهوم التقوى سبق مفهوم التزكية، وقد تم التطرق في محور العلاقات السابق إلى المفهومين وإلى بيان العلاقة بينهما.

- **علاقة التماثل:** (زكّاها / زكّاها)

ونتبين من قراءة السياق الواردة فيه هذه العلاقة أن فعل التزكية قد يحصل من جهات متعددة، إلا أن خيرها ما كان من الله عز وجل، لأنه الأعلّم بحال عباده، وما يجري عليهم من المصالح، ولأن قلوب عباده بين أصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء.

- **علاقة لزوم وسببية:** فالتقوى ملازمة للتزكية، فبقدر ما يكون نصيب العبد من التقوى يكون نصيبه من التزكية، وقد ألهم الله عز وجل النفس الفجور والتقوى، ومدار التزكية على

¹ - سبق تخريجه.

التَّخْلِي عن القبائح وترك المفاسد والتَّحْلِي بالتَّقْوَى وتَحْرِي الفضائل، فلا زكاة للنَّفْس بغير اتِّقَاء المحارم وإصلاح الظَّاهر والباطن.

-الصفّات: صفة التَّقْوَى ملازمة لصفة التَّزْكِيَةِ، يَتَبَيَّن ذلك من خلال طلب التَّقْوَى من الله سبحانه بالدُّعَاء بتطهير النَّفْس وتزكيتها، والتَّعوذ من صفات الكفر والنفاق اللذين لا ينتفع صاحبهما بعلمه ولا يَخْشع قلبه ولا تشبع نفسه ولا تستجاب دعوته.

- ضَمِيمَة "زَكَّاهَا": تتجلى الضَّمِيمَة في اتِّصَال الفعل بضمير الغائب "ها" العائد على النَّفْس.

المطلب الثَّاني: مشتقات الفعل المضارع لمصطلح التَّزْكِيَةِ

لقد عرفت تصريفات التَّزْكِيَةِ في الفعل المضارع تنوعاً، فجاءت على صيغٍ مختلفة: (يزكِّكم، يزكِّهم، يُزَكِّي، يَتَزَكَّى...)، وهو تنوعٌ يوحي بالتَّجدد والاستمرارية والحركة؛ فهي فعل دائم مستمر مع الحياة الإنسانية، يسعى المؤمن من خلاله إلى الخير والصَّلاح. ومعظم صيغ هذه الأفعال جاءت بصيغة الجمع وهو ما يدل على أن الخطاب يتوجه إلى عموم المؤمنين، وعليه فإن مقصد التَّزْكِيَةِ وتطهير النَّفْس مقصد عام، ينبغي لكل مسلم أن يسعى في تحقيقه. وورد في مواضع أخرى بصيغة المفرد، يدلّ على أن لكل فرد زكَّاه، باعتبار حاله، وهذا ينسجم مع اختلاف ردود النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على من قَالَ لَهُ أَوْصِنِي، فقد رد على أحدهم بقوله: "لَا تَعْصَبْ"، وأجاب آخر بقوله: "عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ..."

1- :صيغة (تزكِّهم):

جاء فعل التَّزْكِيَةِ بصيغة المضارع مضافاً إلى ضمير الغائب (تَزَكَّيْهِمْ) مرّة واحدة في موضع واحد، للدَّلالة على استمرارية تزكية النَّفْس وتجديدها قصد تنميتها والسَّعي بها إلى الرقيّ في مدارج السَّالِّكين، وذلك في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)﴾ [التوبة: 103، 104]، فقد عبر سبحانه عن الزكاة بالصدقة لحيء فعل الأخذ بصيغة الأمر للدَّلالة على الوجوب، فبذل المال وإنفاقه وسيلة لتحقيق التَّزْكِيَةِ وتطهير النَّفْس من الآفات والردائل. وفي الآية دلالة على أن "الصدقة

تَطَهَّرَ وَتَزَكَّى، فقولُه: (تَطَهَّرْهُمْ) إشارة إلى مقام التَّحْلِيَةِ من السيِّئات، و(تَزَكَّيْهِمْ) إشارة إلى مقام التَّحْلِيَةِ بالفَضَائِلِ والحَسَنَات. ولا جرم أن التَّحْلِيَةَ مقدِّمة على التَّحْلِيَةِ، أي أن هذه الصَّدَقَةُ كَفَّارَةٌ لذنوبهم ومُجَلِّبةٌ لِلثَّوَابِ الْعَظِيمِ¹. والخطاب في الآية موجه للرَّسُولِ ﷺ باعتباره المَطْهَرُ والصَّدَقَةُ المَطْهَرُ بها. وهو تطهير من البخل والشُّح، فكان فعل الطَّهَّارَةِ ملازماً لفعل التَّزْكِيَةِ، فإخراج المال سواء أكان على وجه الزَّكَاةِ المفروضة أم كان على وجه صدقة التَّطَوُّع فيه تطهير للنَّفْسِ من الشُّحِّ والبخل، وحبُّ المال الذي قد يصل بصاحبه إلى الجشع والطَّمع في ما في أيدي النَّاسِ، وهو تربية للنَّفْسِ بقمع نزوعها إلى الشَّهَوَاتِ، فإذا انقادت لصاحبها في احتقار شهوة المال واستصغارها في جنب الأجر الموعود من الله على وجل، كان انقيادها في احتقار غيره من الشَّهَوَاتِ أسهل، وبذلك تحصل التَّزْكِيَةُ للنَّفْسِ.

العلاقات: من خلال الآية الكريمة يتبيَّن لنا أن صيغة الفعل المضارع "تَزَكِّيهِمْ" ارتبطت بمفاهيم متنوِّعة نذكر منها:

— **علاقة التَّعاطُف:** وذلك بين (التَّزْكِيَةِ / الطَّهَّارَةِ) حيث جاء فعل الطَّهَّارَةِ متقدِّماً على فعل التَّزْكِيَةِ، وهو عطف العام على الخاص.

— **علاقة التَّدَاخُلِ والتَّكَامُلِ:** وذلك بين (التَّوْبَةِ / التَّزْكِيَةِ)، حيث تتحقَّق التَّزْكِيَةُ من خلال التَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ والإِنَابَةِ إلى الله تعالى؛ فالنَّفْسُ خلقت مجبولة على حبِّ الشَّهَوَاتِ، فلا يكاد يستقيم حالها إلا بالمجاهدة والمراقبة والمحاسبة وإرغامها بالتَّوْبَةِ، فمن وسائل التَّزْكِيَةِ ترك الذُّنُوبِ والمعاصي والعزم على عدم العودة إليها، وتعزيز ذلك بإصلاح النَّفْسِ وتقويتها بالذِّكْرِ والاستغفار. وبذلك اعتبرت التَّوْبَةُ من مقامات التَّزْكِيَةِ.

— **الصِّفَات:** من هذه الصِّفَات صفة الطَّهَّارَةِ وصفة التَّوْبَةِ، إذ تعدَّان من أول مقامات العبودية لله تعالى، وذلك للانتقال من صفة التَّحْلِيَةِ إلى التَّحْلِيَةِ، ولا يتأتَّى ذلك إلا بعمل المجاهدة والمداومة.

الضمائم: جاء فعل التَّزْكِيَةِ مضافاً إلى ضمير الغائب الدَّال على الجماعة (هم)، وهو عائد على الذين تأخَّروا عن الإنفاق والجهاد في سبيل الله في غزوة تبوك؛ إذ رفض الرَّسُولُ ﷺ أخذ أموالهم حتى نزل الخطاب فيهم، وأخذت الصَّدَقَات منهم.

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 11، ص: 22.

2- صيغة (يُزَكِّيهِمْ):

ورد لفظ (يُزَكِّيهِمْ) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

- 1- في قوله تعالى: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [البقرة: 129].
- 2- وقوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: 164].

- 3- وفي قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الجمعة: 2].

وعبر عن لفظ التزكية بالطهارة من الشرك وخبائث الجاهلية؛ إذ التزكية لا تكون إلّا باتباع هدى الإسلام والامتثال لتعاليمه، والتعليم والتزكية هما جوهر التربية النفسية، فتم تقديم تعليم الكتاب والحكمة على التزكية في قوله تعالى: "وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ" للإشارة إلى أثر العلم في تزكية القلب وصلاحه؛ إذ التزكية لا تكون بدون علم بكتابه عز وجل، فالعلم المطلوب هو الذي يحقق من خلاله المؤمن خشية الله. كما قدّم العلم على الإيمان في قوله تعالى: {وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الحج: 54].

فالعلم النافع هو ثمرة الإيمان والعمل الصالح كما أشار إلى ذلك البخاري رحمه الله في أحد تراجمه: وهو باب العلم قبل القول والعمل؛ فبالعلم النافع تتحقق الخيرية والشهود الحضاري للأمم، وكلّما ارتقت الشخصية في أفكارها الإيجابية بتحصيل العلم النافع والعمل الصالح سعت إلى العمل في تحقيق دورها الاستخلافي وانبعاثها الكوني، وحققت التمكن والنصر، كما في قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} [النور: 55]، وقدمت التزكية على التعليم في الموضع الآخر، في قوله عز وجل: {وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} للدلالة على ضرورة تحصيل العلم النافع، فالانتفاع ببركة التعليم وفضله في الدنيا والآخرة يحتاج إلى تطهير النفس وتزكيتها، كما في

قوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} [البقرة: 282]، فلا خير في علم لا ينفع، ولا ينفع علم قلباً ذاهلاً عن الله وغافلاً عن أوامره ونواهيه، وجاهلاً بالغاية من خلقه، وبوظيفته الاستخلافية في الأرض.

العلاقات: في الآيات الكريمة ضمت التزكية علاقات وصفات تحمل معاني متنوعة نذكر منها:

- **علاقة التعاطف:** وذلك بين (التزكية؛ التلاوة، العلم والكتاب والحكمة)، إذ ورد لفظ (يزكيهم) معطوفاً على (يتلوا)، وهو صفة أيضاً للرسول ﷺ، أي ما يصيرون به أزكياً، طاهرين من خبائث العقائد والأعمال، ووسط التزكية بين التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة، التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهديتها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة¹.

- **علاقة التداخل والتكامل:** وذلك بين (البعثة والتزكية)؛ وتعد التزكية من المقاصد التي بعث بها الأنبياء والرسل لعلاج الأبدان والأرواح وإخراج الناس من ظلمات الجهل والهووى إلى نور التوحيد بمعرفة الله تعالى، وتطهير النفوس وتزكيتها من خلال منهج الشريعة الإسلامية المتزلة، وهو المنهج المتمثل في التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة.

- **الصفات:** جعل الله عز وجل التربية على التزكية من صفات الأنبياء والرسل، حيث اهتموا بإصلاح القلوب وعلاج الأبدان، وتطهير النفوس وتزكيتها من الرذائل والشرك، وقد اختص سيد الخلق محمد ﷺ بصفة المنّة والفضل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

- **الضمائم:** إضافة فعل التزكية إلى ضمير الغائب الدال على الجماعة (هم)، باعتبار التزكية لا تقتصر على الفرد فقط، بل لا بد من تعميم الأمر على الجماعة، ومن الحاضر الشاهد إلى الغائب القادم، لتشمل التزكية عموم الأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ولا يتأتى ذلك إلا بتغيير النفس الإنسانية وإصلاحها لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: 11].

3 - صيغة (لا يزكيهم):

1- الألوسي، روح المعاني، ج 14 ص: 288.

اقترن الفعل المضارع (يُزَكِّيهِمْ) في القرآن الكريم بأداة التفي في موضعين اثنين، للدلالة على موانع حصول التزكية واستحقاقها، وعلى صفات العاصين لله تعالى، والذي يترتب عليه حرمانهم من كلام الله لهم والنظر إليهم، وذلك في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: 174]، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران: 77].

وورد اللفظ "لَا يُزَكِّيهِمْ" في الحديث الشريف في ثلاثة مواضع:

1- أولها في الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتُهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»¹.

2- وثانيها في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخُ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»².

3- وثالثها في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِطَرِيقٍ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ، وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ سَاوَمَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَأَخَذَهَا»³.

ومن خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، تبين لنا صفات الذين لا يستحقون التزكية من الله تعالى بسبب ما اقترفوه من المعاصي كما يلي:

¹ - سبق تخریجه.

² - صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، رقم 107.

³ - صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب: اليمين بعد العصر، رقم 2672.

- نجد في بعض الآيات القرآنية إشارة إلى حرمان أصناف من الناس النظر إلى الله ﷻ، ومن كلامه معهم ومن تركيته لهم، من ذلك قوله تعالى: {وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران: 77].

وتكررت صيغة النظر والكلام في الحديث الشريف للتنبيه إلى عظم الأمر والتحذير من الوقوع فيه، لما يترتب عن ذلك من عقوبة في الآخرة تتجلى في غضب الحق سبحانه، وحرمان العبد من أعظم اللذات في الآخرة وأجلها، وهي لذة لقاء الله عز وجل والنظر إليه. وعند أهل التفسير "(لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ) تعني لا يكلمهم كلاماً ينفعهم ويسرهم، ولا يزكّيهم لا يطهرهم من دنس ذنوبهم"¹، فمعنى لفظ (لَا يُزَكِّيهِمْ) "لا يثني عليهم في ذلك الجمع، وذلك إشعار لهم بأنهم صائرون إلى العذاب، لأنه إذا نُفيت التزكية أعقبها الذم والتوبيخ"².

وفي الحديث، إشارة بالوعيد للشيخ الزاني والمالك الكذاب والعائل المستكبر³، وسببه أنه لم يكن لذلك ضرورة لإقدامهم على المعصية، وإنما من أجل المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى، فالشيخ لكمال عقله وتمام معرفته وضعف شهوته مستغن عن فعل الزنى، والمالك لا يحتاج إلى المداينة والمصانعة بالكذب، والعائل الفقير، ما فائدة استكباره واحتقار غيره، ورجل منع فضل الماء على ابن السبيل وهذا دليل على شدة قبحه، أما الخالف كاذباً بعد العصر فمستحق الوعيد لشرف الوقت من اجتماع الملائكة، كذلك المسبل⁴ والمثان والمنفق سلعته

¹ - النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392هـ، ج 2، ص: 116 بتصرف.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2، ص: 124.

³ - شرح النووي على صحيح مسلم، ج 2، ص: 117، بتصرف.

⁴ - بين الحديث الشريف الذي سبق ذكره الصفات الذميمة التي نهي الشارع عنها، فالمسبل هو الذي يجر ثوبه خيلاء، إلا أن الحديث مطلق في إسبال الإزار لمن تعمد ذلك، أما من حصل له ذلك بدون قصد فلا، كما في قصة أبي بكر رضي الله عنه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فقال أبو بكر: "إِنَّ أَحَدَ شِقَئِي ثَوْبِي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ"، فقال له النبي ﷺ: «إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خِيَلَاءَ» صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، رقم 3665، فبين ﷺ أن ما وقع منه من غير قصد، فلا يدخل ذلك في الوعيد بخلاف من تعمد ذلك، أما المن فقد نهي عنه في قوله تعالى: {لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى} [البقرة: 264]، والمنفق سلعته بالخلف الكاذب يخلف بالله أنها بكذا قصد بيعها.

بالحلف الكاذب، وكل هذه الصفات الذميمة تعد من معيقات التزكية، ومن الأمراض القلبية الخطيرة على حياة الفرد والمجتمع.

ويدل ورود مشتق (التزكية) على صيغة الفعل المضارع مقروناً بـ "بَلَا" التافية "لَا يُزَكِّيهِمْ" على ما يلي:

- إثبات صفة النظر والكلام لمن يحبهم الله والرحمة بهم، فهي صفة من الصفات الفعلية الناشئة بمشيئة الله تعالى، وإثبات عدم النظر إلى الذين غضب الله عليهم وتبشيرهم بالعذاب الأليم، وعدم تزكيتهم وتبشيرهم بالخسران المبين.

- تخصيص المتقين بالصفات الحميدة والذين لم يزكهم الله سبحانه بالصفات الذميمة.

- نفي الكلام كناية عن الغضب، لأنهم اشتروا الكفر بالإيمان، والضلالة بالهدى، والعذاب بالمغفرة، فضلوا وأضلوا، ونالوا غضب الله وعقوبته، وحرموا رضوانه ورحمته.

العلاقات: من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف اتضح لنا ارتباط فعل التزكية بمفاهيم وقضايا مختلفة تبرز من خلال علاقة التعاطف والتضاد والصفات، تتجلى في ما يلي:

علاقة التعاطف: بين (الكتمان/الشراء/التزكية)؛ وبين (الكلام/النظر/التزكية)، حيث يذكر الله عز وجل صفات بعض المغضوب عليهم من عباده والمحرومين من رحمته ومن النظر إليه، لأنهم اشتروا الكفر بالإيمان، والحق بالتصدي له، والتزكية بالتدسية، فخابوا وخسروا، وضلوا وأضلوا، فهم من المغضوب عليهم يوم الدين كما في قوله تعالى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (24) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (25)} [القيامة: 24، 25].

- **علاقة التضاد:** (التزكية والعذاب الأليم/ التزكية والخيبة والخسران)، يتحقق فعل التزكية بالطاعة والامتثال لله تعالى، والتخلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، وترك كل صفة ذميمة تبعد الإنسان عن رحمة الله تعالى، فلا تزكية بغير اتقاء لما حرم الله تعالى من كتمان الحق والضلال والفساد والطغيان، ولا سبيل إلى كف النفس عن طغيانها وفجورها إلا بتقوى الله تعالى، حيث يقترب المؤمن من الله بنور جلاله وجماله، ويجمع بين حبه وعبادته وخوفه، وبين رجاء رحمته والفرع من عقابه، ويذكر جزاءه وعقابه وخشيته منه عز وجل واستحضار عظمته، حتى ينال تزكيته سبحانه ورضوانه والنظر إلى وجهه الكريم. وذلك قوله تعالى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} [القيامة: 22، 23].

- الصِّفَات: صفة الكتمان المتَّسم بها أهل الكتاب، وهي ناتجة عن تعنتهم وكتماهم لما أنزل الله تعالى في كثير من الآيات التي تفضح أسرارهم، ولذلك توعدهم الله عز وجل بالعذاب الأليم في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} [البقرة: 159]، وقوله سبحانه: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} (70) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [آل عمران: 70-71].

- الضمائم: الفعل "لا يزكيهم" مضافاً إلى ضمير الجمع.

4 - صيغة (يُزَكِّي):

أ- ورد الفعل المضارع (يزكي) مفرداً في مورد واحد وذلك في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} (49) انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا} [النساء: 49، 50]، فالتزكية لا تتحقق إلا بإرادة الخالق سبحانه، فهو العادل الحق، لا يظلم مثقال ذرة. والعبرة بتزكية الله للعبد وليس بتزكية العبد لنفسه، فلا تصح التزكية إلا منه سبحانه، و"جاء قوله تعالى: {بَلِ اللَّهُ يَزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} إبطال لمعتقداتهم بإثبات ضده، وهو أن التزكية شهادة من الله، ولا ينفع أحداً أن يزكي نفسه، وفي تصدير الجملة بـ "بَلْ" تصريح بإبطال تزكيتهم، وأن الذين زكوا أنفسهم لا حظ لهم في تزكية الله¹.

ب- وفي الحديث وردت صيغة (يزكي) مرة واحدة، فعن أبي بكرَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتْنِي عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْحَاكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ - يَقُولُهُ مِرَارًا - إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يُرَىٰ أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَحَسِبُهُ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا»².

وفي رواية أخرى جاء الحديث بلفظ (أزكي) مقروناً بلا النافية، فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتْنِي رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 5 ص: 84.

² - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: ما يكره من التماذج، رقم 6061.

صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِرَارًا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فَلَانًا، وَاللَّهُ حَسِيْبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ كَذًا وَكَذًا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ»¹.

يتبين من خلال الحديث أن التزكية ليست مطلقة، وإنما لها حدود وضوابط وقواعد مرتبطة بأصول الشريعة الإسلامية، والهدف من ذلك الحفاظ على كيان الإنسان وتكريمه وعدم إذايته بالمبالغة في مدحه؛ فالله سبحانه هو أعلم بمن يستحق وصف التزكية. وقد أشار إلى ذلك ابن حجر بقوله: "فمن أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العجب لظنه أنه بتلك المترلة، ولذلك تأول العلماء بإحشاء التراب في وجوه المداحين بالباطل، وقال عمر: المدح هو الذبح، والمراد من ذلك الهلاك، أما من مدح بما فيه ولا يخاف على نفسه من ذلك فلا يدخل في النهي لقوله "أَحْسِبُ كَذًا وَكَذًا"².

العلاقات: يشير الفعل (يزكي) في القرآن الكريم والحديث إلى دلالات ومعان عظيمة، تبين مفهوم التزكية بأبعاده الحضارية، وأما فعل من الله تعالى يخص به من يشاء وحده، فهو العالم بأسرار القلوب وخفاياها. ومن العلاقات نذكر:

- **علاقة تعاطف:** بين (التزكية والمدح)، فالتزكية نوعان، محمودة ومذمومة، فإذا كان المدح سيؤدي بالممدوح إلى العجب بنفسه والاغترار بعمله والركون إليه مع أمن مكر الله وقدرته على تقليب القلوب فهو منهي عنه، ولذلك وضعت الشريعة الإسلامية لكل شيء حدوداً وضوابط؛ "فلم يفرط الرسول ﷺ في مدح أصحابه الكرام كأبي بكر وغيره في حضورهم، وجوز الثناء على الناس بما فيهم على وجه الإعلام بصفاتهم، لتعرف لهم سابقاتهم في الفضل، فيتزولوا منازلهم ويقدموا على من لا يساويهم ويقتدى بهم في الخير"³.

- **علاقة تماثل وتداخل:** وذلك بين (تزكية النفس/افتراء الكذب)، ففعل التزكية مناف للكذب والبهتان، فالمؤمن يحرص على تطهير نفسه وتزكيتها حتى يعكس صدق اعتقاده،

¹ - صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلاً كفاه رقم 2662.

² - ابن حجر، فتح الباري، ج 10، ص: 447.

³ - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد / الرياض الطبعة الثانية (1423هـ - 2003م)، ج: 9، ص: 225.

ويكون ترجمان الوحي الإلهي ليطمئن النَّاسَ لعمله ومعاملته. عكس من يفترى الكذب ويدّعي زكاة نفسه، فالعبرة ليست بتزكية الإنسان نفسه وإنّما العبرة بتزكية الله له فهو أعلم. عن اتقي.

-الصفات: صفة (الظلم/ الكذب)

5- صيغة (تَزَكَّى):

ورد الفعل (تَزَكَّى) في ثلاثة مواضع منها :

1- في قوله تعالى: {اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ} [النازعات: 17 - 19].

وقد جاءت الآية في سياق خطاب الله تعالى لموسى بالتّوجه إلى الطاغية فرعون ودعوته بإرشاده وحثّه على عبادة الله وحده، وتخليص نفسه من العقيدة الفاسدة الضّالة، "فيقبل إرشاد من يرشده إلى ما به زيادة الخير، فإن فعل المطاوعة يؤذن بفعل فاعل يعالج نفسه ويروضها إذا كان لم يهتد أن يزكّي نفسه بنفسه. ولذلك أعقبه بعطف وأهديك إلى ربك فتخشى، أي إن كان فيك إعداد نفسك للتزكية يكن إرشادي إياك فتخشى"¹.

والهداية المتحدّث عنها نوعان: هداية عامّة للجميع، فالله سبحانه هدى كل نفس إلى طلب الرزق والعيش، فوفّر لها جميع السبل من ماء وهواء ونبات وشمس وقمر وجبال... وفطرها على الخير وحب المنفعة، يقول تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} [السجدة: 7]، وقال سبحانه: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ} [طه: 50]، والكون كله هداية يرجع مصدرها إلى الخالق سبحانه، فهو الهادي، تدل على ذلك وحدانيته وربوبيته وأسمائه وصفاته. وهداية خاصة وهي هداية التوفيق والإرشاد. وتقدّمت الهداية على الخشية، إذ بحصول الاهتداء تنزكّي النفس وتطهّر، وتخشى الله سبحانه راجية مغفرته ورحمته ورضوانه وطالبة النّجاة من ناره.

2- قوله تعالى: {وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى} [طه: 75، 76].

¹ -ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص: 77.

يرتبط التزكّي في هذا السياق بأجره من الله عزّ وجلّ، فقد جاء الفعل "تزكّي" الخماسي اللازم جواب شرط، بما يدل على ارتباط فعل الجزاء بالتزكية لكل من تطهر من الذنوب والمعاصي فيدخل الجنة جاء لتزكّيته، فالجنة لا يدخلها إلا من تزكّي. ونفهم من السياق أنّ التزكّي معادل للإيمان وعمل الصالحات، ف"التزكّي مرتبة من مراتب الإيمان، فلا تتمّ التزكية إلا بتطهير النفس من الشرك والقبائح وتخليتها من الرذائل وتخليتها بالفضائل والإيمان والعمل الصالح، فهي تطهر من الكفر والمعاصي"¹، فالتزكية لا تركز على الأقوال فقط، بل لا بد من الفعل والممارسة.

3 - قوله تعالى {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى: 14].

ابتدأت الآية بحرف تحقيق لإفادة عدم الشك في حصول الفعل، فكانت التزكية جواب شرط، معرفة بضمير الغائب، فكل من انتفع بالقرآن وعمل به، وزكّي نفسه وطهرها من الشح والبخل وجاهدها في فعل الخير والعطاء والإنفاق فاز برضوان الله، يقول: {اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [التغابن: 16]، فالفلاح يشمل كل من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أن محمدا رسول الله، وطهر نفسه، ونقاها من أضرار الكفر، وأزال عنها أدران الشرك والآثام. و"من هذا تعلم أن تزكية النفس إنما تكون بالإيمان بالله، ونفي الشركاء والتّصديق بكل ما جاء به رسوله ﷺ مع صالح العمل"².

العلاقات: إنّ القارئ للنصوص القرآنية السابقة يتبيّن له أن فعل "التزكية" بصيغة المضارع يحتوي على معان مترابطة في ما بينها تشكل نسقاً مفهوماً قوياً، كالفلاح والهداية والخشية وغيرها، ويشمل علاقات ذات أبعاد دلالية متكاملة ومتجانسة نذكر منها:

علاقة التعاطف: وذلك بين (التزكية والهداية)، حيث سبق فعل "التزكية" فعل الهداية في الخطاب القرآني موضوع البحث، لأنّ التزكية تتطلب التّخلية من الرذائل ومن الشرك،

¹ - تفسير القرطبي، ج 11، ص: 277 بتصرف.

² - تفسير المراغي، ج 30، ص: 128.

فالتطهير مقدم على التزكية لحصول الهداية، وزكاة القلب موقوفة على طهارته، كما أن زكاة البدن موقوفة على استفراغه من أخلاطه الرديئة الفاسدة¹.

- **علاقة تداخل وتكامل:** وذلك بين (الفلاح والتزكية/العمل الصالح والتزكية/التزكية والخشية)، فكل هذه العلاقات متلازمة في ما بينها، ولها دور كبير في الرقي بالنفس إلى الإيمان وتحسين القلب من الوسوس والاضطراب. وتشكل هذه المفاهيم نسقاً مفهوماً يُبين عن تداخلها وارتباطها في ما بينها، فلا فلاح بدون تزكية نفس، وتزكية النفس لا تكون بغير عمل صالح، كما أنها لا تكتمل بغير تخلية القلب من المعاصي، وذلك يكون بخشية الله عز وجل واستحضار معيته في كل حين بما يحقق مرتبة الإحسان.

علاقة التضاد: (التزكية والطغيان)

تتلور هذه العلاقة من خلال الصراع بين الكفر مجسداً في فرعون الطاغية والإيمان مجسداً في موسى عليه السلام، لقد جاء موسى عليه السلام إلى فرعون من أجل حثه على تزكية نفسه، وذلك بتخليه عن طغيانه بادعائه الألوهية وبإيمانه بالإله الحق وخشيته، فتكون هذه المعاني في الحقل الدلالي المضاد للطغيان.

- **علاقة اللزوم والسببية:** جزاء من تزكى وعمل صالحاً جنة عرضها السموات والأرض.

- **الصفات:** صفة التزكية والهداية والخشية.

6- صيغة (يزكى):

ورد الفعل المضارع (يزكى) مشدداً مرتين في موضع واحد، للدلالة على الطهر في قوله تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي (3) أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَعَهُ الذِّكْرَى} [عبس: 1 - 4].

فالتزكية الحق هي المحور الذي يدور عليه حال ابن أم مكتوم إذ طلب الزيادة في الإيمان، وأنزل فيه القرآن حينما أعرض عنه الرسول ﷺ، وعبس في وجهه وقت تحاوره مع كبار قريش، وهو الذي قال فيه سبحانه وتعالى: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الأنعام: 52].

¹ - ابن القيم ، إغاثة اللهفان، ص: 81.

و"أصل الفعل (يَتَزَكَّى)، فقلبت التاء زايًا لتقارب مخرجيهما، وهذه الزيادة تفيد تكلف الفعل، والمراد ب {يَتَزَكَّى} تركية زائدة على تركية الإيمان بالتحلي بفضائل شرائعه ومكارم أخلاقه مما يفيضه هديك عليه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم تكونون إذا خرجتم من عندي كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة»¹، فليست العبرة في عمى الأبصار، وإنما العبرة في عمى القلوب وطمسها ودناءتها وعدم القدرة على تزكيتها؛ فالفلاح والخير في من وفقه الله فسعى في زيادة إيمانه وتقواه، كما هو شأن ابن أم مكتوم وغيره من الأتقياء.

وجاء لفظ الذكرى بياناً خاصاً لتشمل المتقين وحدهم بالموعظة الحسنة، بينما القرآن الكريم بيان عام للناس كافة يشمل مؤمنهم وكافرهم، لإرشادهم إلى طريق الحق والصواب، وذلك قوله تعالى: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 138] لمن أراد أن ينتفع به.

العلاقات: من خلال قراءة الآية القرآنية الكريمة يتبين لنا أن فعل التزكية يحمل معاني تدخل مع غيرها في علاقات متنوعة، منها:

- **علاقة التداخل:** وذلك بين (التزكية والذكرى)، فجملة (أو يَذْكُرْ) عطف على (يَزَكِّي) "للدلالة على حصول أحد الأمرين وكلاهما مهم، حصول الذكرى في نفسه بالإرشاد لما لم يكن يعلمه، أو تذكر لما كان في غفلة عنه"³. والجامع بين المعنيين في هذا السياق هو حصول الانتفاع، فإن في التزكية انتفاعاً بالتطهر من الذنوب والمعاصي، كما أن في الذكرى انتفاعاً بالاعتبار والاتعاظ، ومحصول الأمرين معاً زيادة الإيمان في قلب ابن أم مكتوم.

¹ - الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث حنظلة قال: انطلقت أنا وأبو بكر، حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: نافق حنظلة، يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأننا رأينا عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثلاث مرات، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، رقم 2750.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص: 106.

³ - نفسه، ج 31، ص: 107.

- **علاقة تضاد:** وذلك بين (التزكية والاستغناء والتصدي)، فأساس تزكية النفس هو التوحيد، وما له من أثر في تحقيق العبودية لله تعالى، لذلك كان انشغال الرسول صلى الله عليه وسلم بصناديد قريش وترغيبهم في دخولهم إلى الإسلام قوياً، ولم يهتم في المقابل بأمر ابن أم مكتوم لأنه ذاق حلاوة الإيمان، وإنما أراد الزيادة في ذلك لتحقيق مقام التزكية، فحالفه الحق سبحانه وأنزل فيه قرآناً، يكرمه بذلك، فهو المستحق له. وأما من استغنى وطغى فقلبه ليس بيد الرسول ﷺ، إنما دوره عليه الصلاة والسلام هو البلاغ والتوجيه والإرشاد والبيان، وأما الهداية فأمر متروك للخالق سبحانه.

7- صيغة (يَتَزَكَّى):

ورد فعل (يَتَزَكَّى) مرتين في موضعين من القرآن الكريم:

1- في قوله تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [فاطر: 18]]. وجملة (ومن يتزكى فإنما يتزكى لنفسه) جملة فيها قصر، والمقصود منها "أن قبولهم النذارة كان لفائدة أنفسهم، ففيه تعريض بأن الذين لم يعبؤوا بنذارته تركوا تزكية أنفسهم بها، فكان تركهم ضرراً على أنفسهم"¹.

2- وفي قوله ﷻ: {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (16) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)} [الليل: 14 - 21]. و"جملة (يتزكى) حال من ضمير (يؤتي)، وفائدة الحال التنبيه على أنه يؤتي ماله لقصد النفع والزيادة من الثواب تعريضاً بالمشركين الذين يؤتون المال للفخر والرياء والمفاصد والفجور. والتزكي: تكلف الزكاء، وهو التماء من الخير"²، والصلة وصف للأتقى وتحديد له بأنه الذي يعطي ماله، وينفقه في سبيل الله عز وجل، يبتغي طهارة نفسه والانتفاع بثواب صدقته والنجاة من النار، لا فخراً ولا سمعة ولا رياءً.

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 22، ص: 291.

² - نفسه، ج 30، ص: 391.

العلاقات: من خلال الآيتين الكريميتين يظهر لنا أن التزكية تدخل في علاقات متنوعة المعاني والمفاهيم تتجلى في ما يلي:

- علاقة التداخل والتكامل:

- وذلك بين (الخشية بالغيب والصلاة والتزكية): فالتزكية لا تتحقق إلا بأمور العبادة من صلاة وزكاة وخشية لله تعالى، فهؤلاء هم الذين تزكوا، وانتفعوا بتزكيتهم، وحرصوا على مضاعفة الإيمان والترقي في درجاته بالعلم والمعرفة والخشية.

- وبين (التقوى والتزكية): فالتزكية ملازمة لفعل التقوى، فلا تزكية بغير تقوى الله تعالى، ومن ذلك اتقاء الفواحش والمنكرات وكل ظاهر من المفاصد وباطن لا يرى، فأهل التقوى هم أهل المغفرة والرضوان، فلا سبيل لردع النفس عن فجورها إلا بتقوى الله وَعَلَىٰ والتقرب إليه والإخلاص له في السر والعلانية.

- **علاقة تضاد:** وذلك بين (التزكية والتكذيب)، فكل من تطهر من الذنوب فهو الأتقى، إذ مدار التزكية قائم على التحلية من الرذائل والتحلية بالفضائل، فالأزكى هو الأتقى، ولا زكاة بغير إنفاق ومجاهدة نفس، فمن سعى للخير والصالح نال رضوانه تعالى، وحقق الثواب والأجر، وأما من كذب بالحق وتولى عنه وأعرض فإنه يصلى ناراً ويوئء بالخسران المبين.

- **الصفات:** صفة الأتقى الذي يعطي ماله، مقابل صفة الأشقى الذي بخل واستغنى.

- صفة الوزر للمكذبين بيوم الدين، مقابل صفة الخشية للمحبين لله تعالى.

8- صيغة (تزكوا):

ورد فعل التزكية مضافاً إلى ضمير المخاطب بصيغة الجمع مرة واحدة في مورد واحد، وذلك في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: 32].

وورد الفعل (تزكوا) مضارع (زكى) مسبوقاً بلا الناهية، "وتواتل التقوى وراء فعل التزكية، للبيان والإيضاح، فلا فائدة من المدح والثناء على النفس أو الغير للرياء والسمعة؛ فالله سبحانه هو العليم بمن اتقى وبأحوال الناس، ولا حاجة للتفاخر بالأعمال والأنساب، والآية

حملت في دلالتها النهي الصريح عن تزكية النفس وادعاء صلاحها، فالله سبحانه مطلع على عباده، رقيب على أفعالهم وحركاتهم وسكناتهم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع البصير.

وقد فسر ابن عطية قوله تعالى: {فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ} بقوله: "فظاهره النهي عن أن يزكي نفسه، ويحتمل أن يكون نهيًا عن أن يزكي بعض الناس بعضًا وإذا كان هذا فإنما ينهى عن تزكية السمعة والمدح للدنيا والقطع بالتزكية، وأما تزكية الإمام والقُدوة أحدًا ليؤتم به أو ليتهم الناس بالخير فجائز وقد زكى رسول الله بعض أصحابه أبا بكر وغيره، وكذلك تزكية الشهود في الحقوق جائزة للضرورة إليها، وأصل التزكية إنما هو التقوى، والله أعلم بتقوى الناس منكم"¹.

وفي الحديث ورد فعل التزكية مسبقًا بلا النافية على معنى النهي مرة واحدة بروايات متعددة للدلالة على النهي الصريح عن تزكية النفس من خلال التسمية بما يفيد ذلك، فعن محمد بن عمرو بن عطاء أن زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ سَأَلَتْهُ مَا سَمَّيْتَ ابْنَتَكَ قَالَ سَمَّيْتُهَا بَرَّةً فَقَالَتْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ هَذَا الْإِسْمِ، سَمَّيْتُ بَرَّةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُزْكُوا أَنْفُسَكُمْ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ». فَقَالَ: مَا نُسَمِّيَهَا قَالَ: «سَمُّوْهَا زَيْنَبَ»².

يدلّ الحديث على إشارة لطيفة من الرسول ﷺ المعلم والمربي بالقول والفعل، حيث ينهى عن التسمي بالاسم القبيح، وأشار إلى ذلك الطبري بقوله: "لا تنبغي التسمية باسم قبيح المعنى، ولا باسم يقتضي التزكية له، ولا باسم معناه السب، فالأسماء إنما هي أعلام لأشخاص لا يقصد بها حقيقة الصفة، لكن وجه الكراهة أن يسمع سامع بالاسم فيظن أنه صفة للمسمى، وقد غير رسول الله ﷺ عدة أسماء، وليسَ ما غيّر من ذلك على وجه المنع من التسمي بها، بل على وجه الاختيار. قال: ومن تمّ أجاز المسلمون أن يسمي الرجل القبيح بحسن والفاسدُ بصالح"³.

¹ - تفسير ابن عطية الأندلسي، ج 5 ص: 205.

² - سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: تغيير الاسم القبيح، رقم 4953. قال الألباني: حسن صحيح.

³ - ابن حجر، فتح الباري، ج 10 ص: 577.

العلاقات: تنوّعت العلاقات في نصوص الوحي السابقة بين معان ودلالات متقاربة ومتنوّعة تتجلى في ما يلي:

- **علاقة تداخل:** وذلك بين (التزكية والتقوى)، وبين (التزكية والبر)، وكل من هذه المفاهيم يربط الفرد بالإيمان للتّرقى إلى الدّرجات العلى. ويبرز تداخل مفهومي التقوى والبر من خلال قوله تعالى: {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [البقرة: 189]. وهذا يدل على أن تحقيق التّزكية يتم من خلال فعل المزكّي، وذلك بالتّربية على القيم والمبادئ والأخلاق الكريمة.

علاقة تراكب: وذلك بين (التّزكية والنّفس)، فقد ركز القرآن الكريم والحديث الشريف على أهمية النّفس وتزكيتها باعتبارها من الأمور الهامّة في حياة المسلم، وذلك بمنهج التّوسط والاعتدال وعدم المبالغة في مدحها لخطر ذلك، إذ يفضي إلى النّظر إلى الخلق والتّعلق بهم وحبّ الجاه والحظوة عندهم. لذلك وضع لها الشّرع حدوداً وضوابط وغايات من أجل التّحكم فيها وعدم إطلاق العنان لها، وترقيتها من خلال التّربية والمجاهدة والالتزام بتعاليم الدّين الحنيف، والاستمرار في الطّاعة، والمداومة عليها لتنال الفلاح والأجر والثّواب في الدّنيا، لقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس: 9].

الصفات: صفة العلم والتقوى، وهما صفتان متلازمتان كما في قوله تعالى: {وَآتَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} [البقرة: 282]. وفي الآية نسبة العلم إلى الخالق سبحانه: {هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: 32]. كما في قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [الأنعام: 117] حيث نسب العلم إلى الله سبحانه وتعالى باستعمال صيغة اسم التّفضيل "أعلم" للدّلالة على مطلق الوصف لصفة الله العليم، واختصاصه به على جهة الكمال.

8- صيغة (أزكي):

وردت هذه الصيغة مرتين في موضعين مختلفين، فعن ابن شهاب، قال: أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت، أن أمّ العلاء، امرأة من الأنصار بايعة النبي ﷺ أخبرته: أنه اقتسم المهاجرون قرعة فطار لنا عثمان بن مظعون، فأنزلناه في أبياتنا، فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه، دخل رسول الله ﷺ، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب،

فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ: لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَا يُذَرِّبُكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟» فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهُ مَا أَذْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ، مَا يُفْعَلُ بِي» قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَا أَزْكِي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا¹.

يحمل الحديث في طياته دلالة النهي عن تركية الناس بأعمالهم وعدم الخوض في ذلك، فمصائر الخلق بيد الله تعالى فهو سبحانه "يتولَّى الجزاء والعقاب والرحمة والمغفرة، فيغفر لمن يشاء برحمته، ويعذب من يشاء بعدله؛ فلا يجزم لأحد بالجنة إلا ما نصَّ عليه الشارع كالعشرة المبشرة وأمثالهم"²، وفي قوله عليه الصلاة والسلام: "والله ما أذري وأنا رسول الله ما يُفْعَلُ بِي"، قال الحافظ ابن حجر (ت 852 هـ): "إنما قال رسول الله ﷺ ذلك موافقة لقوله تعالى في سورة الأحقاف: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَذْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} [الأحقاف: 9] وكان ذلك قبل نزول قوله تعالى: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح: 2] لأن الأحقاف مكيّة، وسورة الفتح مدنية بلا خلاف فيهما، وقد ثبت أنه ﷺ قال: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»^{3 4}.

- وفي حديث آخر عن عائشة رضي الله عنها أَنَّهَا أَوْصَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "لَا تَدْفِنِي مَعَهُمْ، وَأَدْفِنِي مَعَ صَوَاحِبِي بِالْبَقِيعِ، لَا أَزْكِي بِهِ أَبَدًا"⁵، وهو يدل على تواضع أمنا عائشة وحذرهما من أن تركي نفسها أو يزكيا غيرها؛ فقد فهمت رضي الله عنها أن في دفنها إلى جوار النبي صلى الله عليه وسلم منقبة لها ومزية ربأت بنفسها أن تدعيها أو يدعيها لها غيرها، لعلمها أن الله يزكي من يشاء، وأنه وحده سبحانه وتعالى الأعلم علم اليقين بأحوال عبادهم، والخبير المطلع على سرائرهم وخواتيمهم.

العلاقات: تحمل الأحاديث السابقة معاني طيبتها، وعلاقات متنوعة تتجلى

في ما يلي:

¹ - سبق تخريجه.

² - العيني، عمدة القاري، ج 8، ص: 16.

³ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند رقم 12469، وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة وقال: سنده جيد،

رجاله رجال الشيخين، ج 4، ص: 100.

⁴ - ابن حجر، فتح الباري، ج 3 ص: 116.

⁵ - سبق تخريجه.

علاقة التداخل والتكامل: وذلك بين (التزكية واليقين)، إذ يتعلق اليقين بأمور الاعتقاد باليوم الآخر، كما في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [البقرة: 4]، فالعبرة باليقين الذي يحصل للعبد بحث النفس على المجاهدة والاستمرار والمداومة على عبادة الخالق سبحانه، حتى يجيء المؤمن الموت وهو في أحسن حال مع خالقه سبحانه، كما قال: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: 99].

- علاقة التراكب: بين نفي التزكية والقسم وذلك في قول أم العلاء: "فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا"، حيث يظهر تفويض أمر الجزاء بالجنة أو بالنار للخالق سبحانه، فهو الأعلم بمن اتقى.

المطلب الثالث: المشتقات الاسمية لمصطلح التزكية

أولاً: صيغة اسم فاعل (زاكية - زكية):

ورد اسم (زاكية) في القرآن الكريم مرةً واحدةً في موضع واحد نكرة، وذلك في قوله ﷻ: {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا} [الكهف: 74].

نجد في هذه الآية أن لفظ (زاكية) ورد نعتاً نكرة بصيغة اسم فاعل، "وقرى زاكية وزكية، وهي الطاهرة من الذنوب، إما لأنها طاهرة عنده، لأنه لم يرها قد أذنبت، وإما لأنها صغيرة، لم تبلغ الحنث"¹. والآية جاءت في حوار بين الخضر وموسى عليهما السلام الذي استنكر إقدام الخضر عليه السلام على قتل غلام رأى أن نفسه زاكية، فاعترض قائلاً: "أتقتل نفساً طاهرة من الذنوب بغير قتل نفس محرمة؟... (لقد جئت شيئاً نكراً) أي لقد جئت شيئاً تُنكره العقول وتنفر منه النفوس"².

العلاقات: ضمت الآية الكريمة علاقات متنوعة تتجلى في:

- علاقة التراكب: النفس والتزكية، فزكاة النفس في هذا السياق تكون بطهارتها من الذنوب والآفات المستوجبة لاستحقاق العقاب، سواء أكان هذا العقاب في الدنيا، أم كان في الآخرة.

¹ - الزمخشري، الكشاف، ج 2 ص: 736.

² - تفسير المراغي، ج 15 ص: 179.

- **علاقة التضاد:** وذلك بين التزكية والقتل، حيث وردت صيغة القتل بالاستفهام الإنكاري في شأن الغلام الذي قُتِل ولم يبلغ الحنث بعد، للدلالة على الفعل الذي استنكره موسى عليه السلام، وهو يحمل دلالات ومقاصد وغايات، فطن إليها الخضر عليه السلام، وجهلها موسى نبي الله تعالى، وكل ذلك توفيق من الرحمن الرحيم.
- **الصفات:** زَاكِيَّة هي صفة لموصوف للدلالة على الطهارة والصفاء الروحي.
- ثانيا: صيغة اسم التفضيل (أزكى):

وردت صيغة (أزكى) نكرة في القرآن الكريم أربع مرات، تتجلى في:

1- قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا } [الكهف: 19].

ولفظ " (أزكى) في هذه الآية فيها قولان للعلماء: أحدهما: أن المراد بكونه "أزكى" أطيب، لكونه حللاً، ليس مما فيه حرام ولا شبهة. والثاني: أن المراد بكونه أزكى أنه أكثر، كقولهم زكا الزرع: إذا كثر، والقول الأول هو الذي يدل له القرآن... فاللائق بحال هؤلاء الفتية الأخيار المتقين أن يكون مطلبهم في مأكلهن الحلية والطهارة، لا الكثرة¹، وعبر عن التزكية بالطهارة من أدناس الذنوب والمعاصي، فهؤلاء الفتية الأخيار المتقين مطلبهم في مأكلهن الحلية والطهارة.

2- قوله تعالى: {فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } [النور: 28].

نجد في هذه الآيات تبياناً لآداب التواضع في الإسلام المبني على الاحترام، وعدم الاعتداء على الآخر، وعدم الدخول إلى البيوت بغير استئذان. فجاء {أزكى لكم} أي "أطهر لقلوبهم وأتقى لدينهم، كما قيل: من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته"². فأزكى لكم أنه أفضل وخير لكم من أن تؤذنوا على كراهة، وفي هذا أدب عظيم، وهو تعليم الصراحة بالحق، وجملة {هُوَ أَزْكَى لَكُمْ} لا محل لها من الإعراب تعليلية، واسم التفضيل بقوله "أزكى" مسلوب المفاضلة والمراد تقوية

1- محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر- بيروت، 1415 هـ- 1995 م، ج 3، ص: 227.

2- تفسير ابن كثير، ج 6 ص: 43.

تلك التَّركية لأن ذلك جُنَّةٌ من ارتكاب ذنوب عظيمة¹. ففيه معنى حفظ الكرامة وماء الوجه بالرجوع عوض الإذن بالدخول على الكراهة، لما فيه من تيرم صاحب البيت من زائره، وكرهه لهذه الزيارة غير المرغوب فيها.

وبذلك عبّرت سورة النور عن مقاصد وغايات تتعلق بفعل الاستئذان، حيث تحقق الأمر الأخلاقي للمسلمين؛ فكان القصد من الأحكام الأسرية هو توفير السكينة والراحة للمسلمين، وتلقينهم التربية الحسنة وضبط علاقاتهم الاجتماعية في ما بينهم.

3- قوله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [النور: 30].

جاء لفظ {أَزْكَى لَكُمْ} في هذه الآيات جملة تعليلية لا محلّ لها من الإعراب. وقد ابتدأت الآية بفعل الأمر للدلالة على الوجوب، وفيها تحصين النفس بالآداب والتعاليم الإسلامية من غضّ للبصر، وابتعاد عن كلّ ما حرّم الله تعالى، وعدم إطلاق العنان لها إلا في ما أباح الله، ففي غضّ البصر طهارة للنفس وصفاء للقلوب والأرواح، و"أزكى لكم" تفيد هنا أكرم لكم، وأحفظ لأعراضكم، ذلك أن في غضّ البصر وحفظ الفروج من المقاصد العظيمة الكثير، ففيه طمأنينة للنفس وهدئة لها وحفظ من تحرك نار الشهوة التي قد تفضي إلى انتهاك الحرمات والتعدي على أعراض الأغيار، وإلى تعريض المرء عرض نفسه للتدنس بفاحشة الزنى، وما فيها من حرم للمروءة بالتكشف على غير الحلال، وبذل ماء الوجه وتعريض الشرف للانتقاص من أجل الظفر بلذة عابرة ما أسرع ما تنقضي ولا يبقى إلا إثمها...

4- قوله تعالى: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 232]

أشار الطاهر بن عاشور إلى تفسير هذه الآية بقوله: "أزكى لكم) أوفر للعرض، وأقرب للخير، فأزكى دال على النماء والوفر، وذلك أنهم كانوا يعضلونهم حمية وحفاظاً على المروءة من لحاق ما فيه شائبة الخطيئة... ولك أن تجعل أزكى بالمعنى الأول، أي بمعنى أظهر، ناظراً لأحوال

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 18، ص: 204.

الدُّنْيَا. و(أطهر) بمعنى فيه السَّلامة من الذُّنُوب في الآخرة، فيكون أطهر مسلوب المفاضلة جاء على صيغة التفضيل للمزاوجة مع قوله أَرْكَى¹.

وفي التَّطهير المعنوي للنَّفس وزكائها ورد قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدُّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المجادلة: 12].

العلاقات: من خلال استقراء الآيات القرآنية السابقة يتبين أن مفهوم التَّركية يحمل في طياته معاني وعلاقات مختلفة تتمظهر في ما يلي:

- **علاقة التَّعاطف:** وذلك بين (التَّركية والطَّهارة)، فزكاة النَّفس وطهارتها من الهوى والانحراف والفساد رهينة بالرجوع إلى بيت الزوجية وحصول الصِّلح بين الزَّوجين واستئناف الحياة الزوجية، وهو أولى من العضل الذي يسعى إليه أولياء الأمور، خصوصاً مع ميل الطرفين إلى بعضهما، وإبداء كل منهما رغبته في الآخر، لما في ذلك من مغبة الوقوع في الزَّنى، وضياح الأعراض واستحقاق العقوبة.

- **علاقة تداخل وتكامل:** وذلك بين (النَّظر والتَّركية)، وبين (الرَّجوع والتَّركية)، وبين (غضِّ البصر وحفظ الفرج والتَّركية). ونجد من خلال هذه العلاقة أن مفهوم التَّركية يحتوي على دلالات ومعان عميقة، تتجلَّى في تطهير النَّفس من نزعات الهوى، وتربيتها على القيم والأخلاق الحميدة من غضِّ للبصر وحفظ للفرج وتأدب بآداب الاستئذان... إذ كلُّها وسائل تتحقَّق من خلالها التَّركية لإصلاح الذات الإنسانية وتربيتها على القيم الأخلاقية.

- **الضمائم:** اتِّصال الفعل بضمير المخاطب.

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2، ص: 428 بتصرف.

صيغة المصدر: الزكاة

أ. موارد (الزكاة) في القرآن الكريم :

وردت لفظة (الزكاة) في القرآن الكريم في اثنين وثلاثين (32) موضعاً، وردت في تسعة وعشرين منها معرفة، ووردت نكرة في ثلاثة مواضع. ونسبة ورودها في العهد المدني أكثر منها في العهد المكي، وتفسير هذا أن تشريع المعاملات وتفعيلها أغلبه كان بالمدينة، ونوضح ذلك من خلال الجدول الآتي:

الصيغة	عدد الورود	المكي	المدني
الزكاة	29	9	20
زكاة	3	3	0
المجموع	32	12	20
صيغ الورود	عدد مرات الورود		النسبة المئوية
الزكاة	29		49.15
زكاة	3		5.08

ونذكر هنا الآيات التي ورد فيها لفظ الزكاة في القرآن الكريم¹.

والملاحظ من خلال الآيات القرآنية السابقة اقتران لفظ الصلوة بالزكاة في ثمانية وعشرين موضعاً، وأكثر وروده بصيغة الأمر للدلالة على الوجوب، وذلك أن الله تعالى لم يأمرنا بالزكاة وحدها، وإنما "أمرنا بالزكاة مقرونة بالصلوة حيناً، وبغيرها من الفرائض والواجبات حيناً آخر"². وورد لفظاً إقامة الصلوة وإيتاء الزكاة مرتبطين بالركوع في الآيتين الكريميتين الآتيتين:

¹ - سورة البقرة: الآية (43-83-110-117-277)؛ سورة النساء: الآية (77-162)؛ سورة المائدة: الآية (12-55)، سورة الأعراف: الآية (156)؛ سورة التوبة: الآية (5-11-18-71)؛ سورة الكهف: الآية (81)؛ سورة مريم: الآية (13-31-55)؛ سورة الانبياء: الآية (73)؛ سورة الحج: الآية (41-78)؛ سورة المؤمنون: الآية (4)؛ سورة النور: الآية (37-56)؛ سورة النمل: الآية (3)؛ سورة الروم: الآية (39)؛ سورة لقمان: الآية (4)؛ سورة الأحزاب: الآية (33)؛ سورة فصلت: الآية (7)؛ سورة المجادلة: الآية (13)؛ سورة المزمل: الآية (20). سورة البينة: الآية (5).

² - يوسف القرضاوي، "شروط نجاح تطبيق الزكاة" منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، جامعة محمد الخامس، الزكاة وانعكاساتها في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، (1994م)، ص: 47.

1- في قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} [البقرة: 43].

2- وفي قوله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة: 55، 56].

ففي الآية الأولى وردت لفظة (الركوع) صفة لمن يمثل لأوامر الشارع بالطاعة والاستجابة وعدم العصيان من خلال أداء فريضتي الصلاة والزكاة، فهم أهل التقوى والمغفرة، وتحقيقهم وسائل التزكية للنفس وطمانيتها يكون بأداء العبادة على الوجه المطلوب، فكانت الزكاة أكبر عون لهم على ذلك.

وابتدأت الآية الثانية بأداة القصر تأكيداً للنهي عن ولاية اليهود والنصارى، وفيه توضيح لمدى ارتباط تحقيق الموالاتة لله عزّ وجلّ بأداء شعيرة الزكاة، كما "فيه تنويه للمؤمنين بأنهم أولياء الله ورسوله بطريقة تأكيد النفي أو النهي بالأمر بضده، لأن قوله: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} يتضمن أمراً بتقرير هذه الولاية ودوامها... وإجراء صفتي (يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) و(يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) على الذين آمنوا للثناء عليهم، وكذلك جملة (وَهُمْ رَاكِعُونَ)¹، فأولياؤه سبحانه يتولاهم بلطفه وإحسانه لقوله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 257].

وعبر بالركوع عن الصلاة في الآيتين احترازاً عن صلاة اليهود فإنّها لا ركوع فيها، قال الرازي: "فكأنّه تعالى لما أمرهم بالصلاة والزكاة أمرهم بعد ذلك بالانقياد والخضوع وترك التمرد، لأنّهم كانوا لا يؤتون الزكاة، وهو المراد بقوله (وأكلهم السّحت) وبقوله (وأكلهم الرّبّا) وأكلهم أموال الناس بالباطل"².

ووردت صفة الركوع في سياق آخر من خلال خطاب الله سبحانه وتعالى لمريم بإكرامها بالاصطفاء والتطهير من أدناس الشّرك والكفر، وتميزها بين النّساء من خلال أدائها لشعائر العبادة لله وحده، والخضوع له بطاعته في ما أمَرَ واجتنابه في ما نهى، وذلك في قوله تعالى: {يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص: 239.

² - الرازي، مفاتيح الغيب، ج 3، ص: 487، بتصرف.

لِرَبِّكَ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ } [آل عمران: 43]، أي " مع المصلّين، ففيه الأمر بالجماعة للصلاة ووجوبها فيه، وأنّ الرّكوع ركن من أركان الصّلاة لأنه عبر عن الصلاة بالركوع، والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فرضيته فيها"¹، مما يدل على أن الرّكوع صفة للعبد أمام خالقه، بالانحناء له والامتثال له، سواء أتعلق الأمر بالصّلاة بأداء ركوعها على الوجه الأكمل وتحقيق شرط الطمأنينة فيها، أم تعلق بالطّاعة لله سبحانه في جميع الأمور من الشّعائر التّعبدية كالصّلاة والزّكاة والصّيام والحجّ وغيره.

العلاقات: من خلال قراءتنا لنصوص القرآن الكريم السابقة يتبيّن لنا أن فعل التزكية يحمل معاني تدخل في علاقات متنوّعة، منها:

— **علاقة التعاطف:** وذلك بين (الصّلاة والتّزكية والركوع)، فالركوع من صور التّعبّد لله عزّ وجلّ، ووسيلة لتزكية النّفس والرفع بها إلى أعلى الدّرجات، تتحقّق بالخشوع وتعميق معاني العبودية لله تعالى، وبذلك كانت الزّكاة ملازمة للصّلاة في معظم الآيات، لأن فيها تزكية للنّفس وتطهيراً لها من الرّدائل والآفات.

— **علاقة التّدخل:** وذلك بين (الإيمان والتّزكية والولاية)، وتمثّل في الانقياد والامتثال لله عزّ وجلّ، فالولاية يختص بها أصحاب الإيمان الذين زكّت نفوسهم للعطاء والإنفاق في أوجه الخير.

الصفّات: الركوع صفة للذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة، وفسّر الألوسي قوله تعالى: (وَهُمْ رَاكِعُونَ) بقوله: "حال من فاعل الفعلين، أي يعملون ما ذكر من إقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى"².

— ورود لفظ الزّكاة مقروناً بالصّلاة في الخطاب إلى بني إسرائيل حينما كتّموا الحقّ وخائنوا العهد، ولبسوا الحقّ بالباطل، فجادلهم الله تعالى بالقرآن وإقامة الشّعائر، بصيغة الأمر، وذلك في قوله تعالى: {وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } [المائدة: 12].

¹ - تفسير السعدي، ج 1، ص: 50.

² - الألوسي، روح المعاني، ج 3، ص: 334.

وقد ابتدأت الآية بالقسم وتحديد المعية الخاصة لعباده المؤمنين، المتصفيين بإقامة الشعائر من صلاة وزكاة وإيمان بالرسول، قال الإمام الرازي: "وأخر - سبحانه - الإيمان بالرسول عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع أنه مقدم عليها لأن اليهود كانوا مقرين بأنه لا بد في حصول النجاة من الصلاة وإيتاء الزكاة، إلا أنهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسول، فذكر بعد إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة أنه لا بد من الإيمان بجميع الرسول حتى يحصل المقصود، وإلا لم يكن لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة تأثير في حصول النجاة بدون الإيمان بجميع الرسول"¹.

العلاقات: من خلال الآية الكريمة نجد أن التزكية ارتبطت بمعان عميقة ودلالات متنوعة من خلال علاقات مختلفة تتجلى في:

- **علاقة التعاطف:** وذلك بين (الزكاة والصلاة)، فالصلاة من العوامل المساهمة في تزكية النفس؛ فهما يشتركان في التطهير، الصلاة طهارة روحية، والزكاة طهارة روحية ومالية.
- **علاقة التداخل:** وذلك بين (التزكية ومعية الله تعالى)، فمعية الله الخاصة مع المتقين والصابرين والمحسنين، وبهذا فالتزكية حققت الغاية العظمى، وهي أن تكون مع الله بإقامة شعائره واتباع أوامره واجتناب نواهيه.
- **علاقة لزوم وسببية:** فدخول جنته عز وجل ناتج عن تحقيق شرط الإيمان، وقد قرن بالعمل من صلاة وزكاة وغيرهما من العبادات.

ووردت الزكاة معرفة ومقرونة بالصلاة بصيغة المفرد في قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: 177].

وردت الآية في سياق أمر الله تعالى المؤمنين أولاً بالتوجه إلى بيت المقدس، ثم حولهم إلى الكعبة، فشق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين، فأنزل الله بيان

¹ - تفسير الرازي، ج 11، ص: 324.

حكمته في ذلك، وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل وامتثال أوامره، والتوجه حيثما وجهه، واتباع ما شرع، فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل، وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق إلى المغرب بر ولا طاعة إن لم يكن عن أمر الله وشرعه¹.

وذكر في الآية الكريمة من صفات أهل البر إيتاء المال وإيتاء الزكاة، وقد اختلف أهل العلم هل المقصود بالمال زكاة الفريضة أم المال المطلق في وجه الإنفاق سوى الزكاة؟ وقد أشار الزمخشري إلى ذلك، فعن الشعبي أن في المال حقاً سوى الزكاة، وتلا هذه الآية، ويحتمل أن يكون ذلك بيان مصارف الزكاة، أو يكون حثاً على نوافل الصدقات².

فباب إنفاق المال مفتوح على ذوي الحاجة، كما في قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَاللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [البقرة: 215]، فالمؤمن دائم السبق إلى الخير، يحافظ على الفرائض، ويجاهد نفسه في النوافل، ففي الحديث القدسي: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"³.

العلاقات: تضمّت التركيبة من خلال السياق القرآني السابق معاني عميقة تتجلى في

ما يلي:

—علاقة التعاطف: وذلك بين الصلاة والزكاة باعتبارها صفة للمتقين، الجامعين

للإيمان بالله واليوم الآخر، وإيتاء المال لذوي القربى واليتامى والمساكين والوفاء بالعهد والصبر في البأساء والضراء، فخصهم الله بهذا البر والتقوى.

¹ - تفسير ابن كثير، ج 1، ص: 458.

² - الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص: 220.

³ - صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: التواضع، رقم 6502.

- الصفات: تخصيص صفات أهل البر والتقوى لتشمل التوحيد الذي هو أساس التزكية والمتجلى في الإيمان بالله واليوم الآخر، والعبادات من صلاة وزكاة وباب المعاملات ومنها الإنفاق في سبيل الخير، والتحلي بكل صفة حميدة من صدق وبر وتقوى وغيرها.

وورد لفظ الزكاة مقترناً بالصلاة في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ} [البقرة: 83].

وقد ابتدأت الآية بأخذ العهد والميثاق من بني إسرائيل، ومن الأمور التي أمرهم الحق سبحانه وتعالى بها تحقيق العبادة مجملًا من عبادة الخالق سبحانه والإحسان إلى الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين والقول الحسن وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وقد اقترن لفظ الزكاة بالصلاة لفظاً ومعنى لاشتراكهما في التطهير، فالصلاة طهارة روحية، يزكي بها العبد من وقته لأداء سجودها وركوعها، فهي وسيلة للتقوى والارتقاء والسمو إلى أعلى الدرجات، والزكاة طهارة مالية تزيل عن النفس الطمع وحب الدنيا وشهواتها. وقد تم تخصيص بني إسرائيل بالخطاب لإعراضهم عن أداء الحقوق والواجبات باعتبارهما من أعظم العبادات البدنية والمالية، وفي المحافظة عليهما تطهير للقلوب وتزكية للنفوس، فالصلاة لا تثمر تزكيتها إلا بالخشوع، ولا يحظى بذلك إلا من ذاق حلاوة الإيمان، فهي صلة بين العبد وربّه، تسهم في ترقّيه إلى أعظم مقامات القرب من الله تعالى، كما أنها في الوقت نفسه ميزان ومقياس للنفس المزكّاة.

وجاء في تفسير المنار لقوله تعالى: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} "وإنما إقامة الصلاة بالإخلاص لله والصدق في التوجه إليه والخشوع لعظمته وجلاله والاستكانة لعزّ سلطانه، ولا تكون بمجرد الإتيان بصورة الصلاة ورسومها الظاهرة، ... وأما الزكاة فقد كان بعض أبحارهم يزعم أنها تلك المحرقات والقرايين المفروضة لتكفير الخطايا أو شكر الله تعالى على إخراجهم من مصر وغير ذلك من النعم"¹.

العلاقات: من خلال الآية القرآنية نجد أن لفظ (الزكاة) ضم معاني عميقة تتنوّع بتنوّع علاقاتها على الشكل التالي:

¹ - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 1، ص: 305.

—علاقة التعاطف: وذلك بين (أمور العباداة/التزكية) من إقامة الصلّاة وإيتاء الزكاة، فما من شيء يقيم صلة بين العبد وربّه أفضل من استقامة نفسه، وتزكيتها وتطهيرها من الشّح والبخل بإحسانه إلى الفقراء والمساكين وذوي القربى وأصحاب الحاجة، ولا يتأتى ذلك إلا بتأدية زكاة ماله وما عليه من حقوق وواجبات.

—علاقة التضاد: وذلك بين (التزكية والتّولية والإعراض)، والخطاب موجه لبني إسرائيل الذين أعرضوا عن عبادة الله تعالى، ورفضوا القيام بشعائره من زكاة وغيرها، فأعقبهم الله نكالاً في قلوبهم، وأول ما بدئ به خطاب الحقّ سبحانه هو توحيد الله عزّ وجلّ، فهو أساس التزكية وجوهرها، ويبقى العمل موقوفاً على إخلاص العبودية لله تعالى، إذ لا فائدة من صرف الأموال والإنفاق في أوجه الخير إذا كانت النفس غير طاهرة من برائن الشّرك والكفر والرياء.

الصفات: صفة الإعراض لبني إسرائيل، وقد وصفهم الله عزّ وجلّ بها في قوله تعالى: {لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة: 78، 79]. فمن صفاتهم :

— البخل الشّدِيد كما في قوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا} [النساء: 53].

— الإكثار من أكل أموال النَّاسِ بالباطل، كما في قوله تعالى: {وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة: 62]، وقوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة: 34].

وورد لفظ الصلّاة مقروناً بلفظ الزكاة بصيغة الأمر في قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: 110].

قرنت الصلّاة في هذه الآية الكريمة بالزكاة، فالصلّاة تتجلّى في إظهار الحاجة والافتقار إلى الله تعالى، فجاءت بعبارة "أقيموا الصلّاة"، لإصلاح نفوس الأفراد، و"آتوا الزكاة" للدلالة على الفعل والأداء لانتفاع الغير بها. وفي "إقامة هذين الركنين من وسائل النّصر والسّعادة في الدّنيا والآخرة؛ وقد وردت كلمة (خير) نكرة لتدلّ على الإطلاق... فإقامة

الصَّلاة عبارة عن القيام بحقوقها الروحية، وفي صورتها العملية، وذلك بالتوجه إلى الله تعالى ومناجاته والانقطاع إليه عمّا عداه، واستشعار القلب عظمتة وكبريائه. وأما الزكاة ففيها الإحساس بحاجة الآخر واستشعار ضعفه والرقّة لحاله.

العلاقات: من خلال النظر في السياق القرآني السابق نجد أن الزكاة تضمنت معاني عميقة تتجلى في:

- **علاقة التعاطف:** وذلك بين (الصلاة والتزكية)، وهي علاقة تربط بين حقين، حق الله تعالى المتمثل في الصلاة، وهو من العوامل المهمة المساعدة على تزكية النفس، باعتبارها عبادة روحية عظيمة من خلالها تطهر النفس وتصفو السّيرة، وتحقق بالخشوع، وتعميق معاني العبودية لله تعالى، وحق الله المتمثل في الزكاة، وما غاب هذان الحقان إلا وسلط الله عز وجلّ العدو على المسلمين، واستحقوا نزول صنوف البلاء بهم.

- **علاقة التداخل:** وذلك بين (التزكية والخير)، فكلما تزكّت النفس وارتقت إلى المراتب العليا أسهمت في فعل الخير، ولا يتأتى ذلك إلا بالمجاهدة والتربية، والتخلي عن كل المساوئ والتخلي بالفضائل ومكارم الأخلاق. وكل عمل خير يقدمه المؤمن لله تعالى يجد جزاءه عنده، كما جاء في قوله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: 7، 8]. فكان الخير هو العمل الذي يرضاه الله تعالى وهو مقابل لفعل الشر.

وورد لفظ الزكاة مقروناً بالصلاة والإيمان والعمل الصالح في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 277].

ارتبط الإيمان في هذه الآية بالطاعة والاتباع، وكلما ذكر الإيمان في القرآن أتبع بالعمل الصالح باعتباره صورة عملية وترجمة واقعية له، "فالعمل الصالح هو علة الخلق والإيجاد، وهو مادة الابتلاء والاختبار في الحياة الدنيا ومقياس النجاح في الآخرة، وهو الترجمة العملية والتطبيق الكامل للعلاقات التي حددتها فلسفة التربية الإسلامية"¹. وأقسم الحق سبحانه في

¹ - ماجد عرسان الكيلاني، مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، قطر، الطبعة الأولى، ص: 41-42 بتصرف.

سورة العصر أن الإنسان في خسر وهلاك، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات من صدقات وزكوات وغير ذلك من أنواع البر والطاعة.

وتعلقت صفات الإيمان والتقوى بالتاركين للربا، فمن تاب وآمن فله الأجر والثواب العظيم، وذلك من صفات المؤمنين المتميزين بالإخلاص في الواجبات وترك المنهيات، فهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون على ما تركوا في الدنيا من أكل الربا والعمل به. وبذلك علق صفة الإيمان على تركها في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} [البقرة: 278، 279]. وظاهر الآية يفيد العموم، فكل من تعامل بالربا حرم الطمأنينة وسعادة الدنيا والآخرة.

العلاقات: من خلال هذا السياق القرآني الذي تطرّق إلى صفات عباد الله الصالحين وإلى طمأننتهم وتأمينهم من الفزع الأكبر يوم القيامة، نجد أن التزكية تضمنت معاني عميقة وعلاقات تتجلى في:

علاقة التعاطف: وذلك بين (الإيمان والعمل الصالح وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة)، فهذه الأعمال شرط لتحقيق الأجر والثواب، ولا شك أن الإيمان الصادق يتبعه العمل الصالح بمفهومه الشامل من العبادات والمعاملات وإقامة الصلاة بشروطها وأركانها وأداء الزكاة بدون رياء أو سمعة. فمن كان كذلك فقد حقق مفهوم العبودية بالطاعة والامتثال لله عزّ وجلّ، وهذا ما أشار إليه سيد قطب بقوله: "ولا تتم حقيقة الإيمان إلّا بالعمل الصالح، فهو الثمرة الطبيعية للإيمان، والحركة الذاتية التي تبدأ في ذات اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب، فالإيمان حقيقة إيجابية متحركة ما إن تستقر في الضمير حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها في الخارج في صورة عمل صالح"¹.

الصفات: نفي صفة الخوف والحزن عن عباد الله الصادقين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وابتعدوا عن أكل الربا والعمل به، ف"عابنوا جزيل ثواب الله تبارك وتعالى، وهم على تركهم ما تركوا من ذلك ابتغاء رضوانه في الآخرة، فوصلوا

¹ - سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الثانية عشر، (1413هـ - 1993م)، ص: 157.

إلى ما وُعدوا على تركه"¹، كما في قوله تعالى: {يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ} (68) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ { [الزخرف: 68، 69]، وقوله عز وجل: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ { [يونس: 62، 63].

- ورد لفظ الزكاة مقروناً بالصلاة في قوله تعالى: {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المجادلة: 13].

جاءت الآية في سياق توجيه الخطاب لطائفة من المؤمنين بتقديم الصدقات قبل المناجاة، كناية عن التحذير من مخالفة أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولما فيه من الأدب والاحترام والتعظيم لمقامه عليه الصلاة والسلام.

قال الطاهر بن عاشور نقلاً عن ثلثة من المفسرين: "إنَّ هذه الآية ناسخة للتي قبلها، فسقط وجوب تقديم الصدقة لمن يريد مناجاة الرسول ﷺ، ثم تجاوز الله عنهم رحمة بهم بقوله: "فإن لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة"، وإذ ظرفية مفيدة للتعليل، أي فحين لم تفعلوا فأقيموا الصلاة ... وفاء (فأقيموا الصلاة) عاطفة على الكلام المقدّر، وحافظوا على التكليف الأخرى وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله"².

العلاقات: تشير الآية إلى معنى التزكية من خلال تنوع علاقتها على الشكل التالي:

- **علاقة التعاطف:** وذلك بين (الصلاة والتزكية والطاعة)، فلا تزكية بدون طاعة وتوبة لله تعالى، فإذا كانت الصلاة تزكية للوقت وتنهي عن الفحشاء والمنكر فالزكاة تزكية للمال وطاعة للحق سبحانه، وكل من شرائع الإسلام تسعى إلى تزكية النفس وتطهيرها .

- **علاقة التداخل:** وذلك بين (الزكاة والصدقة)، فبين المفهومين عموم وخصوص، ف"الزكاة الشرعية تسمى في لغة القرآن والسنة صدقة، قال الماوردي: الصدقة زكاة والزكاة صدقة، يفترق الاسم ويتفق المسمى"³. قال تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً) واختلف أهل العلم

¹ - الطبري، جامع البيان، ج 6، ص 22.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 28، ص: 47.

³ - يوسف القرضاوي، فقه الزكاة: دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن الكريم والسنة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية (1393هـ 1973م)، ص: 46.

في هذه الصدقة المأمور بها: فقليل هي صدقة الفرض، وقيل هي مخصوصة بهذه الطائفة المعترفة بذنوبها لأنهم بعد التوبة عليهم عرضوا أموالهم على رسول الله فترلت هذه الآية¹. فكل زكاة صدقة، وليس كل صدقة زكاة، إذ كانت الزكاة صدقة مشروطة بكون المال على نصاب معين، كما أنها مشروطة بوقت محدد، وهو دوران الحول على هذا النصاب، ثم إنها تتعلق بأصناف محددين ذكرهم سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، وهم الأصناف الثمانية في قوله تعالى {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 60].

وورد لفظ الزكاة مقروناً بالصلاة في قوله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} [الحج: 78]. حيث جاء فعل (أقيموا الصلاة) و(آتوا الزكاة) بصيغة الأمر للتذكير بنعمة الله تعالى ووجوب أداء حق شكرها، وقال ابن كثير في تفسير ذلك: "أدّوا حق الله عليكم في أداء ما افترض وطاعة ما أوجب وترك ما حرم، ومن أهم ذلك إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وهو الإحسان إلى خلق الله بما أوجب للفقير على الغني من إخراج جزء من ماله في السنة للضعفاء والمحاويج"². فالزكاة أعظم المقاصد الشرعية، تحقق معاني أخلاقية رفيعة في تطهير النفس من الشح والبخل، وتسعى إلى تأليف القلوب، وتأديتها من طرف الأغنياء من باب شكر النعمة.

العلاقات: من خلال الآية الكريمة نجد أن التزكية اشتملت على معان وعلاقات متنوعة تتجلى في:

- **علاقة التعاطف:** وذلك بين (الصلاة والتزكية والعصمة)، بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة المهدف منهما التطهير وتحصيل التقوى؛ ولا يتأتى ذلك إلا بالاعتصام والتوكل على

¹ - الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ، ج 2، ص: 454.

² - تفسير ابن كثير، ج 5، ص: 457.

الخالق سبحانه، فهو القادر على ذلك ولا عاصم غيره، ييسر لعباده سبل العبادة رحمة بهم، ولم يجعل عليهم حرجاً في ذلك، مثل الصلّاة وغيرها.

- **علاقة التداخل:** وذلك بين (الجهاد والتزكية)، إذ يعد جهاد النفس أكبر جهاد، كما قال الصحابة رضي الله عنهم: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس، فكانت تزكية النفس بقمع شهواتها والتغلب على نزواتها أفضل وسيلة لتزكيتها وتطهيرها من الشرك والكفر وسيئ الأخلاق.

- **الصفات:** صفة الاجتهاد وهي منزلة من منازل السالكين، لا يصلها إلّا من أطاع الله تعالى وامتأّ قلبه بنور الإيمان.

وورد لفظ الزكاة مقروناً بالصلّاة في قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النور: 56]، إقامة الصلّاة وإيتاء الزكاة من أكبر الطاعات وأجلّهما، وعطف عليهما الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلّم، بامتنال أمره وباجتناب نهيّه، وهذا الخطاب موجه للأمة عامّة بعد أن كان موجهاً للذين آمنوا خاصة، "فالطاعة المأمور بها هنا غير الطاعة التي في قوله: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا...} [النور: 54] لأنّ تلك دعوة للمعرضين وهذه ازدياد للمؤمنين، وقد جمعت هذه الآية جميع الأعمال الصالحات، فأهمّها بالتصريح وسائرّها بعموم حذف المتعلّق بقوله: (وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) أي في كل ما يأمركم وينهاكم، ورتب على ذلك حصول الرحمة لهم أي في الدنيا بتحقيق الوعد الذي من رحمته الأمن وفي الآخرة بالدرجات العلى¹.

العلاقات: تضمنت الآية الكريمة معاني عميقة تختص بالرحمة وتتجلّى في ما يلي:

- **علاقة التعاطف:** وذلك بين (الصلّاة والزكاة والطاعة)، حيث تتحقق التزكية بالطاعة لله تعالى من خلال وسائلها من صلاة وزكاة وصيام وحج، فأهل الطاعة هم أهل التقوى والمغفرة، وقد مثلت الزكاة مقصداً من مقاصد حفظ المال، وغاية عظمى لصيانة النفس وحمايتها من الترف والفساد والانحراف؛ فهي طاعة لله عز وجل لإقامة الحياة الاقتصادية المبنية على النظام الإسلامي المتين.

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 18، ص: 289.

- علاقة التداخل: بين (التزكية والرحمة)، إقامة الصلاة وما عطف عليها سبب للرحمة، فتزكية الله للعبد رحمة له، يختص بها من يشاء من عباده المؤمنين.

- علاقة السببية: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول سبب للرحمة.

- الصفات: صفة الرحمة المستحقة لعباد الله المؤمنين والمحروم منها المشركون.

وورد لفظ الزكاة مقروناً بالصلاة واليقين باليوم الآخر في قوله تعالى: {طَسَ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [النمل: 1 - 3]، وفي وقوله تعالى: {الم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (3) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [لقمان: 1 - 4].

وقد ابتدأت الآيتان بذكر فضل القرآن الكريم بأنه نور وهداية ورحمة للمؤمنين، وكثير من الآيات تدل على ذلك منها قوله: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [المائدة: 15، 16]، فهو كتاب هداية وإرشاد، وكفيل بمصالح الناس؛ فليس شيء أنفع لعبد في معاشه ومعاذه، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل فيه والعمل به، لقوله عز وجل: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: 24]، والإقبال على القرآن هو أفضل الأعمال، "فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما. ومن خلاله تعرّف الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه. وفي مقابل ذلك تعرف ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه"¹.

والإيمان باليوم الآخر يغرس في الإنسان استشعار الرقابة الداخلية على أعماله، فيسارع في التوبة والطاعة ويبادر بالإنفاق على ذوي الحاجة، ويؤهل النفس البشرية للاهتمام بهداية القرآن، ولا يصح إيمان المرء بدون، "فالإيمان باليوم الآخر هو رأس كل عقيدة، وأساس

¹ - ابن القيم، مدارج السالكين، ج 1، ص: 344 بتصرف.

كل إيمان، وعليه مدار استقامة الإنسان وصلاح خلقه وطهارة روحه¹، واليقين باليوم الآخر لا يكفي وحده، بل لا بد من ربطه بالعمل لإصلاح العقيدة وتزكية النفس وحثها على فعل الخير كالمواظبة على إقامة الصلوة وإيتاء الزكاة والتفقه والعطاء موقناً ببقاء ربه. العلاقات: اشتملت الآيتان على معان عميقة ودلالات مختلفة تتجلى في ما يلي:

- علاقة التعاطف: وذلك بين (الصلوة/التزكية)

-علاقة التداخل: وذلك بين (التزكية/الإيمان بالغيب)، فالإيمان بالغيب يعتبر من القضايا العقدية الكبرى، وعلام الغيوب هو الحق سبحانه، قال تعالى: {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} [البقرة: 33]، فعلمه بالغيب لا يطلع عليه أحد.

-الصفات: صفة اليقين والفلاح، وقد أمرنا الله بعبادته حتى نهاية العمر لقوله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: 99].

- ورد لفظ الزكاة مقروناً بالصلوة في قوله تعالى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: 40]

ذكر الله سبحانه وتعالى صفات التمكن والنصر في الأرض، وهي المتجلية في إقامة الصلوة بأركانها وشروطها والحفاظ عليها، فهي الصلة الوثيقة بين العبد وربّه، تحتّ على الخضوع والطاعة والامتثال لله تعالى من خلال ركوعه وسجوده وتسبيحه وتكبيره وتمجيده للخالق سبحانه. وصالاة الجماعة تدل كذلك على الانقياد والطاعة بين الإمام والمأموم، تنطبق عليها الطاعة بين الراعي والرعية، فهناك علاقة تلازمية بين الحاكم والمحكوم، فإذا التزم الحاكم بالمبادئ الشرعية تحققت الطاعة المقاصدية، وأصبحت مصلحة الأمة فوق كل اعتبار، كما قال عمر بن الخطاب: "إِنَّهُ لَا إِسْلَامَ إِلَّا بِجَمَاعَةٍ، وَلَا جَمَاعَةَ إِلَّا بِإِمَارَةٍ، وَلَا إِمَارَةَ إِلَّا بِالطَّاعَةِ"².

¹ -أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثانية، (1398هـ - 1978م)، ص: 320.

² - مسند الدارمي، كتاب علامات النبوة وفضائل سيد الأولين والآخرين، باب في ذهاب العلم، رقم 257، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني- السعودية، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 2000م. قال محقق الكتاب: في إسناده صحيح =

فالأخذ بأسباب النصر والتمكين يكون من خلال تحقيق هذه الشروط: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ف"الكلام مسوقٌ للتنبية على الشكر على نعمة النصر، بأن يأتوا بما أمر الله به من أصول الإسلام، فإن بذلك دوام نصرهم وانتظام عقد جماعتهم، والسلامة من اختلال أمرهم، فإن حادوا عن ذلك فقد فرطوا في ضمان نصرهم وأمرهم إلى الله، فأما إقامة الصلاة فللدلالة على القيام بالدين وتحديد لمفعوله في النفوس، وأما إيتاء الزكاة فهو ليكون أفراد الأمة متقاربين في نظام معاشهم"¹.

وبذلك فتزيل الحكم على الواقع يقتضي الأخذ بالأسباب والتثبت بمبدأ العدل والحرية لتحقيق المقصد الحضاري في نهضة الأمة وتحقيقها لمبدأ الاستخلاف، وشهوها ووسطيتها أساس التقدم لتحقيق نظام إسلامي عادل، فالسلطة ضرورية لانتظام الدنيا، وانتظام الدنيا ضروري لانتظام الدين، وانتظام الدين ضروري لتحقيق السعادة في الآخرة"².

ويأتي النصر والتمكين من خلال مبدأ الحرية والعدل والمساواة، فلا فرق بين غني وفقير وأسود وأبيض إلا بالتقوى، كما قال صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: "يأيها الناس أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى"³، فكل الناس سواسية، وكل المؤمنين إخوة، ولا اعتبار للغنى أو الفقر في تقديم الناس أو تأخيرهم، بل إنزال الناس منازلهم وتقديرهم وتكريمهم والتفاوت بين الطبقات وضع للاختبار، وكل ذلك راجع إلى قدرة الله تعالى ومشيبته وعلمه سبحانه، ومعيار المفاضلة بين الناس هو التقوى.

وَقَرَنَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ الصَّلَاةَ بِالزَّكَاةِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِاعتبارها الشرط الثاني للنصر والتمكين، فكونها من أركان الإسلام الخمسة دليل على أَنَّ لها دوراً كبيراً في التنمية الاجتماعية، يتحقق من خلالها التوازن الاجتماعي والاقتصادي بتقليص الفوارق الطبقيّة، وتحدث المحبة بين الغني والفقير، وتخلق نمط التعايش السلمي بين الناس، وتغرس روح التعاون

=  علتان: الأولى جهالة صفوان بن رستم والثانية الانقطاع، وعبد الرحمن بن ميسرة لم يدرك تميما الداري، ج 1، ص: 134.

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 17، ص: 280.

² - الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، مصر، الطبعة الثانية، 1327هـ، ص: 325.

³ - مسند الإمام أحمد، ج 38، رقم 23489، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط.

والتكافل والتضحية والإخاء، ولو أعطى الناس هذا الحق للفقراء ما وجد على الأرض من يستجدي لقمة العيش، فالإسلام جاء شاملاً للناس كافة، يدعوهم للخير والصّلاح والتعاون على البرّ والتقوى والإحسان إلى الفقراء واليتامى والمساكين، فلم يغفل جانب الضعيف في الأرض، إذ جعل حقه عند الغني للتخفيف عنه ومؤازرته ومساندته مادياً ومعنوياً لتحقيق شرط الإيمان.

العلاقات: احتوت الآية القرآنية على معان عميقة وعلاقات متنوعة تتجلى في:

علاقة التعاطف: وذلك بين (التزكية والصّلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، فمن سمات المؤمنين الصّالحين الاتّصاف بالورع والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحافظة على الصّلاة، وقد وصف الله سبحانه الأمة المتّصفة بهذه الصّفات بالخيرية، والتي بعث من أجلها الأنبياء والرّسل، لنشر القيم العليا بين الناس والدعوة إلى تطهير النفس وتركيبتها من خلال الإنفاق. كما في قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران: 110].

الصّفات: صفة التّمكن في الأرض، إذ بلغ المسلمون في أوج رقيهم وازدهارهم مرحلة رفيعة من التّقدم في شتى الميادين العمرانية والحضارية، وبذلك حقق التّمكن شهوداً حضارياً للأمة الإسلامية، وذكرت في الآية عوامل التّمكن ودوام الاستمرارية فيه، من إقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي من شروط استحقاق النصر الموعود للأمة الإسلامية.

وورد لفظ التّزكية متداخلاً مع صفة الرّحمة، كما في قوله تعالى: {الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 71]، وقوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النور: 56]، فقد اختصّ الله برحمته عباده المؤمنين الذين من شأنهم:

■ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

■ تقوى الله عزّ وجلّ.

■ إقامة الصلّاة وإيتاء الزكاة.

■ طاعة الله والرسول ﷺ.

فالإيمان يقتضي الفعل من خلال الاتّباع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد قرنت في الآية طاعة الله بطاعة رسوله الكريم، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله، فهو الهادي للصراط المستقيم، فدل على أن "طاعة الله ورسوله وتحكيم الله ورسوله هو سبب السعادة عاجلاً وآجلاً، فكل شر في العالم فسببه مخالفة الرسول والخروج عن طاعته، وكل خير في العالم فإنما هو بسبب طاعة الرسول، فلو أن الناس أطاعوا الرسول حق طاعته لم يكن في الأرض شر قط"¹.

وعطفت صفات المؤمنين على صفات المنافقين للإرشاد والبيان والتحذير، حيث خصّ الله سبحانه الولاية بأهل الإيمان، فبعضهم أولياء بعض، عكس فئة المنافقين، كما في قوله تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [التوبة: 67]. فحذر الله منهم في قوله تعالى: {لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُومَ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: 57].

العلاقات: تنوّعت العلاقات داخل هذا السياق القرآني كما يلي:

- علاقة التعاطف: حيث عطفت إقامة الصلّاة وإيتاء الزكاة والطاعة لله والرسول على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الصفات ملازمة لبعضها، فالزكاة تحقق مقاصد حضارية من خلال وظائفها في معالجة المشاكل الاجتماعية، لبناء الشخصية وتطوير ذاتها وحماية مجتمعها من الفساد والانحراف.

- علاقة التداخل: وذلك بين (التزكية والرحمة)، فأولياء الله اختصوا برحمته عز وجلّ جزاء على ما قدّموا من أعمال صالحة من خلال تطهيرهم وتزكيتهم أنفسهم، "فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضاءها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح، لكن

¹ - ابن القيم، الرسالة التبوكية، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، (1430هـ-2009م)، ص: 52.

المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظَّ البهائم والدواب، وأدرك منه أولوا الأبواب أمراً وراء ذلك"¹.

وورد لفظ الزكاة مقروناً بالصلاة باعتبارها علامة على صحة إسلام المرء والدخول في السلم مع الله والإخاء مع المسلمين في موضعين من سورة التوبة، وذلك في قوله تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلٌّ مَرْصِدٌ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 5]، وفي قوله تعالى: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فِي الدِّينِ وَفُصِّلَ الْآيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [التوبة: 11]، وجاءت الآية الثانية تأكيداً للآية الأولى من خلال تحقيق شرط التوبة من الشرك وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة التي توجب أمنهم وأخوتهم وعدم محاربتهم لدخولهم للإسلام والعمل بمبادئه وأحكامه، فشرط التخلية عن القتال، تتمحور في التوبة، وفي الآية "تفريع حُكْم على حُكْم لتعقيب الشدة باللين، إن هُم أقلعوا عن عداوة المسلمين بأن دخلوا في الإسلام تنبيهاً لهم على أن تداركهم أمرهم هينٌ عليهم، وفرَّع على التوبة أنهم يصيرون إخواناً للمؤمنين"²، ولا فرق بينهم تجمعهم علاقة المحبة والأخوة كما في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ..."³، فالله رحيم بعباده، يغفر لهم ما سبق من الشرك، ومن أسلم قال ﷺ "الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله"⁴.

العلاقات: تضمن السياق القرآني السابق علاقات متنوعة ودلالات مختلفة تتجلى في

ما يلي:

¹ - ابن القيم، مدارج السالكين، ج 1، ص: 9.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 10، ص: 127.

³ - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المسلمين، رقم 2586.

⁴ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عمرو بن العاص قال: لما ألقى الله عز وجل في قلبي الإسلام، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ليبياعني، فبسط يده إلي، فقلت: لا أبايعك يا رسول الله حتى تغفر لي ما تقدم من ذنبي، قال: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عمرو أما علمت أن الهجرة تجب ما قبلها من الذنوب، يا عمرو أما علمت أن الإسلام يجب ما كان قبله من الذنوب"، رقم 17861، تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

- **علاقة التعاطف:** وذلك بين (التوبة والصلاة والزكاة)، حيث تشترك الصلاة والزكاة في التطهير، الصلاة طهارة روحية، والزكاة طهارة مالية، والتوبة تسعى بالنفس إلى التذلل والانكسار والخضوع أمام خالقها، وذلك مقام العبودية، فالتوبة هي نهاية كل سالك، وهي الغاية التي يجري إليها العارفون بالله، وهي جامعة لمقام المحاسبة ومقام الخوف، ولا يتصور وجودها بدونهما¹، فالتوبة باب عظيم فتحه الله لعباده، تتحقق بالندم والرجوع والاستغفار، فما كان من حق لله تعالى فبالمبادرة إلى العمل به، وما كان من حق الآدميين فبإرجاع الحقوق إليهم، فبالتوبة تتحقق التزكية، وبالتزكية تتحقق التوبة، وذلك بتطهير النفس من الصفات الذميمة وتخليتها بالصفات الحميدة ومجاهدتها على فعل الخير.

- **علاقة التداخل والتكامل:** وذلك بين (التزكية والتخلية)، فمن شروط التزكية عند الصوفية تطهير النفس وتخليتها من الذنوب والآثام وتخليتها بالفضائل والأعمال، ولا يتأتى ذلك إلا بالمجاهدة. وبين (التزكية والأخوة)، حيث تحقق التزكية روح الانسجام والتآخي بين الناس من خلال العطاء والإنفاق على ذوي الحاجة.

وورد لفظ الزكاة مقروناً بالصلاة أيضاً في قوله تعالى: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} [مريم: 31]، والخطاب القرآني هنا على لسان سيدنا عيسى عليه السلام، ويفيد الدعوة إلى الاستمرارية في العطاء في الأمور المادية والمعنوية والبذل والعطاء مادام الإنسان حياً، ويفيد الدعوة إلى تحري الخير من خلال الوصية بالقيام بحقوق وواجبات من أعظمها الصلاة والزكاة، فكانت وظيفة الأنبياء العمل على الإرشاد والبيان والتوضيح.

العلاقات: تضمنت هذه الآية القرآنية معاني ودلالات متنوعة وعلاقات مختلفة تتمثل في ما يلي:

- **علاقة التعاطف:** وذلك بين (الوصية والتزكية والصلاة)، فوصية الله إلى خلقه إقامة الدين من معاملات وشعائر وعبادات كالصلاة والزكاة وغيرها، وعدم التفرق فيه، وذلك في قوله تعالى: {أَنِ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى: 13]، وهذا ما أشار إليه البغوي بقوله: "بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة"²، فالوصية

¹ - ابن القيم، مدارج السالكين، ج 1، ص: 104.

² - البغوي، معالم التنزيل، ج 4، ص: 141.

بمعناها المعنوي وصِيَّة لعبادة بالتَّقْوَى، كما في قوله تعالى: {ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153]. فكل من الصَّلَاة والزَّكَاة وسائر العبادات يوصي الحقُّ عبده بالمحافظة عليها، لإصلاح نفسه والحفاظ على عقيدته.

- الصِّفَات: صفة الحياة، صفة العبودية، صفة البركة.

وورد لفظ الزَّكَاة صفة من صفات المفلحين، وذلك في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ} [المؤمنون: 1 - 4].

حيث جاء لفظ الزَّكَاة اسماً مجروراً باللام ومسبقاً بضمير منفصل بصيغة الجمع لتأكيد صيغة الفعل الناتجة عن الإيتاء، وقوله تعالى في الآية الكريمة: {وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ}، الأكثرون على مراد بالزكاة هنا زكاة الأموال... فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبا بمكة كما في قوله تعالى: {وَأَثُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} [الأنعام: 141]. وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هنا زكاة النفس من الشرك، وقد يحتمل أن يكون كلاً من الأمرين، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال¹.

فلفظ الزَّكَاة شمل الجانب المادّي من خلال الإنفاق والعطاء للفقراء والمساكين وذوي الحاجة، وشملت الجانب المعنوي المتجلّي في تطهير القلب وتزكيته وتطهيره من الرّجس. ولقد بين القرآن الكريم صفات المؤمنين المستحقين لميزة الفلاح، وكلما قام بها الإنسان نال درجة الفلاح. العلاقات: تضمّنت الآية الكريمة علاقات مختلفة تتجلّى في ما يلي:

علاقة التعاطف: وذلك بين الصَّلَاة والتَّزْكِيَةِ والإعراض عن اللغو؛ فالنفس أمانة بالسوء، لذلك حرص الشّارع الحكيم على ضبطها وتطهيرها من كل لغو وإثم، سواء أعلق الأمر بنفسه أم بخالقه أم بالآخر، لتسلك سبيل الفلاح والفوز بالجنّة والتّجاة من النّار.

علاقة التّداخل: بين الفلاح والتّزْكِيَةِ، وهما مفهومان متلازمان، فمن خلال الإنفاق وأداء ما على الإنسان من حقوق وواجبات تتزكّى النفس وتتطهر من البخل والشّح ومن الأنانية والكبر لابتغاء وجه الله، فيحقق الفلاح المادي من خلال العطاء، والفلاح المعنوي بتزكية النفس وتقويتها بالإيمان، وأولئك هم المفلحون.

¹ - تفسير ابن كثير، ج 5 ص: 462.

علاقة الترادف: بين فعل الزكاة وإيتائها، حيث جاءت "فاعِلُونَ" على صيغة الجمع بمعنى مؤتون ومطيعون لله تعالى، هدفهم ابتغاء مرضاته وتحصيل الثواب في الدنيا والآخرة، فحقق معنى الزكاة كل من زكى نفسه ونماها على الخير والصّلاح والعطاء والإنفاق، وحرص على تطهير نفسه من رذيلة البخل والشح، وكل من أدى الزكاة يلزم أن يكون بفعله مطيعاً لله تعالى.

الصفات: صفات المفلحين الشاملة لكل فعل خير والناحية عن كل صفة تحمل معنى الشر والإثم، حتى تصير نفساً مطمئنة تؤمن بقدر الله وترضى بقضائه.

الضمائم: ضميمة الفعل.

وورد لفظ الزكاة منفرداً عن الصّلاة، وذلك في قوله عزّ وجلّ: {وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا وَإِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 156]. وارتبطت في هذا السياق بالدعاء بتكفير الخطايا والذنوب واستمطار رحمة الله تعالى، ورحمته سبحانه وسعت في الدنيا البرّ والفاجر، واختصت في الآخرة بالمؤمن فقط، ف "لما نزلت الآية "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" قال إبليس: أنا من ذلك الشّيء، فقال الله سبحانه: {فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}، فتمناها اليهود والنصارى، وقالوا: نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونومن، فجعلها الله عزّ وجلّ لهذه الأمة، فقال: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ} فتم إخراج اليهود والنصارى من عموم المستحقين لرحمته سبحانه"¹.

العلاقات: تضمنت الآية الكريمة معاني عميقة ودلالات متنوّعة وعلاقات مختلفة تتجلى في:

- **علاقة التعاطف:** وذلك بين التّركية والتّقوى، فرحمة الله امتازت بشمولها في الدنيا عموم الخلق، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم... وتم تخصيصها للمتّقين المؤتّين للزكاة.

- **علاقة التداخل والتكامل:** بين (التّركية والإيمان)، وبين (التّركية والرحمة)، فمن خلال الإيمان يتحقّق شرط التّركية بالإنفاق وتطهير النّفس لتحلّ رحمة الله عليهم.

¹ - تفسير البغوي، ج 2، ص: 238، بتصرف.

- **علاقة التضاد:** وذلك بين العذاب والرحمة، فالله يختصُّ المؤمن برحمته، والكافر بعذابه، لأنه رفض أداء شعائر الله من صلاة وزكاة، وطغى وتجبر، قال تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} [السجدة: 18].

الصفات: الرجوع، قلب المؤمن منيب إليه، يرجو رحمته، ويخاف عذابه، فمصدر الرجوع إلى الله تعالى يحقق الخشية والإنابة والسعي في التوبة والاستغفار وتجديد العهد مع الله تعالى.

وورد لفظ الزكاة مقروناً بالصلاة أيضاً، وذلك في قوله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33] ، وجاءت الآية في سياق خطاب الله تعالى لزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم بتطبيق الأوامر الشرعية التي فرضها الله تعالى، بعدم التبرج وعدم الاختلاط والمكوث في البيوت، لما فيه من الخير والصيانة لهن؛ فالتركية تحصل بالطاعة والانقياد لله والرسول عليه الصلاة والسلام، وبالالتزام بالأوامر واجتناب النواهي؛ فالله سبحانه هو الأحق بالطاعة لتحقيق الفوز والفلاح والدخول في رحمته. ولقد حازت المرأة على اهتمام التشريع الإسلامي، وقد تطرّق القرآن الكريم إلى الكثير من شؤونها في العديد من الآيات والسور كالبقرة والنساء والمجادلة وغيرها، وهذا الخطاب وإن كان خاصاً بأزواج النبي فإنه في الوقت نفسه عام في باقي نساء المؤمنين، فقد شرع للمرأة أن تكون ملتزمة بأداب أخلاقية اتّجاه دينها وبيتها ومجتمعها، وأن ترتدي حجابها، وتحافظ على صلاحها في وقتها، وتؤدي زكاتها إذا بلغ مالها التّصاب، وحال عليه الحال... وكل ما فيه طاعة لله والرسول ﷺ.

العلاقات: ضمت الآية في هذا السياق القرآني علاقات متنوعة تتجلى في:

- **علاقة التعاطف:** وذلك بين (الصلاة والتركية والطاعة)، فطمأنينة النفس وسكونها وثباتها لا يتأتى إلا بالطاعة لله وللرسول في ما أمر واجتناب ما عنه نهي، والصلاة تسعى لإصلاح النفوس، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، والزكاة لإصلاح المجتمع، فهي عبادة لله تعالى، تسعى إلى تهذيب النفس وترقيتها إلى مدارج السالكين.

- **علاقة التداخل:** وذلك بين (التركية والطهارة)، وبين (التركية وعدم التبرج)، فالمرأة المسلمة تسعى بحجابها إلى نيل رضوان الله تعالى وابتغاء مرضاته، وإلى الحشمة والوقار بغضّ البصر

وحفظ الفرج، فكما تحرص على نقاء ظاهرها تحرص على نقاء باطنها بتزكية نفسها بتطهيرها من الأدناس والأوساخ.

- **علاقة التضاد:** وذلك بين (الرّجس والتّزكية)، وكلمة الرّجس تدل على الخبث، وهو مناف لفعل التّزكية، وهما على طرفي نقيض.

وورد لفظ الزّكاة منفرداً عن الصّلاة أيضاً، في قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (6) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزّكَاءَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [فصلت: 6، 7] ، وقد تضمّنت الآية صفة الكفر وعدم الإيتاء لفريضة الزّكاة؛ فالكفر نقيض الإيمان، وذلك واضح من قوله تعالى: {فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 256] ، والكفر نقيض الشّكر، وهو جحود النّعمة، والكفر هو الجحود والتّمرّد والعصيان، ومنه قولهم: كفرني حتي أي جحدنيه¹.

ومن صفات الكفار الجحود وعدم الطّاعة لله والرّسول ﷺ، فتخصيص الويل في الآية لكلّ من امتنع عن أداء حقّ الله تعالى، فهو " ثابت للمشركين والموصوفين بأنهم لا يؤتون الزّكاة، "فذكر ذلك هنا لتشويه كفرهم وتفضيع شركهم وكفرانهم بالبعث بأنهم يدعواهم إلى منع الزّكاة، أي إلى القسوة على الفقراء الضّعفاء وإلى الشّح بالمال، وكفى بذلك تشويهاً في حكم الأخلاق وحكم العرف فيهم؛ لأنهم يتعيّرون باللّؤم، ولكنهم يبذلون المال في غير وجهه، ويحرمون منه مستحقّيه ويُعلّم من هذا أنّ مانع الزّكاة من المسلمين له حظّ من الويل الذي استحقّه المشركون لمنعهم الزّكاة في ضمن شركهم"².

العلاقات: اشتملت الآية في السّياق القرآني السّابق على معان متعددة وعلاقات مختلفة تتجلّى في:

علاقة التّداخل: وذلك بين (التّزكية والتّوحيد)، وبين (التّزكية والاستقامة)، وبين (التّزكية والاستغفار)، فكل هذه الوسائل تساهم في تزكية النّفس البشرية، وتعلو بها إلى مراتب الإيمان والتّقوى.

¹ - الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، (1407هـ/1987م) ص: 394.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 24، ص: (239-240).

علاقة اختلاف: وذلك بين (الزكاة والكفر) فمنازع الزكاة مرادف للكافر، لأن الزكاة شكر لنعمة المال بإخراج الواجب فيها حقاً للغير، فيكون منعها كفراً بمفهوم المخالفة، وكذلك فإن منعها هدم لركن من أركان الإسلام.

الصِّفَات: صفة الكفر المنافية للإيمان.

وورد لفظ الزكاة نكرة غير مقرون بلفظ الصلابة، وذلك في قوله تعالى: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ} [الروم: 39] ، و"الربا في اللغة: الزيادة مطلقاً، يقال رباً الشيء يربو إذا زاد، وفي الشرع يطلق على شيئين: على رباً الفضل، ورباً النسيئة، وغالب ما كانت تفعله الجاهلية أنه إذا حل أجل الدين قال من هو له لمن هو عليه: أتقضي أم تُربي؟ فإذا لم يقض زاد مقداراً في المال الذي عليه وأخر له الأجل إلى حين"¹.

وجاءت الآية في سياق الحديث عن الذين يتعاملون بالربا، فأولئك يتوعدهم الله سبحانه وتعالى بمحق بركة أموالهم، ومقابل ذلك يجازي المؤمنين على إخراج الزكاة خالصاً لوجهه الكريم بمضاعفة أموالهم وحسناتهم، فالزكاة عنصر البذل بلا عوض، و"هي قاعدة المجتمع المتكافل المتضامن الذي لا يحتاج إلى ضمانات النظام الربوي في أي جانب من جوانب حياته،... والنظام يقوم على أساس التصور الإيماني والتربية الإيمانية والأخلاق الإيمانية، فيصوغ النفس البشرية صياغة خاصة، ثم يقوم لها النظام الذي تنفس فيه تصوراتها الصحيحة وأخلاقها النّظيفة وفضائلها العالية، ويجعل "الزكاة" قاعدة هذا النظام، في مقابل نظام الجاهلية الذي يقوم على الربوية"².

فالزكاة من أعظم المقاصد الشرعية، تحقق معاني أخلاقية متجلية في تطهير النفوس من الشُّح والبخل، والحق والحسد، وترزع المحبة، وتؤلف القلوب على الإسلام ، ويحصل من خلالها البركة والنمو والزيادة والقرب إلى الله تعالى، بخلاف الربا الذي اعتبر دنساً، فجاء الخطاب القرآني بالتهني عن أكله، لأنه كسب غير طيب، ولما له من عواقب وخيمة على حياة الفرد والمجتمع، وذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل

¹ - الشوكاني، فتح القدير، ج 1 ص: 338.

² - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 1، ص: (328-329).

عمران: 130]. وقوله تعالى: {يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} [البقرة: 276].

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: "لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال هم سواء"¹، فالربا عمل ديني ورجس، لا يربو عند الله لكونه على غير مراد الشارع الحكيم؛ إذ كل عمل يراد به الزيادة غير الشرعية فلا يربو عند الله، وفي مقابلة الزكاة والصدقات، لا تثمر ثمرتها في تركية النفس إلا بعدم إبطالها بالمن في الإعطاء والرياء، قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 262].

العلاقات: تناولت الآية الكريمة علاقات تبين أهمية التزكية وعلاقتها بمفاهيم أخرى، من ذلك:

- علاقة تراكب: وذلك بين (الزكاة والإخلاص)، فلا يقبل من المال إلّا ما كان خالصاً طيباً يتغى به وجه الله، فيضاعف الله به الحسنات.

- علاقة تضاد: وذلك بين (الربا والتزكية)، فالتزكية تختص بالتطهير والنقاء؛ والزكاة تمثل مقصداً من مقاصد حفظ المال، وغاية عظمى لصيانة النفس وحمايتها من الترف والفساد والانحراف؛ فهي طاعة لله عز وجل لإقامة الحياة الاقتصادية المبنية على النظام الإسلامي، يتمتع الفرد العاقل بكامل الحرية في التصرف في ماله وفق شروط وضوابط بأداء ما عليه من حقوق وواجبات، لتطهير نفسه من الشح والبخل، وزيادة البركة والنماء في رزقه من خلال أداء زكاته لمستحقيها. عكس الربا؛ فلا بركة فيها ولا ثواب؛ الزكاة رقة لحال المحتاجين، وفيها مواساة لهم وتخفيف لما ألمّ بهم، أما الربا فانتهازية وتكريس لوضع الفقراء وترسيخ لفقرهم، الزكاة تكافل يقلص الفوارق الاجتماعية، أما الربا فاستغلال يعمق الطبقة.

ومن آثار الربا نجد "أن التعامل به يوجد اضطراباً نفسياً مستمراً بالنسبة لآكل الربا ومؤكله على السواء، وأنه فوق ما يحدثه من اضطراب في النظام الاقتصادي يوجد قلقاً نفسياً مستمراً للمتعاملين به"² ومن نتائجها فقدان المتعامل بها لنعمة الأمن والأمان، والتخبط في

¹ - صحيح مسلم، كتاب المساقاة والمزارعة، باب: لعن الله آكل الربا ومؤكله، رقم 1597.

² - محمد أبو زهرة، تحریم الربا تنظیم اقتصادي، الدار السعودية، جدة، الطبعة الثانية، (1405هـ-1985)، ص: 18.

الضَّلالة والعمى والقلق والخوف، وكل ذلك نتيجة الإعراض عن الله تعالى، ولذلك توعدّه الحقّ سبحانه بالعيش الضنك.

وورد لفظ الزّكاة مقروناً بالصّلاة في قوله تعالى: {فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور: 36، 37]، ففي الآية الكريمة ثناء من الله تعالى على رجال لا يشغلهم شاغل عن عبادته، من الذكر وإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة، وتم تخصيص التجارة لكونها أقوى العوامل التي تشغل عن الله تعالى، لحب الإنسان للمال وحرصه عليه، بينما يسعى المؤمن إلى الرّبح المادي والأخروي معاً، ويفضل الأخروي لما له من الأجر والثواب عند الله تعالى، ولذلك فهو دائماً يعيش في خشية ومراقبة وخوف ورجاء، وجاءت الزّكاة في الآية قرينة للصّلاة، مما يفيد دعوة المسلم إلى المحافظة عليهما وربطهما بالعبادة من ذكر وخوف لله تعالى. وقد أمرنا الحقّ سبحانه بالإكثار منه بقوله عزّ وجلّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الأحزاب: 41، 42]، وقوله ﷺ في الحديث القدسي أن الله عزّ وجلّ قال: [أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي]¹، وخير الذكر هو الجامع بين القلب واللسان.

العلاقات: ضمت الآية الكريمة معاني ودلالات مختلفة تتجلى في:

- **علاقة التعاطف:** وذلك بين الذكر وإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة، والعلاقة تلازمية بينهما، فالصّلاة ترتبط بالذكر والتّزكية كذلك من خلال الإنفاق وطلب القبول من الله تعالى، وفي الذكر استشعار معيّة الله ﷻ واستحضار مقامه والحياء منه، فيتجنب المؤمن طريق السوء، ولا يكون في غفلة عن ربّه، يقول سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف: 201]، عكس الغافل الذي اتّبع طريق الشّيطان فأنساه

¹ - متفق عليه ، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: قول الله تعالى { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ } سورة آل عمران/28 ، رقم 7405، صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله تعالى، رقم 2675، باختلاف يسير.

ذكر الله تعالى، يقول تعالى: {اسْتَحْذَرُوا الشَّيْطَانَ فَإِنَّ سَاهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المجادلة: 19]، فكانت النجاة والقرب من الله والوصول إلى رضاه ومحبه بكثرة ذكره واتباع منهجه.

الصفات:

- صفة الخوف: جاءت كلمة (يخافون) صفة للرجال المؤدين للصلاة في المساجد والمطيعين لله تعالى والمنيبين إليه والخاصعين له، فقلوبهم وجلة معمورة بالإيمان والتقوى. وقد مدحهم الله تعالى وأثنى عليهم في قوله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون: 57-61].

ووردت الزكاة في الآية مقرونة بالصلاة، كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [التوبة: 18]. وقد ابتدأت الآية بقصر الصفة على الموصوف، فعمارة المساجد تنبعث من صفة الإيمان، وهي مقصورة عليهم وحدهم، ولا تتعدى إلى غيرهم، وجاءت الصيغة بالقصر للتأكيد والتوضيح والبيان وردا على المشركين والمنافقين، واستبعاداً لهم من أن يعمرُوا المساجد لكونهم متمسكين بكفرهم، وذلك واضح وصريح في قوله تعالى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ} [التوبة: 17]، فجعل الحق سبحانه إيتاء الزكاة من صفات من يعمر بيوت الله تعالى، وفيها اعتبار أن أهلها من خصائص أهل الإيمان، والذين تحققت فيهم صفة العبودية له سبحانه، فالمساجد بيوت لا يعبد فيها سواه، والإسلام رغب في بنائها وعمارتها، والإعمار للمساجد يكون من خلال الحضور فيها، ذلك "أن الإنسان إذا كان مقيماً للصلاة فإنه يحضر في المسجد، فتحصل عمارة المسجد به، وإذا كان مؤتياً للزكاة فإنه يحضر في المسجد طوائف الفقراء والمساكين لطلب أخذ الزكاة فتحصل عمارة المسجد به"¹.

¹ - تفسير الرازي، ج 16، ص: (9 - 10).

فكانت المساجد مجمعاً للناس من غني وفقير، وفرصة للتعرّف على أحوال الناس ومواساتهم ومساعدتهم في شؤون حياتهم، فتتحقق الطاعة من خلال إخراج جزء من المال.

العلاقات:

- **علاقة التعاطف:** وذلك بين (الإيمان باليوم الآخر والصلاة والزكاة)، فالإنفاق في سبيل الله من أقوى أمارات الإيمان، يقول تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [البقرة: 3]، فلم يقتصروا على العبادات البدنية فقط، بل ساهموا في العطاء والإنتاج وتآلف القلوب بين الناس.

- **علاقة التداخل:** وذلك بين (التزكية والخشية)، فالخشية تحصل من خلال أداء الصلاة والزكاة بأركانها وشروطها، والتعمير المعنوي للمساجد يكون من خلال أداء شعائر العبادة من ذكر ودعاء...

- **الصفات:** صفة إعمار المساجد من صفات المؤمنين، فهم أشد خشية لله تعالى، يواظبون على الصلاة في وقتها ومع الجماعة لنيل الأجر والمغفرة، وبذلك عدت المساجد من أظهر البقاع وأنقاها لما يحصل فيها من طهارة النفوس والأبدان وطمأنينة البال وراحته، وقد أمر سبحانه بتطهيرها من أرجاس الشرك والكفر. وعمارتها من علامات التقوى، وكل من يساهم في تخريبها ومنعها عن أداء دورها ورسالتها يكرس نوعاً من أنواع الظلم والطغيان.

وورد لفظ الزكاة مقروناً بالصلاة في موضع آخر، وذلك في قوله تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} [الأنبياء: 73].

تمظهرت صفة العبودية لله تعالى في هذه الآية في فعل الخير عامة، وتم تخصيصه في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، إذ عطفنا على فعل الخيرات من باب عطف الخاص على العام، وبذلك حقق مفهوم العبودية التطبيق العملي للسعي إلى طهارة القلب وتزكيته. وتنقسم العبودية إلى "خاصة وعامة، لأن أصل معنى اللفظ الذل والخضوع، يقال طريق معبد إذا كان مذلاً بوطء الأقدام، وفلان عبده الحب إذا ذلّه، لكن أوليائه خضعوا له وذلوا طوعاً واختياراً، وانقياداً لأمره ونهيّه، وأعداءه خضعوا له قهراً ورغماً"¹، كما في قوله تعالى: {فَبَشِّرْ عِبَادَ (17)

¹ - ابن القيم، مدارج السالكين، ج 1، ص: 82 .

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ { [الزمر: 17، 18]، وقوله: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: 63] .

العلاقات: تشير الآية إلى معان عميقة وعلاقات تتجلى في ما يلي:

- **علاقة التعاطف:** بين (فعل الخيرات وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة)، فإيتاء الزكاة صورة لفعل الخير لبناء القيم الحضارية واستخلاف الإنسان في ذلك لتوفير حاجاته وتحقيق أمنه واستقراره، وهذا ما سعت إليه الشريعة الإسلامية بمقاصدها.

- **الصفات:** صفة العبودية، وتتجلى في إظهار منتهى الخضوع والاستسلام المطلق للمعبود، وأن يكون الإنسان عبداً لله اختياراً كما هو عبد لله اضطراراً، فهي غاية الوجود الإنساني، وسبب لتحقيق التقوى، تشمل ظاهر الإنسان وباطنه، وركن أساس للقيام بالشعائر من صلاة وزكاة وغيرها، ولا يتحقق هذا الفعل إلا بالطاعة التامة لله تعالى وتوحيده سبحانه.

وورد لفظ الزكاة نكرة كما في قوله تعالى: {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ

الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا} [مريم: 12، 13]. وتتضمن الآية خطاب الله تعالى لسيدنا يحيى بصفة القوة، وأشار "للزكاة بالعمل الصالح...، ولما ذكر الله تعالى طاعته لربه وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى، عطف بذكر طاعته لوالديه وبره بهما ومجانبته عُقُوقَهُمَا قولاً وفعلًا وأمرًا ونهيًا"¹، وختم الحق سبحانه تلك الأوصاف بالتقوى، منبع الخير والصلاح والفوز في الحياة الدنيا والآخرة، وسبب النجاة من النار.

العلاقات: تشير الآية إلى معان عميقة ودلالات مختلفة تتجلى في:

- **علاقة التعاطف:** بين (الحنان والتزكية والتقوى)، حيث تشمل التزكية الطهارة من الدنس والآثام والذنوب، وهي من الصفات التي ميز الله تعالى بها عباده الصالحين لإظهار دين الحق، وخصّ الخطاب سيدنا يحيى بوصفه بصفة الرحمة، وهذا من شيم الأنبياء والرسل، حيث جاءت دعوتهم للناس باللين والعطف لبلوغ درجة التقوى.

¹ - تفسير ابن كثير، ج 5 ص 217.

- **الصفات:** صفة القوة، وقد أشار الرسول ﷺ إلى ميزة الشخصية القويّة، بأنّها أحبّ إلى الله، وذلك قوله: "المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيفِ، وفي كلّ خيرٍ"¹، وقد استمدت صفة القوة من أسماء الله الحسنى، وجاء فعل الأخذ في خطابه تعالى لسيّدنا يحيى على صيغة الأمر للدلالة على الجِدِّ والمثابرة.

وفي الحديث الشريف نجد اقتران الصلّاة بالزكاة وسائر العبادات.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: دُلّني على عملٍ إذا عمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجنةَ قال: "تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ"، قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا"².

وتعتبر الزكاة فريضة مثلها مثل الصلّاة، وذلك في قول أبي بكر رضي الله عنه: "والله لأقاتلنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقٌّ الْمَالِ، وَالله لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا قال عمر رضي الله عنه "فو الله ما هو إلّا أنْ قَدْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فعرفتُ أَنَّهُ الْحَقُّ"³.

فلا فرق بين الصلّاة والزكاة باعتبارهما من شرائع الإسلام، كما جاء في حديث أبي بكر، فالصلّاة عبادة بدنية والزكاة عبادة مالية، تتجلى أهمية الصلاة في القرب إلى الله تعالى بالذكر والخشوع والاستغفار فهي قوت القلوب وأرواحها، وتتجلى أهمية الزكاة في كونها طهارة للقلب من الشح والبخل وحبّ المال وبذلك فهي لا تقل أهمية عن الصلاة.

العلاقة:

علاقة التعاطف: وذلك بين (التوحيد / إقامة الصلّاة / إيتاء الزكاة/صوم رمضان)، إذ تعد الزكاة وسيلة لتزكية النفس، ينال بها العبد رضا الله تعالى مع سائر العبادات من صلاة وصوم، وفي الحديث إشارة أبي بكر إلى أنّها فرض لازم، بما يستوجب القتل لمن فرّق بينها وبين

¹ - صحيح مسلم، كتاب القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم 2664.

² - صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة، رقم 1397.

³ - صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله رقم 20.

الصَّلَاة، فهي تطهير لنفس الغني وماله، وقد اشتق من لفظ الزكاة اسم التزكية للنفس لما لها من علاقة وطيدة مع سائر العبادات.

ووردت الزكاة مقترنة بالصلاة والصلة والعفاف، وذلك في حديث عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أخبرني أبو سفيان رضي الله عنه وذكر حديثه مع هرقل عظيم الروم فقال له: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّلَةِ وَالْعَفَافِ¹.

فتزكية النفس تتجلى من خلال دور الإنسان المستخلف في الأرض بإقامة مجال العبادات (صلاة وزكاة...) والمعاملات (من تراحم وتعاطف وصلة....). وعندما تستقر المحبة في القلوب ينتج عن ذلك التعاطف والمؤازرة في الخير وكل أنواع البر والتقوى والعفاف وكل ما يعمر النفوس بالإيمان والتقرب لله تعالى.

العلاقة:

علاقة التعاطف: وذلك بين (الصلاة/ الزكاة/ الصلة/ العفاف)، فالإسلام حث على التعاون والتفاهم والتآخي وصلة الأرحام و"كل ما أمر الله به أن يوصل بالبر والإكرام والمراعاة ولو بالسَّلام والعفاف) أي الكف عن المحارم وخوارم المروءة"²، فالمؤمن لا يقاطع.

ووردت الزكاة مقترنة بالصلاة وصلة الرحم. فعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ الْقَوْمُ: مَا لَهُ؟ مَا لَهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَرْبُ مَا لَهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَعْبُدُ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ"³.

لقد شمل هذا الحديث التزكية وصلة الرحم لما لهما من أثر في الألفة والتراحم بين الأقارب، فالإسلام يحرص على تقوية القربات وتعميق صلات المحبة بين الأهل والإخوان، ويحذر من القطيعة والمهجران، فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله: أَنَا الرَّحْمَنُ، وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي

¹ - صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب: كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعو إلى الإسلام رقم: 1773.

² - القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، 1323هـ، ج 3، ص: 2.

³ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة، رقم: 1396، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة رقم 13.

فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتُهُ"¹، ولما لها من آثار على حياة الفرد مثل زيادة الرِّزْق والبركة والتوفيق للطاعة، كما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَيِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيَسْأَلَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"². ولذلك كانت الصدقة على الأقارب وذوي الأرحام أولى وأعظم أجراً، ينال بها العبد أجر الصدقة وأجر صلة الرحم معاً، كما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة "³.

العلاقة: اشتمل الحديث السابق على علاقات تتجلى في:

علاقة التعاطف: وذلك بين (التوحيد /الصلاة/ الزكاة/ صلة الرحم)، فالزكاة شرعها الله لسد حاجة الفقراء والمساكين والإحسان للأقارب من خلال الإنفاق عليهم، لما له من الأجر المضاعف، وبذلك فالزكاة تحقق التجارة الربحية، فأخراجها مرضاة للرب ومطهرة للقلب، فهي مزكية للنفس، طاردة للشح، مؤلفة للقلوب، ومساهمة في نشر القيم النبيلة داخل المجتمع من طمأنينة وسلام وتعاون وبر وإخاء وتضحية ووفاء.

ووردت الزكاة مقترنة بالصلاة والزكاة والنصح لكل مسلم، وذلك في حديث إسماعيل عن قيس قال: قال جرير بن عبد الله: بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ"⁴.

فالدين الإسلامي دين النصح والإرشاد. وقد أخبر النبي ﷺ أن الدين النصيحة باعتبارها تشمل "حصال الإسلام والإيمان والإحسان... فإن النصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته على أكمل وجوهها وهو مقام الإحسان، فلا يكمل النصح لله بدون ذلك"⁵، فمن حق المسلم على المسلم النصح ومؤاخاته ونصرتة في الحق، والنصح لكل مسلم قريب أو بعيد صغير

¹ - سبق تخريجه.

² - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب: من أحب البسط في الرزق، رقم: 2067، صحيح ومسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم 2577.

³ - سنن ابن ماجه، كتاب الزكاة، باب: فضل الصدقة، رقم: 1844، وصححه الشيخ الألباني.

⁴ - صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: البيعة على إيتاء الزكاة، رقم 1401.

⁵ - ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م، ص: 216.

أو كبير. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "حقّ المؤمن على المؤمن ست" وذكر منها: "وإذا استنصحتك فانصح له"، فسميت بذلك النصيحة "ديناً وإسلاماً، فالدين يقع على العمل كما يقع على القول، فقد بايع رسول الله جريراً على النصح كما بايعه على الصلاة والزكاة"¹.

العلاقة:

- علاقة التعاطف: وذلك بين (الصلاة/ الزكاة/ النصح)، فالخطاب شمل جريراً، ويراد به عموم الناس، وفيه المبايعة على الصلاة والزكاة والنصح لكل مسلم، وذلك من علامة الإيمان أن يحب المرء لنفسه ما يحب لغيره.

وورد لفظ (زكاة) في حديث آخر نكرة، فعن أنس بن مالك قال: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ، وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَتِيمَةَ، فَقَالَ: أَنْتِ هِيَ؟ لَقَدْ كَبُرْتَ، لَا كَبَرَ سِنُّكَ فَرَجَعْتَ الْيَتِيمَةَ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكَ يَا بُنَيَّةُ؟ قَالَتْ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلِيَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا يَكْبُرَ سِنِّي، فَلَا أَنْ لَا يَكْبُرُ سِنِّي أَبَدًا، أَوْ قَالَتْ قَرْنِي، فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلَوْتُ حِمَارَهَا، حَتَّى لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا لَكَ يَا أُمُّ سُلَيْمٍ؟ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَدْعَوْتُ عَلَى يَتِيمَتِي؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا أُمُّ سُلَيْمٍ؟ قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبُرَ سِنُّهَا، وَلَا يَكْبُرَ قَرْنُهَا، قَالَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: يَا أُمُّ سُلَيْمٍ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَى رَبِّي، إِنِّي اشْتَرَيْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"².

علاقة التعاطف: وذلك بين (الطهر/ الزكاة/ القربة)، فدعاء الرسول ﷺ مبارك ومستجاب، فهو الرحمة المهداة للعالمين، فقد دعا لابن عباس وقال ﷺ: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ".

وورد لفظ الزكاة مقترنا بالصدقة، حيث قال رسول الله ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا

¹ - ابن بطال، شرح صحيح البخاري. ج 1، ص: 129.

² - سبق تخريجه.

اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَرْدٌ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ"¹.

العلاقة :

علاقة التداخل: وذلك بين (التوحيد/الصلاة/ الصدقة)، فقد شرعت الزكاة للفقراء والمحتاجين لسد الخصاص وتحقيق التوازن؛ فلا فرق بين غني وفقير ولا أسود وأبيض إلا بالتقوى، فمشكلات الفقر والبطالة تعالج بمنظور شرعي مبني على أسس ومقومات تنبثق من الواقع الإنساني، وتأديتها من الأغنياء تعد من باب شكر النعمة، وهي من العبادات التي تعالج النفس الإنسانية، وتعودها على البذل والعطاء، ويستطيع من خلالها المزكي التغلب على الشح والبخل وتهذيب النفس.

وخلاصة القول: من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يتبين لنا أثر الزكاة وأهميتها في القضايا الاجتماعية لتأمين حياة الفرد والمجتمع كما يلي:

- تسهم الزكاة بشكل كبير في معالجة الأزمات الاقتصادية، ولضرورة الأمر نجد النداء القرآني صريحاً في الوعيد بالعذاب الأليم لمن امتنع عن إخراجها، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} [التوبة: 34، 35].

- أداء الزكاة يسهم في تقوية العلاقات داخل المجتمع وفي تقريب المسافات بين الفئات وفي تأمين المجتمع من انتشار السرقة والفساد، فليس هدف الإسلام من الزكاة جمع المال، وليس فقط مساعدة الضعفاء وذوي الحاجة وإقالة عثرتهم، بل هدفه الأول أن يعلو بالإنسان على المادة ويكون سيدها لا عبداً².

¹ - سبق تخريجه.

² - القرضاوي، فقه الزكاة، ص: 857.

- تسهم الزكاة في بناء مفهوم السلم والأمن الاجتماعي، وهي مرتبطة بضوابط وأركان تتوزع بين الجوانب الروحية والإيمانية والعقلية والاقتصادية والصحية والفكرية والحضارية إلى غير ذلك من الجوانب، وذلك لتحقيق العمران الذي يتطلب حضوراً حيوياً وطاقات قوية انطلاقاً من منهج التغيير.

- إخراج الزكاة طاعة لله ومرضاة له وتطهير للنفس من الآفات والردائل، وهي تسهم في بناء الحياة الاقتصادية على منهج قائم على تشجيع الإنتاج ومحاربة الكساد، أما توقيف المال وعدم ترويجه فيؤدي إلى أضرار كثيرة منها توقيف الإنتاج وتكدس الثروات في يد فئة دون أخرى، فينتج عن ذلك الترف وحب السيطرة والظهور والفساد، و"كل هذا الشر الذي تحول دونه الزكاة ويحول دونه منهج الله في توزيع المال ودورة الاقتصاد"¹.

لقد لعبت الزكاة دوراً هاماً في الحياة الإنسانية، وذلك بخلق جو الودّ والتكافل والتعاون والتضامن، والتآخي بين الناس، وبتقليص الفوارق الطبقية، وإلى جانب هذا الأثر المادي، نجد الأثر الروحي المتمثل في التطهير والتنقية من الشوائب والتخليص من الأدران والمعاصي، فكل عضو في جسم الإنسان مطالب بالتركية من خلال أداء دوره الاستخلافي، كما أشار إلى ذلك الغزالي بقوله: "فزكاة القلب التفكير في عظمتة وحكمته وقدرته ونعمته ورحمته، وزكاة العين النظر بالعبرة والغض من الشهوة، وزكاة الأذن الاستماع إلى ما فيه نجاتك، وزكاة اللسان التطق بما يقربك إليه، وزكاة اليد القبض عن الشر والبسط إلى الخير، وزكاة الرجل السعي إلى ما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك"².

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 2، ص: 858.

² - الغزالي، مجموع الرسائل، ص: 219.

خلاصة الفصل الرابع:

تطرقنا في هذا الفصل إلى ضميمتين، تبيينان مدى عمق مفهوم التزكية، لارتباطها بالذات الإنسانية بتزكية النفس وتزكية الأعمال، فقد شملت التزكية المادة والروح، واهتمت بإصلاح الظاهر والباطن، والإنسان هو المكلف بأمانة الاستخلاف وتحقيق غايته الوجودية من خلال إعمار الأرض والإصلاح فيها، وبناء حضارته واستمداد ذلك من المنهج الرباني. وبمجاهدة النفس يرتقي بها إلى نفس مطمئنة صابرة محتسبة، تؤمن بالله وتتوكل عليه حق التوكل؛ والتزكية شاملة للأقوال والأفعال والأعمال، ولم يستغن عنها سيد الخلق حينما دعا الله سبحانه وقال: "اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها".

وبالنسبة لمشتقات المصطلح فقد جاءت بصيغ متنوعة من فعل ماض ومضارع واسم تفضيل ومصدر، وأكثر الوارد منها صيغة (الزكاة)، وهو ما يتبين لنا منه دلالة مفهوم التزكية الذي يشتمل على الجانبين مع المادّي بالعطاء والتفقه على الفقراء والمساكين، والمعنوي من خلال تطهير النفس وتزكيتها لتحقيق مفهوم العبادة الحقّة لله سبحانه وتعالى. والقرآن الكريم لم يهمل أي جانب يختص بحياة الإنسان، حيث اهتم بالنفس الإنسانية اهتماماً عظيماً في جميع جوانبها من عقل وروح، وسوى خلق الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات، وأرشده إلى الخير والصّلاح من خلال بعثة الرسل. وكل مشتقات لفظ (التزكية) تحت على التوحيد الخالص لله تعالى، فلا قبول لأداء الزكاة بدون توحيد، فهو رأس الأمر كله، وعليه مدار الحياة، وهو لب الإسلام وعظمه. وهذا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته، حيث سعى إلى تثبيت العقيدة في النفوس أولاً، وامتدت دعوته في مكة ثلاثة عشر سنة على هذا الأساس، حتى استنارت قلوب الصحابة وامتألت بالإيمان والتقوى والتزكية.

الباب الثاني

الدّراسة الموضوعيّة المعرفيّة

الفصل الاول: وسائل التزكية ومعيقاتها

الفصل الثاني: تزكية النفس الانسانية

والفصل الثالث: التزكية ودورها في بناء العمران الحضاري

الفصل الأول:

وسائل التّزكية ومعيقاتها

المبحث الأول: وسائل التزكية

المبحث الثاني: معوقات تزكية النفس

الفصل الأول:

وسائل التزكية ومعيقاتها

المبحث الأول: وسائل التزكية

تعد العبادة في الإسلام من أهم الوسائل التي تحقق تزكية النفس التي فرضها الله على عباده، لما لها من مكانة جليلة ومترلة رفيعة. قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الدَّارِيَات: 56-58]. ويتمثل التَّعَبُّدُ لله ﷻ بامتثال أمره، والقيام بفرضه من صلاة وزكاة وصوم وحج وذكر ودعاء وغيره، فالعبادة مجال شامل لكل جوانب الحياة لما لها من أثر في تزكية النفس واستقامتها وتطهيرها من الرذائل، ومن كل زيغ وانحراف وفساد؛ إذ تولد في النفس الشعور الدائم بالرقابة الداخلية التابعة من الإيمان العميق بالله ﷻ، ويصبح الإنسان من خلالها قوي الإرادة متحرراً من عبودية الشهوة والطمع؛ شاكراً لربه ﷻ على ما آتاه من النعم التي لا تعد ولا تحصى، فمقصد تحقيق العبودية من أعظم المقاصد الشرعية على الإطلاق، ف"الخلق صلاحهم وسعادتهم في أن يكون الله هو معبودهم الذي تنتهي إليه محبتهم وإرادتهم، وأن يكون ذلك غاية الغايات، ونهاية النهايات"¹.

لقد تنوعت العبادات بين عبادة بدنية كالصلاة والصيام، وعبادة مالية كالزكاة والصدقات، وكل عبادة لا تخلو من الجانب الروحي، فالصلاة هي عماد الدين، ونور وعون ورحمة مهداة للعباد الصالحين، ونبراس وميزان لأحوال السالكين، ولذة في قلوب الخاشعين، ومحبة وأنس ومناجاة، واستعانة على مطالب الدنيا وضغوطاتها، يقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [البقرة: 153].

ومن مقاصد الزكاة تطهير نفوس الأغنياء من الشح والبخل، قال تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } [التوبة: 103]، وقوله تعالى: { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [التوبة: 60].

¹ -ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، الطبعة الثانية، (1411هـ - 1991م)، ج 9 ص: 373.

وفي الصّوم تربية للنفس، وتقويتها على الإرادة، والصبر، والتّقوى، ومراقبته تعالى كما في قوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183]؛ فهو من العبادات التي لها أثر كبير في التربية لكونه مدرسة عظيمة تنمي شخصية الفرد بكلّ مقوماتها النفسيّة، والروحيّة، والخلقيّة، والاجتماعيّة، وغيرها.

ومن مقاصد الحجّ الامتثال لأوامر الله تعالى وضبط اللسان عن الزلل والعصيان، فهو موسم الطّاعات والخيرات والبذل والعطاء، قال تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} [البقرة: 197]، وقال تعالى: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ} [الحج: 28].

وفي كلّ عبادة مقاصد وغايات تحقّق معاني العبوديّة، وتقوّم السلوك الفرديّ، وتركّي النفس، وتحثّ على البرّ والتّقوى والطّاعة لله والرّسول ﷺ؛ ف"الأصل في العبادات أنّها تؤدّي امتثالاً لأمر الله، وأداء لحقه على عباده، وشكراً لنعمائه التي لا تنكر، فهي ابتلاء لعبوديّة الإنسان لرّبّه، فلا معنى لأن يدرك السر في كلّ تفصيلاً، فالعبد عبد، والرب رب، وما أسعد الإنسان إذا عرف قدر نفسه! فالأصل في العبوديّة لله أن شعارها الإيمان بالغيب ولو لم تره، والطّاعة للأمر ولو لم تخط بسره"¹.

ويمكن القول: إن العبادة لها مفهوم عميق يحمل أبعاداً دلالية مختلفة، لا تقتصر على مجرد الشّعائر التّعبديّة، وإنما تتجاوز ذلك لتصبح غايتها إصلاح الفرد خاصّة، والمجتمع عامّة، وتسعى إلى تهذيب النفس، وزرع الطّمأنينة. وحينما تتحقّق هذه الغاية تتحول العبادة من فريضة إلى تطوع، ومن مشقة إلى راحة، كما جاء في قوله ﷺ في شأن الصّلاة "يَا بَلَاءُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرْحَنًا بِهَا"² حيث غرست العبادة في قلوبهم المحبة، ولا يصل إلى ذلك إلّا من طهر نفسه من الآثام والمعاصي، وتشبّع بالإيمان والعمل الصّالح. وسنتناول في هذا المبحث وسائل التّزكية، ودورها في تنمية روح الفرد، وتقويم سلوكه، وأخلاقه، وتأثيرها على المجتمع بإصلاحه.

¹ - يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، الطّبعة الرّابعة والعشرون، (1416هـ-1995م)، ص(217-218)، بتصرف.

² - سنن أبي داود، كتاب الصّلاة باب: في صلاة العتمة، رقم 4985، وصححه الشيخ الألباني.

المطلب الأول: الصّلاة

أولاً: دور الصّلاة في حياة المسلم:

الصّلاة مفتاح الجنّة، والركن الثاني بعد الشّهادة، وهي أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ"¹، وقد بين الخالق - سبحانه - وجوبها في قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} [البقرة: 43]، وقوله سبحانه: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: 238] وقوله تعالى: {فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا} [النساء: 103]. وفي الحديث الشريف ذكرت عدة أحاديث تبين فضلها وأهميتها، من ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله (أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا"، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "بِرِّ الْوَالِدَيْنِ"، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"².

فقد عني الإسلام بها عناية خاصّة، فهي خير الأعمال، ذكرها القرآن الكريم لمعظم الأنبياء والرّسل، ففي دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام نجد قوله تعالى: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ} [إبراهيم: 40]، وفي دعاء نبينا موسى عليه السلام نجد قوله تعالى: {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: 13، 14]، وفي وصية لقمان لابنه نجد في قوله تعالى: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان: 17] وفي خاتم التّوبة نجد قوله تعالى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

¹ - أخرج أهل السنن إلا أبا داود: سنن الترمذي، كتاب الصّلاة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، باب: ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصّلاة رقم 413، وسنن النسائي، كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، رقم 465، وسنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصّلاة والسنة فيها، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصّلاة، رقم 1425، وصححه الشيخ الألباني.

² - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصّلاة، باب: فضل الصّلاة لوقتها رقم 527، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال رقم 85.

وقد اختصت بها الفئة المؤمنة بالمحافظة عليها بشروطها وأركانها على التمام والكمال

كما جاء في قوله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ } [المؤمنون: 1 - 9].

وفي الصلاة يلزم من المصلي حضور القلب ليكون حاضراً ذاتاً وروحاً يشدّ كلّ قواه الفكرية في قول الألفاظ حتى لا يكون غافلاً ، كما أشار إلى ذلك الغزالي بقوله: "فالتفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب، وربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ، ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ، فإذا كان المصلي غافلاً بقلبه بينما لسانه يتحرك بحكم العادة، فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لصقل القلب، وتحديد ذكر الله عزّ وجلّ ورسوخ عقد الإيمان به"¹، واشترط فيها حضور العقل لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء: 43].

وهكذا تكون الصلاة "حركة وعملاً، تشمل جوانب الشخصية كلها، فالجسم في الصلاة يعمل قائماً قاعداً، راکعاً ساجداً، واللسان يعمل قارئاً مكبراً مسبحاً مهللاً، والعقل متدبراً متفكراً في ما يتلو أو يتلى عليه من قرآن. والقلب يعمل مستحضراً رقابة الله وخشيته ووجهه والشوق إليه"²؛ فالصلاة لها مكانة عظيمة في الإسلام لا يمكن للفرد المسلم الاستغناء عنها؛ فهي روح القلوب ودواؤها، وطهارة للقلوب، وتزكية للنفوس، ورفعة في الدرجات لمن أداها بشروطها وأركانها وحافظ عليها في أوقاتها.

¹ - الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1 ص: (225-227)، بتصرف.

² - القرضاوي، العبادة في الإسلام، ص: 230.

ثانيا: دور الصّلاة في تزكية النّفس:

تعد الصّلاة من العبادات الأساسية في حياة المسلم، وهي أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه، ولأجل ذلك فرضها الله على المسلم في اليوم واللييلة خمس مرات لما لها من أثر كبير في تزكية النّفس، وتطهيرها من الرّذائل والأدناس والخطايا، فهي لقاء رباني مع الله تعالى لا يتذوق حلاوتها إلا من ذاق طعم الإيمان؛ فهي روح للقلوب ورياضة للأبدان، وشفاء للعلل ومداواة للأمراض. توجب محبة الخالق سبحانه، من خلال مناجاته وطلب مرضاته. وتتجلى ثمرات الصّلاة على النّفس البشرية في الآتي:

- الصّلاة عماد الدّين وذروة الإسلام: مثلت الصّلاة الركن الثاني بعد الشّهادة لما لها من أهمية في حياة الفرد والمجتمع، قال ﷺ "رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"¹، وبفضلها يزداد الفرد إخلاصاً وتوحيداً وطهراً من الشّرك والأدناس. يقول تعالى: {قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرُنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا زَكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنعام: 71، 72]؛ وفيها استجابة لأمر الله تعالى وإظهار العبوديّة والامتثال له قال تعالى: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [الشورى: 38].

- طهارة من الذنوب والخطايا: تكفر الصّلاة الخطايا، وترفع الدرجات لما لها من أهمية في تطهير النّفس من الذنوب، كما في قوله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود: 114]، وقوله ﷺ: "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكَ رَبَّاطٌ"²، وقوله عليه الصّلاة والسّلام: " (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بَبَابٍ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُنْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟ قَالُوا: لَا يُنْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا"³، وعن أبي هريرة ؓ " أن رسول الله ﷺ قال: " الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تَغْشَ الْكِبَائِرُ"⁴ فالصّلاة لها

¹ - سنن الترمذي، كتاب الإيمان عن رسول ﷺ، باب: ما جاء في حرمة الصّلاة، رقم 2616.

² - صحيح مسلم كتاب الطهارة باب: فضل إسباغ الوضوء على المكاره رقم 251.

³ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصّلاة، باب الصّلوات الخمس كفارة، رقم 528، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب: المشي إلى الصّلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات، رقم 667.

⁴ - صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب: الصّلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر رقم، 233.

أثر كبير في تنمية الإيمان، وترقية النفس؛ فالمؤمن إذا تطهر من الذنوب، فإن نفسه تكون زاكية طاهرة من أدران المعاصي والمهلكات.

- الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر: للصلاة تأثير كبير في حفظ النفس من ارتكاب الفواحش والمعاصي قال تعالى: {أَثْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت: 45]، تحقق معاني العبودية والخضوع للخالق سبحانه والطاعة والاستجابة لأمره، وتقوي استقامة الفرد على الإيمان، والتوحيد، والشكر والذكر، والتطهير من برائن الهوى والفحش والمنكر.

- الصلاة نظافة وتطهر: فالوضوء طهارة وتزكية للمصلي. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا} [المائدة: 6]. وقوله ﷺ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ، فَتَمَضَّمْ خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ فِيهِ وَإِذَا اسْتَنْشَرَ خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ أَنْفِهِ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ وَجْهِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ يَدَيْهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ يَدَيْهِ. فَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ رَأْسِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ أُذُنَيْهِ. فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ رِجْلَيْهِ» قال: «ثُمَّ كَانَ مَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَصَلَاتُهُ نَافِلَةً لَهُ»¹؛ فالصلاة طهارة للقلب من الذنوب والخطايا وطهارة للجسد بالماء من الأوساخ والدرن، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِقَضِيٍّ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خُطْوَاتُهُ: إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً"². فالصلاة تحقق الطهارة الظاهرة من خلال الوضوء والغسل، والباطنية من خلال تطهير النفس، وترك الذنوب والآثام، وحثها على الاستغفار والتوبة والإنابة والخشوع لله تعالى والتضرع إليه.

- الصلاة مناجاة بين العبد وربّه: فالمناجاة من أعظم أسباب تزكية النفس، وتقوية الإيمان، واستمداد العون من الله تعالى في كلّ أموره؛ إذ تمد الصلاة العبد بالقوة الروحية والطمأنينة والراحة النفسية من خلال الدعاء والتحنن والتذلل له - سبحانه - قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

¹ - أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الطهارة، باب: جمع الوضوء، رقم 30، والإمام أحمد في المسند، رقم: 19068، وصححه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

² - صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب: المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا رقم: 666.

آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: 153]، فالصلاة أكبر عون على مهمات الحياة ومصائبها، فعن حذيفة بن اليمان قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى" ¹، ولذلك لم تقتصر الصلاة على الفرائض فقط بل تعدت إلى النوافل حتى تزيد صلة العبد بربه، وتقر بها عينه وتأمين بها نفسه؛ فوجدت صلاة الحاجة، وصلاة الاستسقاء، وصلاة الخسوف، وصلاة الخوف، وصلاة الاستخارة، وكان السلف الصالح يكثرون من صلوات النوافل وخاصة قيام الليل.

- توزيع أوقات الصلاة تزكية للنفس، فالصلاة عبادة روحية جليلة تقوي النفس البشرية، وتتعاقب على مدار اليوم لتنظم حياة الإنسان داخل الكون، فلا يؤخر عمل الصباح إلى المساء، بل لكل وقت هدف وغاية متجلية في شحن المؤمن بالإيمان، فلا يستطيع الاستغناء عنها، بل هي روحه وكيانه وعقله ووجدانه وبصيرته وأكله وشربه وغذاؤه الحقيقي وزاده إلى الله تعالى، وبذلك شرعها الله لعبده في سفره وحضره وفي مرضه مادام عاقلًا وواعيًا بكيانه، حيث " ينتقل المؤمن في يومه من صلاة: تبدأ أولها مع موكب الضوء الهادي في السحر، وتنتهي الرحلة آخر اليوم بصلاة العشاء...، الأولى توقظه، والأخيرة تسلمه إلى خالقه، وبين هاتين يحيا الإنسان مندفعًا في ضروب الحياة، وكلما ضل الطريق أتت إحدى الفرائض فذكرته، وغسلت عنه ذنوبه ومساوئه، فعاد نقيًا طاهرًا، وواصل رحلة الحياة في يمن ويسر، ولا يهلع ولا يجزع إذا مسه الضر، ولا يمنع خيره وعطاءه، إذا ما وسع الله عليه لأن صلاته وثقت صلته بالله فأضحى بما عند الله أوثق مما في يده" ². فالمؤمن يمضي وقته دائمًا في طاعة الله من صلاة إلى صلاة، ومن ذكر واستغفار إلى مناجاة، فكانت حكمته ﷻ أن يذكر الله في سائر الأحوال حتى تطمئن النفس، وترتقي إلى المعالي، مما يوثق الصلة بينه وبين ربه بأنه لا ملجأ إلا إليه ولا استغناء عنه ﷻ قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186].

- تحقق الصلاة الفلاح والخشوع: من خلال التفكير والتدبر في معاني الكلمات والآيات لما تشمله من تعظيم لله - سبحانه - وتمجيده، قال الغزالي في الإحياء: "الصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات، فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضًا. ثم

¹ - سنن أبي داود، كتاب الصلاة باب: وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل، رقم: 1319، وصححه الشيخ الألباني.

² - عبد الفتاح عاشور، منهج القرآن في تربية المجتمع، دار الجيل، مصر، الطبعة الأولى، (1399هـ-1979م) ص: 195.

يراعي الهيبة في القراءة فيرتل ولا يسرد فإن ذلك أيسر للتأمل. ويفرق بين نعماته في آية الرّحمة والعذاب والوعد والوعيد والتّحميد والتّعظيم والتمجيد¹.

فالصّلاة بلا خشوع كجسد بلا روح، ولا فلاح للمؤمن إلا بالخشوع في صلاته؛ فحضور القلب هو روح الصّلاة؛ فلا تثمر الصّلاة ثمراتها في تزكية النّفس إلا إذا وجد الخشوع مع بقية الشّروط المطلوبة في الصّلاة. قال تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة: 45]. فهي صلة بين العبد وربّه، والمحافظة عليها بشروطها وخشوعها غاية من الغايات التي تحفظ كيان الفرد وتصون كرامته وتحقق نجاحه وفلاحه.

- تحقّق الصّلاة الاطمئنان الروحي: فالصّلاة سَكينة للنّفس ودواء للقلوب وعلاج للأبدان، وكاشفة للهموم والأحزان، تخرج العبد من العادة إلى العبادّة، فهي الغاية التي خلق من أجلها الإنسان، يناجي العبد فيها ربّه فيشعر بسكينة النّفس وراحته، وتخفّف عنه هموم الدّنيا ومتاعب الحياة، فهي عبادة روحية عظيمة تسعى إلى تحقيق الطّمأنينة والراحة والسّكينة وتطهّر النّفس وتصفّي السّريّة، فهي سفر من الأرض إلى السّماء، تهتم بإصلاح النّفس البشريّة وتزكّيها لترتقي إلى معالي الدّرجات، قال ﷺ، "جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاة"².

- تحقّق الصّلاة مبدأ الوحدة والمساواة: الصّلاة تطهر النّفس من الأحقاد وتجمع بين المسلمين وتوحّد صفوفهم داخل المسجد من خلال قيامهم في صفّ واحد يشمل الصّغير والكبير، الغني والفقير، العالم والمتعلّم، فاللقاء المتكرر يزيد الألفة والمحبة، ويقوّي الروابط والعلاقات، ويزيل الفوارق المادية، ويحقّق التّعاون، ويقوّي أواصر المحبة في الله، ومن خلالها تسود الرّحمة بين المصلّين وروح المساواة، قال تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [التوبة: 18، 19].

ولم تغفل السّنة النّبويّة تربية الأطفال على الصّلاة منذ الصّغر وعدم التّهاون بها في الكبر؛ فهي أوّل ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وبصلاحها يصلح العمل والسّلوک والأخلاق؛ فمجرد الوقوف أمام الخالق ﷻ واستشعار مراقبته والتّدبر في الآيات المتلوة يزيد في النّفس طاقة روحية وسموّاً وجدانيّاً وأخلاقيّاً، ويبقى في توازن واعتدال واستقامة، وصلاة الفرد داخل الجماعة

¹ - الغزالي، الإحياء، ج1، ص: 236.

² - سنن النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم 3940. وصححه الشيخ الألباني.

لها الأجر والثواب العظيمين لما لها من دور في توحيد عقيدة المسلمين وطردهم بالشعور بالغرلة والوحدرة، والشعور بالانتماء لروح الجماعة لتوحد الأمة الإسلامية على قبرة واحدة ودين إسلامي واحد تحقق من خلاله النصر والتمكن.

المطلب الثاني: الزكاة

أولاً: مكانة الزكاة في الإسلام وأهميتها:

الزكاة فريضة من فرائض الإسلام، وهي الركن الثالث من أركانه العظام، وأول نظام عرفته البشرية لتحقيق مقصد الرعاية للمحتاجين؛ قرنها الله في كتابه بالصلاة للدلالة على عظم مكانتها، وقد دل على إقرار وجوبها معظم الأدلة الشرعية المتفق عليها: القرآن والسنة والإجماع كما في قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاِكِعِينَ} [البقرة: 43].

وفي السنة النبوية صح عن النبي ﷺ قوله: "بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان"¹.

وهي حق معلوم في أموال الأغنياء تعطى للفقراء كما ورد في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [المعارج: 24، 25]، وجاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله رسول الله إلى اليمن قال له: " فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ وَتُرَدُّ إِلَى فُقَرَائِهِمْ"². أما دليل وجوب الزكاة في الإجماع فما كان في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق في محاربة المرتدين عندما فرقوا بين الصلاة والزكاة بقوله: " وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقٌّ مَالٍ"³.

¹ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: دعاؤكم إيمانكم، رقم: 8، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم، 16.

² - متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الزكاة باب: وجوب الزكاة رقم: 1395، صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام رقم: 19.

³ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة رقم 1400، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم 20.

فهو نظام ربّاني يقوم على أساس قيمي أخلاقي تعبدى؛ وسميت الزكاة زكاة لدلالاتها على النماء والتطهير والبركة للمال بقوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: 103]، فأداء الزكاة والصدقات من أعظم القربات لما لها من دور في النماء الاجتماعي، وتسديد حاجة المحتاجين، ومحاربة احتكار فئة الأغنياء للثروة. وهي ركن مهم في النظام الاقتصادي، "فجباية المال في الإسلام عبادة، وهو سهم يرتبط بالإنتاج والعائد الزراعي والصناعي والتجاري، وترتبط الزكاة بالمواعيد والمقادير"¹، وتحقيق التجارة الرابحة، والبركة والنماء للفرد والمجتمع، وهي أيضاً عنصر مهم من عناصر معية الله، فأخرجها مرضاة للرب مطهرة للقلب، مزكية للنفس، تاركة للشح، مؤلفة للقلوب، يقول تعالى: {وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [المائدة: 12].

فالجنب المعنوي في الزكاة، أنها تكفير للخطايا، ودفع للبلايا واستمطار لرحمة الله تعالى، قال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 156]، فأمر الحق - سبحانه - بأداء الحقوق لمستحقيها من الفقراء والمساكين، ونهى عن التبذير، كما في قوله تعالى: {وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا} [الإسراء: 26].

إن عدم تأدية الزكاة له عواقب وخيمة، فالعقوبة الدنيوية تتجلى في القحط والجفاف، والعقوبة الأخروية تتجلى في العذاب الأليم، يقول تعالى: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [آل عمران: 180] وفي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبَبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ زِمَّتِيهِ، يَعْنِي بِشَدَقِيهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ الْآيَةَ: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: 180]².

¹ - ملكاوي، منظومة القيم العليا، ص: 89 بتصرف.

² - صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، رقم: 1403.

وأشار رشيد رضا إلى أن "مانع الزكاة المفروضة يهدم في الظاهر ركناً من أعظم أركان الإسلام، وينقض في الباطن من تحته أساس الإيمان لأنه يحتال على الله تعالى في إبطال فريضته وإزالة حكمته، فهو لم يرض بحكمه ولم يُدعِن لأمره، بل فسق عن أمر مولاه واتخذ إلهه هواه وتجراً على تبديل كلمات الله"¹.

وقد شرع الله ﷻ الزكاة لمقاصد عظيمة وأهداف نبيلة تتجلى في:

- المقاصد الدينية: إذ جعل الله - سبحانه - أداء الزكاة شعاراً للدخول في دين الإسلام، قال تعالى: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [التوبة: 11] تحقيق العبودية لله تعالى بالطاعة والامتثال، فهي تطهير المال من الآفات، وتحصيل البركة، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْتَطِيعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبا: 39].

وأشار الطاهر بن عاشور إلى أثر الزكاة وأهميتها في حفظ الدين، من خلال ترسيخ الطاعة في نفوس المؤمنين المزكّين بقوله: "وإنفاق المال من أعظم ما ترسخ به الطاعة في النفس، لأن المال ليس أمراً هيئنا على النفس"²، وقد شرعت زكاة الأموال بصورها المختلفة عند مرور الحول من أجل ترسيخ الطاعات في النفوس. قال البغوي "يُخرجون الزكاة طيبة بها أنفسهم على يقين بالثواب وتصديق بوعد الله ويعلمون أن ما أخرجوا خيراً لهم مما تركوا"³.

- وللزكاة مقاصد اجتماعية: تتمظهر في تحقيق التكافل الاجتماعي ومساعدة المحتاجين، وتعمل على نشر المحبة بين صفوف المجتمع وتقوية الروابط الأخوية وتماسكها، وتحقيق أواصر التضامن والتآلف والتراحم، مما يؤثر إيجاباً على المجتمع بسلامته من الأحقاد والكراهية، ونشر الطمأنينة والأمن والسلام، فقد جعل الإسلام المجتمع كالأُسرة الواحدة وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو اشتكى سائر الجسد. تسهم في تطهير نفس المزكّي من الشحّ والبخل يقول تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: 103]. فالهدف من الزكاة هو تحقيق مستوى لائق للمعيشة باعتباره إنساناً

¹ - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج2، ص: 96.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص: 51.

³ - تفسير البغوي. ج1 ص: 363.

مكرماً من رب العالمين، قال ابن القيم: "اقتضت حكمته أن جعل في الأموال قدرًا يحتمل المُواساة ولا يُجحفُ بها، ويكفي المساكين، ولا يحتاجون معه إلى شيء، ففرض في أموال الأغنياء ما يكفي الفقراء"¹.

- وللزكاة مقاصد اقتصادية: تسهم الزكاة في التوازن الاقتصادي والعيش الكريم لكل الناس من فقير ومسكين ویتيم وغيرهم؛ تلعب دوراً هاماً في تحريك الأموال وتدوير عجلة الاقتصاد وتنشيط الاستثمار، وتنفيذ المشاريع التنموية والخيرية والتخفيف من معدل البطالة والفقر، وتمنع تكدس الأموال في يد الأغنياء وتميش الفقراء قال تعالى: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} [الحشر: 7]، فلا تكديس للأموال لفئة غنية دون أخرى، ولا استغلال لها، بل راعى الشارع الحكيم لكل الناس مصالحهم.

- تحقق الزكاة مقاصد حضارية من خلال وظائفها في معالجة مشكلة البطالة، لإدماج الشباب في الحياة الاجتماعية وتأمينه في العمل، ليسعى إلى العيش الكريم، ولذا دعا بعض المعاصرين إلى ضرورة وجود نظام عالمي للزكاة، وإنشاء مؤسسة عالمية للزكاة واستثمار أموالها لمواجهة انتشار ظاهرة الفقر بين المسلمين، "فالناظر إلى التاريخ الإسلامي يجد أن مؤسسة الزكاة هي أول مؤسسة للضمان الاجتماعي قديماً وحديثاً. فهي تؤمن للفقراء والمساكين ما يكفيهم لمدة عام، لو كان هناك متسع في أموال الزكاة. فليست مجرد حفران من أكياس من السكر واللحم أو دريهمات معدودة كما يتوهم الكثير، بل هي توفير مستوى عيش لائق فوق مستوى الكفاف"².

ولها مقاصد سياسية: تتجلى في تحقيق المصلحة العامة للدولة وإحداث التوازن بين فئات المجتمع وتحقيق الأمن والطمأنينة بالقضاء على الجريمة والإرهاب، "فالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في أغلب المجتمعات الإسلامية تدعو إلى الشفقة والأسى، مثلها في ذلك مثل دول العالم الثالث التي تشكو من أزمات اقتصادية وتحولات اجتماعية خطيرة، فشلت في التغلب عليها كل من الدول التي حاولت أن تنحو المنحى الليبرالي والدول التي سارت في اتجاه اشتراكي، وبما أن المسلمين يتوفرون على مؤسسات تشريعية ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية، فإن الزكاة من أهم المؤسسات التشريعية الإسلامية لمعالجة كثير من القضايا الشائكة"³.

¹ - ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة والعشرون، (1415هـ - 1994م)، ج 2، ص: 8.

² - هود محمد صالح، النظام العالمي للزكاة: رؤية مستقبلية لتفعيل الدور الاقتصادي والاجتماعي للزكاة، الرياض، مكتبة الملك فهد

الوطنية (1427هـ - 2006م) ص: 82

³ - الزكاة وانعكاساتها في المجالين الاقتصادي والاجتماعي - مقدمة -، ص (7-8) بتصرف.

والإنسان هو المؤطر لفعل الزكاة بعدّه خليفة الله في الأرض، غايته الإصلاح في الواقع، وبناء القيم، والعمران، ونشر الأمن والأمان والسّلم والسّلام داخل المجتمع وخارجه، فكانت الدعوة اليوم إلى الاهتمام بأمر الزكاة، وإحداث مؤسسات تسهر على جمعها واستثمارها، وتوفير حق المأكل والمشرب والملبس والسكن لسد الحاجات.

ثانيا: دور الزكاة في تزكية النفس:

ومن خلال ما سبق يتبيّن لنا أن للزكاة أهميّة في حياة الفرد والمجتمع، فهي تستأصل من نفس الغنيّ الشّح والبخل، وتحل محلّهما الكرم والسّخاء، وتستأصل من نفس الفقير الحقد والحسد، وتحل محلّهما العفة والرضا؛ وهي كفارة للذنوب، وتطهير للنفس، وسمو إلى مدارج الكمال؛ لها أهداف وغايات ومقاصد تحقق الأخوة الدّينية والترابط الاجتماعي والمحبة بين النّاس، وتساهم في تزكية النّفس البشرية وتطهير القلب من الشّح والبخل، إذ النّفس مجبولة على حبّ المال، قال تعالى: {وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر: 19، 20].

فإنفاقه من أعظم الطّاعات وأجل القربات لأن به قوام الحياة، وتأمين الاحتياجات وبذلك عدّ حفظ المال من المقاصد الخمسة الضّرورية التي جاءت بها الشّريعة الإسلاميّة لحفظها.

فالزكاة نوعاً من أنواع الجهاد النّفسي، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [التوبة: 20] وقوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحجرات: 15]؛ فهي وسيلة من وسائل تزكية النّفس، وبذلك استحققت هذه العبادة الجليلة أن يشتق لها اسم من التّزكية فتسمى زكاة لتمظهر الصّلة بينهما الزّكاة والتّزكية؛ فالزكاة طهارة مادّيّة، والتّزكية طهارة معنويّة تختص بمجال النّفس، فتطهرها من الأحقاد والأدناس، وتسمو بها إلى الرّقّي والازدهار¹.

ومن آثار الزكاة في تزكية النّفس تعويد المسلم المزكّي على التّحلي بالأخلاق والفضائل وخاصة الإيثار والبذل والكرم والجود والتّضحية في سبيل الآخرين، فتزكّي نفسه من البخل والشّح، قال تعالى: {وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9].

¹ - أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، رسالة دكتوراه، (1415هـ - 1995م)، ص: 154، بتصرف.

ومن آثارها الاجتماعية أنها تزيد أواصر التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع، وتقوي روح الانتماء الاجتماعي لدى العبد المزكي، والشعور بالمسؤولية والاهتمام بأمر الجماعة، فتقوى مشاعر الأخوة في الدين، ويشعر المزكي بدوره الفعال في المجتمع، وبفضلها تشكر النعمة ويُعرف قدرها، فالمزكي بركاته يشكر ربه - عز وجل - الذي أغناه عن السؤال ويكون ذلك سبباً في زيادة نعم الله عليه قال تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: 7].

ويمكن القول إن الزكاة وسيلة من وسائل تزكية النفس ومصدر سعادتها، وكل ما ينفقه الفرد في طاعة ربه فهو مخلف بوعده الصادق في قوله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبا: 39]، فتحقق مقاصد وغايات وأهدافاً سامية للفرد والمجتمع على سواء، وتعمل على ربط العبد بخالقه من خلال الاستجابة لأمره، وإخراج ما أوجبه عليه، وتقوي رابطة الأخوة، وتجعل المسلمين جسداً واحداً كالبنيان يشد بعضه بعضاً؛ إضافة إلى دورها الفاعل في تحقيق المصالح والمنافع العامة، وتوفير الاحتياجات ومحاربة الفقر والهشاشة، وكل ذلك يؤدي إلى الثقة بالنفس، فمال مال الله والإنسان مستخلف فيه، فكانت غاية وجوده تحقيق العمارة في الأرض، والإصلاح فيها، والابتعاد عن الإفساد والطغيان والتجبر لتحقيق الأجر والثواب كما في قوله تعالى: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد: 7].

المطلب الثالث: الصَّوم

أولاً: فضله:

يعد الصَّوم وسيلة من وسائل التزكية، فهو طهارة للنفس، وترية للروح، وشفاء للأبدان، وقد خص الله له شهراً كاملاً، وفضله عن سائر الشهور بفضل القرآن، فعدّ شهر رمضان من قواعد الإسلام الأساسية في حياة المسلم، وذلك في قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} [البقرة: 185]، وقد وصف الرسول ﷺ العلاج بالصَّوم للذي ليس له القدرة على الزواج بقوله: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ"¹ وفي فضائل الصَّوم أحاديث كثيرة نذكر منها:

¹ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الصَّوم، باب: الصَّوم لمن خاف على نفسه العزوبة رقم: 1905، وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم: 1400.

- عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ فَيَدْخُلُونَ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ"¹.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، يَقُولُ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْكَ: "إِنَّمَا تَرَكَ شَهَوَاتِهِ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي، فَالصَّيَّامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ"².

وفي حيث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال الله ﻋَﻠَﻴْكَ: "كُلَّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ صَوْمُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرِفْثُ وَلَا يَصْخَبُ، وَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي أَمْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرَحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرَحَ بِصَوْمِهِ"³.

فمن خلال هذه الأحاديث النبوية يتبين لنا فضل الصوم، وتأثيره في النفس، فهو "عبادة قلبية سرية بين العبد وربّه وليس عادة كما يراها البعض من الناس"⁴، يربّي المسلم على العبوديّة لله تعالى، فكم من عاصٍ يرقّ قلبه بفضل الصيام، فيقلع عن الذنب، ويتوب إلى الله تعالى توبة نصوحًا، ويصون جوارحه عن المحرمات،

فالصّوم الحقيقي الذي أراده الحق ﷻ هو الذي يتجلى في ضبط سلوكيات العبد، والارتقاء بها إلى أعلى الدرجات، فما فائدة الصّوم إذا لم يتغير السلوك، ولم يتعد المسلم عن المحرمات وأكل الشهوات ولم يؤدّ الواجبات؟ فالحكمة الحقيقية من الصيام إصلاح النفس وتدريبها على المجاهدة والمصابرة على الطاعة لله ورسوله وتحقيق التقوى والترقي إلى الدرجات العليا، فما طرق التزكية في الصّوم؟ وما تأثير ذلك في النفس البشرية خاصّة والمجتمع عامّة؟

¹ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الصّوم، باب: الرّيان للصائمين رقم: 1896، صحيح مسلم كتاب الصّوم، باب: فضل الصّيام، رقم: 2031.

² - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الصّوم باب: هل يقول: إني صائم إذا شتم، رقم 1904، وصحيح مسلم، كتاب الصّوم باب فضل الصّيام رقم 1151.

³ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الصّوم، باب هل يقول: إني صائم إذا شتم، 1904، وصحيح مسلم، كتاب الصّيام، باب: حفظ اللسان للصائم، رقم 1151.

⁴ أنس أحمد كرزون ، منهج السلام في تزكية النفس ،ص:166، بتصرف.

ثانيا: الصّوم وسيلة من وسائل تزكية النّفس:

يعد الصّوم عاملاً أساسياً من العوامل المساعدة على تزكية النّفس، فهو " مدرسة تدريبية خلقية تربوية يتدرّب فيها المسلم على مكارم الأخلاق"¹، وعبادة عظيمة لتربية النّفس وتهذيبها وتطهيرها والحث على استقامتها، تدريبها على الصّبر والإخلاص والقناعة والتّقوى والإرادة والصّدق والأمانة والحلم والتّسامح وكظم الغيظ والإيثار والإخاء والتعاون، والكرم والشّجاعة وعلى فعل الخير والزّيادة ولزوم الطّاعة وترك المنهيات؛ و"صيام رمضان مدرسة متميزة، يفتحها الإسلام كلّ عام، للتّربية العمليّة على أعظم القيم، وأرفع المعاني، فمن اغتنمها وتعرض لنفحات ربه فيها، فأحسن الصّيام كما أمره الله، ثم أحسن القيام كما شرعه رسول الله"²؛ فقد طهر نفسه من الأدران والمعاصي والآثام، وذلك من خلال "تزكية النّفس بطاعة الله فيما أمر، والانتهاز عما نهى، وتدريبها على كمال العبوديّة لله تعالى، ولو كان ذلك بحرمان النّفس من شهواتها، والتحرر من مألوفاتها، ولو شاء لأكل أو شرب، أو جامع امرأته، ولم يعلم بذلك أحد، ولكنه ترك ذلك لوجه الله وحده، وفي هذا جاء الحديث: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، وَكُلَّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ"³. ولكي يؤدي الصّيام دوره في تزكية النّفس لا بد من أن يكون الصّيام إيمانياً واحتساباً لله تعالى بنية صادقة وخالصة له سبحانه، فهو عبادة وليس عادة، قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} [البينة: 5].

فالصّوم الحقيقي هو الذي يبعد النّفس ويعصمها من ارتكاب المعاصي والمحرمات، ويصون الجسم والفكر ويقوّي الرّوح، ويحجز عن تسلط الهوى والشّهوات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"⁵.

¹ - أنس أحمد كرزون ، منهج السلام في تزكية النفس، ص: 167، بتصرف.

² - يوسف القرضاوي، تيسير الفقه في ضوء القرآن والسنة (فقه الصّيام)، مؤسسة الرّسالة، بيروت، الطّبعة الثّالثة، (1993م) ص: 15.

³ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب: فضل الصوم، رقم: 1894، صحيح مسلم، كتاب الصوم، باب: فضل الصّيام، رقم: 1151.

⁴ - القرضاوي، تيسير الفقه (فقه الصّيام)، ص: 12.

⁵ - صحيح البخاري، كتاب، الصوم، باب: من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم: 1903.

فالصَّوْمُ أكبر عون على التَّقْوَى: كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183]، بقي الإنسان من المعاصي والمحرمات؛ فهو تربية خلقية عظيمة، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»¹، فهو تدريب النفس على الامتثال لأوامر الله تعالى وهو عبادة ربانية، يجوع ويعطش ويتضرع لله تعالى محبة له وخشية منه مما يورث المؤمن حب الخير ويقوي النفس على الطاعة من خلال محافظته على الفرائض والتَّقَرُّبِ إلى الله بالتَّوَّافُلِ من صلاة التَّراوِيج والتَّهَجُّدِ والإكثار من قراءة القرآن والأذكار والصدقات وسائر القربات.

وللصَّيَّام تأثير كبير في ضبط السلوك وترك المحرمات؛ والتَّحَكُّم في الشَّهَوَات، حيث يرتقي المسلم من خلاله إلى منازل المتقين، فهو مدرسة تربوية لتَهْذِيب الأخلاق من خلاله تطهر النفس من الأكدار، والأغلال والأحقاد، وتقوية الإرادة والصَّبر والإخلاص؛ فالصَّيَّام يمنع الشَّهَوَات كما تمنع الصَّلَاة الفحشاء والمنكر، وهو تدريب على الصَّبر فهو نصف الإيمان.

والصَّوْم وقاية من الآثام والمعاصي كما جاء في الحديث الشريف: «الصَّيَّامُ جُنَّةٌ» أي وقاية، قال ابن القيم: "للصَّوْم تأثيرٌ عجيبٌ في حفظِ الجوارح الظَّاهِرَةِ والقَوَى البَاطِنَةِ وَحِمِيَّتِهَا عَنِ التَّخْلِيطِ الجَالِبِ لها الموادِّ الفاسدة التي إذا استولتْ عليها أفسدتها، واستفراغ الموادِّ الرَّدِيئَةِ المانعة لها من صِحَّتِهَا، فالصَّوْم يحفظ على القلب والجوارح صِحَّتِهَا، ويعيدُ إليها ما استلبته منها أيدي الشَّهَوَات، فهو من أكبرِ العَوْنِ على التَّقْوَى"².

وهو يربي النفس على المراقبة لله تعالى ومجاهدة النفس، وتدريبها على ترك الشَّهَوَات، فالمسلم من خلال المراقبة يصل إلى درجة الإحسان، فحينما سأل رسول الله ﷺ جبريل فقال: «... مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»³، فالصَّوْم يعلم النَّظَام والانضباط والتَّحَكُّم في الشَّهَوَات، "لأنه يجبر الصَّائِم على تناول الطَّعام والشراب في وقت محدد، وموعد معين، والصَّوْم يشعر بوحدة المسلمين الحسية في المشارق والمغارب فهم جميعاً

1 - سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: في حسن الخلق رقم: 4798، وصححه الشيخ الألباني.

² - ابن القيم، زاد المعاد، ج2 ص: 28.

³ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، رقم 50، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم 102.

يصومون ويفطرون في وقت واحد لأن ربهم واحد وعبادتهم واحدة¹. فقد فرض الله الصّوم على الإنسان لتقوية إرادته من خلال الخضوع لعبادته، والالتزام بطاعته، فتخضع كلّ جوارحه لتمتع بالصّوم الحقيقي، فيصون لسانه عن الغيبة والنميمة والزور والبهتان والكلام الفاحش، يجمع شهوته، ويقوّي إرادته، ويصون أذنه عن سماع المحرمات، وعينه عن كلّ منكر، فهو "تعويد النّفس على الصّبر وتحمل المشقة"²، فهو ضرورة شرعيّة، وغاية نبيلة، لتحقيق المقاصد؛ بإصلاح النّفس وضبطها عن الانحراف والشّهوات، وربطها بخالقها ونشر الحبة والسّلام بين النّاس، وكظم الغيظ والصّبر على الأذى فإن خاصمك أحد أو شاتمك تقوي نفسك ولا تنتصر لها، فلا تنطق بالفحش بل تقول «إني صائم، إني صائم».

والصّوم تربية اجتماعيّة: ينمي في نفس الغني صفة الرحمة والأخوة والمحبة، ويدفعه الإحساس بالجوع والعطش إلى الإحسان والبر والتعاون لسد رمق البائس والفقير، ويصنع الصّوم أجواء روحيّة تغير النّفس وتسمو بها إلى مكارم الأخلاق، فرمضان فرصة لتعود النّفس على الصّدقات، وقد سمي بشهر الجود، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ"³، وفي فضل الإفطار عن زيد بن خالد الجهنيّ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا"⁴.

ومن خلال ما سبق تتبين لنا أهمية الصّوم في حياة المسلم، فهو تزكية للجسد وتضييق لمسالك الشيطان، وغذاء للروح، وعلاج للأبدان، فهو دورة تربويّة كلّ سنة ليستعيد الفرد طاقته وصحّته النّفسية والجسديّة والعقليّة، فكان اقتران الصّيام في رمضان بالقرآن هو مصدر الهداية والتّزكية للنّفس البشريّة، يتدرب المسلم من خلالها على مكارم الأخلاق والسلوك الحسن، وبذلك حقق الصّوم غايات ومقاصد عظيمة في تكوين الذات الإنسانيّة لينتقل من قوته الغضبيّة والشّهوانيّة التي خلق عليها.

¹ - وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، الطّبعة الثّانية، (1405هـ-1985م)، ج2، ص: 568.

² - أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تزكية النّفس، ص: 169.

³ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون في رمضان، رقم 1803، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الرّيح المرسلة، رقم 2308.

⁴ - سنن الترمذي، كتاب الصّوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل من فطر صائماً، رقم 807، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني.

المطلب الرابع: الحجّ

أولاً: فضله

يعد الحجّ الركن الخامس من أركان الإسلام، وأهم عبادة قلبية وبدنية ومالية، تعظم فيه الشعائر يقول سبحانه: {وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: 32]، وفي الأدلة على وجوبه نجد قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران: 97]، وفي الحديث النبوي ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: (أَيُّهَا النَّاسُ: قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلُّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَكَمَا اسْتَطَعْتُمْ¹).

والقصد من الحج ابتغاء وجه الله تعالى بنية خالصة، وله وقت محدد ومكان مخصوص فيه، يتجرد فيها الحاج من لباسه المعتاد امتثالاً لأمر الله تعالى ملبياً له، راجياً رحمته وقاصداً بابه للمغفرة والثواب، ولشرف مكان البيت العتيق يتوافد الناس من كل فج عميق ليؤدّوا فريضته قال تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27)} [الحج: 27] وفي بيان فضله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أي الأعمال أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: ثم الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حجّ مبرور².

تعدّ فريضة الحجّ "استسلاماً وامتثالاً وانقياداً للخالق سبحانه وتعالى، ولها دور كبير في تطهير النفس وتركيتها³؛ إذ تبت في نفسية المسلم روح التضحية والإخاء والتعاون وضبط السلوك والتحكم في الشهوات، ففي الحجّ تختلط جميع الأجناس وجميع اللغات، الكل ينادي مولاه بطلب المغفرة والرحمة والعون والتوفيق والسداد والتجاة من النار؛ وهذا الجو الرباني يشجع النفس على التسامح والعفو، ويغرس روح الطمأنينة والتعاون والمودة والرحمة؛ فهي رحلة إيمانية يتزوّد من خلالها المؤمن بطاقة روحية يحسّن من خلالها أخلاقه وسلوكياته وألفاظه، وهي تربية وتهذيب وضبط للنفس وحثّها على الاستقامة والتقوى وترك الهوى والفجور؛ فالحج المبرور يكفر الذنوب، ويزكّي النفس، ويغمرها بالأمن والأمان والطمأنينة وراحة البال، قال ﷺ: "مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"⁴.

¹ - صحيح مسلم، كتاب الحج، باب: فرض الحج مرّة في العمر، رقم 1337.

² - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: من قال إن الإيمان هو العمل، رقم 26، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم 83.

³ - أنس أحمد كرزون، منهج السلام في تزكية النفس، ص: 177 بتصرف.

⁴ - صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم: 1521.

ثانيًا: الحجّ وسيلة من وسائل تزكية النفس

للحج فوائد نفسية عظيمة، إذ يدرّب النفس على فعل الخير، والابتعاد عن الشرّ، ف"زيارة المسلم لبيت الله الحرام في مكة المكرمة، ولمسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، ولما نزل الوحي، وأماكن البطولات الإسلامية تمد المسلم بطاقة روحية عظيمة، تزيل عنه كروب الحياة وهمومها، وتغمره بشعور عظيم من الأمن والطمأنينة والسعادة"¹.

والحج تربية أخلاقية، يتعلم المسلم منه الكثير من الأخلاق الفاضلة والحميدة، حيث تسمو معالم القيم في نفسيته، ويتجمل بخلق الصبر والحلم والرحمة والتّضحية والإخاء، ويتحمل الأذى في سبيل الله تعالى؛ ويترك كلّ خلق ذميم فلا يرفث² ولا يفسق ولا يجادل كما في قوله تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ} [البقرة: 197].

والحج موسم الطّاعات والعبادة، يجب أن يتحقق فيه شرط الإخلاص لله تعالى، يترك المسلم أهله وبلده ويقصد بيت الله الحرام ليلتحق بإخوانه المسلمين على مختلف مستوياتهم ولهجاتهم في مكان واحد ووقت واحد، لباسهم واحد ونداؤهم واحد وتلبيتهم واحدة " لبيك اللهم لبيك" قبلتهم واحدة وربهم واحد، ليشهدوا منافع لهم؛ فهو وسيلة لتنمية الرّوح الاجتماعية وتقوية للتّماسك والتّلاحم بين المسلمين. وهو فرصة للتّعارف وتلاقح المعارف والأفكار والخبرات وتبادل الثقافات والمعلومات، فهو" تربية بالخبرة وتزكية من مضاعفات الطّغيان والاستضعاف التي تفرزها العصبية القبلية والطّبقية والإقليمية والعرقية، وهو صهر عملي للاختلافات العارضة في اللون والجنس والثروة والمكانة الاجتماعية... فلا فرق بينهم في اللون أو الوظيفة أو الطّبقة أو القبيلة، فالناس سواسية، فمقياس التفاضل هو التّقوى لقوله تعالى: {إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13]"³.

¹ - محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشّروق، الطّبعة السّابعة (1421هـ - 2001م)، ص: 295.

² - "الرّفث اسم جامع لكل لغو وفحش من الكلام، ويدخل فيه مغازلة التّساء ومداعبتهم والتّحدث بشأن الجماع ومقدماته... والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عزّ وجلّ. والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن، ويفرق في الحال المهمة، ويناقض حسن الخلق" الغزالي، الإحياء، ج1، ص: 369.

³ - الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص: 277.

فهو مؤتمر عالمي مقاصدي تعبدي يتجدد كل سنة، يذل الحاج كل جهده لتحقيق مقاصده وغاياته، من توبة صادقة، مجاهدًا نفسه للإقلاع عن المعاصي والآثام مستشعرًا عظمة المكان والزمان، قال عليه الصلاة والسلام: "العُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ"¹. وأشار القرضاوي إلى أن "الحجّ شحنة روحية وعاطفية، يتزوّد بها المسلم، فتملاً جوارحه خشية وتقى لله، وعزماً على طاعته، وندماً على معصيته، وتتغذى فيه عاطفة الحب لله ولرسول الله ﷺ، ولمن عزروه ونصروه وأتبعوا النور الذي أنزل معه، وتوقظ مشاعر الأخوة لأبناء دينه في كل مكان، وتوقد في صدره شعلة الحماسة لدينه، والغيرة على حرّماته، فشعائر الحجّ تترك أثراً واضحاً في أعماق النفس، فيعود من رحلته أصفى قلباً، وأظهر مسلكاً، وأقوى عزيمة على الخير، وأصلب عوداً أمام مغريات البشر، فهذه الشحنة الروحية العاطفية، تهرّس كيانه المعنوي هزّاً، بل تنشئه خلقاً آخر، وتعيده كأنما هو مولود جديد يستقبل الحياة وكله طهر ونقاء"².

فالحج مدرسة تدريبية للنفس على الطّاعة وتحقيق العبادة؛ "فما الإحرام في حقيقته إلا للتجرد من شهوات النفس والهوى، وحبسها عن كلّ ما سوى الله، وعلى التفكير في جلاله، وما التلبية إلا شهادة على النفس بهذا التجرد، وما الطّواف إلا دوران القلب حول قدسية الله، صنع الحب الهائم مع المحبوب المنعم الذي ترى نعمه ولا تدرك ذاته"³.

وما الوقوف بعرفات إلا تذكرة باليوم الآخر، فهو مشهد مصعّر يستشعر فيه المسلم يوم المحشر والحساب، فتتعالى الأصوات بمختلف اللّغات وتسكب الدمعات، فهو يوم المغفرة والرحمة يوم اجتماع القلوب والضراعة والابتهاال لله عزّ وجلّ بالسنة مشغولة بالدّعاء، فالموقف عظيم، والكل ينتظر رحمة البارئ سبحانه وتعالى، فعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: "مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟"⁴.

¹ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب العمرة، باب: العمرة وجوب العمرة وفضلها، رقم: 1773، صحيح مسلم، كتاب الحج باب: في

فضل الحج والعمرة ويوم عرفة رقم: 1349.

² - القرضاوي، العبادة في الإسلام، ص: 303.

³ - محمد شلتوت، الإسلام عقيدة وشرعية، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة عشرة، (1421هـ - 2001م)، ص: 130.

⁴ - صحيح مسلم كتاب الحج، باب: الفضل في الحج والعمرة ويوم عرفة، رقم: 1348.

فالحج كلّ موسم لتغذية الروح وجلاء القلوب وصفائها وتنقيتها من الأدران والأوساخ، يسلم المؤمن أموره كلّها لله ويمثل لله سبحانه ؛ فكل حركة يقوم بها تزيد في تكمين صلته بخالقه، بأنه لا معبود سواه، ولا أحد يستحق العبادة غيره، فهو فرصة لتطهير النفس من المظالم، والتسامح والعفو والصّفح و" هذا جانب التّخلية والتّطهير من المدنّسات النّفسية، والمفرّقات الاجتماعيّة، أما جانب التّحلية بالفضائل المزكيّة للنفوس، المؤلفة للقلوب المقربة إلى الله فإنّك تراه في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 197] "1.

فهو تطهير للنفس واستكمال فضائلها، وبذلك حقق الحجّ مقاصد وغايات هامة في إصلاح النفس البشريّة وإمدادها بطاقات رويّة تزيل عن المؤمن الهم والكرب وتمدّه بالسّعادة القليّة والطّمأنينة، ولا يقتصر على الفرد فقط، بل يعم الجماعة في توحيد فكرها وضبط سلوكها، فهو تدريب للجماعة على احترام الآخر، والعمل على روح التّكافل والإخاء والتّعاون والرحمة واكتساب الثّقافة المختلفة، وكلّ واحد يعبر عن وطنه من خلال لباسه وأكله وشربه، ومن خلاله يتعلّم المسلم الكثير من الأخلاق والسلوكيات الإيجابيّة، وأنّ الناس سواسية لا تفاضل بينهم إلا بالتّقوى؛ فكان الهدف من هذه العبادة العظيمة تحقيق المنفعة الذاتية من خلال إصلاح النفس وتركيتها، وتحقيق المنفعة العامة من خلال التّأخي والتّعارف والتّلاحم بين المسلمين.

والحج جهاد بالنّفس إذ يهذّب السّلوک، ويقاوم الأهواء ويدربّها على تحمّل المشاق، يترك المسلم بيته وأهله ويقمع شهوته ليلبّي نداء ربه - سبحانه - تاركاً ملذات الحياة، فهو " تدريب عملي على الحياة الفاضلة التي يريدها الإسلام، حيث يلتزم الحاج بحسن الخلق وسعة الصّدر، مجاهدًا نفسه التزامًا بجرمة المكان والزّمان بالبعد عن كلّ ما يسخط الله سبحانه، ويتدرب على خشونة العيش وترك الترفه والانتصار على ماديّات الحياة وشهواتها"2 وكل ذلك يؤدي إلى رفع معنويات الإنسان وإرجاعه إلى فطرته السليمة مما يؤثر في سلوكياته في إصلاح علاقته مع ربه ومع أهله ونفسه.

¹ - محمد شلتوت، الإسلام عقيدة وشرية، ص: 119.

² - أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تركية النفس، ص: 179-180.

ومن خلال ما سبق، فالحجّ له أسرار وغايات ومقاصد كثيرة لا تعد ولا تحصى؛ فهو عامل قويّ على تقوية الإيمان، وتركبة للنفس وتطهيرها من كلّ الخطايا والذنوب، ويكفي المؤمن شرفاً أن يرجع كيوم ولدته أمه حينما يحقق الهدف الأساسي من الحجّ من خلال التوبة الصادقة والإنابة إلى الله تعالى والخضوع له؛ فهو استسلام وانقياد وتعاون وأخوة وتضامن واتحاد وتضحية وجهاد بالمال والنفس والبدن وإنفاق وبذل وعطاء وسخاء، وصلة وقربة للخالق، وترك لمشاغل الحياة وملذاتها وانقطاع إلى ربّ البريات.

وخلاصة القول: إن الأصل في هذه العبادات هو التّعبّد دون الالتفات إلى المعاني؛ فليس للعقل مجال للرأي والاجتهاد فيما خصّصه الشّارع بالقرآن والسنة كمجال الصّلاة في تحديد ركعاتها والصّوم في تعيين وقته وأيامه المعدودة إلى غير ذلك من الفرائض، فهي ثابتة لا تتغير بالزّمن، وقد أشار الغزالي إلى ذلك بقوله: "وأمثال هذه الأعمال فلا حظّ للنّفوس ولا أنس فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها نفلاً لا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط"¹، ففي تقبيل الحجر الأسود الذي قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "والله إني لأقبلُك وإني أعلمُ أنّك حَجَرٌ، وأنّك لا تضرُّ ولا تنفعُ، ولو لا أنّي رأيْتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قبلك ما قبّلتُك"².

فالعبادة لها تأثير فعال في حياة المسلم، فهي وسيلة من وسائل التّركية، ومقصداً من مقاصدها الأساسيّة لتطهير القلوب والأبدان، فالله سبحانه هو المستحق للعبادة، يتجلى دورها في تحقيق الغاية التي خلق من أجلها الجن والإنس، فالعبد دائماً بحاجة إلى ربّه مفتقر إليه، لا يستغني عن عبادة والتّقرب إليه بجميع الألوان والأركان، والانغماس فيها ليس عن طريق الغلو أو التقصير، إنّما بمنهج وسطي معتدل ومتوازن لا إفراط ولا تفريط؛ فالعبوديّة هي رسالة الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} [البينة: 5]، تتحقق من خلال توحيد الحقّ وعدم الإشراك به وطاعته في أوامره ونواهيه؛ فالعبادة لا تقتصر على الأركان الخمسة للإسلام، بل إلى أكثر من ذلك من

¹ - الغزالي، الإحياء، ج 1، ص: 374.

² - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب: ما ذكر في الحجر الأسود، رقم: 1597، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، رقم 1270.

خلال الجانب العملي والسلوكي في حياة الإنسان¹ ؛ فمجال العبادة شامل لكل ميادين الحياة وما دور العبد إلا الامتثال لله سبحانه.

¹ - كحسن الأدب مع الزوجة، حيث جعل الإسلام وضع اللقمة في فم الزوجة صدقة، وإمالة الأذى عن الطريق صدقة، وإرشاد الضال صدقة....

المبحث الثاني: معوقات التزكية

اهتم القرآن الكريم بالنفس البشرية، وأعطاهها عناية خاصة لكون الإنسان مخلوقاً بشرياً مكرماً مزوداً بروح العلم والمعرفة ومُفضلاً على سائر المخلوقات ومحبوباً على غرائز فطرية؛ ولم تُحرّم عليه تلك النوازع؛ فقيّدت أفعاله وتصرفاته بإطار منظور شرعي من خلال منهج متوازن معتدل؛ فهو اللبنة الأولى والأساس في المجتمع، فكان التّغيير ينطلق من الفرد ذاته لإصلاح النّفس والأسرة والمجتمع.

ومن خلال هذا المبحث سنتطرق إلى بعض معيقات التّزكية، وما يحيط بها من أمراض الشّهوات والشّبّهات، فالشّهوات كثيرة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك كما في قوله تعالى: {رُزِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} [آل عمران: 14]. وكلّ هذه المزالق والموانع من الهوى والشيطان وحبّ الدنيا وغيرها خطوات تستدرج وتؤدي إلى الهلاك والطّغيان والفساد؛ فالتوسع في المباحات والإكثار منها يؤدي إلى اقتحام باب الشّبّهات والوقوع في الحرام، وما تدمير الأمم السالفة إلا بسبب ذلك كما جاء في قوله تعالى: {وَكُلُوا بَسْطَ اللَّهِ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبِغُوا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنَّ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} [الشورى: 27].

والعلاج من هذه الآفات بالقرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة، وهو المنهج الرباني الذي وُضع لهداية الخلق إلى الصّراط المستقيم، وإبعادهم عن المزالق والانحراف؛ فحذر الإنسان من المعصية وعدم الاقتراب منها، كما في قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات: 37-41].

ومن هذه المعيقات نذكر: الشيطان والهوى والكبر، فما تأثيرها في النّفس البشريّة وكيفية علاجها من خلال المنهج الرباني؟

المطلب الأول: الشيطان

أولاً: الشيطان لغة واصطلاحاً:

- في اللغة

الشيطان مِنْ شَطَنَ: إِذَا بَعُدَ، وَقِيلَ هُوَ مِنْ شَاطَ يَشِيطُ إِذَا احْتَرَقَ غَضَبًا¹.

- في الاصطلاح:

الشيطان النون فيه أصلية، وهو من شطن أي تباعد، ومنه بئر شطون، وقيل: النون فيه زائدة من شاط يشيط احترق غضباً، فالشيطان مخلوق من النار كما دل عليه قوله تعالى: {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ} [الرحمن: 15]؛ فهو اسم لكل عارم من الإنس والجن والحيوانات، وسمي كل خلق ذميم للإنسان شيطاناً². وقد مثل الشيطان العدو الأكبر للإنسان فهو "مرادف لفعل الشر، فهو الذي يتلبس الإنسان، وينفذ إلى أعماق نفسه، فيزيّن له الشهوات والمتع الزائفة ويحرضه على ارتكاب الفواحش والمعاصي، ويحول بينه وبين أعمال الخير وكل ما يمكن أن ينفعه أو يهديه إلى الحق والصواب"³.

ومن خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي يتبين لنا أن كلمة شيطان تعني مخلوقاً من نار، وتدل على شيء قبيح، هدفه الغواية والإغراء وتزيين ملذات الحياة الدنيا، فلذلك دعا الحق سبحانه إلى الاستعاذة منه من همزه ونفخه ونفثه؛ فهو شر يجري في بني آدم مجرى الدم؛ هدفه تضليل الناس عن الصراط المستقيم والغواية بكل الوسائل، ولقد اتخذ الشيطان سبلاً وطرقاً كثيرة في الغواية والإغراء والتزيين والحيل والخدع والوسوسة، ويرجع تاريخ العداوة بينهما حينما رفض إبليس تنفيذ أمر الله سبحانه بالسجود لهذا المخلوق الذي كرمه الله تعالى وجعله خليفة في الأرض في قوله تعالى على لسانه: {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف: 12]، فطرده الله تعالى ولعنه كما قال تعالى: {قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ} (34) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ} [الحجر: 34، 35].

¹ - الزبيدي، تاج العروس، مادة (شطن)، ج 35 ص: 278.

² - الراغب، المفردات، مادة (شطن)، ص: 454.

³ - سميح عاطف الزين، علم النفس: معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، الطبعة الأولى، (1411هـ، 1991م)، ج 2 ص: 88.

ويتبين لنا من خلال هذا الحديث العلاج الرباني من خلال السنّة النبويّة في طريقة التّوم بأن ينام الإنسان على وضوء مع ذكر الأذكار التّبويّة للنوم وهو مسلّم روحه وحياته كلّها لله، وينام على توحيده، ويستيقظ عليه مع شرط الإخلاص، فيسد مغالق الشّيطان، ويتغلب عليه، وكذلك في سائر أعماله.

وقد تطرق الغزالي في بيان تفصيل مداخل الشّيطان إلى القلب بقوله: "اعلم أنّ مثال القلب مثال حصن، والشّيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه، ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثُلُمِهِ، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه، فحماية القلب عن وسواس الشّيطان واجبة وهي فرض عين على كلّ عبد مكلف، وما لا يُتوصّل إلى الواجب إلا به فهو أيضًا واجب، ولا يُتوصّل إلى دفع الشّيطان إلا بمعرفة مداخله، فصارت معرفة مداخله واجبة. ومداخل الشّيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة، ولكنّا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشّيطان"¹.

فأبوابه في الغواية كثيرة جدًّا لا يفطن إليها إلا العاقل الذي يجاهد نفسه، ويتسلّح بالعلم والمعرفة والتّقوى، ويحصن نفسه بالأذكار حتى تُسدّ كلّ منافذه ومداخله، فكيفه ضعيف كما في قوله تعالى: {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} [النساء: 76]؛ وليس له سلطان على أصحاب الإيمان لقوله تعالى: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: 99، 100].

ومن مداخله كذلك "الغواية والوسوسة: قال تعالى: {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} (16) ثُمَّ لَأَنْتَهُنَّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف: 16، 17]؛ وقوله تعالى: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر: 39]. فالشّيطان يوسوس في صدور النّاس من خلال التدرج في الإغواء ف" لو أن الشيطان ألقي بوسواسه دفعة واحدة ليضلّ بني آدم لما استجاب له إلا القليل لأنّ خداعه ينكشف، ولا يمكن للمسلم أن يتخلّى عن دينه ويترك الفرائض ويقع في المنكرات بعد أن كان متمسكًا برّبّه إلا إذا كان ذلك بالتدريج، فينتقل من منكر إلى منكر أكبر

¹ - الغزالي، الإحياء، ج 3 ص: 42.

منه حتى ينسلخ عن الدين كلياً¹، وما أخرج آدم من الجنة إلا وسوسته إليه بأنه ناصح أمين كما في قوله: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} [الأعراف: 20، 21] {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْئَلُ} [طه: 120]؛ فلم يسلم آدم وزوجه من وسوسته، بل دخل عليهما من كيدته وتزيينه لصفة البقاء والخلود لهما.

وقال ﷺ: "إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق، فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم وتترك دينك ودين آبائك؟ فعصاه وأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر أتدع أرضك وسماءك؟ فعصاه وهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتكح نساؤك ويقسم مالك، فعصاه وجاهد"².

فالوسوسة باب خطير، إذا فتحه المسلم ضلّ وهلك وتاه وشرّد، وكثيراً ما نجد الإنسان يدخله الوسواس في الأمور الدنيّة كالوضوء، فلا يدري هل غسل العضو أم لا؟ فيعيد الوضوء مرات ومرات، وكذلك في باب الصلّة لا يدري كم صلّى؟ وهل قرأ الفاتحة والسورة أم لا؟ فيعيد الصلّة لاستسلامه للخواطر والأفكار السيئة، ولا يزال الشيطان يلعب بعقله حتى يوصله إلى الوسواس القهري، فيؤثر في نفسه وذاته وشخصيته، فكان باب الاستعاذة علاجاً لقطع حباله والانتقال من الشك والبناء على اليقين، وعدم الاستسلام والمجاهدة والتوكل على الله وقوة العزيمة والإرادة كل ذلك كان سلاحاً للمؤمن.

فالنفس البشريّة توسوس للإنسان، ولا يحاسب الفرد على ذلك مادام لم يطبق ذلك في حياته سواء أكان قولاً ذلك أم فعلاً، فكان باب الذكر علاجاً لطرد وساوس النفس والشيطان معاً واستحضار الرقابة الإلهية بأنه -سبحانه- مُطَّلَع على قلوبنا وأفكارنا قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: 16].

¹ - انس أحمد كرزون، منهج الاسلام في تزكية النفس، ص 432.

² - سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد، رقم: 3134، وصححه الشيخ الألباني.

- **الغضب والشهوة:** فالغضب غول العقل، وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان، ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة¹ وبذلك قال الرسول ﷺ: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"²، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني؟ قال: "لَا تَغْضَبْ" فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: "لَا تَغْضَبْ"³.

ومن خلال هذه الوصية النافعة لضبط السلوك والتحكم في النفس البشرية، عُدَّ الغضب منبت الشيطان وأسباب المهلكات لحياة الفرد خاصةً والمجتمع عامةً، لما يسببه من الأمراض والاضطرابات، ومن العلاجات للغضب كما جاء في حديث أبي ذر قال: قال قال رسول الله ﷺ: "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع"⁴.

ثانيًا: مغرياته

- **التزيين والخداع:** يزين الشيطان للناس أعمالهم، ويوقعهم في المعصية، فيسحر عقولهم، ويصدّهم عن رؤية الحق، ويرشدهم إلى طريق الشرك والضلال والكفر، كما في قوله تعالى: {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: 43]، وقوله تعالى: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} [الأنفال: 48]، فيزين القبيح من الأفكار الخاطئة ويوقع في الكبائر خصوصاً في مجال العقائد والعبادات من خلال التشجيع على زيارة الأضرحة والذبح لها، وتقديم الشموع والهدايا لعالم الجنّ باسم الفدية، وتقبيح الحسن بصرف الفرد عن واجبه تجاه خالقه في أمور العبادة، واشتغاله بالبدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ونذكر الحديث الذي ورد في مجال التشكيك في العقيدة حيث روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهْ"⁵.

¹ - الغزالي، الإحياء، ج 3، ص: 42.

² - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب رقم: 6114، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب؟ رقم 2609.

³ - صحيح البخاري كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب، رقم: 6116.

⁴ - سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: ما يقال عند الغضب، رقم: 4782، وصححه الشيخ الألباني.

⁵ - صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم: 3276.

ومن مغرياته كذلك فتح باب التمني والتسويق لقوله تعالى: {يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [النساء: 120]؛ وإشعال نار الفتنة والعداوة بين المسلمين. قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة: 91].

ومن مغرياته حثّه على الحسد والحرص والبخل قال تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُّكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 268]، وقال ﷺ "مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُتْسِكًا تَلَفًا"¹؛ فالبخيل بعيد عن الناس بعيد عن الله قريب إلى النار، عكس الكريم قريب من الناس قريب من الله ومن جنته؛ وكثير من الآيات تحث على البذل والإنفاق وتشجع عليهما كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 274].

وقد أشار الغزالي إلى مجموعة من الآفات نذكر منها:

- آفة الحرص فهي من تزيين الشيطان للإنسان قال رحمه الله: "ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر، فحينئذ يجد الشيطان فرصة، فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكراً فاحشاً.
- التشجيع على العادات القبيحة من المأكل والمشرب من خلال الإكثار من الطعام ولو كان حلالاً بقوله: الشبع يقوي الشهوات، والشهوات أسلحة الشيطان.
- ومن مغرياته حب التزيين من الأثاث، والدار والثياب، فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالباً على قلب الإنسان باض فيه وفرّخ، ولا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله، فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى.
- ومن أبوابه العجلة وترك الثبوت في الأمور، والبخل وخوف الفقر والتعصب للمذاهب والأهواء والحق على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار"².

¹ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: قوله تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى } سورة الليل/5، رقم:

1442، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب: في المنفق والممسك، رقم: 1010.

² - الغزالي، الإحياء، ج 3، ص: (42-43)، بتصرف.

يورد الشَّيْطَانُ لهم الموارد بأن فيها مصلحة ومنفعة لهم، مما يوقعهم في الأمور الفادحة من السرقة والكذب والزَّنا والقتل والسحر والزُّور والبهتان وسوء الظن، وبعد وقوعهم يتبرأ منهم كما في قوله تعالى: {وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال: 48]، وهذا يدل على كثرة نفاقه وكفره وشره حيث يرشد إلى طريق الفساد والهلاك، وحينما يقع الإنسان في المعصية يتبرأ منه، وأخبرنا الله تعالى عن تبرؤ الشَّيْطَانِ من أتباعه يوم القيامة، فقال: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إبراهيم: 22] وقوله تعالى: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} (16) {فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ} [الحشر: 16-17].

فليحذر العاقل من أن يكون من أصحاب الشَّيْطَانِ وحزبه، فأتباعه هم أهل الجحيم كما قال تعالى: {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر: 6]، فمن مكَّره سحر العقول حتى يضعها في كيده، فيخيّل للناس فعل التزيين حتى يروا الحق باطلاً والباطل حقاً، لكي ينغمسوا في الدنيا وشهواتها ومحرماتها؛ وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: "فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، وسلك بهم في سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم في المهالك في مهلك بعد مهلك، وزين لهم عبادة الأصنام، وقطيعه الأرحام، وواد البنات، ونكاح الأمهات، ووعدهم الفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان"¹.

فعل التزيين تستسلم له قلوب الغافلين عن الله تعالى والمحبين للشهوات والمتنافسين فيها قال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} [الحديد: 20] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ"².

¹ - ابن القيم، إغاثة اللّهفان، ص: 107.

² - صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، رقم 2742.

وقد حذر رسول الله من فتنها، فعن عمرو بن عوف الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: "فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ"¹.

فمنهج المسلم مبني على التوسط والموازنة، لا إفراط ولا تفريط، فالشارع نهي عن تحريم الطيبات التي أحلها الله، مما يدخل الضيق والحرج على النفس البشرية، قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف: 32] فما أحوج الأمة اليوم إلى نشر ثقافة الوسطية، لا سيما في هذا العصر الذي حرص فيه أعداء الإسلام على اتهام الإسلام بالتطرف والإرهاب، لكي تغلق منافذ الشيطان، ونحارب مداخله المتجلية في الغلو والتقصير، فمنهج الوسطية الحضارية يعدّ حاجة ضرورية لتحقيق التوازن بين الفرد والجماعة، بين الدين والدنيا وبين الروحية والمادية، وتسد كل أبواب الفتن الآتية من الشيطان أو النفس وغيرهما.

ثالثاً: تزكية النفس من كيد الشيطان

يعد اتباع خطوات الشيطان من معيقات التزكية؛ فاغترار الإنسان بنفسه يعمي بصيرته، فلا يدرك أخطأه، مما يجعله يعيش في طمأنينة معتقداً أنه على طريق الحق والصواب، وكل ذلك جهل بالنفس وبكيد الشيطان وعداوته له، مما يؤثر في النفوس والعقول، فالقرآن الكريم والسنة النبوية أرشدا الإنسان إلى أخذ الحيلة والحذر وعدم الاستسلام له كما في قوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا} [الأعراف: 27]؛ فهو العدو للإنسان ويجب الحرص منه، والتبرؤ منه، والاستعاذة بالخالق سبحانه منه.

ولا يكون التطهير والتزكية إلّا من خلال اتباع العلاج والدواء الشافيين لمواجهته والسيطرة عليه، وتبيين كل الطرق والمداخل لسد الطريق عليه ومواجهته، ولا يتأتى ذلك إلّا من خلال التوبة والاستغفار والتحصين من الوقوع في الشهوات، فكيد الشيطان ضعيف مهما اشتدت حيله ومكره وخداعه، فهو ليس له سلطان أو قوة على الفرد المؤمن كما في قوله تعالى: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: 99، 100]؛ فالشارع الحكيم اعتنى بالنفس البشرية عناية خاصة، وحذرها

¹ - صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب (دون تسمية)، رقم 4015، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (دون باب)، رقم: 2961.

من كلّ الشّوائب التي تحيط بها من خلال منهج التّربية القرآنيّة والسّنة النبويّة، فهما منهج الهداية للنّاس؛ والمؤمن يجب أن يكون حريصاً على نفسه، ولا يطلق لها العنان بأن تفعل وتفكر كما تشاء، بل لا بد من أخذ الحيطة والحذر.

ومن طرق الحصانة لتزكية النّفس السعي بها في كلّ أعمال البرّ والتّقوى والعمل الصّالح مع الإخلاص لله تعالى واستحضار الرّقابة الإلهية، فهو الحافظ من كلّ شر، والوكيل على كلّ نفس، والمعين على كلّ أمر، والاستمرار في ضبط الشّهوات والسيطرة عليها، وترك الوسواس والاضطراب والتشبث بروح الإيمان للسعي نحو الفلاح والإصلاح في الأرض والابتعاد عن مخاطر الشّيطان بمحاربة الجهل والخرافة والشّعوذة والتّسلح بالعمل والمعرفة حتى تندرج النّفس البشريّة في مسالك الذاكرين والعابدين ويكون العبد من النّاجين من كيده كما في قوله تعالى: {وَمَنْ يَعْمُرْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} (36) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} [الزخرف: 36، 37].

- الاستعاذة منه في كلّ الأمور الواجبة والاستعانة بالله والالتجاء إليه والتوكل عليه، فهو القادر سبحانه على رد كيد الكائدين، كما في قوله سبحانه: {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ} (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} [المؤمنون: 97، 98] وتكون الاستعاذة عند قراءة القرآن كما في قوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} [النحل: 98] والاستعاذة عند دخول الخلاء وعند الصّلاة وعند الغضب وغيره؛ ف"المؤمن يعرف بأن الله تعالى سميع لدعائه ورجائه، عليم بحاله ووضعه، فهو - سبحانه - يعلم كلّ همسة نفس... وحسب الإنسان أن يلجأ إلى خالقه وبارئه، مستعيناً به على نزغ الشّيطان حتى يطمئن إلى أن ربّه كفيل بأن يبعد عنه الشّيطان ونزغاته، وأن يخلّصه من شرّه ووسوسته"¹.

- المحافظة على الوضوء فهو سلاح المؤمن، إذ إن الطّهارة شرط الإيمان، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن، فيحقق الطّهارة الظاهرة والمقصد الأساس، وكذلك الطّهارة الباطنية من خلال فعل الزّكاة المتجلي في إزالة الشرّ وزيادة الخير، وبذلك يحقق التطهير معنى من معاني التّزكية، فكانت صفة الصّلاة مبنية على صحة الوضوء لما له من فائدة صحيحة على البدن من طرد الأوساخ عن ظاهر الجلد، وطهارة معنويّة في إخراج الخطايا من كلّ عضو في الجسم، قال ﷺ:

¹ - سميح عاطف الزين، علم النفس، مرجع سابق . ج2 ص: 77.

(أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهَ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ)¹ فكانت عملية التطهير تهيئ العبد نفسياً وعقلياً وجسدياً للوقوف أمام مالك الملك ومناجاته وطلب رحمته ومغفرته يوم لقائه.

- الذكر: يطرد الشيطان، ويقرب من الرحمن، ويحقق شكر المنعم قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف: 201] وقال ابن القيم: "هو باب الله العظيم المفتوح بينه وبين عبده، فهو جلاء القلوب وصقالتها ودواؤها إذا غشيها اعتلاها. وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقاً: ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقاً، بالذكر يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان"²؛ فكانت محبة الخالق سبحانه مرتبطة بذكره، وتنمية فكره والزيادة في تزكية وجدانه. فكان باب الذكر مفتوحاً في جميع الأوقات قبل الصلوة وبعدها وفي الأكل والشرب والنوم واللباس والخروج من المنزل والدخول وفي الإقامة والسفر والصحة والمرض وعند ثبوت رؤية الهلال إلى غير ذلك من الأذكار التي أوردتها السنة النبوية من أجل التحصين من كيد الشيطان والارتقاء إلى رضاء الرحمن وحماية النفس وصيانتها من النزغات والهوى.

وتلاوة القرآن؛ والعمل به والاستماع إليه من عوامل التزكية، فكلما كثرت قراءة القرآن زاد ذلك في إيمان العبد ورفع درجته، قال تعالى: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: 18]، وكان الإصغاء لتلاوته من أسباب الرحمة قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: 204]؛ فكثير من الآيات تبين فضل القرآن الكريم وتأثيره على الفرد خاصة والمجتمع عامة، وفي السنة النبوية ذكر فضل تلاوة القرآن، فعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: (مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ؛ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْثَّمَرَةِ؛ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمِثْلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمِثْلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا)³.

¹ - صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب: فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم: 251.

² - ابن القيم، مدارج السالكين، ج 2، ص: 138 بتصرف.

³ - صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل القرآن على سائر الكلام، رقم: 5020.

فالقرآن الكريم هو غذاء الروح ودواء القلوب وشفاء الصدور ونور الأبصار والمنهاج لطريق الاستقامة والهداية، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتعلمون هدي القرآن من الرسول ﷺ، فتغذوا بغذائه وتركوا بتزكيتهم، فحفظوه في صدورهم، وطبقوه بأفعالهم، فأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه؛ فتزكية القلب بالقرآن نعمة جليّة لما تبين لنا من خلال فضله وفوائده الجمّة التي تتجلى في حصول السكينة والطمأنينة وراحة البال، كما قال ﷺ: " مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي مِنْ عِنْدَهُ " ¹. وبقراءة القرآن ينال العبد الرّفعة والدّرجات العظيمة في الدّنيا والآخرة، وكل حرف بعشر حسنات؛ وتلاوة بعض السور كسورة البقرة تعد حرزاً من الشّيطان؛ روى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: " لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ " ² إلى غير ذلك من السور العظيمة التي تحث على تزكية النّفس ومراقبتها ومجاهدتها لنيل الفلاح والفوز والنجاح والحرز من كيد الشّيطان وخدعه وكيده وذلك من خلال الاعتصام بحبل الله المتين واتباع المنهاج المستقيم والسير على منهاج خطا النّبيّ الكريم.

- المحافظة على الصّلاة فهي عماد الدّين، توثق الصّلة بين العبد وخالقه، وتزرع روح الألفة والمحبة بين المصلين، وتنير الطّريق، وتصون النّفس عن الحرام والنظر إليه، فهي عافية الأبدان وشفاء الأرواح وتبصرة للذاكرين وقوتٌ للمحبين والعارفين، فرضها الله خمس مرات لحكمة ومقصد وغاية، تُزوّد الإنسان بالطّاقة، وتقويه بالإرادة والصّبر، وتجمله بالعافية، فهي منهاج الخاشعين، وعدة الصّادقين، وطريق المتّقين، من تركها خسر الدّنيا والآخرة قال تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

¹ - صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم 2700، سنن أبي داود، كتاب الصّلاة، باب: في ثواب قراءة القرآن، رقم 1455، وصححه الشيخ الألباني.

² - صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، رقم 780.

فكان توزيع الأوقات في اليوم عوناً وسنداً للعبد للتخلص من الهوى وحب الدنيا والغفلة، واستغلال الوقت في ما يرضي الرحمن، والتشبث بالرحمة والتعاطف واللين، ونبذ الظلم والحقد والحسد والأنا وغيره؛ وكل هذه العوامل تساعد على تزكية النفس والترقي بها إلى مدارج السالكين؛ فالصلاة هي "إحدى الترجمات العملية لعلاقة العبودية حيث يتأثر الإنسان في حياته بين كلّ صلاتين بمؤثرات وتفاعلات تجعله منسجماً مع الآخرين، وأحياناً مخالفاً لهم؛ فالصلاة تعمل على مزج الدين بالدنيا طوال اليوم، وتصنع منهما نسيجاً متكامل فيه قوى النفس، وتتوازن متطلبات الحياة في الدارين، وتطهر شبكة العلاقات الاجتماعية مما يعلق بها من أدران، وتنمي في المجتمع أسباب المودة والتكامل، وتمده بأسباب الاستمرارية والأمن والفلاح"¹.

والصلاة ليست مجرد حركات تقام، وإنما لها مقاصد وغايات وأحكام تتجلى في تربية النفس على القيم ومبادئ الأخلاق الفاضلة، وتخلق روح الجماعة بين الناس؛ وقد أمر الشارع بالحفاظ عليها كما في قوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: 238]، فهي طهارة للفرد وتزكية للنفس وللمجتمع بتنقيته من الرذائل لنعم الكون كله كما في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} [النور: 41].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا فضل الصلاة ودورها الأساسي في حياة المسلم، فلا يمكن الاستغناء عنها سفرًا أو حضرًا جمعًا أو فردًا، لما لها من دور فعال في الحفاظ على التوازن النفسي، وتحقيق الطمأنينة والسكينة، فقد عدت الصلاة عاملاً أساسياً في طرد الشياطين والسيطرة عليهم من خلال الذكر والاستغفار والإنابة والمناجاة والخشوع والتضرع داخل أوقات الصلاة وخارجها؛ فواجب الفرد المحافظة عليها في أوقاتها المفروضة، واستحباب سننها ونوافلها تطوعاً للمزيد من القربات والطاعات كقيام الليل وغيره من الصلوات.

- الحفاظ على الرفقة الصالحة: فهي السبيل المعين للإنسان في السير إلى طريق الأمان من خلال النصيحة والتوجيه والإرشاد والاستشارة؛ فالمؤمن أخو المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً؛ لا يطلق لنفسه العنان لتفعل ما تشاء، بل لا بد من التحصن وغلق كل المداخل الشيطانية، والتزود بالتقوى، والاحتماء بالله سبحانه، والإخلاص له في السر والعلانية، والمداومة على الذكر في جميع الأوقات وسائر العبادات.

¹ - الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية، ص: 217 بتصرف.

المطلب الثاني: الهوى

1: الهوى لغة واصطلاحاً:

- في اللغة:

قال ابن فارس "الهاء والواو والياء: أصل صحيح يدل على خلو وسقوط، أصله الهواء بين الأرض والسماء، سمي لخلوه. وكل خال هواء قال تعالى: {وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ} [إبراهيم: 43]، أي خالية لا تعي شيئاً. ويقال هوى الشيء يهوي: سقط وهاولية: جهنم لأن الكافر يهوي فيها"¹. وقال ابن منظور: وهوى النفس: إرادتها، والجمع الأهواء، قال اللغويون الهوى محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه، قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} [النازعات: 40]، معناه: نَهَاها عَنْ شَهَوَاتِهَا وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، الهوى مَقْصُورٌ هَوَى الضمير، تقول: هَوَى، بالكسر، يَهْوَى هَوَى أي أحب،... وَمَتَى تَكَلَّمَ بِالْهَوَى مُطْلَقًا لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَذْمُومًا حَتَّى يُنْعَتَ بِمَا يُخْرِجُ مَعْنَاهُ كَقَوْلِهِمْ: هَوَى حَسَنٌ وَهَوَى مُوَافِقٌ لِلصَّوَابِ"².

ومن خلال التعريف يتضح أن الهوى شيء مذموم يدل على السقوط، فربط الهوى بالنفس لما يلازمها من طغيان؛ إذ الفطرة البشرية مجبولة على حب الشهوات وملذات الحياة، فكانت تزكية النفس بالتجرد من كل ما يشغل عن الحق والمنهاج المستقيم.

- وفي الاصطلاح:

المراد بـ "الهوى ما قهواه النفس، وما ترغّب فيه قوى النفس الشهوانية والغضبية مما يخالف الحق والنفع الكامل، وشاع الهوى في المرغوب الذميمة قال تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [القصص: 50]"³. قال الكفوي: الهوى: ميل النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع"⁴. وقال الراغب: "هو ميل النفس إلى الشهوة، وقيل سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية"⁵.

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (هوى)، ص: 924.

² - ابن منظور، لسان العرب، مادة (هوا)، ج 15، ص: 372.

³ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص: (91-92).

⁴ - الكفوي، الكليات، ص: 962.

⁵ - الراغب، المفردات، مادة (هوى)، ص: 849.

وقال ابن الجوزي: "اعلم أن الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه. وهذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل، وإلى المشرب ما شرب وإلى المنكح ما نكح... فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، إنما يذم المفرط من ذلك وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار"¹.

ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي يتبين أن الهوى مذموم إذا أفرط فيه - كقول ابن الجوزي - لانقياد الشهوة إلى المهالك من غير تحكيم العقل والشرع؛ فلا يستطيع وضع حدود لها أو ضوابط؛ فتميل النفس إلى الهوى ميلاً شديداً ما يؤدي به إلى الهاوية والهلاك، فيصير في الأرض حيران يرتكب المعاصي والمنكرات، تتخطفه شياطين الجن والإنس، وبذلك كان الهوى هو الدافع لكل طغيان، وأساس كل بلوى، ومبتدأ كل شر.

ثانياً: ذم الهوى وتأثيره على النفس:

كرّم الله ﷻ الإنسان بنعمة العقل، وفضله على سائر المخلوقات، فبالعقل يتحكم الإنسان في شهواته ولا يطلق لها العنان، وينظر بعين البصيرة في عاقبة الأمور؛ فرب شهوة تورث ندماً، قال ابن الجوزي: "وإذا عرف العاقل أن الهوى يصير غالباً، وجب عليه أن يرفع كل حادثة إلى حاكم العقل؛ فإنه سيشير عليه بالنظر في المصالح الآجلة، ويأمره عند وقوع الشبهة باستعمال الأحوط في كفّ الهوى، إلى أن يتيقن السلامة من الشر في العاقبة"².

ومن خلال قول ابن الجوزي يتبين لنا خطورة هوى النفس التي إذا استحكمتها الشهوات، ولم تحكم العقل والشرع في اتزانها؛ مالت إلى العواقب الوخيمة والمهالك العظيمة، فالهوى سبب الأمراض المنتشرة كالكبر والعجب والأنا وحب الدنيا والحسد والحقد والغرور وفساد الأخلاق، ولذلك نجد العديد من الآيات القرآنية التي تذمّ الهوى كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَتْبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ} [البقرة: 120]؛ {فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا} [النساء: 135]؛ قال تعالى: {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ} [الأعراف: 176] {يُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: 119]؛ {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [ص: 26]، {وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً} [الكهف: 28]، {وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [محمد: 14]؛ {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ} [الحاثية: 23]؛ وقال تعالى: {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ} [الروم: 29] وقال تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ} [القصص: 50] إتباع الهوى يسبب فساداً في

¹ - ابن الجوزي، ذم الهوى، تحقيق خالد عبد اللطيف، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى (1418هـ-1998م). ص: 35.

² - ابن الجوزي، ذم الهوى، ص: 36.

الكون وكل ما يحيط به، قال تعالى: {وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون: 71]، مما يفقد السكينة والاستقرار والطمأنينة والعدل والتوازن.

وفي الحديث الشريف، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضَلَّاتِ الْهَوَى" ¹، ومن تأثيرات الهوى على النفس قسوة القلب، وإيثار الحياة الدنيا على الآخرة، واتباع الضلال والبدع؛ مما يطبع على قلب العبد الفساد والبعد عن الله؛ فلا يظفر بمحبته والأنس به والشوق إليه.

ثالثاً: تركية النفس من الهوى:

إن الهوى هو الدافع لكل طغيان ومعصية، وهو أساس البلوى وينبوع الشر، يضل البشرية عن اتباع الصراط المستقيم، بل يهوي بها في كل المهالك بإفساد كل ما في الكون يقول تعالى: {وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} [المؤمنون: 71] ولتركية النفس من ذلك لا بد من إصلاحها ومجاهدتها وتربيتها على فعل الخير، فعل المأمورات، وترك المحظورات، والتسلح بالصبر؛ فهي كالطفل إن شبت على الصلاح تنقاد وتستقيم، وإن شبت على الفساد تنهار وتنكسر؛ فالشرع لم يطلق للنفس العنان بل قيدها بضوابط وقيود؛ فأباح الزواج لمن استطاع لمحاربة الزنا، وبالصوم لمن لم تتوفر له القدرة، وأمر بغض البصر، وحفظ الفرج لتجنب الوقوع في الفاحشة، ومخالفة طريق الشيطان ووسوسته بالإكثار من الذكر والاستغفار، والمحافظة على الصلاة في أوقاتها، وتجنب الرياء والسمعة، والإنفاق في وجوه البر والإحسان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد أشار المحاسبي إلى خطورة الهوى على النفس بقوله: "والذي يفسد الإحسان هو النفس وهواها وخداعها وهوايتها في السيطرة على القلب، ومتى سيطرت النفس بهواها على القلب فسد العمل، وأهدرت ثمرته، وأصبح صورة بلا روح وشجرة بلا ثمر، وليست الرقابة على النفس والقلب أمراً سهلاً يدعيه كل إنسان، وإنما هو عمل دقيق من أعمال القلوب يحتاج إلى درس وتأمل وتجربة طويلة حتى يصبح ملكة من الملكات لا يجد فيه عناء ولا مشقة كما يجد عناء في النفس" ².

¹ - مسند أحمد بن حنبل، ج 33، رقم: 19 772 ، تعليق شعيب الأرناؤوط : رجاله ثقات رجال الصحيح.

² -الحارث بن أسد المحاسبي، كتاب آداب النفوس، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، الطبعة الثانية،

(1411هـ-1991م)، ص: 28.

فالكيس من فطن نفسه، وخالف هواه، وقدم محبة الله ورسوله على كل شيء؛ فلا يعبد إلا الله، ولا يعطي إلا لله، هدفه ابتغاء مرضاته ونيل رضوانه، يزكي نفسه بالتوبة والإنابة والطاعة حتى تخرج من قيد الهوى إلى الطمأنينة والراحة النفسية المتشعبة بالإيمان والإخلاص لله وَعَلَى قال تعالى: {فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه: 123]، وقوله تعالى: {فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 38].

فالاتصال بالله يهب للإنسان القوة الروحية؛ فلا يضل ولا يشقى، والقرآن الكريم يحث على تركية النفس وتطهيرها من الانحراف والهوى والزيف والفساد، فكلف الإنسان بمهمة الاستخلاف للإصلاح في الأرض وتطهيرها من كل برائن الشرك والكفر، ونهاه عن الهوى والطغيان، ف"إطلاق الشهوات من كل قيد والركض وراء اللذة في كل تصرف والتحرر في علاقات الجنسين من كل التزام أخلاقي وإنساني..... فليحذر الناس أولئك الذين يتبعون الشهوات، ويريدون أن يميلوا بالمؤمنين عن الصراط المستقيم ميلاً عظيماً"¹.

فالعلاج الحقيقي للهوى هو الالتجاء إلى الحق وعدم الإعراض عنه، والعمل بالمنهج القرآني، فهو الطاقة الروحية والاستمداد الرباني للنفس البشرية من خلال صقل فكرها وتغيير سلوكها وتربيتها على القيم ومكارم الأخلاق، فالمؤمن الحق يرى نفسه دائماً أنه في ابتلاء يجب أن يصبر عليه، وأن يتغلب على شهوته، ويقهر هواه، ويجعله تحت سيطرته من خلال المجاهدة للنفس والبلوغ بها إلى درجة الكمال.

ولمعالجة الخلل لا بد من استرجاع القيم الروحية، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وضبط السلوك عن طريق الوعي الحضاري؛ فالإسلام دين الكمال والشمولية والتوازن والاعتدال، بين متطلبات الروح والجسد، يدعو الإنسان إلى التبصر بالعلم والمعرفة، ومحاربة قيود الهوى والضلال وسد كل مداخل الشيطان التي توحى للنفس بالزيف والانحراف والفساد، يحث المؤمن على الصبر والمجاهدة وتحمل المشقة، وترك كل محرم يغضب الحق والتسلح بصفة الإيمان حتى يتحرر من أهوائه ومن شهواته، فالمؤمن الصابر المحتسب لا يضعف ولا ينهار أمام شهواته وأهوائه؛ فلا هوى متبع، ولا انتصار للنفس، ولا انغماس في الدنيا بجهل وتعلق بملذاتها.

¹ - سميح عاطف الزين، علم النفس، مرجع سابق، ج 1 ص: 403.

المطلب الثالث: الكبر

أولاً: تعريف الكبر لغة واصطلاحاً:

- في اللغة:

الكبر بالكسر العظمة والتجبر، كالكبرياء، وقد تكبر واستكبر وتكابر، والتكبر والاستكبار: التعظم، كقوله تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف: 146]، قال الزجاج: يتكبرون، أنهم يرون أنهم أفضل الخلق، وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم، وهذه لا تكون إلا لله خاصة، لأن الله سبحانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس مثله وذلك الذي يستحق أن يقال له المتكبر وليس لأحد أن يتكبر¹. الكبر يظهر في التكذيب بآيات الله والعصيان للأنبياء والرسل، و"الاستكبار من نتيجة التكذيب وهو التعاضم، فلم يكونوا ليتبعوا الرسل فيما جاؤوا به ولا يقتدوا بما أمروا به"².

- في الاصطلاح:

"الكبر والتكبر والاستكبار تتقارب، فالكبر: الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبر التكبر على الله والامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة"³، وعرفه أحمد بن عبد الرحمن المقدسي (ت 689هـ) بقوله: "اعلم أن الكبر خلق باطن تصدر عنه أعمال هي ثمرته، فيظهر على الجوارح، وذلك الخلق هو رؤية النفس على المتكبر عليه، يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبراً"⁴. وقد ربط الكبر بالإعجاب بالنفس كما قال الغزالي: "الكبر حالة يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسه أكبر من غيره"⁵. وعرفه الكفوي بالمبالغة والزيادة عن

¹ - الزبيدي، تاج العروس، مادة (كبر)، ج 14، ص: 8.

² - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، 1420هـ. ج 5، ص: 46.

³ - الراغب، المفردات، مادة (كبر)، ص: 697.

⁴ - أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، دار إحياء العلوم - بيروت، (1418هـ - 1997م)، ص:

267.

⁵ - الغزالي، الإحياء ج 3، ص: 345.

الحد اللازم بقوله: " التَّكْبَرُ هو أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره، والاستكبار طلب ذلك التشبع وهو التّزّين بأكثر مما عنده"¹.

ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي يتبين لنا أن الكِبَر يدخل ضمن الإعجاب بالنفس مما يصددها عن رؤية الحق، فهو آفة خطيرة، وله عواقب وخيمة على الذات الإنسانية خاصّة والاجتمع عامّة، هو إحساس وهمي بالعظمة والغرور مما يتيح للنفس العصيان والتمرد على الحق، والشّعور بالأنا والاستعلاء والطّغيان والاستهانة بالناس والترفع عنهم عوض التواضع وحسن الأدب، فيرى في نفسه صفة الكمال.

فصفة التَّكَبُّر لا تكون إلا لله تعالى، فله الكبرياء والعظمة ﷻ كما في قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)} [الحشر: 23، 24] وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَارَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ »²، وهذا الحديث يدل في سياقه على النهي عن صفة الكِبَر والشّعور بالعظمة فهي من اختصاص الحق ولا يحلّ لأحد من البشر أن يتّصف بهما.

ثانيًا: الكبر في القرآن الكريم:

تطرّق القرآن الكريم إلى العصاة المستكبرين فنجد إبليس - لعنه الله - قد امتنع عن السجود لما يرى لنفسه من الخيرية، فكان موقفه موقف تحدّ وطغيان، ومن الآيات التي تدل على ذلك نجد:

قوله تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ

¹ - الكفوي، الكليات، ص: 28.

² - سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب: ما جاء في الكبر، رقم: 4090، وصححه الشيخ الألباني.

أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ { [ص: 71 - 78].

وقوله تعالى: {قَالَ مَا مَنَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} [الأعراف: 12، 13]؛ وكل هذه الآيات فيها تحذير من مغريات الشيطان، وتبيان لحقده وعداوته لبني آدم، واستدراجه من أجل الإضلال والانحراف به عن الاستقامة، فقد أكرم الله الإنسان بالعقل، وأعطاه حرية الاختيار بقوله تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ} [الكهف: 29].

وفي قصة فرعون التي تبين استكباره وتمرده على الحق نذكر منها:

قوله تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} [القصص: 4، 5]؛ وقوله تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ} [القصص: 38، 39]؛ وقوله سبحانه: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (46) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (47) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ} [المؤمنون: 45 - 48]. وقوله تعالى: {وَلَقَدْ نَحْنُا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (30) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ} [الدخان: 30، 31]؛ وفي قوله تعالى: {أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (20) فَكَذَّبَ وَعَصَى (21) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (22) فَحَشَرَ فَنَادَى (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات: 17 - 24].

فذكر فرعون في هذه الآيات يمثل التكبر والتجبر وادعاء الألوهية، فالقرآن تحدث عن ظلمه وطغيانه ليبقى ذلك رمزاً عبر الزمان وعبرة لكل من سار على دربه، ليخلص في النهاية إلى تهذيب النفس وتربيتها على الأخلاق الكريمة، وترك الكبر والإعجاب بالنفس. ومن استعراض الكافرين نذكر بعض الآيات: في قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [البقرة: 87]. وقوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي

فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (35) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ { [الأعراف: 35-36]؛ وفي قوله تعالى: {بَلَى قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: 59، 60].

وقوله تعالى: {لَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: 32].

وفي استكبار قوم نوح وعاد يقول تعالى: {وإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا} [نوح: 7]، وقوله تعالى: {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ} [فصلت: 15]، وفي قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: 60].

ومن صفات المنافقين الاستكبار الذي ورد بصيغة الجمع، فحرموا من المغفرة بسبب تعنتهم وعصيانهم وتكذيبهم بآيات الله، وقد ذكرهم الله ﷻ في قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (5) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [المنافقون: 5، 6].

وقد نُفي الاستكبار عن الملائكة، فهم مداومون على التسبيح والعبودية لله تعالى وعدم عصيانه، فهم دائماً في طاعة وخضوع كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} [الأعراف: 206].

فكل الآيات السابقة تبين خطورة الاستكبار وما يترتب عليه من الآفات الوخيمة سواء على الذات البشرية من خلال تعنتها وفساد ضميرها واضطراب شخصيتها، أو على المجتمع بصفة عامة من انتشار كل الأوبئة والأمراض من حقد وحسد، وأما من خلال علاقتها مع ربها فالأمر يحتاج إلى توبة واستغفار؛ فالتكبر والعظمة له وحده ﷻ، ولا كبرياء لسواه؛ فهو المتعالي عن صفات الخلق وكبريائه ﷻ عزُّ وعلو ورفعة وكمال له وحده.

ثالثاً: الكبر في الحديث الشريف:

قال عليه الصلوة والسلام: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرِّجْلَ يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ"¹.

ومن خلال الآيات القرآنية والحديث النبوي يتبين لنا أن الكبر سلوك يظهر في شخصية المتكبر من خلال أقواله وأفعاله ومعتقداته، شعور بالاستعلاء على الآخرين باحتقارهم والاستهزاء بهم، مما يصل بهم إلى رفض الحق الذي جاءت به الأنبياء والرسل، كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأنبياء: 41]؛ فالكبر آفة خطيرة تصيب النفس البشرية من خلال طغيانها وتجبرها، وعدم استحيائها من خالقها، وتمنع الفرد من دخول الجنة كما سبق في الحديث في قوله ﷺ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ)، فهو حائل وحجاب بين الجنة والعبد، ف"أول داء يتسرب إلى نفوس الصالحين هو العجب والغرور بالطاعة، فإذا استحكم هذا الداء فهو علامة على تسلط شهوة حب النفس، ونذير خطر بأن هذه الشهوة الخفية تمهد الطريق لتسلط الشهوات الأخرى. ولذلك كان السلف الصالح يخافون من العجب ويحذرون منه، ويراقبون أحوال نفوسهم ليسدوا عليها منافذ هذه الآفة"².

فالدِّين الإسلامي يدعو إلى تركية النفس، وتطهيرها من براثن الشرك والكفر وكل خلق ذميم من كبر وغرور وإعجاب بالنفس والعظمة والاستعلاء ومن كل مراتب الشرك والهوى، وتحريرها من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد؛ فالنفس فطرها ميالة إلى حب التملك والسيطرة والشهرة، مما يورث كثيراً من الأمراض والعاهات، فتحدث نتائج وخيمة على الفرد والمجتمع، ولا يكون إصلاحها إلا من خلال المنهج الرباني.

¹ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيان، رقم: 91.

² - أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تركية النفس، مرجع سابق، ص: 420.

والكبر هو طريق الشيطان لكونه إمام المستكبرين وقائدهم إلى الجحيم، فلقد استخدم فرعون كل الأساليب للإغراء بالمنصب والجاه، ونفس الأسلوب اتخذته قريش من أجل إغراء الرسول ﷺ - كما ذكر في سيرة ابن هشام - حينما كلمه عتبة بن ربيعة، فقال رسول الله ﷺ: يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ" قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا، جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا، سَوَدَدْنَاكَ عَلَيْنَا حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ. وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا، مَلَكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِثْيَا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ طَلَبْنَا لَكَ الطَّبَّ، وَبَدَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ"¹.

والتكبر صفة لا يحبها الحق لقوله تعالى: {إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} (22) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ { [النحل: 22، 23]. ووعدهم الحق - سبحانه - بالذل والهوان، كما قوله تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف: 146] وتوعدهم بالعذاب الأليم لقوله تعالى: {ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [غافر: 76].

رابعاً: تزكية النفس من الكبر

يعد الكبر من معيقات تزكية النفس، فهو مرض معضل يحتاج إلى معالجة ومداواة، ولا يتم علاجه إلا باستئصاله، وقطع شجرته، والمداومة على التوبة والاستغفار والإنابة لله تعالى؛ فالنصوص القرآنية السابقة أكدت على الجزاء المتمثل في الطرد من رحمة الله ومن جنته كما وقع لإبليس اللعين حيث جعله من الصّاغرين كما في قوله تعالى: {فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصّٰغِرِينَ} [الأعراف: 13]، وختم له باللعة كما في قوله ﷺ: {وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ} [ص: 78]. فكل من استعلى في الأرض فمصيره العذاب الأليم لقوله تعالى: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ} [الأحقاف: 20].

¹ - ابن هشام ، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشليبي ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، الطبعة الثانية (1375هـ 1955م). ج1ص: 293.

فقوة الإيمان والتشبث بالخالق تنفي عن النفس كل الإغراءات، فحين التمعن في أصل الإنسان من خلال النشأة والخلقة وكيفية خروجه إلى هذا الكون الفسيح، يعترف بضعفه أمام قوة خالقه ويذل نفسه و" ليعلم أن الكبر لا يليق إلا بالله ﷻ وأنه إذا تكبر صار ممقوتاً عند الله تعالى بغضباً عنده"¹. فالشّارع الحكيم وضع للنفس قيوداً وضوابط ؛ فتركبتها تحتاج إلى تحلية بالأخلاق الحميدة، ونشر كل الفضلية، وتخليتها من خلال نهياها عن الاستعلاء والتكبر وترك كل رذيلة. ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن معيقات التزكية كثيرة، وقد اقتصر على بعض منها: الشيطان والهوى والكبر؛ فطبيعة النفس البشريّة تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدّنيا، وتركبتها لا تتحقق إلا من خلال إصلاحها وتعميرها بالطّاعة، وتجنب كلّ معيقاتها، والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله، وإعطاء بعض الأدوية الناجعة لمعالجة النفس وتركبتها، وذلك عن طريق الهجرة كما جاء في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا } [النساء: 97 - 99].

¹ - أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، دار العقيدة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، (2005هـ-1426م)، ص: (219-220).

خلاصة الفصل الأوّل:

إن كمال العبوديّة يتمثّل في التسليم المطلق لله تعالى لكونه هو الرّب المالك لكل شيء وبيده مفاتيح الخير، وكل عبادة لها مغزى وطعم وسر من أسرار العبوديّة لله تعالى لا يدرك كنهه إلا من وفقه الله، وزكّى نفسه بالقول والفعل والعمل الصّالح؛ فبالصّلاة تزكو الأرواح وتسمو القلوب وتطهر الأبدان وليست كما يفعل بعضهم في رد حركات وعادات يكررها المسلم في اليوم والليلة، وفعل الزّكاة يزيد في البرّ والإنفاق، ويطّهر المال والنفس، ويقوّي العلاقات بين الفقراء والأغنياء بالتّلاحم والتّآلف مما يدل على عظمة الإسلام في تقريب المسافات، وأنّ النّاس سواسية لا فرق بينهم إلا بالتّقوى، والحج رمز الوحدة بين جميع الأقطار بما يدل على أنه لا معبود بحق إلا الله، وأنه لا إله غيره، مما يزود العبد بشحنة وطاقة روحيّة عالية.

إن تزكية النّفس تقاس بمقدار التّخلي عن كل الصفات القبيحة في مقابل التّحلي بطيب الصفات الحميدة. ولا يتأتّى ذلك إلا بالمجاهدة. وقد تطرّق إلى بعض المعيقات منها: الشّيطان والهوى والكبر، فالنّفس البشريّة مجبولة على حب الشّهوات، لذلك ضبطها الشّارع الحكيم بقيود وضوابط في إطار متوازن بين الجانب المادي والروحي، فلا يكون عبداً لأهوائه وشهواته وميولاته، إنّما يسيطر عليها من خلال قربته من الله تعالى واستقامة دينه وجهاد نفسه، بأن يُحكّم عقله في فعل الأشياء التي يهواها من خلال مراقبته لخالقه والالتزام بتعاليم الإسلام.

الفصل الثاني

تزكية النفس الإنسانية

تقديم

المبحث الأول: تزكية المال

المبحث الثاني: تزكية الجسم

المبحث الثالث: تزكية العقل

تقديم

تنوعت أساليب تركية النفس بين جسم وعقل وروح، فهناك من اهتم بالقلب وتنميته، وهناك من اهتم بالعقل وتمجيده، وهناك من انزل وأفرط في باب العبادة من قيام ليل وذكر واستغفار، بينما الوحي الرباني جاء بمنهج شامل ومتوازن يجمع بين المادة والروح، بين العقل والنقل، وبين النص والواقع، فالوحي منفتح على العقل البشري، ويتكامل معه في إطار معرفي متوازن داخل الكون، وهذا ما وصلت له القرون الثلاثة الخيرية من خلال الجمع بين كتاب الله المنظور وكتاب الله المسطور، إذ حققت الغاية من مفهوم التزكية، فهي كيان متكامل من عناصر ثلاثة: جسم، وعقل، وروح، وهذه الأخيرة تنتهي بانتهاء الأجل، وكل هذه الوسائل متكاملة تسعى إلى ترقية الإنسان وإصلاح علاقته مع نفسه وخالقه ومع الآخر.

فالنفس البشرية تنقسم إلى مراتب مختلفة، فنجد أعلاها "النفس المطمئنة" التي تستجمع العديد من الصفات الإيجابية، فتمنح الإنسان الراحة النفسية والتوازن الداخلي، ويتحقق من خلالها الترقى والفلاح، ومقابل ذلك نجد النفس الأمارة بالسوء التي يعتريها الفجور والضعف والفساد.

وفي هذا الفصل سيطرّق إلى عناصر تركية النفس البشرية: من المال والجسم والعقل والقلب برؤية ومرجعية معرفية قرآنية حضارية، تسعى إلى صلاح الإنسان وتربيته على منهاج عمراني حضاري، فالإسلام يدعو النفس البشرية إلى الترقى الفعلي والانسجام داخل دائرة الوحي من خلال الإدراك العقلي والانبعاث الكوني لتحقيق تركية عملية تنبثق من تغيير ما بالأنفس إلى غيرها من القيم النبيلة إلى الواقع الإنساني.

المبحث الأول: تزكية المال

يعدّ المال وسيلة من وسائل العيش الكريم، منحه الله لعباده لتلبية حاجاتهم، وإنفاقه في سبيل الخير والصّلاح، فهو ضرورة بشريّة وحاجة إنسانيّة، سخره الله لعباده، للتداول بين الناس وقضاء حوائجهم من مأكّل ومشرب وملبس ومسكن وغيره، وتزكيته تعد ركناً أساساً في الدّين الإسلامي، لتطهير النّفس من الشّحّ والبخل، وإنفاقه على ذوي الحاجة لقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [البقرة: 215].

وقد عظم الله عز وجل - نعمة المال المستغل في طاعته سبحانه ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النّبي صلى الله عليه وآله: "لا حسدَ إلّا في اثْنَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا"¹، ويعد المال أمانة في عاتق كلّ مسلم، فالمال مال الله، والإنسان مستخلف فيه، وقد بين لنا القرآن الكريم، المنهج الوسطي في الإنفاق بعدم التقصير والمبالغة، لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: 67]، ومن المال تخرج الزّكاة للفقراء لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ} (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ { [المعارج: 24، 25].

فالمال له دور كبير في تزكية النّفس، وتنميتها في الخير والصّلاح، وكلما زاد العطاء تضاعف الأجر والثّواب، وسمت الرّوح وتعالى القلب والوجدان، وحل مبدأ التّعاون والتّكافل والتّراحم، واستمرت العلاقات الإنسانيّة، وهذا ما أكّد عليه المنهج الإسلامي، وذلك باستغلاله واستثماره في أوجه الخير، فهو طهارة للنّفس من الشّحّ والبخل، ونماء للخير والعطاء، وبذلك كان بذل المال من أعظم وسائل التّزكية كما في قوله تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: 103]؛ فالإنسان مفطور على حب المال لذلك " اقتضت حكمة الخالق أن يجعل في الإنسان ميلاً يحفظ به ما لا تقوم الحياة إلا به، ولكن لما كان متاع المال مزيئاً للناس تستكثر منه طلبت الشّريعة الإنفاق منه، ومنعت

¹ - صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: الاغتناب في العلم والحكمة، رقم: 73.

تكديسه؛ فذلك أدنى أن لا يدفع إلى العدوان وحرمان الآخرين¹، فالمال يقوم على أساس التدبير وحسن الاستثمار دون تعطيل وظائفه التنموية والاجتماعية، والاستهلاك يقوم على ضوابط منهجية محكمة دون الإضرار بالمصلحة الفردية والجماعية عامة، مما يقتضي تفعيل الجانب القيمي الأخلاقي؛ فالإنفاق في سبيل الله من أعظم الأعمال وأزكاها، إذ يسعى إلى تطهير النفس من حب الذات والأنانية كما في قوله عز وجل: { وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ } [البقرة: 272]؛. فـ"أي نفقة في الخير أنفقتموها فهي تفيدكم في تثبيت أنفسكم في مقامات الإسلام والإيمان والإحسان، ومتى كان الإنفاق لوجه الله كان مزكياً ومثبتاً للنفس معداً لها، ومؤهلاً لرضوان الله"².

ونعمة المال من النعم العظيمة على الإنسان، يقضي به حاجاته ومتطلباته، وهي فضل من الله تعالى تستوجب الشكر كما في قوله تعالى: { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } [النحل: 53]، وهو من إحدى الضروريات الخمس التي نصت عليها مقاصد الشريعة الإسلامية التي تهدف إلى جلب المصالح ودرء المفاسد، وقد دعا الإسلام إلى استثماره وإنفاقه في وجوه الخير لقوله تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: 274] وقوله تعالى: { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } [آل عمران: 92].

وحذر الخالق الناس من تضييعه في الإسراف والتبذير لقوله تعالى: { وَلَا تُبْذِرْ بُذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا } [الإسراء: 26، 27]، فالنفس خلقت مجبولة على حب المال والشهوات يقول تعالى: { وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ } [العاديات: 8]، فحذر الشارع من ذلك من خلال تطهير النفس من الشحّ بالعطاء والإنفاق لقوله تعالى: { وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الحشر: 9].

¹ - مازن موفق هاشم، مقاصد الشريعة الإسلامية: مدخل عمري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنند - فرجينيا،

الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، (1435هـ-2014م)، ص: 324.

² - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 3 ص: 71، بتصرف.

والإنفاق يقوم على منهج التوازن والاعتدال بدون مبالغة في الإسراف، وتجاوز للحدود أو اعتداء على حقوق الآخرين، أو التقير من خلال حرمان النفس من طيبات الحياة، والملاحظ اليوم أن المال لم يستغل في ميدانه الحقيقي بسبب الابتعاد عن منهج الوسطية وسيادة الرأسمالية وغيرها، وانتشار بنوكها الربويّة، وهو ما عبر عنه اليوم بالتنمية الاقتصادية أو الاقتصاد الرشيد، هذا الأخير " لا يقبل أيّة مرجعية سوى المرجعية النّهائية المادية، ولا تنتظمه أيّة قيم أخلاقيّة أو إنسانية (سلبية كانت أو إيجابية)، وإنما تنظمه آليات التنافس والبقاء، فيصبح النشاط الاقتصادي مرجعية ذاته، ويزداد استقلاله وسطوته بحيث يخضع كلّ شيء لآليات السوق غير الإنسانيّة، ويستمر الإنتاج ويتصاعد للوفاء بالحاجات الاستهلاكية".¹ مما حول المجتمع وشخصية الإنسان إلى مجتمع تتحكم فيه العلاقات الخاصة والمصلحة الذاتية والربح المادي دون اعتبار لإنسانية الإنسان مما زاد في تأزمه وانحلال أخلاقه وابتعاده عن المرجعية الدنيّة وعدم استيعاب دوره ووجوده الاستخلافي.

– دور زكاة الأموال في التنمية الاقتصادية

حرص الصّحابة - رضي الله عنهم - بعد وفاة الرّسول ﷺ على الاعتناء بأمر الزكاة وأداء حقوقها لمستحقيها، فهي نظام ربّاني يقوم على أساس قيم أخلاقي تعبدية؛ وقد ذكر إعطاؤها في القرآن لمستحقيها، وحُدّدوا في الأصناف الثمانية من الفقراء والمساكين وغيرهم؛ فالزكاة تمثل مقصداً من مقاصد حفظ المال، وغاية عظمى لصيانة النفس وحمايتها من الترف والفساد والانحراف؛ فهي طاعة لله - عزّ وجلّ - لإقامة الحياة الاقتصاديّة المبنية على النظام الإسلامي، يتمتع الفرد العاقل بكامل الحرية في التصرف بماله وفق شروط وضوابط وأداء ما عليه من حقوق وواجبات، لتطهير نفسه من الشحّ والبخل، وزيادة البركة والنماء في رزقه من خلال أداء زكاته لمستحقيها لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ. وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ﴾ [الرّوم: 39].

¹ - عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، القاهرة، الطّبعة الأولى، (1423هـ - 2002م) ج2، ص: 140، بتصرف.

فالمال إذا استُغِلَّ في مجالات مختلفة يتحوّل إلى غاية عظمتى لصيانة النفس وحمايتها من الترف والفساد والانحراف؛ فهي طاعة لله وَحَيْثُ لإقامة الحياة الاقتصادية المبنية على النظام الإسلامي، يتمتع الفرد العاقل من خلالها بكامل الحرية في التصرف بماله وفق شروط وضوابط بأداء ما عليه من حقوق وواجبات، لتطهير نفسه من الشحّ والبخل، وزيادة البركة والنماء في رزقه من خلال أداء زكاته لمستحقيها.

فالشّرع الإسلامي يحث على منهج التّوسط والتّوازن والاعتدال في الإنفاق بغير إسراف ولا تقتير وقد وصف الله عز وجل عباده المتّقين بقوله تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } [الفرقان: 67]، ولكن الواقع يخالف ذلك إذ نجد تبذيراً لكثير من الأموال في المطاعم والحفلات ورمياً لكثير من المأكولات والمشروبات وغيرها، وتضييعاً لحق الفقراء والمساكين الذين لا يجدون ما يسد رمق عيشهم؛ فكانت الدعوة إلى التشجيع والاستثمار والمعاملة مع الآخر ليحقق الفرد المسلم من خلالها الكسب الحلال، ويأخذ الأجر والثواب؛ فالإنسان هو المؤطر لفعل الزكاة بعدّه خليفة في الأرض، غايته الإصلاح في الواقع وبناء القيم والعمران ونشر الأمن والأمان والسّلم والسّلام داخل المجتمع وخارجه؛ فكانت الدعوة اليوم إلى الاهتمام بأمر الزكاة وإحداث مؤسسات تسهر على جمعها واستثمارها وتوفير حق المأكّل والمشرب والملبس والسكن لسد الحاجات، والتخفيف من معاناة الفقر والتهميش.

وخلاصة القول: إن المال مال الله وعلى المسلم استثماره في ما يرضي الحق سبحانه، لما له من دور كبير في تنمية قدرات الفرد وتزكية النفس الإنسانيّة، وتحقيق السلم والتعايش الاجتماعي، فهو وسيلة من وسائل التّزكية والتطهير وتقوية الروابط الاجتماعيّة من خلال مبدأ التعاون والتآخي والتراحم.

المبحث الثاني: تزكية الجسم

أولاً: الجسم في اللغة والاصطلاح:

في اللغة ورد في مقاييس اللغة "الجسم والسين والميم يدل على تجمع الشيء؛ فالجسم كل شخص مدرك"¹، وهو "جماعة البدن أو الأعضاء من الناس والإبل والدواب وغيرهم... والجسم الجسد"².

وفي الاصطلاح: جاء في التعريفات للجرجاني أنه "جوهر قابل للأبعاد الثلاثة، وقيل الجسم، وهو المركب المؤلف من الجوهر"³.

ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي فالجسم يشمل كل كائن حي من الذات الإنسانية والحيوانية، وفي تعريف الجرجاني عدّه جوهرًا كونه شاملًا للروح والعقل والنفس، وبصلاح هذه الأبعاد يصلح الجسد وبفسادها ينهار ويضيع في ملذات الدنيا وشهواتها.

إن القدرات الجسمية التي يتمتع بها الإنسان من سمع وبصر وعقل وغيرها لها تأثير كبير في تزكية - النفس البشرية؛ فالتوازن الجسمي والعطاء الفعلي، ينتجان من خلال استحكام الإنسان بضبط نفسه، والتغلب على شهواته، فلا يأكل إلا الحلال، ولا يلبس إلا الحلال، ولا يمشي إلا في طريق الخير والصواب، ومن الآيات التي تدل على الكسب الطيب قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51].

وفي حديث رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51] وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: 172]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟"⁴.

فالإنسان مسؤول عن كل عضو في جسده، فهو أمانة يحفظه من خلال عصم جوارحه من البطش، ورجله من السعي إلى الهوى، وعينه من الزيغ والانحراف، فيلتجئ إلى التأمل

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (جسم) ص: 167.

² - ابن منظور، لسان العرب، مادة (جسم) ج 12 ص: 99.

³ - الجرجاني، معجم التعريفات، ص: 68.

⁴ - صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم: 1015.

في مخلوقات هذا الكون الفسيح وعظمة خالقه، ويزكي كل عضو من جسمه من شدة محبته لله ومراقبته في السر والعلانية، فلا يتكلم إلا بالحق والصدق، ولا يتعدى على أعراض الناس بغيبة أو نيمة أو بهتان لقوله ﷺ " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ " ¹ وقال أبو حامد الغزالي: فأعضاؤك رعاياك، فانظر كيف ترعاها" ².

ثانيًا: تزكية الجسم

إن تزكية الجسم تكون "بالطاعات، بأداء شعائر العبادة من إقامة الصلاة بشروطها وأركانها وخشوعها، وإيتاء الزكاة لمستحقيها من الضعفاء والمساكين وذوي القربى واليتامى، لقوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: 103]، وصوم رمضان بالكمال والتمام بنية صادقة لكونه وقاية وحماية من الأمراض، وأداء مناسك الحج، اقتداء برسول الله ﷺ الذي قال "مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ" ³ "وذكر الحق ﷺ فضل الوضوء والغسل وكل ما يدخل في نظافة الجسم بالتطهير يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 222]؛ فكان للماء فضل وفوائد صحية على الجسم حيث تتعرض معظم الأجزاء للميكروبات، فلا يبقى بعد الوضوء أثر من ذلك.

وفي ما يخص جانب المعاملات، فتكون التزكية من خلال التحلي بالأخلاق النبيلة والتعامل مع الآخر باللين والحلم، وهذا ما دعا إليه الإسلام، بالحث على التعاون والتضامن والعمل الجماعي، فمجرد الابتسامة في وجه أخ مسلم صدقة، وإرشاد الضال، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر صدقة، فالمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً، لقوله ﷺ "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" ⁵.

¹ - صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم: 6475.

² - الغزالي، مجموعة الرسائل، ص: 388.

³ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم 1521، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، رقم 1350.

⁴ - ملكاوي، منظومة القيم العليا، ص 104، بتصرف.

⁵ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم: 6011، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المسلمين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم: 2586.

فانقياد كل عضو من أعضاء جسم الإنسان بالطاعة والامتثال لأوامر الله تعالى، والعمل في أوجه الخير والصّلاح، سعيًا من خلال ذلك إلى حصول التّزكية المرغوبة بتطهيره من كل الخبائث التي تلوثه، وإلى الابتعاد عن كل براثن الشّرك التي تدنسه، فيميل كل عضو مشبع بالإيمان إلى توطيد علاقته بربه واستشعار عظمتة؛ وتعد علاقة الإيمان بالقلب والجوارح علاقة وطيدة، وهي من أهم القضايا الإيمانية في تفعيل مفهوم التّزكية في الواقع حيث زود الإنسان بالجوارح للعمل والعطاء وتقويم السلوك من خلال اتباع المنهج المستقيم، وتلك من سمات الصّالحين يقول تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصلت: 46]. ومن كمال شكر نعمة الجسد ألا يستعمله في ما يغضب الحق ﷻ لقوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: 36] وفي الآية نفسها نجد النهي عن التعدي على الجسم كقتل النّفس قال تعالى: {لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الإسراء: 33] وحرّم الزّنا وكل مقدماته فقال تعالى: {وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء: 32].

ونهى عن الكبر والتبخر في المشي على الأرض قال تعالى: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} [الإسراء: 37]. ومن صور الفساد في الأرض التي نهى الشّارع عنها، قوله تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (56)} [الأعراف: 56، 57] بالمنع من "إفساد النفوس بالقتل وبقطع الأعضاء، وإفساد الأموال بالغصب والسرقة ووجوه الخيل، وإفساد الأديان بالكفر والبدعة، وإفساد الأنساب بسبب الإقدام على الزّنا واللواطه وبسبب القذف، وإفساد العقول بسبب شرب المسكرات، وذلك لأن المصالح المعتبرة في الدّنيا هي هذه الخمس: النفوس والأموال والأنساب والأديان والعقول"¹.

وفي العلاقات الاجتماعية التي تحت على احترام الآخر وتوقيره وعدم الاعتداء على حق من حقوقه كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: 11]؛ فعلاقة الإنسان مع أخيه تقتضي الاحترام والبذل والعطاء، فالمرء مرآة أخيه يفرح بفرحه ويحزن بحزنه، وذلك لأن من صفات المؤمن التّضامن والإخاء، وليس كما يفعله بعضهم من إشعال نار الفتنة والحقد والعداوة بين صفوف المسلمين مما يؤثر سلبيًا في المجتمع فيحول به دون النهوض إلى الرّقي الحضاري.

¹ - الرازي، مفاتيح الغيب، ج 14 ص: 283.

وفي أمر العادات: أحلّ الله الطّيبات للنّاس فحاجة الإنسان إلى الطّعام والشّراب من الضرورات التي لا بد منها للاستمرار في الحياة والقيام بأعماله وواجباته قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: 172]؛ فالنّعمة وسيلة من وسائل شكر الله تعالى، تعدّ عوناً على الطّاعة والتّقرب إلى الله تعالى، وحرّم كلّ الخبائث التي تشغل العقل والقلب وتضرّ الجسم وتخلّف عواقب وأمراضاً وآثاراً جانبية كما في قوله تعالى: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} [الأعراف: 157]، واهتم بصحة الجسم وسلامة البدن وذلك بالتهني عن الإسراف في الأكل لما فيه من أضرار على الجهاز الهضمي لقوله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: 31]؛ فالحقّ ﷻ لم يحرم على عباده الطّيبات بل شرع لكل شيء حدوداً وضوابط حتى في الأكل الحلال ونهى عن الإسراف، بل على قدر الحاجة لسد رمق الجوع واجتناب التهلكة، وهذا ما أكدته السّنة النبويّة، يقول رسول الله ﷺ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَهَ فَثُلُثٌ لِّطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِّشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِّنَفْسِهِ»¹، ولو طبّقنا هذه الوصية العظيمة لما رأينا كثيراً من الناس في المستشفيات يعانون من الأمراض بسبب الإفراط في الأكل وتجاوز الحد اللازم؛ مما يقتضي السير على منهج التّوازن في الحياة كلها.

فالتّزكية لها دور كبير في تصحيح سلوك المسلم و"الجسم الإنساني يحتاج إلى تنظيم حاجاته وتزكيتها بغية تحقيق هدفين اثنين: الأول، إباحة كل ما أحله الله للإنسان... والثاني، منع كل ما حرّمه الله على الإنسان، ومن خلال الفكر السليم يضبط المسلم نفسه، ويقوّم ذاته، ويصلح أحواله، ويستحضر عظمة الخالق ﷻ فتتجه نفسه إلى فعل الخير، وتنصرف عن الشرّ والسوء، فلا يفرط في واجباته، ولا ينغمس في شهواته"².

¹ - سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في كراهية كثرة الأكل، رقم 2380. قال الترمذي:

هذا حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني.

² - ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، عالم الكتب، بيروت - لبنان، سلسلة أصول

التربية الإسلامية³، الطبعة الأولى (1416هـ - 1995) ص: 152

فللجسم حق على النفس أن تعتني به، وتعالجه من خلال المراقبة الطّبية، وأن تستعين بالله من خلال الأذكار والأدعية للتحصين؛ فلقد كان ﷺ في دعائه يطلب العفو والمعافة كما جاء في حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة، أنه قال لأبيه ﷺ: يَا أَبَهْ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ: "اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمَسِّي، قَالَ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أُسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ" ¹.

فالإسلام دين جمال، اعتنى بالجسم عناية خاصة، وحافظ عليه من كل ما يحيط به من المخاطر والأمراض، فكانت النظافة حقاً على الجسم إذا اتسخ، والإطعام حقاً عليه إذا جاع، وسقايته حقاً إذا عطش، والراحة حق عند التعب، وحفظ كيانه وكرامته وشهوته حقاً؛ فأباح له الزّواج، وحرم عليه الزّنا وشرب الخمر والميسر والقمار والرّبا وكل ما يؤدي بالجسم والعقل والقلب إلى الفساد والهلاك، فالجسم البشري يحتاج إلى رياضة قلبية تتمظهر في مختلف العبادات كالصّلاة والذكر والاستغفار وقراءة القرآن، وإلى تطهير مادي ومعنوي كلّ سنة بعد مرور الحول، وتوفر شرط النّصاب لإخراج فريضة الزّكاة، والاستعداد لصيام رمضان وأداء فريضة الحج، وكل هذه العبادات لها مقصد وغاية عظيمة في تزكية الجسم وتطهيره من كلّ ما يحوم به من الشّوائب.

فالاعتناء بالجسم والمحافظة عليه من خلال ترفيهه بعدة أنشطة مختلفة حاجة ضروريّة، فمن حقّ جسّدك عليك أن تبعد عنه الكسل والخمول، وأن تمارس الرياضة كالرّمي وركوب الخيل والمشي والسباحة، وكل ذلك يعطي للجسم جمالاً ورونقاً ونشاطاً وتوازناً جسمياً وفكرياً، ويريح القلب من التعب وضغوطات الحياة، فكل ما في الكون مسخر لراحة الجسم، والمحافظة عليه تعد من الضروريات والواجبات كما في الحديث الشّريف "إِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِرَوْحِكَ عَلَيْكَ حَقّاً" ².

¹ - سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح، رقم 5090، قال الألباني: حسن الإسناد.

² - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب النّكاح، باب: لزوّجك عليك حق، رقم: 5199، صحيح مسلم، كتاب، الصّيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، رقم: 1159.

فالدين الإسلامي لم يأت برهبانية تكبت رغبات النفس، وتحرم الجسد من متطلباته، وتقتل حيويته ونشاطه، وإنما جاء ضابطاً لرغباته وشهوته، وذلك عن طريق تحديد العبادات والطاعات، ووضع التشريع المفصل بما يحفظ حاجاته، فلم يجرم عليه الطيبات. قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف: 32]، وإنما الخوض فيها بمنهج معتدل حتى يحقق نصيبه في الدنيا ويربح آخرته التي هي خير وأبقى، قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى: 20].

وتركية الجسم لا تكون إلا من خلال العيش في رحاب القرآن لما يتوفر عليه من رسائل نورانية تنور القلب والعقل، وتصلح الذات الإنسانية، مما يحفز الفرد على الفعل الإيجابي؛ وتحثه على التفكير والتدبر، وتعطيه معنى حقيقياً لوجوده، وتسعى أعضاء جسمه إلى الانقياد والطاعة لكل أفعال الخير وتجنب أعمال الشر، وتحث الفرد على الشعور بالأمانة والمسؤولية وتحقيق العبودية والقيام بوظيفة الاستخلاف في الأرض وتنفيذ أوامر الله تعالى ومقتضى أحكامه وتشريعاته، وكل ذلك يحتاج إلى طاقة جسمية وعقلية للعمل والإبداع والإنجاز والاجتهاد في العبادة والإخلاص فيها وتوحيده وعدم الشرك به، وتقويم السلوك بالتقوى والإيمان وطلب المغفرة وتحديد التوبة وعدم الركون إلى الكسل والخمول.

المبحث الثالث: تزكية العقل

أولاً: العقل في اللغة والاصطلاح:

العقل في اللغة:

العقل: التثبت في الأمور، وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبس، وعقل الشيء يعقله عقلاً، فهمه، والمعقول: ما تعقله وتدركه بقلبك.¹
ومن خلال هذا التعريف تتبين لنا أهمية العقل ودوره في الحياة البشرية؛ فهو نجاة لكثير من المهالك؛ فبالعقل نفهم الأشياء، وندرك حقيقة الأمور، ومن خلاله نميز بين الخطأ والصواب، وبين المصلحة والمفسدة؛ فهو أمانة وهبها الله للإنسان، وميزه بها، وفضله على سائر المخلوقات.

العقل في الاصطلاح:

"العقل جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله أنا، وقيل العقل جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان، والعقل ما يعقل به حقائق الأشياء، قيل محله الرأس وقيل محله القلب"².
وأشار عبد المجيد النجار إلى تعريفه بقوله: "العقل هو تلك القوة الإدراكية المعيارية في الإنسان التي على أساسها حمل أمانة الخلافة التي على أساسها خوطب بالوحي ليتحملة فهماً وتطبيقاً"³؛ وفي تعريف الغزالي عرفه بقوله: "أن العقل له معنيان:
"أحدهما: أنه يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور، فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله خزانة القلب.

والثاني: قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم، فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة التي هي حقيقة الإنسان"⁴.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (عقل)، ج 11 ص: 458

² - الجرجاني، التعريفات، ص: 128.

³ - عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: بحث في جدلية النص والعقل والواقع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (1401هـ - 1981م) ص: 72.

⁴ - الغزالي، مجموعة الرسائل، ص: 114.

فعبّر عن العقل بعدة مفاهيم منها النفس الناطقة والنفس المدركة لحقائق الأمور، وعبر عنه بالروح أو القلب كما بين ذلك الغزالي فقد عدّه الميزان الذي تدرك به حقائق الأمور، ولا يكون ذلك إلا من خلال القلب، لكون هذا الأخير هو أداة المعرفة، والعقل تابع له. فالعقل يمثل القدرة على التّعلّل، ويقصد به الوعي والإدراك، فهو هبة من عند الله تعالى، كرم به الإنسان عن سائر المخلوقات ليميز بين الحق والباطل، والخير والشرّ، وظيفته تعقل العلوم وإدراك المعارف والمكتسبات، وصفة لتمييز الإنسان عن غيره من الكائنات، فهو نور ونبراس لمن أراد اتباع الصّراط المستقيم، وحجة لمن خالفها.

ثانيا: العقل في القرآن الكريم:

عمل القرآن الكريم الكتاب المكنون المحفوظ من الخلل والزّلل على إصلاح الفكر وتحريره من كلّ العوائق التي تسد آفاقه، فحرره من سلطان الهوى والشّهوة ومن الخرافات والشّعوذة ومن كلّ الأفكار الواهية والمعتقدات الخاطئة والمغلوطّة، ومن كلّ البدع والضلالات والتقاليد التي تضعف عقيدة المسلم، وأجاب عن الأسئلة التي حيرت العقول، وأنقذت القلوب من غفلتها وحيرتها، وشجع على استخدام الفكر والتبصر في آيات الكون التي سخرها وذلّلها بدقة متناهية للإنسان ليقوم بدوره الاستخلافي في الأرض.

فعدّ العقل من الضرورات الخمسة التي يجب المحافظة عليها إلى جانب الدّين والنفس والمال والعرض، فلا يدرك العلم والفهم إلا به، وخاطب القرآن الكريم أصحاب العقول المنيرة بقوله تعالى: {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} [العنكبوت: 43] وعاب على الفئة العاصية التي عطلت العقل عن وظيفته واستخدمته في ما لا يرضيه كما في قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} [البقرة: 170]. وبيّن أحوال الكافرين يوم القيامة، واعترفهم بأعمالهم وتحسّرهم على عدم إعمال عقولهم بقوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك: 10]، وذمهم الحق ﷻ في أكثر من آية لقوله تعالى: { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [البقرة: 171]. وحث على التّفكير والتّأمّل والتّدبر والتّبصر كما في قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: 164].

فالإسلام كرم الإنسان بالعقل، وحباه بالعلم والمعرفة، وبين له طريق الحق والصواب من خلال بعثة الأنبياء والرسل، فلم يخلقه عبثاً، وإنما لهدف وغاية وهي عبادته سبحانه، ولتكريته لا بد أن يتوافق مع القلب في إطار رؤية شرعية وضوابط منهجية تستمد مبادئها من العقيدة الإسلامية، شعارها التوحيد، وروحها الإخلاص، وغايتها الإصلاح وعدم الإفساد في الأرض. ولقد اختلفت الرؤى بالنسبة للعقل البشري فهناك من حاد به عن الصواب من خلال تمجيده وتقديسه، وهو ما أدى إلى غياب دوره في المجال الإصلاحي.

ثالثاً: تأليه العقل في الفكر الغربي:

نجد أن المبالغة في تقديس العقل وتمجيده من طرف النظرة الغربية، باعتمادهم على العقل المجرد، وإقصاء كل القيم الدينية والخلقية سمة من "سمات الفكر الأوروبي، حيث قال هيجل: على أنه يتعين على العقل أن يحكم العالم لأنه سيد العالم"¹. لذلك أصبحت التزعة العقلية هي المسيطرة على الوجود، بعدما كانت في السابق سلطة الكنيسة هي المهيمنة في نشر الدين، وهذا ما تميزت به المسيحية، احتكار النص الديني من طرف البابا، ومحاربة العلم والعقل، مما أدى إلى مصادمات بينها وبين حقائق علمية كان ضحيتها مجموعة من العلماء (جاليلي وموزار وغيرهم)، ونتيجة لذلك حصلت ثورة على الكنيسة، أفرزت فصل الكنيسة عن كل المجالات العلمية والعقلية والاقتصادية، وحصر رجال الدين داخل سلطة الكنيسة دون معرفة ما يجري في الخارج، حيث ظهر ما يسمى بعصر النهضة، الذي يدعو إلى القطيعة مع الدين، بالتأكيد على أن كل ما يصدر عن رجال الدين باسم الكنيسة خرافة وأسطورة مما ساهم في النزاع بين العقل والدين، وعدّ العقل المصدر الوحيد للمعرفة.

فهناك فريق حكم العقل وبالغ في تمجيده، فعُدّ عند بعضهم، المرجع المعتمد عليه في جميع الأحوال والضابط الأساس لتوجيه الإنسان، وبلغ بالعقل البشري في ارتقائه مستويات عالية، مجدت العقل كما أشار إلى ذلك عبد الوهاب لمسييري بقوله: "بديل الإله في النظم الدينية وله أسبقية على كل الموجودات، ويتمتع باستقلالية كاملة عن الطبيعة والمادة، بل ويعني أيضاً استقلال كل فرد عن الكل الإنساني، إذ إنه يصبح لكل إنسان مقدرة العقلية وإبداعه الخاص وطريقته الخاصة للوصول إلى المعرفة"². فالمسييري يعطي للعقل مكانة خاصة بعده هو جوهر الإبداع والاستكشاف من خلال ربطه بالواقع.

¹ - محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة - نموذج هيرماس-، أفريقيا الشرق، بيروت، الطبعة الثانية، 1998م، ص: 31.

² - عبد الوهاب لمسييري، فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، دار النهضة، مصر، الطبعة الأولى، 1998م، ص: 3.

وهناك من افترض التناقض والتعارض بين العقل والنقل، فقدم النقل على العقل، وهناك من عكس ذلك كما أشار عبد المجيد النجار بقوله: " فنشأ لون جديد من البحوث والدراسات يقوم على تأويل ما توهم المتوهمون تعارضه أو تناقضه مع العقل من نصوص الكتاب أو السنة في "تأويل مشكل القرآن" وفي تأويل مشكل الحديث، وكتب في ما بين الشريعة والحكمة جملة من الاتصال وكتب في "درء تناقض العقل والنقل"¹.

فمصادر المعرفة الثلاث: الوحي والعقل والواقع، حصل لها انفصام داخل التجربة الأوروبية، بينما في الفكر الإسلامي، هناك تكامل وانسجام بين هذه الوحدات الثلاث، غير أن الإشكال الذي وقع بين الثنائية: العقل والنقل صراع واختلاف داخل المذاهب، أدى إلى تصنيف العلوم بين العقلية والنقلية، وحدوث انشاقات وفصل بين الدوائر الثلاث بشكل يخالف بما وقع في التجربة الأوروبية.

وأشار طه عبد الرحمن إلى الفئة المغتررة من العلماني والدهراني، المبالغة في تمجيد العقل، ووضع كامل الثقة فيه وقدرته على تدبير أحوال نفسه بقوله: " ولا شك أن هذا الاعتقاد بقدرة العقل على رسوخه في النفوس فيه من الاغترار بقدر ما فيه من الغلو، فالعقل لا يستقل بالمعرفة، بل يشاركه فيها وسائل أخرى، بدءاً بالخبر وانتهاء بالوجدان"².

وهذا سر غاية الوجود الإنساني " فالله سبحانه يريد للعقل الإنساني أن يتزكى بالنظر والتدبر والتفكير والتبصر في خلقه، حيث سخر له الكون الفسيح، وزوّده بالعلم والمعرفة، ونور له طريق الهداية والاستقامة، ونهاه عن الجدل والمراء وأن أيّ جهد يبذله بحثاً عن مصدر آخر غير الوحي، هو جهد ضائع وعابث باعتبار العقل البشري قاصر عن إدراك أمور الغيب، فهي من علم الله وحده"³، وفتح للعقل عالم الشهادة للاجتهاد في إطار دائرة النص الشرعي، وفق قوانين تربطه بالواقع الملموس لاستكشاف أسرار الحياة ومظاهرها؛ وبذلك عُدت الرسالة السماوية منبعاً صافياً، موجهاً الإنسان لكل خير، وناهية عن كلّ شر، داعية العقل للاجتهاد في إطار شرعي.

¹ - عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص: 17.

² - طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، ص: 80-81، بتصرف.

³ - ملكاوي، منظومة القيم العليا، ص: 107 بتصرف.

رابعاً: تزكية العقل انطلاقاً من العلم والمعرفة.

إن العقل البشري حباه الله بالعلم والمعرفة، لبناء ثقافته، وتطوير ذاته، والاهتداء إلى سبيل الحق والرشاد، وتجاوز المنظور المادي الذي يستند إلى الحس والتجربة؛ ويعزز ابن خلدون رأيه في موقفه من الفلاسفة القاضى بعدّ العقل قادراً على الإدراك والإحاطة بكلّ الوجود بالرفض، وتأكيدِه على أن "العقل عاجز عن إدراك ما وراء الحس، وأن المعرفة تتكامل مع العقل في خدمة الوحي، فأدخل لذلك العقل في مجال العمل، وأبعده عن صيغ التأمل الميتافيزيقي، فصانعو التاريخ هم أناس العمل، أي الذين ينقلون البشريّة من طور التّوحش والبداءة إلى طور التّحضر"¹.

فالحضارة الإسلامية وصلت إلى أوجها وازدهارها بالعلم والمعرفة، واستخدام العقل في استنباط المهارات والقدرات، لتحقيق مهمّة الاستخلاف في الأرض، فهي حضارة مزجت بين العقل والروح لتنشئ جيلاً مؤهلاً لبناء عمرانه، ومحافظاً على دينه وشريعته وساعياً للإصلاح والتغيير انطلاقاً من منهج متكامل ومتوازن، يؤهل العقل للاجتهاد والإبداع حتى يسود الفكر الراقى بتجاوزه كلّ المفاهيم والمغالطات الخاطئة، وينشر الرحمة والحق والبرهان لتصفية القلوب من الأدران والعقول من الأوهام.

إن تزكية الإنسان للعقل باكتسابه للعلوم والمعارف، يوحى بدلالات إيجابية، فهو سر نجاحه، للوصول إلى درجة الإتقان والإحسان، من خلال جمعه بين جوانب الإيمان والعمل الصّالح والعلم النافع، ليتكامل الجانبان: المادّي والروحي؛ فالوحي والعقل يشكّلان دوراً فاعلاً في تطوير الحياة والسعي بها إلى الفلاح من خلال تزكية النفس وتطهيرها من كلّ الآفات والرذائل، وبالرغم مما وصلت إليه الحضارة الغربية اليوم، من تقدم وتطور مادّي، فإنها تعاني من الجفاء الروحي والقيمي الأخلاقي بسبب غلوها في تقديس العقل، مخالفة بذلك للمنهج الوسطي المعتدل الذي تتكامل فيه مصادر العلم والمعرفة والوحي الإلهي.

¹ -أحمد إبراهيم منصور، "دراسة في منهج الفعالية الاقتصادية: العمران والعقل الخلدوني أنموذجاً"، إسلامية المعرفة، السنة الثالثة عشرة، العدد 51، (1428هـ-2007م)، ص: 259 بتصرف.

خامساً: العقل مناط الهداية والتزكية:

لقد منّ الله ﷻ على الإنسان بهداية أسمى وهي هداية العقل، ويعد الوحي تزيلاً من عند الله على هذا العقل لإرشاده؛ فهما متكاملان لتحقيق الحياة الإنسانية، يدعوه الوحي إلى تزكيته بالنظر والتدبر والتفكير والفهم والتعلم، لاكتساب الحكمة والمعرفة والوصول إلى طريق الهداية وهذا بين في قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 190] وقوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [النحل: 12]؛ فتزكية العقل بالتدبر والتعرف إلى الخالق ﷻ من خلال آيات القرآن الكريم، {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [النور: 61]، {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} [البقرة: 219]، {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: 103].

فقد وردت الصيغ الفعلية (تعقلون - تفتدون - تتفكرون...) في القرآن الكريم دعوة إلى تزكية العقل، ف" تكون باستعماله استعمالاً سليماً منطقياً، حتى يصل إلى النتائج السليمة من خلال الاستقراء والاستنتاج، للوصول به إلى الحق والصواب، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تحصيل العلم والمعرفة الناتجين عن فعل التعقل والتفكير"¹

وتكریم الإنسان بالعقل له هدف وغاية لتطهير النفس البشرية من براثن الشرك والكفر، وإرسال الرسل للبيان والإيضاح، ليستمد المنهج الرباني ويطبقه في الواقع، فالعقل هو الذي انتفع بسمعه وبصره وجوارحه في كل عمل صالح، واستخدم عقله في نشر العلم والمعرفة واكتساب التجارب، وميز بين فعل الخير والشر، وقمع شهواته عن الحرام، وجاهد قلبه في التطهير والتخلي بالتزكية والعلم ونور التوحيد، فلم يحرم من نعمة التدبر والتبصر، بعكس من طبع على قلوبهم كما في قوله تعالى: {فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} [المنافقون: 3].

¹ - معاذ سعيد حوى، "النظر العقلي وأثره في تزكية النفوس: مقدمة في ضرورة بناء علم التزكية على الحقائق الثابتة"

إسلامية المعرفة، العدد 54، خريف (1429هـ - 2008م)، ص: (74-75) بتصرف

فتزكية النفس تقتضي تعهد القلب من خلال التفكير والتدبر في ملكوت السموات والأرض وفي الأنفس والآفاق، وذلك بجعل " التفكير عبادة يؤدي عليها الإنسان خلاف ما انحرفت إليه الجاهليات من التسليم بالخرافات غير المعقولة، أو تأليه العقل تأليهاً دهرانياً، وبتأسيس أطراد قانون السببية في المخلوقات، وباقتران ذلك بالإيمان بإرادة الله التي لا تحجزها الأسباب المخلوقة، تترن نزعة التعقل عند المسلمين، وتشكل ثقافة ترفض الفصام بين مقتضيات العقل ومقتضيات الإيمان"¹؛ فلا قيمة للعقل بدون إيمان، ولا أجر في اجتهاده بدون تحقيق عقيدة التوحيد، فقد خاطب الحق ﷺ أصحاب العقول المستنيرة بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فالإيمان حقق أعظم غاية في وجود البشرية من خلال الامتثال للقيم العليا ليكون مع الله ومع نفسه ومع الآخر في علاقته بالكون.

و"تزكية العقل تنبع أهميتها من عدّ العقل مناط الهداية، إذا استعمل على الوجه الصحيح، فالعمليات العقلية التي أشار إليها القرآن الكريم، كالتدبر والتفكير، فيها تأكيد منه (القرآن) بواجب تركيتها، أي تقويتها وتنميتها، ويكون ذلك بالبحث والعلم واقتناص المعارف، لكيلا يكون فعل التعقل، أداة في يد الأهواء المتصارعة"²، فبين القرآن الكريم عظمة العقل، ودوره في العلم والمعرفة، والتوجيه والإرشاد، ودعا إلى تركيته من خلال استعماله في التفكير الإيجابي، وتطهيره من التفكير المنحرف، والالتزام بطريق الهداية والاستقامة والحق والصواب، كقوله: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد: 17].

فالعقل مجاله محدود يخطئ ويصيب، يتعرض للأهواء والوساوس والاضطراب، فهو دائماً في حاجة إلى معين يرشده ويبين له طريق الحق والصواب وينقذه من الحيرة والشك، وبذلك كان الوحي هو طريقه القويم لاكتساب المعرفة في إطارها الموضوعي ف"إذا كان العقل هو وسيلة الإنسان للإدراك وطلب الأسباب وحمل المسؤولية، فإن الوحي المتزل إلى الإنسان مقصود به هداية الناس وتكميل إدراكهم بتحديد غايات العبادة الرشيدة للإنسان، ووصل إدراكه الجزئي بالمدركات الكلية فيما وراء الحياة وعلاقات الكون والوجود"³.

¹ - مازن موفق هاشم، مقاصد الشريعة الإسلامية: مدخل عمراي، مرجع سابق، ص: 315.

² - عبد الرزاق بلعقروز " منظومة القيم العليا، التوحيد- التزكية- العمران" مراجعة للكتاب، إسلامية المعرفة، العدد 85، السنة الثانية والعشرون، صيف (1437هـ - 2016م)، ص: 171.

³ - إسماعيل فاروقي، " المبادئ العامة، خطة العمل، الإنجازات"، إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، رقم 1، الطبعة الأولى، (1421هـ - 2001م) ص: 113.

فالوحي مصدر المعرفة؛ يمتلك صفة الاستيعاب والكمال والشمولية، إلى جانب العقل باجتهاده وتطوير المكتسبات انطلاقاً من تغير الزّمان والمكان، ويشكل محوراً أساسياً في تفعيل القيم الإنسانية، وقد أشار الشاطبي في كتابه الموافقات إلى تكامل العقل والنقل بقوله "إذا تعاضد النقل والعقل على مسائل شرعية، فعلى شرط أن يتقدم النقل فيكون متبوعاً، ويتأخر العقل فيكون تابعاً، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل"¹، وهذه الأسبقية ناتجة عن محدودية العقل وعدم قدرته على معرفة عالم الغيب، فالوحي المتزل على الإنسان لهديته وتحقيق أهدافه وغاياته. و"الوحي والعقل ضرورتان متكاملتان لتحقيق الحياة الإنسانية الصحيحة في هذه الأرض، فلا مجال ولا معنى لتناقض الوحي والعقل، وما ضل المسلمون وانحرفوا إلا حين استخدموا العقل في غير موضعه، وأخذوا بالظن والتخمين الباطل في أمور الإلهيات وقضايا كلية كالقضاء والقدر متأثرين بإطار فكري إغريقي ليس له مرشد ولا ضابط ولا موجه من معرفة الوحي القطعية الكلية"².

ومن خلال هذه الأقوال يتبين لنا أن أهمية الوحي إلى جانب العقل يشكل قوة فاعلة في تكوين الشخصية الإنسانية تميزها عن باقي المخلوقات، كما يعطيه قوة فاعلة وطاقات إيجابية تنمو من خلال أفكاره، وتتركى نفسه، وتتطهر ذاته لتسمو في عالم روحاني راقٍ، ومن خلاله تتحسن معاملته وأخلاقه، وتعلو همة أفكاره بالنفع والخيرية لنفسه وللناس كافة، وتستقيم جوارحه وينقاد قلبه طاعة ومحبة لله تعالى، ويحقق من خلال التزكية مفهوم الوسطية والاعتدال، والتوازن بين متطلبات الحياة والعمل الأخروي، فيصير همه هو مرضاة الله تعالى، لينتقل من عالم الإيمان إلى درجة الإحسان. و"بهذا يكون الدليل النقلي المستخرج من الكتاب والسنة، بادئاً من داخل العقل لا من خارجه، لأن العقل موضوع ليقرر صحة الدليل النقلي، ويعمل ما في وسعه لتدبره وتعقله، ويكون الدليل العقلي بادئاً من داخل النقل لأنه يرشده ويدفع عنه التيه والضلال، فالنقل الصريح والعقل الصريح شرعا بوجه ما، فالنقل الصريح شرع من جهة الوحي، والعقل الصريح شرع من جهة الاجتهاد المشروع"³.

1- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، 1417هـ/ 1997م، ج 1 ص: 125.

2 - إسماعيل فاروقي، المبادئ العامة، مرجع سابق، ص 125.

3- عبد الرحمن العضراوي، مدخل تأسيس في الفكر المقاصدي، بيروت، الطبعة الأولى، 2015م، ص: 43.

فالمنهج الإسلامي شمل نظرة متوازنة حيث جعل النقل يخاطب العقل، فلا أحد منهما يمكن أن يكون بديلاً عن الآخر، ولا أحد منهما يمكن أن يستغني عن الآخر، فلا تناقض بينهما؛ إنما نجد التكامل والانسجام بينهما، وكل واحد يتأسس على معرفة أساسها التوحيد. وأشار الدكتور عبد الرحمن العضاوي إلى التكامل بين ثنائية العقل والنقل في الفكر المقاصدي من خلال الرؤية المعرفية المقاصدية بقوله: "إن الفكر المقاصدي: هو الصناعة العقلية للمقاصد الشرعية التي منطلقها الوحي ومنتهاهما التنزيل في الواقع، مما يجعل النظر إلى استمداد مضامين هذه الصناعة مسيجاً بثلاثة جوانب:

- جانب النص الشرعي بما أودع من واضح الغايات وخفياتها ومن مكامن الأنوار وهداياتها.
- جانب العقل باعتباره عملية فكرية تستخدم وسائل تحليلية وتركيبية واستنتاجية حدسية برهانية واستقرائية للانتقال من مقدمات أولية إلى نتائج لازمة عنها.

- جانب الواقع باعتباره مكان الاستخلاف ومجال تطبيق تلاقي العقل والشرع في هذا التطبيق الذي لا ينجح إلا بمراعاة الواقع وملاحظة أبعاده"¹، وهذه الجوانب الثلاثة: الوحي والكون والإنسان شكّلت مرجعية الاجتهادات الصادرة عن المهتمين بالمعرفة المقاصدية؛ فمعظم مصالح الدنيا ومفاسدها قائمة على العقل، فهو مدار التكليف وتبنى عليه المقاصد الشرعية من خلال فعل التكليف؛ "فحياة العقل هي صحة الإدراك، وقوة الفهم وجودته، تحقق الانتفاع بالشيء والتضرر به، فهو نور يخص الله به من يشاء من خلقه، وبحسب تفاوت الناس في قوة ذلك النور وضعفه، ووجوده وعدمه، يقع تفاوت أذهانهم وأفهامهم وإدراكاتهم، ونسبته إلى القلب كنسبة النور الباصر إلى العين"².

إن الفكر يعد مقوماً من مقومات البناء الحضاري ويزكو من خلال التأمل والتدبر في الكون ويتحرر من أهواء النفس وسلطان الهوى فلا يشوبه قلق ولا اضطراب في اتخاذ المواقف والقرارات، ويساهم في البناء الفكري وفي النهوض العمراني، وذلك هو العقل الإصلاحي الجامع بين سلطة العقل والوحي، ويسعى إلى الاجتهاد والبناء والتحرر من التقليد والجمود الفكري والاستلاب الحضاري وتجاوز كل ما يعيق الفكر عن العمل، وذلك من خلال الاشتغال بقوانين الإصلاح وآليات التنزيل في الواقع انطلاقاً من علاقة الإنسان بالله تعالى وعلاقته بالكون وعلاقته مع أخيه الإنسان.

¹ - عبد الرحمن العضاوي، مدخل تأسيس في الفكر المقاصدي، ص: 45.

² - ابن القيم، مدارج السالكين، ج 1 ص: 341.

ف"العقل الإصلاحي يكون منفتحاً على الوحي يسعى إلى البناء المعرفي والتّقويم السلوكي لتكوين الشّخصية الإسلاميّة من خلال آليات التّزليل، فأول كلمة نزلت في الوحي ارتبطت بمفهوم القراءة "اقرأ" باستخدام العقل في الفهم والتّدبر وتفعيله مع الوحي برؤية مقاصدية حضارية بمنهج وسطي مخالف للرؤية الغربية التي دعت إلى تأليه الإنسان وأنسنة الإله التي هيأت الإنسان في أصل خلقته للاطلاع عليها متمثلة في "حقيقتين: الأولى من حيث طبيعة التّركيب الذاتي للإنسان يشمل الجانب الروحي يمكنه من السمو والعلو نحو الأفق الإلهي الأعلى ليقتنس من هذا الأفق مضمون الخلافة أمراً ونهياً، كما يشمل جزءاً مادياً يمكنه من مباشرة الأرض بالسعي فيها للإنشاء والتعمير. أما الثانية فهي حقيقة التّكليف"¹.

وأشار عبد المجيد الكيلاني إلى تحقّق التّزكية من خلال أمور ثلاثة: الأوّل تزكية مسار الفكر، والثاني تزكية أشكال التفكير، والثالث تزكية أساليب التفكير²، مبيناً أنه بمجرد إصلاح الفكر ومساراته تنصلح علاقاته مع الكون وخالقه في إطار تفكير سلمي وإيجابي يحقق المنفعة للفرد نفسه وللأمة عامّة، وتتحقّق تزكية العقل من خلال تزكية نمط التفكير وأساليبه، وتحريره من استعباد الأفكار والعادات والتقاليد الشّائعة والمنتشرة، إذ خلق لغاية تحقيق العبوديّة لله تعالى، وتطوير ذاته بالتنمية والترقي والتفكير الإيجابي، وتحقيق أهدافه داخل دائرة التقوى وابتغاء مرضاته، والعمل على تنفيذ الأحكام التّكليفية بالطّاعة والخضوع، وبالأمر الديني وبالاجتهاد والتّجديد والإبداع والابتكار وعدم التقليد، والاستفادة من الأجيال السالفة، والبرمجة على التفكير الجماعي، بدل الفرديّ والتجزئيّ، لغرس قيم الوحدة والتعاون والإخاء، وممارسة الفكر العلمي من طرح المشكلة إلى تحليلها، وإيجاد حلولها واستنباط آلياتها بعيداً عن التفكير السلبي المبني على الظنون والوهم.

فتزكية الفكر ملازمة للسلوك العملي حيث ينعكس أثرها في عمل الإنسان للسعي نحو الإصلاح والتّغيير انطلاقاً من الرقابة الذاتيّة واستشعاره لعظمة الخالق، وأنّه رقيب على كلّ أفكاره وسلوكيّاته وأعماله، مما يزيد في إيمان العبد وتزكية نفسه وفي حسناته وادخار أعماله ليوم القيامة، ومن "أعظم الأخطاء التي أصابت علم التّزكية الادعاء بأنّه أذواق لا علاقة للعقل والعلم

¹ - عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص(63-64) بتصرف.

² - الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية، ص: 132.

بها، وهذه قضية خطيرة تفتح باب الهوى والدّعى وتفتح باب المزيد من الانحراف عن الحق، فقد العقل من خلالها ضوابطه وقواعده التي تحفظه من الانحراف، فلا بد من بيان ارتباط التّركية في كلّ مراحلها وأطوارها بالعقل والفكر الصّحيح والحقائق المعقولة"¹.

فتكرّم الإنسان بقدرته على التّفكير والاختراع والتّعلم والاستفادة من خبرات الآخرين من خلال سعيه في الأرض وتأمله لمظاهر خلق الله وعظمة الكون، وكل ذلك يؤدي إلى تقوية الارتباط بالله تعالى؛ فما تعانيه الأمة الإسلاميّة اليوم نتيجة عن غياب عنصر الإبداع ومن جمود فكري وتقليد وتطرف، نجم عنه عدم قدرتها على مواجهة الآخر الذي سلبها قدراتها العقلية والفكرية، مما ساهم في ظهور تيارات مختلفة، منعزلة ومحيدة داعية إلى عدم التّغيير، وسعت إلى الجهاد وقتل النّفس، وفئة سايرت الفكر الغربي بالتّقليد والتأييد له بالذّوبان والانغماس في الأفكار، مما أصبح فكر المسلم حبيساً غير قادر على مسايرة الواقع وما يطرأ عليه من تغيرات .

فأزمة الأمة اليوم أزمة فكرية أكثر مما هي عقديّة، ناتجة عن الانفصام بين السلطة العلمية والسلطة السياسيّة التي قدمت حلولاً ترقيعيّة مما حال دون إزالة الغبش في الصّفوف الإسلاميّة، ولم تستطع القدرة على مواكبة التّغيرات والتّطورات مما ساهم في شلل وعزلة فكرية وانحراف عقدي وفصل بين العلوم والمعارف الإنسانيّة، فكل ما تعلق بجانب العبادات اهتم به العلماء، وكل ما يخص الجانب السياسي اهتم به القادة مما أسهم في تشويش العقل المسلم في انفصام العلوم داخل الساحة الفكرية وإثارة الجدل في مسائل العقيدة، واختصاص علم الكلام في المجال الفلسفي شتت فكر الأمة وأثر في النّفس البشريّة في انزوائها وعدم يقظتها وضعف تركيتها. بينما نجد الفكر الإسلامي الأصيل، فكراً وسطياً يدعو إلى الحوار وقبول الآخر

انطلاقاً من تعاليم القرآن الكريم والسّنة النبويّة، فحاجة المسلم اليوم هي إلى وعي معرفي، وتشكيل عقل سليم انطلاقاً من رؤية معرفية ومنهجية واضحة شاملة ومتوازنة، فالعقل المهتدي بشرائع الإسلام الساعي للخير والناهي عن الشرّ، هو هبة من الله في تمييزه بين الحق والباطل، لا يخاف في الله لومة لائم كما جاء في قوله تعالى: { كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ عَلَى اللَّهِ } [آل عمران: 110].

¹ - معاذ سعيد حوى، "النظر العقلي وأثره في تركية النفوس"، ص: 63-64، بتصرف.

وتحقيق هذه الخيرية يكون بالتنسيق بين الوحي والعقل وعدم التعارض بينهما للسعي إلى نهوض حضاري وازدهار فكري من خلال تنشئة الفرد على الاندماج في الثقافة الإيجابية وتحريره من الانغلاق والسلبية.

وخلاصة القول: لقد حرص الإسلام على العقل البشري وأعطاه عناية خاصة؛ ففتح له باب الاجتهاد في عالم الشهادة لبناء عمارته ومنهج حضارته من خلال أداء مهمّة الاستخلاف في الأرض، وضيق عليه في مجال الغيبات، وذلك بالإيمان والتسليم المطلقين للخالق سبحانه، ووافق بينه وبين النص فلا تعارض بينهما، دعا العقل إلى التبصر والتأمل والتفكير واستخلاص الحلول والنتائج، ونهاه عن الانحراف والتقليد والزيف والفساد والغرور باختراعاته المتطورة الساعية إلى تدمير الكون؛ فالعقل موضع المعرفة والعلم، وتزكيته من الضرورات الأساسية، لتفعيل حياة المسلم داخل واقعه واندماجه الفكري لمواجهة ما يحيط به من تحديات، وصراعات فكرية ومذهبية، ليتكامل العقل والوحي، والنفس والقلب، لتحصيل الانسجام والتوازن داخل الكون.

المبحث الرابع: تزكية القلب

أولاً: القلب في اللغة والاصطلاح:

في اللغة:

جاء في تعريف ابن فارس للقلب بقوله: "القاف واللام والباء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على خالص الشّيء وشریفه، والآخر على رد شيء من جهة إلى جهة، فالأول القلب، قلب الإنسان وغيره، سمي لأنه أخلص شيء فيه وأرفعه"¹.

وسمي القلب لأنه يتقلب من وقت لآخر كما جاء في لسان العرب:
ما سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ ... وَالرَّأْيُ يَصْرِفُ بِالْإِنْسَانِ أَطْوَاراً²

في الاصطلاح:

هو الأمر المعنوي المتعلق بالإدراك والشّعور عند الإنسان، وله معانٍ متعددة كما ذكر الغزالي منها:
- "اللحمة الصنوبرية المعلقة في الجانب الأيسر من الصدر، وفي باطنه تجويف فيه دم أسود، وهو منبع الروح الحيواني ومعدنه.

- لطيفة ربّانية روحانية ولها علاقة مع القلب الجسماني، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب المثاب المعاقب"³.
فالقلب عند الغزالي هو جوهر حياة الإنسان، به تتحقق سعادته وتعاسته، وهو الشّيء المكنون عند الإنسان بقوله: "القلب هو العالم بالله، وهو المتقرّب إلى الله، وهو العامل لله، وهو السّاعي إلى الله، وهو المكاشف بما عند الله والجوارح أتباع وخدم وآلات، يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصّانع للآلة، فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله، وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقاً بغير الله، وهو المخاطب والمعاتب، وهو الذي يسعد بالقرب من الله، فيفلح إذا زكاه الله، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه، وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى"⁴.

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (قلب)،

² - ابن منظور، لسان العرب، مادة (قلب)، ج 1، ص: 685.

³ - الغزالي، الإحياء، ج 3 ص: 4، مجموع رسائل الإمام الغزالي، ص: 113.

⁴ - الغزالي، الإحياء، ج 3 ص: 3.

وعرفه ابن الجوزي بقوله: "القلب محل النفس والعقل والعلم والفهم والعزم، وسمي قلباً لتقلبه بالخواطر والعزوم والاعتقادات والإرادات"¹.

ومن خلال تعريف الغزالي يتبين لنا أن القلب أشير إليه باللحمة الصنوبرية، وهي موقع الأحاسيس وموطن العبادة والتقرب إلى الله، وبصلاحه يصلح الجسم كله وبفساده تفسد سائر الأعضاء؛ فهو موضع النية، والإيمان والأحاسيس، وموطن الداء ومبدأ الشفاء.

ثانياً: القلب في القرآن الكريم:

ومن الآيات التي تطرقت إلى القلب نذكر منها قوله تعالى: { وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الشعراء: 87 - 89]، وقوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق: 37]، وقوله سبحانه: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: 46].

وكل هذه الآيات تبين أهمية القلب في حياة الإنسان، فهو نور ونبراس، من خلاله تنجلي الظلمات وتبصر الحقائق وتثور الطرائق فكان المقصود بالقلب السليم، السليم من "الشرك أما الذنوب فليس يسلم منها أحد"².

وعبر عن القلب بالوعي والادراك كما جاء في التفسير "من كان له قلب أي عقل"³، وفيه تتم النية والعزم وكل ما يجول في خاطر الإنسان، وفيه يجدد الإنسان علاقته بربه عن طريق التوبة والاستغفار والإنابة والخضوع والتدبر والتأمل في مخلوقاته ﷻ وما ينتظره من الجزاء الأخروي، وهو موضع الصلاح والفساد، فبصلاحه تصلح أعضاؤه. لقوله ﷻ "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"⁴، وهذه المضغة هي موضع النور والهداية؛ وللقلب جنوده المتجلية في اليد والرجل والأذن والعين واللسان، وهي بمثابة الزاد للوصول إلى الله تعالى.

¹ - ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، (1407هـ- 198م) ص: 482.

² - تفسير الطبري، ج 19 ص: 366.

³ - الرازي، مفاتيح الغيب، ج 15 ص: 473.

⁴ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب: فضل لمن استبرأ لدينه رقم 52، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم 1599.

يتعلق القلب بالأحاسيس والمشاعر والاستجابة، فهو مناط التكليف لقوله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ" وأشار بأصابعه إلى صدره الشريف¹؛ فعمل المؤمن مرتبط بقلبه؛ إذ القلب المشيع بنور الإيمان وبحلاوة القرآن وتدبره، تحشع جوارحه وتنقاد نحو فعل الخير والعمل الصالح، وهذا ما حرص عليه جيل الصحابة - رضي الله عنهم - إذ كان إيمان الرجل منهم يعدل الجبال؛ فقد عمل الرسول الله ﷺ على تزكية قلوب أصحابه بتبشيتهم على الحق ومناصحتهم وتربيتهم، وهو محل الاطمئنان والسكينة لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح: 4]، فهو وسيلة للتخاطب، وموضع للتمييز والاختيار وجنود الأعضاء كلها مسخرة له، يحتاج إلى الرعاية والتربية والمجاهدة لتحقيق العبودية لله تعالى.

فكان الموقع الأساس لتزكية النفس هو القلب، فهو محل الرحمة والرفقة يتجلى في دعاء المؤمنين لله ﷻ بأن يثبت قلوبهم على الحق والصراط المستقيم كما جاء في قوله تعالى: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: 8] وهو محل القسوة والشدة والغلظة للعاصين والكافرين كما في قوله تعالى: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} [غافر: 35] وقوله: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة: 7]. وقوله تعالى: {فَأَنَّهُمْ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: 46].

فكان القلب أداة النور والبصيرة للإنسان المؤمن من خلال إدراكه للحق والعمل به، فتشبع بروح الإيمان والتقوى والخير والصلاح، بينما القلب المظلم المختوم عليه بالغشاوة الساعي نحو الضلالة والجهالة متوعد بالعذاب الأليم؛ وأشار إلى لفظ القلب في القرآن الكريم بالصّدر والفؤاد كما في قوله تعالى: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الزمر: 22] وقوله تعالى: {فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [إبراهيم: 37]؛ فالقلب ينشر بالذكر والقرب لله تعالى وجميع الطاعات وأفعال الخير، ويقسو بالمعاصي والذنوب والغفلة والابتعاد عن الحق والصراط المستقيم، فالحق ﷻ كرم الإنسان بالعقل للتمييز بين الحق والباطل، فهو مختار

¹ - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب: باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه، رقم: 2564.

بإرادته ومحاسب على أعماله من خلال حمله أمانة التكليف وسعيه في الأرض لتحقيق الاستخلاف والعمارة، والعقل من أدرك الغاية من وجوده فانتفع بقلبه، واستخدم عقله فيما يرضي ربه، وسعى في حياته إلى الإصلاح في الأرض وعدم الإفساد فيها.

ثالثاً: أقسام القلب:

قسم الغزالي القلب إلى أحوال عجيبة، فهو يتقلب من حين لآخر، ويتنوع حسب أعماله، فمنه: قلب عُمِّرَ بالتقوى، وزكا بالرياضة، وطهر من خبائث الأخلاق، تنقذ فيه خواطر الخير، وقلب مشحون بالهوى، مدنس بالأخلاق المذمومة والخبائث، يضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد. وقلب متردد بين الخواطر والإيمان؛ فلا يزال يتردد بين الجندين، إلى أن يغلب على القلب ما هو أولى به، فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن، ينقلب بين الجندين، إما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشيطان¹.

ومن خلال قول الغزالي تبين لنا أنواع القلوب واختلافها، وأعلاها القلب المطمئن، وهو الذي يعيش مع الله في جميع أحواله، فهو دائماً في حالة توازن داخلي وثناسك، وانسجام، يسعى إلى تحقيق التزكية في كل جوانب حياته؛ في فكره وسلوكه وأخلاقه وآدابه ومعاملاته، من خلال التحلي عن الصفات القبيحة، والتحلي بالصفات التي مدحها الحق كصفات التقوى التي تورث الراحة النفسية والإيمانية وتوثق صلته بخالقه، قال تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [يونس: 62 - 64]. وتلك مرتبة الكمال والسكينة والاطمئنان.

والقلب الآخر هو المشحون بالهوى وحب الذات والشهوات، قلب مالت نفسه إلى السوء واستحوذ عليه الشيطان؛ فعميت بصيرته، وضعفت همته، وكثرت غفلته، وخالف طريق الحق والصواب، وأشار الغزالي إلى القلب الذي يغلب عليه أحياناً جند الإيمان ومرة جند المعصية فهو يجاهد نفسه في ابتغاء مرضاة الله، ولكن أحياناً يضعف في طريقه ومسيره، فهو المتردد بين الإيمان والمعصية.

¹ - الغزالي، الإحياء، ج 3 ص: (61-63) بتصرف.

ومن خلال هذا التقسيم للقلب عند الغزالي نستخلص أن شخصية الإنسان السوية هي التي استجمعت كلّ الفضائل والقيم والأخلاق النبيلة، وهي القادرة على الإنجاز والابتكار والساعية للخير وتحقيق العمران والنشوء الحضاري انطلاقاً من منطلق تغيير النفس وإصلاح الذات؛ فكلما تزكت النفس أقبلت على الله، وسارعت إلى الفعل الإيجابي، ولازمت الحق وباب المعرفة والتوبة والإنابة لله، وتجنبت كلّ وجوه الإفساد والضلال والانحراف.

وهناك تقلبات عجيبة في القلب من قدرة الخالق ﷻ الذي خلق فسوّى وقدر فهدى؛ فهو القلب الذي اختلط فيه الخير والشر، فإن كان في قلبه إخلاص ختم عليه بالخير كما في الحديث الشريف، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثه رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق (إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله شقي أم سعيد، فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)¹.

رابعاً: تزكية القلب:

تزكية القلب السليم ودواؤه بالتشبث بالإيمان والعمل الصالح، والعلم النافع، بينما فساده ومرضه بالكفر والتفاق والرياء وغيره من الآفات، وتكون طهارته بالتوبة والاستغفار، فهو موطن التقوى. "وبناء عليه فإن القلب هو المعول عليه في الهداية، والواجب أن يكون متوافقاً مع العقل والعلم، أما إذا خالف العقل والحقائق العلمية، وبني عواطفه وميوله على أساس آخر، فقد انحرف وفسد، ووجب على الإنسان أن يضاد هذه الميول، ويخالفها ويجاهد نفسه فيها، ليرد هوى القلب إلى مراد الشارح، الذي يقتضيه العقل السليم"².

وبذلك كانت المجاهدة طريق الهداية والتزكية له للوصول به إلى مرتبة الإيمان، والارتقاء به إلى درجة الإحسان، حيث تتكامل بنية الإنسان من خلال هذه التركيبة: العقل

¹ - صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق باب: ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، رقم: 3208.

² - معاذ سعيد حوى، "النظر العقلي وأثره في تزكية النفوس"، مرجع سابق، ص: 91.

والجسم والقلب، وعلاقة بعضها مع بعض، لكونه خليفة حباه الله بهذه الأشياء، وكرمه عن سائر المخلوقات، وبين له المنهج الرباني في طريق الاستقامة، لاستغلاله في الخير وابتعاده عن كل شر، والحرص على الزيادة في الإيمان من خلال صلته بخالقه، وحفظ جوارحه واتباعها له، وهذا ما أشار إليه طه عبد الرحمن بقوله: "إن الإنسان يعبد ربه بقلبه كما يعبد جوارحه، وقد تتقدم عبادة القلب على عبادة الجوارح، فتخلق القلب هو أساس تخلق الجوارح، فإذا تخلق القلب، لزم أن تتخلق الجوارح، لأنها بمثابة التوابع، وإذا تخلقت الجوارح، فقد يتخلق القلب، لأنه بمثابة المتبوع"¹. ومن خلال ما سبق تظهر العلاقة جلية بين الجوارح والقلب والعقل، فبصلاح القلب تستقيم الجوارح ويسعى كل عضو في الفعل الإيجابي والتنافس في العطاء لإدراك صلاح الدنيا والآخرة، فتزكية النفس الإنسانية تمثل "كياناً متكاملًا من عناصر ثلاثة: "الجسم، والعقل، والروح"، و"القرآن الكريم يربط الفاعلية العقلية بالقلب، أي أن محله ليس الدماغ وإنما القلب الذي محله الصدر، لأنّ أي عمل يقوم به الإنسان يمر بسلسلة خطوات يشترك فيها الجسم والعقل والنفس"².

فتزكية القلب لا تقتصر على طهارة الظاهر فقط، بل تشمل الباطن؛ إذ لكل إنسان صورتان، صورة ظاهرة تتمثل في خلقه وطبائعه وتصرفاته، وصورة تتعلق بأسراره ومكنوناته ولا يطلع عليها إلا الحق فهو يعلم السر وما يخفى، وبذلك توجه الضمير في فعل التزكية إلى ضمير الغائب في قوله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } [الشمس: 9].

إن استقامة القلب وفلاحه يكونان بتزكية باطنه وتطهيره من الرذائل وتصفية السرائر وتحسين الأخلاق، وكل ما جاء به الإسلام وحث عليه في مجال العبادات والمعاملات لترقى النفس إلى معالم القيم محققة المنهج الاستخلافي الحضاري والسعي للبناء العمراني لا يحصل إلا بالزيادة في الإيمان للبلوغ إلى مدارج السالكين، ولذلك وجب الحرص على هذه النفس من الطغيان والانحراف والفساد، وهذا ما أكدّه المنهج النبوي في الدعوة إلى الاستقامة، وتخليص القلب من الأدران والخبائث؛ فالعارف بالله قلبه مطمئن به لا يأنس بغيره، ولا يشبع من كلامه، فهو دائماً في زيادة وشوق ومحبة إلى أن يلقاه، وهذا ما أشار إليه ابن القيم بقوله "طهارة القلب موقوفة على إرادة الله تعالى، وأنه سبحانه لم يرد أن

¹ - طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، ص: 122.

² - عبد الرزاق بلعقروز "منظومة القيم العليا"، مراجعة للكتاب، مرجع سابق، ص: 170.

يطهر قلوب القائلين بالباطل، المنحرفين عن الحق، لم يحصل لها الطَّهارة، فمن لم يطهر الله قلبه ينال الخزي في الدُّنيا والعذاب في الآخرة، ومن تطهَّر في الدُّنيا ولقي الله طاهرًا من نجاساته دخلها بغير معوق، ومن لم يتطهَّر في الدُّنيا فإن كانت نجاسته عينية، كالكافر، لم يدخلها بحال، وإن كانت نجاسته كسبيَّة عارضة دخلها بعد ما يتطهر في النار من تلك النجاسة"¹.

فتزكية القلب من الأمور الهامة التي أشير إليها في كتب التَّركية والتَّصوف، قتم بإصلاح القلوب وتهذيبها على الخير والمحبة الدائمة لله تعالى، وذلك من خلال تطهير القلب والتخلية عن الرذائل والأدران والخبائث والتَّحلية بالفضائل مع الالتزام بكتاب الله تعالى: "فالقلب الطَّاهر لا يشبع من القرآن ولا يتغذى إلا بحقائقه، ولا يتداوى إلا بأدويته، بخلاف القلب الذي لم يطهره الله تعالى، فإنه يتغذى من الأغذية التي تناسبه.. فطهارة القلب موقوفة على إرادة الله تعالى، وأنه ﷻ لما لم يرد أن يطهر قلوب القائلين بالباطل، المحرفين للحق لم يحصل لها الطَّهارة."²؛ فصلاح القلوب وتزكيتها وتطهيرها من أعظم نعم الله تعالى على خلقه، فما دام وجد الداء، فقد وأوجد الحق ﷻ الدَّواء للقلب والشفاء والعلاج النافع، فكل إنسان يملك قلبًا، وهذا القلب تجول فيه الخواطر والأفكار والأحاديث والهواجس في كل لحظة، تقتحمه الوسوس، فهو مضطرب بين الخير والشر، بين الحق والباطل، ووظيفة الإنسان أن يتوجه بقلبه إلى خاطر الخير والحق، فيرغب فيه، ويقرَّه على ذلك، ويُعْض في نفسه وقلبه خاطر الشر، وينفر منه؛ وأن يشغل نفسه وفكره وقلبه بمعظم العبادات، فيتكلف الإنسان من خلال الحضور والخشوع والتدبر بالتسلح بالإيمان وأتباع القرآن، فهي من أعظم الأدوية والأغذية للقلوب؛ أما القلب المريض السقيم الذي لم ينتفع بالعلاج، وفقد أعظم شيء وهو محبة الخالق سبحانه وتعالى، والتَّنعيم بذكره وشكره فإنه يعيش حياة البؤس والقلق كما في قوله تعالى: {وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} [الزخرف: 36، 37].

إن النَّفس البشريَّة لتزكيتها تحتاج إلى تربية ذوقية وصبر ومجاهدة للارتقاء بها للأعلى، والانتقال من النَّفس الأمارة واللَّوامة إلى النَّفس المطمئنة حتى يزول قلقها واضطرابها، وتأنس بمحبة خالقها وقربها منه حتى ترتقي في مدارج السَّالِّكين من خلال المجاهدة والمواظبة على الطَّاعة والامتثال للأوامر واجتناب النَّواهي كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر: 27 - 30].

¹ - ابن القيم، إغاثة اللّهفان، ص: 57.

² - نفسه، ص: 57. بتصرف.

خلاصة الفصل الثاني:

إن النفس استعملت في القرآن الكريم لمقاصد وغايات، فهي شاملة للجانب المعنوي المتمثل في القلب، والجانب المادي المتمثل في الجسم، فالقلب هو مركز الفكر والإحساس وهو المتحكم في الجوارح، فكلما تبصر القلب وصلاح صلحت سائر الجوارح، وقد جاء الإسلام بتزكية النفس حتى يحقق للإنسان صفاء القلب وتحصيل السعادة، أما عمل الجسم فيتجلى في الممارسات المادية المحسوسة، ويتجلى دور العقل في التمييز بين الخير والشر وبين الحق والباطل وفي اكتسابه للعلوم و المعارف والتفكير والتذكر والاستيعاب، فلا بد للمسلم من تحرير عقله من الهوى ومن العادات والتقاليد المخالفة لشرع الله تعالى حتى يرقى إلى نفس زكية تستسقي المعرفة من الوحي.

والتزكية شملت كل الجوانب من المال، الجسد، العقل، والقلب، وتتكامل هذه العناصر في ما بينها لتشكل خلية عملية بناءة و طاقة إيجابية رفيعة لمن استغلها في طاعته، وسعى لبناء الشخصية الإنسانية، ونماء قدرتها وصلاحها من خلال تحسين علاقتها مع خالقها ونفسها ومجتمعها، ولا يتأتى ذلك إلا بالارتباط مع النص القرآني وتنزيله في الواقع لتحقيق التزكية مقصدها وغايتها منسجمة مع مقاصد الوحي باستخلاف الإنسان في الأرض وتحقيق العبودية لله تعالى.

الفصل الثالث

التزكية ودورها في بناء العمران الحضاري

المبحث الأول: أثر قيمة التوحيد على الحياة الفردية والجماعية

المبحث الثاني: العلاقة بين واقع النفس وواقع العمران

المبحث الثالث: التزكية ودورها في تحقيق الاستخلاف الإسلامي

المبحث الأول: أثر قيمة التوحيد على الحياة الفردية والجماعية

"التوحيد، التزكية، العمران والاستخلاف"، منظومة متكاملة العناصر توحى بالرقى الحضاري والانبعاث الكوني ضمن دائرة القيم العليا، لا تخص الفرد فقط؛ بل تعمل في إطار جماعي يخص الإنسانية كلها؛ لتحقيق التوازن داخل هذه المنظومة، الله - الإنسان - الكون، وتتكامل هذه العناصر في إطار منظومة معرفية قرآنية، فقد اهتم الإسلام بوجود الإنسان، وبين علاقته التي تربطه بالخالق سبحانه، فعرفه بحقيقة الألوهية والعبودية وكل ما يجب عليه، لكون التوحيد هو الركيزة الأساس التي يصلح بها حال الأمة، ويحقق من خلالها التوازن داخل نظام الكون، وتكامل عناصر المنظومة الثلاثية وترابطها لا يجعلها بالضرورة في مستوى واحد من القيمة والأهمية؛ إذ يبقى التوحيد رأس الأمر كله في الإسلام، فهو أساس الدين، ورسالة الله إلى الأنبياء والرسل أجمعين.

المطلب الأول: التوحيد في اللغة والاصطلاح

- التوحيد لغة:

التوحيد:- "الايان بالله وحده، والله الأوحَدُ والمتوحد ذو الوجدانية، ووحدته توحيداً جعله واحداً"¹، ف " التوحيد هو الإيمان بالله وحده لا شريك له، (والله الواحد (الأوحد) الأحَدُ، والمتوحد: ذو الوجدانية "². فالتوحيد هو من صفات الحق سبحانه بكونه المتفرد بالوجدانية ذا الجلال والإكرام.

- التوحيد اصطلاحاً:

ورد في تعريف التوحيد عند الجرجاني قوله: "التوحيد هو تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان"³، وقال الشهرستاني: "إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له"⁴، وعرفه أبو بكر الجزائري بقوله: "التوحيد مصدر من وحد الشيء يوحد توحيداً إذا أفرد، ونفى عنه التعدد، والتوحيد في عرف الشرع نفي الكفاء والمثل عن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، ونفي الشريك في ربوبيته وعبادته وَعْبَادَتُهُ"⁵.

¹ - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، (1426هـ-2005م) ج 1، ص: 324.

² - الزبيدي، تاج العروس، مادة (وحد) ج 9، ص: 268.

³ - الجرجاني، معجم التعريفات. ص: 69.

⁴ - أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ، ج 1، ص: 42.

⁵ - أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، مرجع سابق، ص: 85.

ومن خلال التعريفين: اللغوي والاصطلاحي يتبين لنا أن التوحيد مصدر من وَحَد الشيء أي جعله شيئاً واحداً، واصطلاحاً هو نفي الألوهية عما سوى الله تعالى لكونه لا نظير له ولا مثيل له سبحانه، فهو المنفرد بذاته لا يحتاج إلى غيره، ولا يدرك بالخيال، ولا يتصور بالأفهام، متجرد عن كل وصف سبحانه. فالموحد دائماً في انسجام مع نفسه، لا تتوزع طاقاته في عبادة غير الله تعالى، مما يعطي نفسه طمأنينة واستقراراً. ولا تتم شمولية التوحيد إلا من خلال أقسامه الثلاثة: توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

ولذلك اهتم العلماء بهذا الباب "التوحيد"، فهو مفتاح الجنة وأصل الوصول إلى الخالق سبحانه، وهو أساس البناء لتزكية النفس وتطهيرها، وربطها بخالقها، باعتقادها بأنه لا معبود سواه، يقول تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: 164].

المطلب الثاني: التوحيد أساس الإسلام

يعدّ التوحيد أشرف العلوم، ويرتبط بمعرفة الحق سبحانه، وما يجب له من الصفات وما يستحيل عليه، قال تعالى: {اعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد: 19]، وقال سبحانه: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: 18]، ومن أجله بعث الأنبياء والرسول، يقول تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36]، ويقول: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25].

فكل هذه الآيات تقر بوحدانية الخالق سبحانه، بأنه واحد لا شريك له، ولا يستحق العبادة أحد غيره، وهو سرّ عظمة هذا الكون، كما أشار إلى ذلك الغزالي بقوله: "وهو في ذاته واحد لا شريك له، فرد لا مثل له، صمد لا ضدّ له، منفرد لا ندّ له، وأنه واحد قديم لا أول له، أزلي لا بداية له، مستمر الوجود لا آخر له، أبدي لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له، لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال، لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم"¹.

¹ - الغزالي، مجموعة الرسائل، ص: 161.

وقد جاءت سورة الإخلاص جواباً شافياً لكل من يسأل عن الذات الإلهية، ويتجرأ عليها بإثارة الشكوك والأوهام، فلا يتحقق إلا بتعلق القلب به والخضوع التام له، دون النظر إلى غيره، فهذا هو التوحيد الحقيقي " وهو الإيمان بيقين أقرب ما يكون إلى الشهود بوحدانيته سبحانه ، وبصدور كل شيء من يد قدرته، وبأنه لا شريك له في ألوهيته، ولا معين له في ربوبيته، ولا ندّ له في ملكه، إيماناً يهب لصاحبه الاطمئنان الدائم وسكينة القلب... فيفتح شبك نافذ من كل شيء إلى نوره سبحانه (.....)، ذلك هو التوحيد الحقيقي الخالص السامي"¹.

فالتزكية تلازم التوحيد ويتحقق فعلها الإيجابي من خلال استحضار الرقابة الإلهية، والقيام بالواجبات والنهي عن المنكرات، ويحقق الفرد من خلالها مقاصد وغايات عظيمة ترقى بالنفس البشرية بتطهيرها بالتخلية وتربيتها بالتحلية للسعي نحو الإصلاح لتحقيق الطاعة بالتبصر والعمل بكل ما أوجبه الشارع والحرص على اجتناب المحرمات؛ فتوحيد ألوهيته بإفراد العبادة له وحده وأنه لا إله غيره، ولا يتم ذلك إلا بالإخلاص له والمحبة والرجاء والخوف والتوكل والدعاء والإنابة والخضوع وسائر العبادات الأخرى، و"حصر كل ما يشتمل عليه مفهوم العبادة من ضروب التوجه والتوسل والتعبد والاستعانة والدعاء والتبذل في الله سبحانه، فلا أحد سواه يستحق أن يعبد أو يخاف ويرجى فيتوجه إليه بأي نوع من أنواع الدعاء أو التوسل أو التعبد"².

فالله سبحانه رب العالمين، ورب كل شيء ومليكه، وهو وحده المتفرد بالخلق والتدبير والتسيير والإحياء والإماتة، فهو خالق العباد ورازقهم ومطعمهم ومحبيهم ومميتهم. ومن الأدلة التي تدل على ربوبيته سبحانه قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: 2]، وقوله سبحانه: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 54]، وقوله: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الدَّارِيَات: 58].

والإنسان خليفة الله في الأرض، يحقق مقصد التوحيد بأداء حق الله تعالى على عباده، فلا يكون العبد مؤمناً وموحداً حتى يحقق ذلك، بأنه سبحانه هو المالك والموجد لكل شيء، ورب كل شيء، ولا رب سواه، وإله كل شيء ولا إله غيره، والجامع لصفات الكمال، ف" التوحيد الذي نريده في مجال الإيمان إنما هو الحكم اليقيني بوحدانيته تعالى، والعلم اليقيني والإدراك الجازم

¹ -سعيد النورسي، كليات رسائل النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، (1992)، ص: 104.

² -طه جابر العلواني، التوحيد التزكية العمران، ص: 15.

لتلك الوجدانية، ونفي الشريك والشبيه والتد والصد والمساوي والوسيط، وتجريد ذلك اليقين بالوجدانية عما يتصور أو يتوارد في الأفهام، ويتخيل في الأوهام، أو يرد على الأذهان من خواطر منافية، ونسبة سائر صفات الكمال التي تقتضيها الذات الإلهية¹.

إن الإقرار بربوبيته وتوحيد أسمائه وصفاته هي غاية كل وجود؛ لما فيها من الجلال والجمال والتأثير على النفس البشرية والزيادة في الإيمان والتقرب إلى الرحمن والتذوق لمعاني العبودية، فهو سبحانه "متصف بجميع صفات الكمال، ومترّه عن جميع صفات النقص، متفرد بصفاته على جميع المخلوقات"².

وقد أمرنا الحق سبحانه بدعائه بها لقوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف: 180]. وكل ما في الكون يدل على الخالق البارئ المصور بإتقان وإعجاز كما في قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر: 24]. والتدبر في هذه الصفات من كمال العبودية له سبحانه، والتعبد بها من أعظم القربات، فاستشعار اسم الله الرقيب في كل مكان والسَّميع لكل كلام والبصير بكل خفي، المالك لكل شيء على جهة الإطلاق، الغني بذاته عن كل ما سواه، القادر بنفسه، القاهر فوق ما عداه... إلى غير ذلك من الأسماء الجليلة يجعل النفس ترتقي في درجات الاطمئنان حتى تصل إلى نفس مطمئنة متوكلة على الله حق التوكل، ولها اليقين بأنه فرد صمد مترّه عن صفات التحسيم والتعطيل والتحريف، وله الكمال المطلق، وهذا يقتضي إحساسها بالحرية واستشعارها لقيمتها في الوجود.

إن التوحيد هو جوهر الإسلام، وكلمة التقوى والإخلاص، ومنبع النجاة من النار، لقوله صلى الله عليه وسلم: " فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ"³؛ فكانت كلمة لا إله إلا الله نجاة للعبد من النار، وطهارة من الشرك لكل من أخلص عمله لله وعمل صالحاً ابتغاء لوجه الله تعالى، فمن أجلها خلق الخلق وأرسل الرسل؛ فهي أفضل الذكر وطريق التزكية وال عمران وسبيل للخير والفلاح لمن أراد النجاة والدخول إلى جنات النعيم. فإفراده

¹ - العلواني، التوحيد التزكية العمران، ص: 13.

² - المرجع السابق، ص: 29.

³ - صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب: المساجد في البيوت، رقم 425.

بالعبادة حق له عليهم، ويظهر ذلك جلياً في الحديث الشريف الذي رواه معاذ بن جبل في قوله: "كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَهَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَلَّا يُعَذِّبَهُمْ"¹.

فجميع دعوة الأنبياء والرسل تدعو إلى التوحيد منذ خلق آدم عليه السلام، ودعوتهم إلى تثبيت العقيدة في النفوس، وتحقيق وحدانيته سبحانه بأنه لا معبود بحق سواه، وكانت خاتمة رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم متممة لما جاء من قبلها. يقول تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25]. ويستحيل أن توجد أي قوة فاعلة مع الله سبحانه؛ فكل نعمة يتمتع بها الإنسان من سمع وبصر وعقل وفكر ترجع إلى وحدانيته والاعتراف بألوهيته، كما في قوله ﷺ {وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [العنكبوت: 61]، ويقول سبحانه: {وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [العنكبوت: 63] ويقول جل شأنه: {وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [الزحرف: 87].

ويقول عز من قائل: {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87) قُلْ مَنْ يَدِينُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} [المؤمنون: 84 - 89].

لقد رفض التوحيد كل الفلاسفات اليونانية التي تقدّس العقل، وأنكر كل المعتقدات الواهية التي تخالف طريق الحق والصواب، من جحد اليهودية وضلالة النصارى وكلًا من الوثنية والجوسية والصابئة وغيرهم، كما في قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَمَّ يُؤْفَكُونَ} [التوبة: 30]، وقوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا

¹ -متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: اسم الفرس والحمار، رقم: 2856، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم: 30.

وَأَحَدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: 31]، فأدخلوا في الدين أساطير وخرافات أدت إلى تشويبه والعبت بالفكر البشري، ليرسم لنفسه طريقاً مغايراً، غير خاضع للضوابط الدينية والقواعد الإسلامية، مما عرض النفس البشرية للقلق والتشويش والتمزق والضياع؛ وعملوا على تجزئة الصفات الإلهية ويعد ذلك من أكبر الظلم -لحق- الله تعالى الموصوف بالكمال، إذ نجد كثيراً من المحاربين للدين الإسلامي الحقودين على الرسالة السماوية يبعدون الناس عن الفطرة بادعائهم تعدد الإلهة، أو فكرة موت الإله، وأصبح أمراً عادياً في الحضارة الغربية من خلال قولهم "إن الحلول الإلهي يأخذ درجات منتهاها وحدة الوجود، يتجسد (يحل) الإله تماماً في الطبيعة وفي أحداث التاريخ، ويتوحد مع الإنسان ومع مخلوقاته، ويصبح كامناً فيهما، ولكن لحظة وحدة الوجود هي نفسها اللحظة التي يصبح فيها الإله غير متجاوز للمادة، ويتوحد الجوهر الرباني مع الجوهر المادي، ويصبح هناك جوهر واحد، ومن ثم يفقد الإله سمته الأساسية (تجاوزه للطبيعة والتاريخ وتتره عنهما) ويشحب، ثم يموت ويصبح لا وجود له خارج الجوهر المادي"¹.

وادّعت العلمانية أن الدين أفيون الشعوب، وأن الحياة مادة، ولا حاجة للإله، ومن خلال هذه المعتقدات المتجلية في طمس المنكرين لحقيقة التوحيد عاشت البشرية في أزمة روحية، وتمزق واضطراب نفسي وانحيار أخلاقي بقيام الحياة عندها على أساس مادي، وابتعادها عن منهج الروحانيات. وهذا الإنكار لوجود الإله، تولّد عنه إنكار لمركزية الإنسان وقيّمته الروحية والخلقية والجمالية. فإذا كان التوحيد عنواناً مشتركاً في مختلف الأديان؛ لما له من خاصية تميزه عن غيره، وما يتضمنه من الشمولية والكمال والبساطة التي تؤسس للتفكير الإسلامي في النظر إلى الحياة والكون، فوحدانية الله ليست مجرد نفي للشريك أو الولد أو المثل؛ إذ "الجديد الذي أتى به التصور الإسلامي ليس وجود إله، وإنما وحدانية هذا الإله وتفرد، وإحياء المقاومة للوثنية، ولكل صور المؤسسات التقليدية الحائدة عن التوحيد الخالص، في عصر سادت فيه عقيدة التثليث، وتدنت فيه عقيدة التوحيد في الوعي الديني"².

فالتوحيد منهج ربّاني من خلاله حسم ذلك الجدل الذي تمرغت فيه البشرية حول حقيقة الإله وحقيقة العالم المحدث، وسبب ذلك كثيراً من الصراعات والحروب والفتن للبشرية؛

¹ - عبد الوهاب المسيري، العلمانية، مرجع سابق، ج2، ص: 347.

² - إسماعيل الفاروقي، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، ترجمة السيد عمر، مدارات للأبحاث والنشر، دار الكتب المصرية، (ربيع الأول 1435هـ - يناير 2014م)، ص: 44.

فالكون يشهد على وجود الخالق، ويستحيل أن يسير هذا العالم بدون مسير له. ومن تحلى بصفات الإيمان عرف الكثير عن عظمتة سبحانه، "بغير الله لا سبيل إلى يقين في قوانين العقل ولا ثقة بها، ولا سبيل إلى يقين في قوانين العالم وطبيعته، ولا سبيل إلى يقين في واقعيته؛ فالله مصدر اليقين كما هو مصدر الوجود وهو واهب الحق وضامنه، كما أنه خالقه وباريه"¹، فهو سبحانه وتعالى متعال عن كل المخلوقات بما فيها الإنسان والعالم، وقوته فوق الجميع دائمة ومستمرة، عكس الإنسان والطبيعة الخاضعة للتغير والتحول والتلاشي.

فتزكية النفس ترتبط بالتوحيد وتقوم عليه و"أول ما نزكى به أنفسنا ونصلحه وننتبه إليه هو شأن الاعتقاد والإيمان بالحقائق المعقولة، حتى نكون مقرين لله بالربوبية والألوهية وسائر صفاته التي تليق بكماله وجلاله، ولذلك كانت الخطوة الأولى في تزكية النفس هي معرفة العقائد الحقّة، ومعرفة أدلتها والإيمان بها... فلا وجود للتزكية إذا لم تكن مبنية على الاعتقاد الحقّ في الله، فلا تتصور تزكية مع دين غير دين الحق"².

فالتوحيد أساس الإسلام بعدّه قيمة مركزية ضمن منظومة القيم الحاكمة؛ فهو دعوة عامة موجهة للناس كافة، تدعو إلى الوحدة، وقد استجابت الأمة لذلك في أول عهدها فحققت النصّر والتّمكن، وصححت كل ما وقع من تحريف وتزوير، وكل ما حرفته المذاهب والفلسفات من أفكار، وفتحت للبشريّة آفاقاً واسعة أسهمت في تحقيق المعرفة والاقتناع بحقيقة الإله التي ظلت شائكة عند القلوب المريضة المنكرة للحق، وحررت العقل الإنساني من الظلامية، ومن كل قيود الجهل وكل أشكال التفكير السائب والمنحرف، وحاربت الكهنة والدّجالين والوثنية وشركاءها، وكشفت له نور الوجدانية، بنورها التّوحيدي المشرق بالعطاء الرباني، وحررت العلاقة بين الله والإنسان على النحو الذي يحقق معنى العبودية التي تشترك فيها كل الكائنات الحية وكل الموجودات الطبيعية، وحققت مكانة الإنسان عبداً لله ﷻ، وهذا هو الأصل الذي بنيت عليه فطرة الإنسان منذ خلق آدم عليه السلام.

¹ - نظمي لوقا، الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 2003م، ص: 147.

² - معاذ سعيد حوى، "النظر العقلي وأثره في تزكية النفوس" مرجع سابق، ص: 84.

المطلب الثالث: التوحيد من خلال الرؤية المعرفية

يمثل التوحيد الركن الأساس للرؤية المعرفية القرآنية، لما له من أثر عظيم في بناء الشخصية الإنسانية في إطار منهج حضاري وقيم ذات أهداف عالية تنطلق من بدايته في الوجود، ومعرفة دوره في الكون والحياة، لتحريره من قيد العبودية للآخر، وهو منهج جامع بين معرفة القلب والروح، لتكوين شخصية متوازنة راقية مستوعبة للدور الحضاري والبعد الروحي في دعوة العقل إلى التحرر من سلطان الهوى، وفهم مضامين الحياة بأسلوب علمي ورؤية كونية حضارية.

والتوحيد فلسفة في رؤية العالم، وتصور منهاجي في إدراكه وبلورة العلاقة معه، يقول كارين آرمسترونغ: "فنقول إن الله واحد لم يكن مجرد تعريف عددي، بل كان دعوة لجعل الواحد العامل المحرك في حياة المرء والمجتمع"¹. فهو منهج ربّاني من خلاله حسم ذلك "الجدل الذي تمرغت البشرية فيه، ولا تزال، حول حقيقة العالم وحقيقة الخالق، والوصول إلى طبيعة العلاقة بينهما، ولا يزال هذا التخبّط مصدرًا ومنبعًا لكثير من الشرّ والمصائب والصّراعات والحروب ونظرات الاستغلال والدونية بين الشعوب"².

إن التوحيد مفهوم معرفي، يؤطر منهج الحياة، ثماره بناء العقيدة السليمة في النفوس، وتهذيب السلوك، وحل المشاكل والأزمات، وتنوير القلوب، واستنارة العقول، وتفريج الأزمات والهموم والأحزان، وتحسين الأخلاق، وتحقيق مفهوم العدل والمساواة بين الناس، وتأسيس المعرفة، وإنشاء الوحدة، يمثل القيمة الحقيقية للوجود الإنساني. وكل شيء في الكون خاضع بالفطرة لمنظومة الوحدة الإلهية، ولا تتحقق تزيكته إلا بإزالة كل الشكوك حول هذه الحقيقة.

فمبدأ التوحيد يقوم على وحدانية الخالق، ووحدة الكون ونظامه القائم على الانسجام والتوازن؛ فلا تعارض ولا تناقض، يقول تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]، فكل ما خلق مسخر لخدمة الإنسان، وبذلك نهى الحق سبحانه عن الظلم والجور والاستعلاء بين الناس، فقيم التوحيد قائمة على الالتزام بمبادئ العدل والشورى والمساواة في الحقوق والواجبات ومبدأ الحرية وتحقيق الكرامة والإصلاح بين الناس.

¹ - كارين آرمسترونغ، الله والإنسان، ترجمة محمد الجورا، دار الحصاد، دمشق، الطبعة الأولى، 1996م، ص: (159-160).

² - العلواني، التوحيد، التزكية، العمران. ص: 69.

وتوحيد الله عز وجل حقيقة مطلقة يقود إليها التفكير والتأمل والبداهة العقلية، كما في قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3) وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [الرعد: 3، 4]، فالكون كله خلقاً وتدبيراً يشهد بوحدانيته سبحانه، يقول: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ} [غافر: 62]، ويقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة: 21، 22].

ووحدانية الله تستلزم بالضرورة وحدانية ربوبيته وتدبيره، كما في قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } [الأنبياء: 22]، فكانت إرادة الخالق لهذا الكون هي التي تحدد وجود المخلوقات من خلال نظامها وسلوكها ونمط عيشها؛ فوحدة الخلق استلزمت وحدة الكون بخلقه منسجماً ومتكاملاً ومتوازناً لا اضطراب فيه، ولا فساد، ولا تناقض.

فالمعرفة الإسلامية تنبثق من الوحي المبني على وحدة الحقيقة، وأن الله هو مصدر المعرفة، كما أشار إلى ذلك إسماعيل الفاروقي بقوله: "ولباب التوحيد وبوصفه مبدأ المعرفة هو الإقرار بأن الله تعالى هو الحقّ وأنه واحد أحد لا شريك له. ويستبطن هذا الإقرار وجوب رد أمر البتّ في كل خلاف وفي كل شك إليه سبحانه، وبأنه لا دعوى تستعصي على المعايير والبتّ القاطع فيها. فالتوحيد إقرار بأن الحقيقة قابلة لأن تعرف، وأن بوسع الإنسان أن يصل إليها"¹.

وبذاك كان مقصد التوحيد من أهم المقاصد في تركية النفس البشرية، وهو يدعو إلى التأمل والتدبر والتفكير والتحرر من كل العوائق والأهواء والمفاسد والشهوات؛ مما يريح الإنسان من حالات الحيرة والقلق والضلال، انطلاقاً من وحدة الحق وعدم وجود تناقض أو تعارض بين حقائق الواقع، وهذا ما أثبتته الوحي، فقد جاء للهداية والإرشاد والبيان وتوضيح كل ما التبس على البشرية من معتقدات وتصورات وأفكار، يقول تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ

¹ - إسماعيل الفاروقي، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، مرجع سابق، ص: 99.

سَبِيلِهِ { [الأنعام: 153] وتكامل الوحي والعقل هو أساس التوحيد وجوهره، فبالقدّر يدرك الإنسان حقيقة الدّنيا وهدفه فيها، فيكد ويجد ويجهّد في إخلاص العبادة والطاعة لله تعالى، ويحدّد أهدافه وغاياته، جاهداً في التّغيير انطلاقاً من نفسه بإصلاحها وتطهيرها من الرذائل، وتقوم سلوكه وتصويب عقله من خلال منهج الوحي، لأداء مهمة الاستخلاف وتحقيق الأمن والأمان. حيث إنّ "المبادئ المنهجية التي تتفرّع من هذه القيمة المركزيّة (قيمة التّوحيد)، هي مبدأ تكامل الخلق والأمر، مبدأ تكامل الدّنيا والآخرة، ومبدأ تكامل الوحي والعالم، ومبدأ تكامل العقل والحس"¹.

إنّ المنهج القرآني يدعو إلى القراءة الجامعة بين قراءة الوحي وقراءة الكون حتى يكون التّكامل بين القرآن والواقع والإنسان؛ إذ علوم الكون وعلوم الوحي تتكامل معاً لتدل على وجود الخالق، فالعلوم الكونية تمثّل الجانب المادي والعلوم الشرعية تمثّل الجانب الرّوحي. وبذلك شكّلت التّركية مصدراً أساسياً في قيام حضارة العمران والاستخلاف، و"لا يتحقّق هذا التّرقّي الاستخلافي إلا من خلال شحذ الفعاليات المعرفية بالنّظر والبحث والتّحرر من الخرافة والظّن والهوى والفعاليات الإيمانية بالتّركية والتّحلية وبالتّحرر من الجبّ والطاغوت المادي الأرضي وتمحيض الولاء لله وحده، والفعاليات السلوكية بالتّخلق والتّربية بأبعادها الشّاملة، والتّحرر من كل آثار الاستكبار والاستضعاف والفعاليات الإنتاجية"².

فكانت حاجة العبد إلى التّوحيد من الضرورات الأساسيّة التي تقوم عليها الحياة البشريّة لتحقيق السعادة في الدّنيا والآخرة؛ والعجز عن تحقيقه هو سبيل الضياع والخراب، وفشل مهامه، وحصول الخلل في جميع وظائفه، مما يستدعي مراجعة نفسه، وتصحيح عقيدته. و"ليس ثمة شك في أنّ العقيدة الإسلامية تجعل التّوحيد الحقيقة الكبرى في هذا الوجود، وهي حقيقة تستمد قيمتها من ذاتها، وغيرها من الحقائق إنّما يصدر عنها، والكون كله خاضع بالفطرة لمقتضيات التّوحيد، فإذا أراد الإنسان أن ينسجم مع فطرة فلا بد له من أن يتزكّى، ويتوجه إلى الله وحده بالعبادة فهو سبحانه إله النّاس"³.

وبذلك شكّل التّوحيد مصدر المعرفة وأساس التّركية بدعوة العقل إلى استيعاب الوحي واكتشاف الأسباب والسّنن الكونية من خلال الجمع بين العلم والعمل والتّقوى والقيم؛ فالموحد دائماً في توازن وانسجام فلا حيرة ولا شكوك، وما وصل إليه المسلمون اليوم من تخلف ناتج عن إهمالهم لدور العقل، وتشبّثهم بظاهر الوحي الإلهي دون الغوص في مكنوناته، والبحث عن مقاصده.

¹ - عبد الرّزاق بلعقروز، "منظومة القيم العليا"، مراجعة للكتاب، مرجع سابق، ص: 167.

² - عزيز البطيوي، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنند- فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، (1439هـ - 2018)، ص: 204.

³ - ملكاوي، منظومة القيم العليا، ص: 1.

المطلب الرابع: تجليات التوحيد على حياة الفرد والأسرة والمجتمع

التوحيد من المفاهيم الدقيقة والحامة في ميدان الحياة الإنسانية، خلق الإنسان مجبوراً عليه بالفطرة، فهو أساس الإسلام وغاية حياة الإنسان، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الدّاريات: 56]؛ وتحصيل التّركية من خلال التّوحيد مرتبط بإصلاح الفرد خاصة والمجتمع عامة، والسعي إلى الأسباب المحصلة للتّركية لا يتم إلا من خلال الإيمان وفهم كتاب الله وسنة رسوله برؤية واضحة وإيجابية شاملة ومتكاملة مع سنن الكون.

أولاً: تجليات التوحيد على حياة الفرد:

التّوحيد كلمة شاملة لكل معاني القيم لبناء النّفس وتركيتها من خلال ربط علاقتها بخالقها سبحانه، فلا معبود بحق سواه، فهو معراج النّفس وطريقها في عالم السعادة والطمأنينة لتواصل العطاء بجد واجتهاد وتمثل وطاعة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 257]. وتحقق عبادة الفرد للخالق سبحانه من خلال إصلاح القلب وتنويره بمحبته سبحانه والتعلق به وحده دون غيره والتفرد له بكمال الطّاعة والرّجاء والخوف والإنابة والتّوكل عليه سبحانه والاعتصام به والإخلاص له، فلا نجاة إلا من خلال التّعلق والاستعانة به وحده، كما أشار إلى ذلك ابن تيمية من خلال قوله: " فهو الذي يتوكل عليه ويُستعان به، ويُستغاث به، ويُخاف ويُرجى، ويُعبد وتنبى القلوب إليه، لا حول ولا قوة إلا به، ولا ملجأ منه إلا إليه، والقرآن كله يحقق هذا الأصل"¹.

فتوحيد الله عز وجل هو أزكى ما يمكن أن يعتقد العبد بقلبه ليصلح به نفسه؛ فالموحد دائماً منسجم مع نفسه وذاته، ولا يصلح حاله إلا من خلال الإقرار بوحدانيته سبحانه، فهو مستقر الذهن مرتاح البال، في طمأنينة وسلام بأن خالقه مقدر الأرزاق والأقدار، يخافه ويرجو رحمته، ويطلب رضاه وعونه سبحانه، ويعيش في توازن نفسي واطمئنان روحي، فينتصر لنفسه من خلال مجاهدتها وتدريبها على كل مجالات الخير والنفع وحثها على الإصلاح وتجنب كل مواطن الشر، فاستقامة الفرد

¹ - ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، (1419هـ - 1999م)، ج 2، ص: 367.

لا تقتصر على إصلاح الظاهر فقط ، بل إن التزكية تتجلى في إصلاح الباطن الذي هو مناط التغيير، فبقدر ما تزكو النفس تحقق مفهوم العبودية لله تعالى، وتسعى نحو الإصلاح فكرياً وسلوكياً ووعياً واجتهاداً وفق رؤية إيجابية، لتنطلق من الذات إلى بناء المجتمع؛ فالنفس الزكية تستجمع كل الصفات الإيجابية بالعمل الصالح والتقوى لتصل إلى نفس مطمئنة موحدة لخالقها، موقنة بأن الله الواحد هو غاية لكل وجود؛ فلا تنعم إلا برضاه، قال تعالى: { قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ } [الأنعام: 164]، فكان الرضى هو باب الله الأعظم، قال ابن القيم: "فالرضى بإلهيته يتضمن الرضى بمحبته وحده، وخوفه، ورجاءه، والإنابة إليه، والتبذل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه... والرضى بربوبته يتضمن الرضى بتدبيره لعبده، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه، والاستعانة به والثقة به، والاعتماد عليه"¹.

وقال الجنيد: "الرضى هو صحة العلم الواصل إلى القلب، فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضى"². وقد ربط الرسول ﷺ الرضا بالإيمان كما جاء في قوله: "ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا"³.

إن النفس البشرية ناشئة من تكوين الإنسان ذاته، وتتكون من جسد ظاهر وروح تتركى بالفعل الإيجابي، وحينما يتناسق ظاهرها وباطنها تجدها ملبية لشعائر ربها، وعلى هذا لم يقتصر الإسلام في الاتجاه التعبدى على الأقوال فقط كالتنية، بل لا بد من التوجه الروحي، ففي الصلاة مثلاً نجد القيام والركوع والسجود والتسليم... وفي الحج نجد الطواف والسعي والإفاضة... وفي الصوم نجد الإمساك عن المفطرات، ففي كل عبادة حركة، وفي كل حركة عبادة، ليؤلف بين ظاهر النفس وباطنها، وبذلك فالتزكية شاملة للقول والفعل معاً، فلا يكفي العلم بدون عمل. وهذا ما أشار إليه الدكتور عبد الرحمن العضاوي بقوله: إن مقتضيات المعرفة بالتوحيد الإقرار باللسان والعمل بالجوارح والأركان. فلا يكفي العلم ب"لا إله إلا الله" ولا التطقى بها، بل لا بد من العمل بما تتضمنه من وحدة في التصور ووحدة في الغاية ووحدة في الوسيلة التي يبتغى بها وجه الله المعبود"⁴.

¹ - ابن القيم ، مدارج السالكين، ج 1، ص: 534.

² - نفسه، ج 1، ص: 535.

³ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي والكبائر ، رقم 34.

⁴ - عبد الرحمن العضاوي، مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي، مرجع سابق، ص: 60.

فمنطلقات تركية النفس مبنية على مبدأ التوحيد، فهي في بدايتها ونهايتها لا تخرج عن مقام تحقيق العبودية الكاملة لله عز وجل؛ ومن خلاله تصلح النفوس وتستقيم الجوارح ويذوق القلب حلاوة الإيمان. فالمرء لو علم الحلال والحرام؛ فأتى الحلال، وحرص على إتيان الواجبات والمستحبات، والمندوبات، وترك المحرمات والمكروهات، وقام بتوحيد الله عز وجل وعدم إدخال الشرك أو أي شائبة في هذا التوحيد الخالص لله عز وجل؛ فذلك منتهى الطاعة، وسبيل للوصول إلى نفس زكية تسعى إلى تحقيق الاستخلاف والتعمير في الأرض، وهنا نقول: إن تركية النفس تساوي العبودية الكاملة لله عز وجل، وتعد مطلباً أساسياً في تغيير ما بالأنفس لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد:11].

وبتركية النفس تتم تركية الواقع، وبذلك كانت التركية ملازمة للتوحيد في كل سلوكيات الفرد، وهذا ما أشار إليه حسن ملكاوي بقوله: "التوحيد والتركية عملية ارتقاء بالنفس الإنسانية وسمو بها وتطهير للمجتمع الإنساني من ألوان الفساد والانحراف"¹؛ فالتوحيد هو أصل المبادئ والقيم وهو النور للبشرية جمعاء، وكل شيء في الكون خاضع بالفطرة لمنظومة الوحدة الإلهية، وبذلك مثل التوحيد إلى جانب التركية نبراس القيم الحضارية؛ فهو حقيقة مطلقة تريح الإنسان من الحيرة والقلق والاضطراب وتزيل عنه كل الشكوك؛ فتطمئن نفسه وترقى روحه، ويصفو فكره ليصل إلى مجال التفكير والتدبر.

ثانياً: تجليات التوحيد على حياة الأسرة:

تمثل الأسرة اللبنة الأولى في بناء الإنسان والمجتمع، وبقدر تماسكها وترابطها تكون قوة المجتمع، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال استشعار الأسرة مسؤوليتها ودورها في التربية والتوجيه والمراقبة، فهي الحاضنة الأولى لما تقوم به من دور محوري في تكوين شخصية الفرد وفي تشكيل سلوكه. فجل ما يكتسبه الطفل من أخلاق وقيم ناتج عن التربية الأولية، وللأسنوات الأولى في حياة الطفل أثر كبير في تشكيل شخصيته، فتربيته تبدأ منذ ولادته. وتستدعي هذه المرحلة الرحمة والعطف والحنان والاهتمام من كلا الزوجين؛ فإذا أردنا إقامة أسرة حضارية مسلمة فلا بد من البدء أولاً بالفرد من خلال "تكوينه إنساناً صالحاً خيراً لنفسه ولغيره معاً، وهذا يكون بالتعليم والتربية الحرة بتعريفه ما هو خير وما هو شر، ثم بتكوين روح الخير في نفسه ونزع روح الشر منها، وذلك بتنشئته وتربيته من الصغر حتى يتأصل الخير في نفسه، ويتأصل الكره للذائل والشروع في قرارة نفسه، عن علم وبيئة"².

1- ملكاوي، منظومة القيم العليا، ص: 15.

2- مقداد الجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإسلامية، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1983م، ص: 32.

وتحقيق التزكية في الأسر يحتاج إلى تصحيح عقيدة أفرادها وتربية أولادها على التوحيد والفطرة السليمة المبنية على الإيمان، وإلى أن تكون قائمة على مبادئ الاحترام والتعاون والانسجام، "فمعنى الشهادة لله تعالى بالوحدانية هو الإقرار بوجود طاعة مراد الله تعالى وأمره باعتبارها مناط الخير والغاية بالنسبة للإنسان... فلا يمكن أن يقوم التوحيد في الأرض دون الأسرة"¹، مما يحتم على كل من الرجل والمرأة وغيرهما القيام بفريضة العبادة لله تعالى والإخلاص له في الطاعة.

والتزكية جزء من التربية بعدها جوهر التربية الإسلامية. فحياة الفرد رهينة بأسرته وسعادته رهينة بصلاحها؛ والقرآن الكريم نظم ميدان الأسرة بقدر كبير من الأحكام والتشريعات التفصيلية في الزواج والطلاق والرضاع والإرث، وأكد القيم النازمة للعلاقات الفطرية التي تختص بالمشاعر الإنسانية بين أفراد الأسرة من سكن وحب ورحمة ومودة، كما في قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ} [الروم: 22].

وقد اهتم الإسلام بالأسرة منذ تأسيسها انطلاقاً من اختيار الزوجين إلى مسؤولية الأبناء والعلاقات الأبوية، فأمر بالإحسان إلى الوالدين لكونهما أولى الناس بالبر وأجدرهم بالعطف وأحقهم بالعاية والرعاية، فهما سبب الوجود في الحياة، ولهما فضل يفوق الأفضال، ولهما حق التقدير والاحترام، فأوجب الحق سبحانه إكرامهما والإحسان إليهما والدعاء لهما، كما في قوله تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء: 23، 24]، حتى لو كانا غير مسلمين، قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا} [العنكبوت: 8]. وحفاظاً على تزكية النفس وتحسينها من كل زيغ وانحراف وفساد رغب الإسلام في الزواج وعده عبادة يكمل بها المسلم نصف دينه، ويلقى بها ربه على أحسن حال من الطهر والنقاء وجعله من سنن الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً} [الرعد: 38].

¹ - إسماعيل الفاروقي، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، ص: 220.

ودعا إلى تربية الأبناء، فالإسلام يرى أن كل مولود يولد على نضافة الإيمان، و"بإمكان التربية أن تحافظ على سلامة الفطرة وعلى تمكين الذات من وسائل وقائية تساعدنا لتوفير الدواعي الصحية، وبإمكان التربية أن تصنع منه كائنًا موزونًا يمكنه من التوفيق بين الإخلاص لمتطلبات المجموعة، وبإمكانها أن تصنع منه كائنًا لا ينظر إلا لمتطلبات ميوله"¹، مما يتبين معه أن للوالدين دورًا كبيرًا لا يقتصر فقط على توفير المأوى والمأكل والمشرب وغيره، بل لا بد من الرعاية والتهذيب والتوجيه والتربية على الآداب الشرعية كآداب الطعام والشراب والاستئذان والنوم وغيره، وحثهم على مكارم الأخلاق وضبط النفس لكونهما قدوة لأبنائهما.

فالأُسرة بكل أبنائها وبناتها ورجالها ونسائها يشملها خطاب التكليف والتكريم والاستخلاف لتحقيق العدالة والمساواة والإنصاف والتّقوى والورع، وفي العلاقات بين الناس عمومًا والأزواج خصوصًا تحت مبادئه على المودة والرحمة والبر والإحسان، فالأُسرة منوطة بها مجموعة من الوظائف والحقوق والواجبات تنطلق من وعي الضمير، فنجد خطاب إبراهيم عليه السلام يدعو ربه بأن يرزقه الذرية الصالحة، كما في قوله تعالى على لسانه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: 100]، فكانت دعوة الأنبياء لا تقتصر على طلب الذرية فقط بل يطلبون من الله رزق الذرية الصالحة، وذلك يتطلب أولًا اختيار زوجة صالحة موحّدة لخالقها تعرف حقوقها وواجباتها تجاه زوجها وأبنائها، مما يدعو إلى جهد تزكوي من الآباء نحو الأبناء لإنبائهم نباتًا حسنًا، ينشأ في حياتهم، ويستمر بعد مماتهم، كما جاء في الحديث النبوي الشريف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"².

ومن ثمرات التزكية ما جاء في الخطاب القرآني في قصة أم مريم عليها السلام في دعائها لربّها أن يرزقها ذرية صالحة حيث استعازت من الشيطان الرجيم، كما في قوله تعالى على لسانها: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36]، وبُشِّرَتْ مريم عليها السلام بطهر غلامها وتزكيتها قبل ولادته ليرتقي ذلك الفعل التزكوي في الواقع الإنساني، قال

¹ - سامية عرعار، "الالتزام بالسلوك الأخلاقي وقاية من الأمراض النفسية"، دار المنظومة، جامعة عمار الثليجي، العدد 33، دجنبر، 2014م، ص: 15.

² - صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم 1631.

سبحانه: {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} [مريم: 19]، فكان للدعاء أهمية بالغة في تحقيق التزكية؛ فهو من الوسائل الفعالة في رفع الدرجات؛ فالإنسان يكون في دعائه موصولاً بربه، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28].

ومن مظاهر التزكية كذلك التسليم والطاعة، كما في قصة إبراهيم عليه السلام، فالحق سبحانه اتخذ إبراهيم خليلاً، فلما سأل ربه الولد، وهبه له، فتعلقت شعبة من قلبه بمحبة ولده، فأمر بذبح الولد المحبوب (إسماعيل عليه السلام) ليظهر صفاء الخلّة، فكانت النتيجة بالامتثال والطاعة، وتقديم محبة الله تعالى على محبة الولد، قال تعالى: { فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } [الصافات: 102].

ثالثاً : تجليات التوحيد على حياة المجتمع

تعد عقيدة التوحيد أساس وحدة الأمة، فبالتوحيد وُحدت الأمة وصارت كتلة واحدة رغم اختلاف ألسنتها وألوانها؛ فالأمة واحدة وهدفها واحد في كينونتها، ويتعين أن تظل واحدة على الدوام لأن الله واحد، قال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 92]. وقال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون: 52]. وعلى هذا الأساس جمعت كلمة المؤمنين على الوحدة وعدم التفرقة، و"على المؤمنين أن يجعلوا لأنفسهم نقطة ارتكاز وحيدة يلتفون حولها، على هدف واحد يعلو على ما عداه، وقيمة افتتاحية تأسيسية تجمع كل أنشطتهم تحت معنى واحد شامل لها جميعاً، هي عبادة الله تعالى، فالأمة واحدة في كينونتها، ويتعين أن تظل واحدة على الدوام، لأن الله واحد وعبادته واحدة"¹. وبذلك كانت الوحدة من مقاصد الشريعة الإسلامية، وتنبي على عقيدة التوحيد، وجعلها أخوة بين المسلمين تمنحي فيها الفوارق، ويتساوى فيها الجميع، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: 10]، ووصفها الحق سبحانه بأمة الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: 110].

¹ - إسماعيل الفاروقي، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة. ص: 197.

إن القرآن الكريم حرر الإنسان من العبودية ومن اتباع الخرافات والأضاليل، وقرر وحدة الإله، فكل بناء وإصلاح ينطلق من التوحيد، فهو أساس البناء الحضاري للأمة الإسلامية، من خلاله تتوحد الرؤية وقوانين الكون لتبرهن على المجد الإلهي، وعلى أن لهذا الكون خالقاً مبدعاً، فكل شيء فيه متقن بإحكام واتزان، لتستقيم حياة الأمة على نهج الوحدة، وتستقيم النفس البشرية مع فطرتها السليمة في عبادة الخالق، فكان "الميل الفطري إلى عبادة الله الواحد هو الذي يعطي المتدين الحس الذي يلتمس به حقيقة الذات العليا المبدعة لهذا الكون... فالله خلق الإنسان على دين التوحيد وعلى حب الله والإقرار له بالوحدانية والعبودية له وحده لا شريك له في الملك والخلق، وعلى تزكية النفس بما منحهم من نعمة الوحي الذي هو أشرف مقاصد المعرفة، وبنعمة العقل الذي هو أعظم وسيلة لتحصيلها"¹.

وقد أقام الإسلام العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم على روابط متينة من المحبة والإخاء والتعاون، فشبه المؤمنين بالجسد الواحد وذلك قوله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"²؛ وعلى كل القيم صيغ المجتمع المسلم صياغة عجز المصلحون أن يأتوا بمثلها على مدار الزمان؛ فكان أساس وحدة الأمة دينياً وأخلاقياً؛ فاستقلت بذاتها عن جميع الأمم من أهل الكتاب وهم يعيشون في جزيرة العرب وعن اليهود والنصارى وغيرهم.

والإسلام يدعو إلى تحقيق التعايش السلمي بين الشعوب، فالعلاقات الدولية تقوم على أساس التفاهم والتعايش والاحترام المتبادل؛ وقيم حوار الحضارات والأديان مهمة إنسانية ومطلب واقعي بما يتضمنه من اعتراف بالآخر. والحضارة الإسلامية شاملة لجميع الأجناس سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، تخاطب العقل بأسلوب معرفي للتفاهم والتحاور والتعايش، وبذلك ينفرد القرآن الكريم برؤيته السمحة التي شملت الأجناس كافة للبحث عن المشترك الإنساني، ولذلك ف"قيمة التوحيد المتمثلة في شهادة لا إله إلا الله تعني في ما تعنيه أن الهداية الإلهية صالحة للناس جميعاً، وأن الأمة هي قاعدة التجمع الإنساني... ويبقى دستور المجتمع المسلم يحمل رسالة مفتوحة إلى العالم كله للدخول في الإسلام وتوفير الرعاية والتمتع بالسلام، وهكذا فإن هذه الخاصية العالمية لقيمة التوحيد والنظام المفتوح على العالم هو دعوة مفتوحة إلى السلام"³.

¹ - أحمد فرج، مقال في الإنسان والتوحيد، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، (1414هـ - 1993م)، ص: 7.

² - سبق تخريجه.

³ - ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي، مرجع سابق، ص: 260.

فالإسلام ليس دين تعصّب وعنصرية وإنما هو دين سماحة وأخلاق عالية تحت المسلم على الزيادة في الإيمان وتطهير النفس وتزكيتها من الأدناس، ويحث الآخر على السلام والأمن والأمان والترقي في المعاملة بالخير والإحسان والدعوة إلى اللين والحكمة ونبذ كل أنواع التعصب والطغيان؛ فكانت التّركية سلاماً للفرد والمجتمع كافة. ويرى سيد قطب أن الدخول إلى الإسلام وحده كاف لأن يجعل المسلم يدخل في عالم "كله سلم وسلام، عالم كله ثقة واطمئنان، وكله رضا واستقرار، لا حيرة ولا قلق ولا شرود ولا ضلال، سلام مع النفس والضمير، سلام مع العقل والمنطق، سلام مع الناس والأحياء، سلام مع الوجود كله، ومع كل موجود، سلام يرف في السريرة، وسلام يظلل المجتمع، سلام في الأرض وسلام في السماء"¹.

ويتجلى الخلل الذي وقعت فيه الأمة الإسلامية أمة الشهود الحضاري من خلال سوء فهمها للمنهج التّوحيدي وبمعياره السّليم، مما أوقعها في كثير من الانقسامات والصراعات، وهذا ناتج عن عدم الفهم لمقاصد الشريعة، فاسترجاع الأمة الإسلامية عزّها وكرامتها وهويتها الحضارية يحتاج إلى تمسكها بالمنهج القرآني الذي يحقق السلم والأمن والسلام للبشرية جمعاء من خلال النور الذي يشرق في قلوب المؤمنين بالخير والفلاح، وما وصل إليه الأولون من الجيل لأول من تقدم ورفاهية وإيمان صادق وعقل صائب وقلب سليم ناتج عن التّربية القرآنية، ف"قد كان توحيد المسلمين الأولين لله ومعرفتهم به وحبهم له وتوكلهم عليه هو الذي زكّى أنفسهم، وأعلى هممهم، وكملهم بعزة النفس وشدة البأس وإقامة الحق والعدل، ومكنهم من فتح البلاد وسياسة الأمم، وإعتاقها من رق الكهنة والأحبار والرهبان والبوذات، وتحريرهم من ظلم الملوك واستبدادهم وإقامة دعائم الحضارة وإحياء العلوم والفنون الميته وترقيتها فيهم"².

إن التّركية مقصد قرآني في حق الأمة المسلمة، جاءت لترسم منهاج التّربية للأمة الإسلامية، فخطاب التّركية لم يقتصر على الفرد فقط، بل هو خطاب تربوي لعموم الأمة، وجاءت دعوة الأنبياء تحث على عبادة الخالق وتطهير النفوس والمسارة في الخيرات، قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36]، فوحدانية الله تعالى وعبادته أمران متلازمان يترتب عنهما الالتزام "بتعليمات الوحي القرآني في الاتّصاف بالتّقوى وإقامة مجتمع العدل والأخوة الإنسانية وأداء أمانة الاستخلاف وتوظيف طاقاته في إعمار الكون وبناء الحضارات"³.

1- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 1، ص: (298-299).

2- محمد رشيد رضا، الوحي الحمدي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1406 هـ، ص: 199.

3- ملكاوي، منظومة القيم العليا، ص: 23.

فالتقوى الإيمانية تورث الراحة النفسية للإنسان ليكون سيّد الكون، ولذلك أعطاه الخالق المكانة التي تليق به، وفضله على كثير من المخلوقات، فأكرم بالقدرات العقلية والجسميّة والروحية لاستيعاب دوره وواجبه اتجاه الخطاب التكليفي الذي كان عامًّا للناس بدون تمييز بين لون وجنس وعرق ولغة ووظيفة.

إن صياغة الشخصية الإنسانية فردًا أو جماعة على أساس التزكية تنبثق من مبدأ التوحيد الذي يسعى من خلاله المسلم إلى تحقيق التقوى والإحسان بعده أساس طاقات الفرد والأمة، "يطهرهم من شوائب الشرّ والكلالة بما يجعله في حياتهم على درجة عالية من الاقتدار على تحقيق المصلحة التي بها تكون سعادتهم"¹؛ فالتزكية تستجمع كل الفضائل الرفيعة، وكل الأمة مدعوة للامتثال لمنهج القرآن في التربية وتحقيق التزكية في كل جوانب الحياة، بدعوتها إلى التخليّة من كل الصفات القبيحة والتخليّة بالصفات الحميدة التي امتدحها الله تعالى، لينتقل من إنسان التزكية إلى أمة التزكية والخيرية، أمة الشهود الحضاري.

إن دين التوحيد هو أساس وحدة الأمة الإسلامية، ودعوته دعوة إلى المساواة والمحبة والإخاء والإصلاح بين الناس وتأليف القلوب ونزع الحقد والكراهية وغرس الأخلاق الفاضلة بين الناس، وهو من أهم وسائل الإصلاح. ولا يتأتى ذلك إلا من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. والتزكية نابعة من أفق الوحي لما يتوفر عليه من رسائل نورانية تطهر النفوس وتزكيها، فهو هداية للناس وخطاب عالمي شامل للبشرية جمعاء، يتسع لمطلق الزمان والمكان ومعاقل للكون بعده مصدرًا للمعرفة ومنطلق الفكر وأساس المنهج لبناء الروح والفكر والجسد.

رابعاً: التوحيد مبني على القيم والأخلاق

يعد التوحيد الإسلامي شرطاً أساسياً في منظومة القيم الإسلامية، وهو أساس كل مشروع، وقد جاء للإنسانية عامة، ويراعي كل مصالح البشرية، ويدفع الشرور عنها، ويسعى إلى تحقيق إنسانية الإنسان، وتثمين الروابط بين أفراد المجتمع بعده ضرورة اجتماعية وحضارية لا يمكن الاستغناء عنها داخل مجتمع من المجتمعات أو حضارة من الحضارات. وحينما انفكت الروابط بين الأفراد والجماعات احتل نظام التوازن الاجتماعي وانهارت الأمم، وأصبح الإنسان يعيش في عالم كلّ تغيرات على مستوى منظومة القيم والأخلاق، وذلك بفعل تغلغل تيار العولمة داخل المجتمعات

¹ - عبد المجيد النجار، الإيمان بالله وأثره في الحياة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص 16، بتصرف.

البشرية التي تحاول فرض قيم جديدة تحت ذريعة الحرية والمساواة والعدل وحقوق الإنسان. و"الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي خلقه الله لتفعيل تلك القيم وتلك الإرادة بحرية ولوجه الله تعالى. ويتعين عليه من ثم أن يحرك الموجودات، ويعيد تشكيل الطبيعة ليحسّد فيها وبها البعد الأخلاقي، وفق المثال الربّاني الذي عرفه بالوحي الإلهي المنزل، وهو مكلف بإخراج إمكانات الموجودات من حيز الكمون إلى حيز البروز والتحقق، وبقدر نجاحه في هذه المهمة تقاس درجة فلاحه وسعادته الأخلاقية"¹، ولكي نحقق تركية النفس ضمن دائرة منظومة القيم لابد من إعادة الاعتبار للدين الإسلامي بعده المنهج القويم للبشرية جمعاء، والسعي إلى إشراكه في جميع دواليب الحياة انطلاقاً من الأسرة إلى المدرسة والجامعة ...

فالتوحيد هو أساس القيم والمبادئ العليا داخل المنظومة البشرية لإصلاح الإنسان وتكوينه فرداً نافعاً داخل أسرته وخارجها من خلال ربط سلوكه بالواقع، مما يؤثر في استقامته الفردية داخل نظام أخلاقي راق ليعم المجتمع بفكر إيجابي، ويساهم في البناء الحضاري والعمراني. و"التوحيد في الرؤية الإسلامية هو قيمة مركزية، ومصدر للقيم الأخرى، وقاعدة لمضامين هذه القيم في أنظمة الفكر والحياة جميعها"²، فهو جامع لكل القيم الروحية؛ حيث تمثل أهمية بالغة في حياة البشرية، فهي ضرورية للإنسان ضرورية للمجتمع والأمة، وهي اللبنة الأساس في حفظ التماسك الاجتماعي والروحي التي تمد المجتمع والأسرة والحضارة بالحياة، وتحفظ المجتمع من السلوكيات الاجتماعية والأخلاق الفاسدة، مما يجعل منه مجتمعاً قوياً متماسكاً تسود فيه قيم المحبة والرحمة والفضيلة.

لقد كانت القرون الخيرة الأولى متشبثة بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف وبمنظومته القيمية الأخلاقية، واستطاع المسلمون بذلك أن يكونوا حضارة لم يشهد لها مثيل، عرفت رقيّاً معنوياً ومادياً ومعرفياً في كل الميادين والمجالات، فغزت كل الحضارات التي كانت تعاصرها بقوتها وبأخلاقها الحميدة، وقدوتنا في ذلك نبينا محمد ﷺ الذي بعث رحمة للعالمين؛ فقد وصفه الحق ﷻ بقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]، فهو الأسوة الحسنة التي ينبغي أن يتأسى بها أفراد الأمة جميعاً، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: 21]،

¹ - اسماعيل الفاروقي، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، ص: 142.

² - ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي، مرجع سابق، ص: 265.

فعرف بخلق الرحمة ولين الجانب ونفي الغلظة والشدّة وسوء الأخلاق عنه، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159]، فهو رمز التّركية والطهر، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الجمعة: 2]، فزكّى من آمن به واتبعه ليكون مزكّياً للأمة جمعاء، وطهره الحق سبحانه من كل صفة قبيحة، وزكّاه بكل خصلة حميدة، وكل مسلم حذا حذوه في أخلاقه الشريفة إلا أثر ذلك في خلقه وسلوكه ومعاملاته وأقواله وأفعاله.

ويمكن القول إن للتّركية دوراً في حفظ النظام الأخلاقي للإنسان من خلال تفعيل المقصد الإيماني الذي يوجه الفرد والأمة نحو الغاية العظمى، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال ربط التّركية بالفعل، فهي ليست مجرد أقوال مجردة بل سلوكيات تنبثق من الفرد مبنية على التّحلية والتّحلية. وقد عيّب الشّارع على من ادعى القول ولم يسع إلى تطبيقه، كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف: 2، 3]، ونهى عن كل ما حرم الله تعالى من فواحش ومنكرات، قال تعالى: {وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (151) {وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الأنعام: 152-151].

وحينما غابت القيم الإسلامية والأخلاقية عن الواقع عم الفساد فيه قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: 41]، وانتشرت الفتن، وفسدت الأخلاق، واحتلت منظومة القيم الإسلامية. فرغم ما وصلت إليه الحضارة المعاصرة اليوم من ازدهار وتقدم فإننا نجدها في مأزق خطير بسبب إهمالها الجانب الروحي والمعنوي، وتركيزها على الجانب المادي النفعي، وهذا فيه انتكاسة للحياة في واقع لم يعد فيه للإنسان أي ضرورة لحياته الروحية إلا ما يحقق الرّبح والرّقي المادي، وهذه التّركية تصبح زهداً سلبياً وانسحاباً من الحياة العامة إذا لم تتضافر التمثيلات العملية للتوحيد والتّركية في بناء المجتمع وعمرانه الحضاري¹. فتكون تركية سلبية غير نافعة لذات الإنسان، وطاقة مستهلكة فقط من خلال زهداها وعبادتها غير المحكومة بقواعد شرعية، مما يؤثر على الحياة الإنسانية وعلى الفعل الحضاري والبناء العمراني.

¹ - ملكاوي، منظومة القيم العليا، ص: 12.

إن انفصال الدين عن القيم الأخلاقية يحدث خللاً في المنظومة الكونية، و"النتيجة أن كل ما يمكن التوصل إليه هو أخلاقيات برجماتية تأخذ شكل فلسفة القوة والهيمنة للأقوياء وفلسفة الإذعان والتكيف للضعفاء، إذ لا توجد معايير متجاوزة للإنسان، ولا توجد وسيلة لتعريف الظلم والعدل. والحديث عن قمع الإنسان لبعض رغباته وإرجاء تحقيق البعض الآخر مستحيل، فتمثل هذا لا يمكن أن يتم إلا باسم كل متجاوز وفي إطار قصة عظمى، ومن هنا تصبح الرغبة والتعبير عنها معياراً أخلاقياً أساساً، فما يعبر عن الرغبة هو الخير"¹.

وهذا ما سعى إليه الغرب من خلال تأثيراته على الفرد والمجتمع من أجل طمس الحقائق الدينية واستبدالها بمفاهيم مغلوبة تخدم الآخر في توجهه، فصار مفهوم التوحيد والتزكية وال عمران وغيره عند أغلب الناس منفصلاً عن الأخلاق والقيم الدينية، وأصبح التفسير الماديّ النفعي للقيم هو الدافع القيمي الأخلاقي الذي تفسر به كل الظواهر الإنسانية؛ فغابت القيم الإسلامية، وسادت مكانها قيم فردانية انفصلت عن المرجعية الدينية، وأصبح الإنسان من خلالها يعيش حياة مادية وجسداً بلا روح من خلال شعوره بالاستقلالية، مما ساهم في تغييب الكثير من القيم الروحية التي دعت إليها الشريعة الإسلامية.

إن التوحيد هو أساس القيم ومنبعها، والباعث على الإصلاح والبناء بفضل ما يحدثه من أثر إيجابي في حياة الإنسان الفكرية والعملية؛ إذ في رحابه تتشكل مقومات الاستقامة النفسية والعقلية والسلوكية، وبفضل توجيهاته تتكون "الركيزة التّوَّاة التي يتأسس عليها وجوباً أي برنامج إصلاحي في أي مجال كان... ولا نجاح يرتجى لأي إصلاح أو بناء عمراني لا ينطلق من التّوحيد"².

فالشريعة الإسلامية مقصدها وغايتها إصلاح الإنسان للقيام بمهمة الخلافة والتّمكن في الأرض بالعمل الصالح والعلم النّافع، الذين لهما الأثر الكبير في تركية النّفس وإصلاحها، والتّزكية في القرآن الكريم مقصودة في الفرد وفي الأسرة والمجتمع والأمة وغيرها؛ فهي ليست خطاب وعظ، بل مبنية على قيم ومبادئ تطبق في الواقع الإنساني، وتحقيقها واجب على الجميع، فلم يترك القرآن باباً دون تأسيسه ووضع قواعده ونتائجه وحلوله؛ فهو المنبع الرئيس لتأسيس مختلف العلوم والمعارف الإنسانية أو الكونية.

¹ - عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، طبعة 1999م، ج 1، ص: 297 بتصرف.

² - إسماعيل الفاروقي، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، ص: 37.

المبحث الثاني: العلاقة بين واقع النفس وواقع العمران المطلب الأول: العمران في اللغة والاصطلاح

في اللغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس قوله: " العين والميم والراء أصلان صحيحان أحدهما يدل على بقاء وامتداد زمان، والآخر على شيء يعلو من صوت أو غيره، فالأول: العُمُر، وهو الحياة، وهو العُمُر أيضًا، والباب عمارة الأرض يقال: عَمَرَ النَّاسُ الأرضَ عَمَارَةً وهم يعمرونها، وهي عامرة معمورة والاسم والمصدر العمران"¹ فكان العمران منبتًا من الحياة للتعمير في الأرض واستغلال ثرواتها؛ وفي المعجم الوسيط عبر عن العمران بـ "البنيان وما يعمر به البلد، ويحسن حاله بوساطة الفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي ونجم الأعمال والتمدن، يقال: استبحر العمران، والعدل أساس العمران وعلم العمران عند ابن خلدون علم الاجتماع"². ومن خلال التعريف اللغوي فالعمران ملازم للحضارة والتشييد والبناء والابتكار والتطور في جميع المجالات سواء الفلاحة أو الصناعة أو التجارة.

وفي الاصطلاح:

ومن الاشتقاق اللغوي انبثق المعنى الاصطلاحي؛ ففي المفردات يقول الراغب: "والعمارة: نقيض الخراب يقال عمر أرضه: يعمرها عمارة. وقوله تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة: 18]، إما من العمارة التي هي حفظ البناء أو من العُمرة - بضم العين وسكون الميم - التي هي الزيادة"³؛ فيعبر العمران بالاجتماع الإنساني من خلال التواصل والتآلف والتعارف والانسجام والتدارس والتذاكر؛ وتلك هي الفطرة التي خلق عليها الإنسان التعمير في الأرض وحمل الأمانة، وتلك سمات المجتمع العمراني المبني على الترابط والتلاحم ف" لا يكون اجتماعًا حقيقيًا إلا إذا اتسم بالتواصل والترابط والتعاون والائتلاف، واتسم كذلك بالسمو والترفع عن سفاسف الأمور ودنيئتها، وكل ما يؤدي إلى خراب الأرض

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (عمر) ص: 607.

² - إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، (مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، (1425-2004)، ص: 627.

³ - الراغب، المفردات، مادة (عمر)، ص: 586-587.

والإفساد فيها، فإن العمران بناء وتشديد وصيانة وحفظ وحسن تدير¹. فالعمران يحمل معاني عميقة ودلالات مختلفة تدرج في إطار المصالح الشرعية وتحقيق الاستخلاف كما أشار إلى ذلك إبراهيم البيومي بقوله: "والعمران يعني: الحرية والعدل والرخاء والأمن، أو هو كل ما يعمر الحياة، ويبني البلد، أو المحلة أو الوطن، وكل ما يوفر ضروريات الحياة وحاجياتها"².

ومن خلال المعاني اللغوية والاصطلاحية نستخلص أن العمران نقيض الخراب والفساد والتدمير في الكون فالإنسان مدعو إلى التعمير والإسكان والعمل والإنتاج، وهو مأجور على فعله بعده عبادة لله تعالى؛ فكل ما يقوم به من زرع وحرث وأداء وبناء مساجد لتعميرها بالذكر والصلاة والقربات طاعة الله تعالى؛ يهدف إلى خلق السكينة والاستقرار لتعمر الحياة بالعلم والمعرفة وتحقيق الاستخلاف في الأرض؛ فالعمران مرتبط بالاستقرار وتحقيق الأمن والأمان، وتعمير الخير والصالح والسعي في الأرض وإحيائها على كل ما هو إيجابي وترك الطغيان والإفساد فيها لقوله تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [الأعراف: 56].

المطلب الثاني: العمران في القرآن الكريم

وردت مادة "عمر" في القرآن الكريم بما يفيد التعمير والإسكان، وتعبّر عن الإقامة والاستقرار، وبناء المساكن واستثمار الأراضي كما في قوله تعالى: {وَأَثَرُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا} [الرّوم: 9].

والعمرة: الزيارة التي فيها عمارة المساجد وبناءها، يقول تعالى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ} (17) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (18) أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [التوبة: 17-19].

¹ - عبد الله طاهيري، الإنسان والعمران من خلال قصص القرآن، دار الكلمة، المغرب، الطبعة الأولى، 2018م، ص: (109-110).

² - إبراهيم البيومي غانم، "مقصد حفظ العمران في الآداب والأحكام السلطانية والسياسة الشرعية"، سلسلة المؤتمرات، الدين والحضارة حفظ العمران مقصد شرعي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ص: 163.

وجاءت بلفظ "البيت المعمور" في قوله تعالى: {وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ} [الطور: 1 - 4] وبالزمن في قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ} [النحل: 70].

وبالعمر في قوله تعالى: {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ} [فاطر: 11]، وفي سورة الأنبياء {بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ} [الأنبياء: 44]، {يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ} [البقرة: 96]، {وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ} [يس: 68]، {وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ} [القصص: 45]، {وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} [الشعراء: 18].

وجاءت بمعنى الحياة في قوله تعالى: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الحجر: 72]، وعبر عن الإعمار بالاستخلاف كما في قوله تعالى: {وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: 61].

ومن خلال الآيات القرآنية، فالعمران جاء بصيغ متعددة ومتنوعة، تمثل حقلاً دلالياً معرفياً يشمل المستويات العلمية والثقافية والفكرية والحضارية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فعنصر العمران يشمل الإنسان والزمان والمكان، وشريعة الله تعالى وضعت لتأسيس حضارة عمرانية كما في قوله تعالى في دعوة إبراهيم: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [إبراهيم: 37]. وقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [البقرة: 126]. مما يدل على أن للعمران من خلال قصة إبراهيم عليه السلام مقومات أساسية، فهو يستوعب المكان الذي مثل بالبيت الحرام مع استشعار العبودية انطلاقاً من القيام بالشعائر التعبديّة لتعم القيم والفضائل الإنسانية التي يجب التسلح بها لإنشاء عمران شامل للبعد المادّي والمعنوي من خلال رحلة الإنسان فوق الأرض وما يقوم به من اختراعات واكتشافات تستوجب طاقات فكرية حيوية إبداعية تشتغل على البحث العلمي وكل المجالات الثقافية لتكوين حضارة عمرانية من خلال ربطها بالقيم العليا الحاكمة .

وأشار القرآن الكريم إلى سيطرة الأقوام السّالفة بالطّغيان المادي في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ} [الفجر: 6 - 10]؛ وقوله تعالى: {وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً} [فصلت: 15].

ومن خلال هذه الآية القرآنيّة التي تبين أن استكبار الأقوام حائل إلى زوال ومنافٍ لفعل العمران مادام منفصلاً عن القيم والمبادئ الأساسيّة للاستيعاب الحضاري بالمنظور الشرعي الإسلامي، فالتهوؤ الحقيقي مرتبط بشرط الإيمان ومنبثق من خلال الإصلاح في الأرض والسّعي نحو تحقيق مبدأ الاستخلاف والتّعمير وعدم الإفساد والتّخريب، لينال الإنسان كرامته وشرفه بالعمل الصّالح والامتثال للأوامر واجتناب النّواهي، فالعمران يقوم على تزكية النّفس من خلال الرؤية الكونية الحضارية من خلال التّبصر في آيات الكون والآفاق والأنفس. .

ومن خلال تعريف العمران في القرآن يتبيّن لنا أن:

- العمران مرتبط بالاستقرار والإقامة والتّعمير والبناء والتّشيد؛ إذ خلق الله للإنسان كلّ ما يحتاجه من أكل وشرب ونعم وخيرات وكلّ شروط العيش، لتحقيق مكتسباته وغاياته وبناء حضارته، لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [المالك: 15].

- العمران مقصد من مقاصد القرآن الحضارية، يقوم على حقيقة إبداعية، وهو دعوة عالمية للنّاس كافة، مرتبط بالحياة العمرية للإنسان منذ ولادته إلى آخر حياته، وما بين الفترتين يشمل الزّمن والمكان وكل ما قدمه من أعمال، يقول تعالى: {وَإِلَى ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: 61].

- العمران شامل لمعناه (المادي والمعنوي) يقوم على منهج معرفي متوازن ومتكامل، لبناء عمارة الأرض وحضارتها، ومبني على القيم والوعي الحضاري، الدّاعي للإصلاح من خلال استيعاب متطلبات الواقع وآليات التّنزيل العملي لتحقيق حياة طيبة. يقول تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: 97].

فمفهوم العمران مرتبط باستخلاف الإنسان في الأرض وطلب تعميرها لقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ} [الأنعام: 165]، وقوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ

فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [يونس: 14]؛ فترشيحه للخلافة تكليف وتشريف بتحمل الأمانة، ونشر العدل والصّلاح؛ وتحقيق العبوديّة خالصة لله تعالى، بالاعتراف بأنّ كلّ ما في الكون هو من خلق صانع حكيم متقن، وهذه الأدلّة والبراهين واضحة الدلالة لأصحاب العقول والألباب حيث خاطبها الله ﷻ بقوله: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 190]. وقال: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} [فصلت: 53]، وآيات كثيرة أخرى تلفت نظر الإنسان إلى أنّ كلّ ما في الوجود من تنظيم وتنسيق دقيق ومحكم دليل على عناية الخالق بهذا الكون الفسيح، وتوحي بدور الإنسان من خلال فعل التّزكية والعمران لتحقيق الفعل الحضاري من خلال الوعي بسنن القوانين الإلهية والكونية.

المطلب الثالث: العمران عند ابن خلدون (ت 808)

اهتم ابن خلدون بعلم العمران البشري، وعدّه حاجة فطرية لا يصح وجوده إلا بها، وربطه بعلم الاجتماع، ولفهم طبيعة العمران لا بد من فهم قوانين الاجتماع وسننها، وأصل العمران الانتقال من مرحلة البداوة إلى التّحضر، وبيّن الأسباب المؤدية لفساد الحضارة المتمثلة في جانب التّرف الذي هو مظهر من مظاهر العمران المؤدية إلى فساد بقوله: "إن غاية العمران هي الحضارة والتّرف، وأنه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد، وأخذ في الهرم كالأعمار الطّبيعية للحيوانات، بل نقول إن الأخلاق الحاصلة من الحضارة والتّرف هي عين الفساد"¹؛ فيشير ابن خلدون إلى أنّ كلّ حضارة لها مجدها وعزها تزهر وتنهار من خلال التزام الأمة بفعل الشّروط الحضاري، وأنّ كلّ تحضر بلغ أوجه يعقبه فساد، فالحضارة تتأسس على مقومات سليمة وعلى أساس معرفي يتوافق مع القوانين والسنن الكونية في الحفاظ على ذلك لأنه من الأسباب المهلكة للحضارة، فكلما حصل التّرف والإسراف عم الفساد والفوضى.

ركز ابن خلدون على أنّ التّواصل شرط للعمران؛ إذ إن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع العيش وحده، بل لا بد له من يحاوره في جنسه، يحقق العمران من خلال أعماله بالواقع الذي

¹ - ايف لا كسوت، العلامة ابن خلدون، دار الفرائي، بيروت، الطبعة الثانية، 1982م، ص: 190.

يعيش فيه، يرصد أهدافه وغاياته وينمي مكتسباته وخبراته ويطور معارفه في جميع المجالات. وهذا ما تسعى إليه البشرية عن طريق الاجتهاد حيث أشار طه جابر العلواني إلى أن " الإنسان مدني بطبعه، لم يخلق ليحيا وحيداً، فوحدته الصغرى ليست الفرد بل الأسرة، ووحدته الكبرى الإنسانية لا القبيلة ولا القوم، وبين الوحدتين الصغرى والكبرى تبني شعوب وقبائل ومجتمعات وأمم لتحقيق التعارف، فالتآلف، فالتعاون باتجاه تحقيق آية العمران، وقبلها لا بد أن يتحقق بالعبادة انطلاقاً من التوحيد لتحقيق التزكية"¹.

ولا تغيب العلاقة بين العمران والحياة في تحليلات ابن خلدون، في حياة الأفراد والمجتمعات وحياة الدول، فهو " يتحدث عن أركان ثلاثة للعمران البشري على هذه الأرض: الركن الأول: هو تقوى الله، وهو حياة للقلب بتزكية النفس من الأهواء والشهوات، والركن الثاني: هو السعي في الرزق، وفيه حياة المجتمع بالتعاون والتكافل والتكامل، لأن الإنسان لا يستطيع بمفرده أن يستجمع متطلبات المعيشة والأمن. أما الركن الثالث: فهو العدل في الحكم، وهو حياة الدول بالعصبة واستجماع متطلبات السلطان"².

وتعدّ هذه الأركان أساساً في العمران كما ذكرها ابن خلدون حيث ربط بين الجانب المادي والروحي لتأسيس حضارة إسلامية تقوم على مبدأ التوحيد وتحقق التقوى وتزكية النفس من الأهواء والشبهات، وتحسين الأخلاق وتزكيتها بالأعمال الصالحة والخشية والمراقبة لله تعالى، وهو أساس العمران المنبثق من المنهج الإسلامي المتشعب بالإيمان.

وهذا ما حرص عليه النبي ﷺ في حياته، وهو تزكية النفس وتقويتها وتطهيرها من برائن الشرك والهوى، ونشر الأمن والسلام والود والتسامح والمحبة والإخاء الإنساني، وفي هذا كله تحليلات للبعد الحضاري الذي أقام دولة كبرى، ونسج تشريعاً خصباً، وهياً الشروط لقيام حضارة إسلامية متميزة، ورائدة تركز إلى الحكم العادل، وتقوم على الاجتهاد، وتنبذ كل أشكال التعصب والتزمت والانغلاق، فحقق بذلك دولة إسلامية ذات عمران حضاري مزدهر في جميع المجالات.

وتحقيق العدل شرط أساسي في البناء العمراني، وقد كان أساس الحكم في الإسلام يرتبط بمقصد العدل، فهو روح السياسة الشرعية، فالعدل والعدالة شرطان لكل ولاية تسعى إلى تحقيق الأمن

¹ - طه جابر العلواني، نحو الاجتهاد والتجديد: مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية، دار التنوير، الطبعة الأولى، (2008م)، ص: 179.

² - طه جابر العلواني، التوحيد- التزكية- العمران، ص: 152.

والاستقرار وتتطلب شرطي: القوة والأمانة كما أشار إلى ذلك ابن تيمية بقوله: "القوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام"¹.

فالعمران الحضاري يتطلب حضوراً حيويّاً للأمة، وتحقيقها لمبدأ الاستخلاف في الأرض، وتزليل الحكم على الواقع، وتشبيها بالعدل والحرية، لتحقيق المقصد الحضاري في نهضتها، فشهودها ووسطيتها هما شرطان ضروريان لتحقيق التقدم، ونجاحها يتطلب تحريك جميع الطاقات والقوى، من أجل الإصلاح والإصلاح في الأرض فتكون بذلك "السلطة ضرورية لانتظام الدنيا، وانتظام الدنيا ضروري لانتظام الدين، وانتظام الدين ضروري لتحقيق السعادة في الآخرة"².

فمقياس الحضارة الإسلامية يقوم على المزاجية والربط بين الإيمان والعمل الصالح؛ إذ الطبيعة البشرية لها حاجات مادية وحاجات روحية، والعقل هو الذي يسعى إلى قانون الموازنة بينهما، وهذا ما فقدناه اليوم في عصرنا الحالي حيث أن اقتصار مفهوم العمران على جانب وإهمال الآخر أسهم في أزمة التهوض الحضاري والانبعاث الكوني؛ فعبقرية ابن خلدون "علمتنا الجمع بين الرؤيتين، وأن الرؤية الأولى متضمنة في الرؤية الثانية، وأن قيام الحضارة والعمران البشري يتطلب بالضرورة فقه السنن والتواميس والقوانين التي تسير الطبائع البشرية وتحكم الوقائع العملية، لتحقيق التكامل والتوازن بين الحاجات المادية والحاجات الروحية للإنسان، بصورة يمكنها أن تنقذ الحضارة البشرية المعاصرة من أزمتها المستحكمة، ومن المصير الذي تتجه إليه في غياب هذا التوازن"³.

ومن خلال كتابات ابن خلدون نجده عالٍ مجموعة من المحاور المتعلقة بالحضارة، والتاريخ والعمران البشري وعلم الاجتماع المرتبطة بالحياة الإنسانية؛ فلا يمكن فهم طبيعة العمران دون فهم قوانين الاجتماع الإنساني، والتعرف إلى طبائعه وأحواله وتقلباته الساعية أحياناً إلى الخير والمتقلبة أحياناً إلى الشر والإثم والعدوان، وفلسفته تدعو إلى إعمال العقل والإبداع وتطوير المعارف والمكتسبات وربطها بالقيم الإسلامية لتكوين مجتمع متماسك تسوده الأخوة والمحبة والتكافل الاجتماعي لتحقيق بيئة اجتماعية إيجابية متماسكة تسعى إلى البناء العمراني الحضاري.

¹ - ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، راجعه محمد عبد الله السمان، مكتبة الرياض الحديثة- الرياض ص: 13.

² - الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص: 325.

³ - ملكاوي، منظومة القيم، مرجع سابق، ص: 155.

المطلب الرابع: أسس ومقومات العمران

يرتبط العمران بشروط وضوابط ومقاصد وأحكام وغايات، فكما شرع الله حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال، فقد أوجب حفظ هذا الكون من الإتلاف والإفساد، ودعا إلى اكتشاف أسرارهِ والمحافظة على جماله، وعدم تخريبهِ والإخلال بتوازنهِ؛ إذ يمثل ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية التي لا استغناء عنها، يتطلب منا التفكير والإبداع والاختراع والاستنتاج والتركيب والتحليل للوصول إلى الأهداف والنتائج، فالعمران الإسلامي هو عمران تواصل مع الناس كافة يخصّ الفرد والأسرة والمجتمع، يحقق الخير للإنسانية، ومرتبطة بسنن وقوانين خاضعة للمنهج الرباني، فما أسس العمران ومقوماته؟

أولاً: العمران مقصد من مقاصد القرآن الكريم

يعدّ العمران مقصداً من مقاصد تحقيق العبوديّة لله ﷻ وتنفيذ أوامره وتطبيق أحكامه وإقامة مجتمع مبني على العدل والمساواة وممارسة الخلافة في الأرض من خلال التعظيم للخالق ﷻ والامتثال والخضوع له وطاعته ومحبته ومعرفة صفاته واستثمار خيراته، وكلّ ما سخره له في خدمته يقتضي التقرب لله تعالى من خلال منهاج العبادة؛ فمقاصد القرآن هي الغايات التي خلق من أجلها الإنسان المتجلية في جلب المصالح ودرء المفاسد؛ إذ "القصد العام من نزول القرآن هو هداية الخلق وإصلاح البشريّة وعمارة الأرض، وطريقته لذلك هي التّربية بالحكمة والتعليم بالإرشاد لمصادر المعرفة فهو يدعو قبل كلّ شيء إلى توحيد الله ﷻ والاعتقاد في ألوهيته، ويصلح كلّ ما فسد من عقائد الدّين، وينفي كلّ تحريف وقع في شرائع الأنبياء"¹.

فالمقصد القرآني من العمران تحدث عنه كثير من الآيات القرآنيّة التي تبين سنن الله المتعددة في الكون وتدفع الإنسان للبحث والتنقيب وبذل الجهد واستثمار ما وجد في الطّبيعة، إذ إن علاقته قائمة ومتصلة بها، فوجوده منسجم مع الكون، قال تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت: 11]؛ فالأرض ما جهزت إلا ليعمرها الإنسان بما يصلح لهما معاً؛ إذ إنّها وضعت ليست فقط للأنام بل لينتفعوا بها بصلاحهم وإصلاحهم، قال تعالى: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} [ق: 7 - 8].

¹ - علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، 1993م، ص: 88.

فعللاقة الإنسان بالطبيعة قائمة ومتصلة، يشتركان في وحدة العناصر كما في قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} [الروم: 20]، وقوله تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} [طه: 55]، وقوله: {قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} [الأعراف: 25]؛ وأنه هو السيد والمسير لها والمستخلف فيها لقوله تعالى: {لَيْسَتْخْلِفْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [النور: 55]؛ وأشار إلى نسبة التزاوج بين الكائنات بقوله: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات: 49] وجعل عنصر الماء أساس الحياة بقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} [الأنبياء: 30].

ومن خلال هذه الآيات الواضحات؛ دعا القرآن إلى استثمار الطبيعة والانتفاع بها، واكتشاف مكنوناتها وخيراتها والقوانين المادية المسيرة لها، فهو عمران مفتوح لكل الناس للقراءة والتأمل والتدبر والاستنباط والاستكشاف والاجتهاد والاختراع والتعليل وعليه ف"الرؤية القرآنية الكونية لا تفصل بين الإنسان والكون، بما أنهما خلقا ليتفاعلا ليسهل تفاعلهما من منظومة أشمل، ولذلك جعل الله وجود الإنسان متداخلا مع وجود الكون، فلا يكون الكون موجودا إلا بوجود الإنسان فيه، وهما لا يتفاعلان فحسب، ولكنهما يعتمدان على بعضهما بعضا في تحقيق وجودهما التعبدى المستقيم، يشتركان في العبودية كهدف مشترك بينهما، وكرافد قوي لاستقامة وجودهما، ومتى انعدم المشترك التعبدى، وحل محله التأله الإنسانى على الأرض، قوي الوهم بالفرح والسعادة في صفوف الدنيويين"¹.

فالعلاقة بين الإنسان والكون ليست علاقة عبثية، وإنما هي علاقة انسجام وتناسق، فجمال الكون مرتبط بوجود الإنسان، والكل خاضع لعظمة الخالق ﷻ لقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ} [الحج: 18]؛ وقوله: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الإسراء: 44]، فكل ما في الكون

¹ - مسفر بن علي القحطاني، "سؤال التسخير الكوني للإنسان: رؤية مقاصدية"، سلسلة ندوات علمية بعنوان: مقاصد الشريعة والسياق الكوني المعاصر، الرابطة الحمديّة للعلماء، مطبعة المعارف الجديدة- الرباط، الطبعة الأولى، (1434هـ-2013)، ص: (440-443).

خاضع لعبادة الخالق ﷻ وكل واحد يسبح بطريقته، فبقدر ما يحصل الانسجام بين النفس والطبيعة تحصل الاستجابة بتطبيق أوامره ﷻ واجتناب نواهيه، فالغاية القرآنية تتجلى في مخاطبة النفس البشرية لتنسجم مع قوانين الكون للبناء والتعمير ونشر الخير والنفع، وعلى هذا فالمقصد القرآني في العمران الاستخلافي قائم على "حقيقة إبداعية قرآنية، وتوجه في جميع مناحيه بتوجيه قرآني، واصطبغ في روحه العامة ومظاهره الواقعية بصبغة التوحيد، وإذا هو عمران عرض نفسه على الناس ليستفيدوا منه، وأقام مع بني الإنسان جميع علاقات التعارف المبنية على العدل وإرادة الخير، فهو عمران سعى في الأرض باستثمار خيراتها وتوظيفها لمصلحة الإنسان مع المحافظة عليها من الفساد"¹.

فالعمران له مقومات ضبطها القرآن الكريم من خلال ارتباطه بالقيم العليا من التوحيد والتزكية ليجمع بين العالم المادي والروحي، من خلال تجربة الإنسان فوق الأرض ورحلته في استكشاف السنن الإلهية الكونية والقوانين المنظمة لها؛ فالكون كله متوازن ومتماسك ومتربط وخاضع لحكمة خالقه، وكل آية تدل على وجوده ﷻ لقوله تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: 2]؛ فاستخلاف الإنسان يتحقق من خلال اكتشاف آليات الوحي وتزليلها في الواقع والمساهمة في إصلاح المجتمع وبنائه العمراني وتطهيره من كل الفساد والانحراف ليعبر عن قيمته وتكريمه من خلال الامتثال للأوامر واجتناب النواهي وتخلقه بأخلاق القرآن الرفيعة، فهو كتاب كوني منفتح على العلوم والمعارف الإنسانية؛ فلا يخضع لتقلبات الزمان والمكان، وهو المخرج لكل الأزمات الإنسانية وهو طريق الحق والصواب والفوز والفلاح، فمشكل الأمة أنها وقفت عند حدود النص ولم تستكشف أغواره وخباياه لكي تنهض برؤية استشرافية بناءة لمسايرة الواقع، فكانت العبرة من النصوص المقاصد والمعاني لا الاختصار على الألفاظ والمباني.

إن القرآن الكريم شامل وليس جزئياً، مستوعب للواقع ولحدود الزمان والمكان والإسلام دعوته شاملة للناس عامة كما في قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف: 158] وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة: 33].

¹ - عبد المجيد النجار، مقاصد القرآن في البناء العمراني، إسلامية المعرفة، السنة 23، العدد 89، صيف، (1438هـ - 2017م)، ص: 76.

فالخطاب عام للبشرية جمعاء مما يدل على أن الرسالة المحمدية رسالة عالمية كونية تعالج شؤون الحياة البشرية ومختلف القضايا في كل المجالات المعرفية والعمرانية، وذلك بعد القرآن الكريم معادلاً موضوعياً للكون ليشمل الناس جميعاً؛ فعلى البشرية أن تستوعب المنهج حتى تتمكن من "تعديل مسارها العلمي باستعادة المعطيات العلمية المنهجية، وإعادة بنائها كونياً، بعد أن تستوعب "المنهجية العلمية" التي تولت ضبط العقل الموضوعي بقواعدها، ثم يتجاوزها باتجاه "المنهجية الكونية" التي تستطيع أن تتعالى على "النسبية الاحتمالية" و"فلسفة العلوم الطبيعية"، وتشدهما إلى آفاقها الرحبة الواسعة المستمدة من الكتاب الكوني الذي يعيد حضور الأبعاد الغائبة عن الدوائر العلمية والمعرفية المعاصرة إليها"¹.

فلا تتحقق الرؤية الحضارية الكونية القرآنية إلا بالعودة إلى القرآن الكريم والتدبر فيه بعده كتاباً منزلاً من عند الخالق، فيه الدواء الشافي لكل الأمراض وكل الآلام البشرية؛ فهو المرجع لآيات الكون؛ فلا تحقق خلافة الإنسان إلا من خلال توحيده ﷻ وتطهير نفسه وتركيبتها من أوساخها وتربيتها على مكارم الأخلاق، وتقويم السلوك والعمل على الإصلاح في الأرض وعدم الإفساد لتحقيق الشهود الحضاري والبناء العمراني.

وقد أشار طه جابر العلواني إلى أهمية القرآن الكريم وكيفية اكتساب السلوك الحضاري والأخلاقي من خلاله لتحقيق العمران بقوله: "فالقرآن المجيد —وهو يدعونا للنظر في الخلق والطبيعة— لا يرشح نفسه مصدرًا للعلم الطبيعي، ولكنه يوجه إلى ذلك للأخذ بيد الإنسان للوصول إلى معرفة الخالق وإدراك وحدانيته، واليقين باتصافه بكل صفات الكمال، وتزهره عن كل صفات النقصان، وفي ذلك كله بناء لطاقت الإنسان الإدراكية وقابلياته العقلية والفكرية، واستعداداته المعرفية، وتحريك لسائر قوى الوعي فيه، وتأهيله للمهام الكبرى التي أوكلت إليه، وإذا كان الوحي يعينه على تحقيق التزكية بكونها ذات أولوية كبرى بعد التوحيد وبه ومعه، فإن النظر في الخلق والطبيعة يعينه على كسب الأهلية لتحقيق العمران، والنظر في الخلق والطبيعة، وهي مسخرة خاضعة لله تعالى"².

¹ - طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآني، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، (1431هـ-2010م)، ص: (80-81).

² - طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، (1427هـ-2006م)، ص: 44.

فالعمران مقصد أساس في حياة البشريّة من خلال تعمير العمر في طاعته ﷻ والتدبر في ملكوته، وهذا ما غفل عنه كثير من الناس كما في قوله تعالى: {أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} [الرّوم: 8]؛ وهذه دعوة العقل إلى التّفكر والتّدبر والتّعقل والتّبصر والاعتبار، من خلال الرؤية التّوحيدية القرآنيّة التي ترقى بالإنسان للإصلاح في الكون وعدم الإفساد، وهو المقصد العام للشرعية الإسلاميّة؛ فالقرآن الكريم كتاب معادل موضوعي للكون، متفاعل معه لاستيعابه منهج الشّمولية والعالمية فهو صالح لكل زمان ومكان، وهذا ما أشار إليه الحاج حمد بإعادة النّظر في قراءة القرآن الكريم برؤية جامعة بين الوحي والواقع ودعوة الإنسان إلى التخلق بأخلاق القرآن للقيام بمهمة الاستخلاف والتعمير في الأرض بقوله: "القرآن هو للناس كافة ويتسع لمطلق الزّمان والمكان جاء حاملاً للصيرورة الكونية كلها ومعادلاً بالوعي للوجود الكوني"¹.

فالعمران الحضاري الرّاقى لا يمكن استيعابه إلا من خلال تحقيق مقاصد القرآن وفهم مقاصد الشريعة والغاية منها، كما أشار إلى ذلك علال الفاسي بقوله: "المقصد العام للشرعية الإسلاميّة هو عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها، وصلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح في الأرض واستنباط خيراتها وتدبير لمنافع الجميع"²؛ فعمارة الأرض تعدّ من أعظم مقاصد التشريع لما تحقّقه من غايات من خلال علاقة الإنسان بالكون وتسخير ما حوله من طبيعة وكائنات وما جبل عليه من حب التّملك والتّنافس، ولا يصلح لعمارته إلا من خلال الوحي، وقد عدّت مقاصد القرآن هي الغاية والهدف الأسمى للعبادة من خلال مزجها بالواقع العملي في فهم الذات وانفتاحها على الواقع وخلق مهارات وقدرات للإنتاج الفكري والإبداع العمراني لإنشاء حضارة قرآنيّة عمرانيّة تحمل أمانة الاستخلاف والانبثاق الحضاري والعمراني.

¹ - محمد أبو القاسم حاج حمد، إستمولوجية المعرفة الكونية، دار الهادي، بيروت، الطّبعة الأولى، 2004م، ص: 210.

² - علال الفاسي، مقاصد الشريعة، ص: (45-46).

ثانيا: الايمان والعمل الصالح

الإيمان اسم شامل لجميع الطاعات لا يقتصر على الأقوال فقط، بل يشمل القول والعمل، يدفع الفرد إلى الشعور بالطمأنينة والراحة النفسية ويطرد عنه مشاعر الخوف والقلق والاضطراب. كقوله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } [الحجرات: 15] وقوله ﷺ في حديث عبد القيس: آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الْإِيمَانَ بِاللَّهِ هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَصَوْمَ رَمَضَانَ، وَأَنْ تَعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ...¹.

ولقد اقترن لفظ الإيمان بالإسلام كما في حديث جبريل عليه السلام، إذ الإسلام يهتم بالظاهر والباطن " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، فالإيمان له ظاهر وباطن، فالظاهر المتجلي في القول باللسان، أما الباطن فلا بد من تصديق القلب والسعي نحو العمل، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته، فلا ينفع ظاهر لا باطن له، وإن حقن به الدماء وعصم به المال والذرية، ولا يجزئ باطن لا ظاهر له إلا إذا تعذر بعجز أو إكراه أو خوف هلاك..².

فالإسلام ملازم للإيمان، وكذلك العمل الصالح مقترن بلفظ الإيمان وملازم له، وجاء معطوفاً عليه في كثير من الآيات كقوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا } [الكهف: 107] ؛ وقوله تعالى: { وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } [البقرة: 25]، وقوله تعالى: { وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ (3) } [العصر: 1-3]؛ فلاستخلاف والتّمكين في الأرض لا يتأتى إلا من خلال الجمع بين الإيمان والعمل الصالح لتحقيق التّهضة والفوز في الدنيا والآخرة.

فالإيمان لا يقف عند أركان الإسلام كما في قوله تعالى: { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [الحجرات: 14] إذ لا يكفي الإيمان بالقلب والاقتصار عليه،

¹ - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: أداء الخمس من الإيمان، رقم 53.

² - ابن القيم، الفوائد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (بدون طبعة) ، ص: 98.

بل إن ذلك يقتضي التطبيق الفعلي، وما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى ذلك من خلال المنهج الرباني لتستعيد مجدها وعظمتها! فالإيمان هو الذي ينمي في النفس محبة خالقها والسعي نحو العمل الصالح لابتغاء مرضاته سبحانه واستثمار ما أودعه الله فيها من خزائن وخيرات، وهذا ما أشار إليه عبد المجيد النجار بقوله: "ولما تشبع المسلمون بعقيدة التوحيد انطلقوا في حركة تحضرهم بينون معارفهم الكونية والإنسانية بمنهج فكري توحيدي، فإذا هم يباشرون الحياة الإنسانية بنظر يفسر طبيعتها، ويقدر كلّ تصاريفها الفردية والاجتماعية على محور موحد بينها على مراد الله تعالى، ويسوقها في ابتغاء مرضاته، وإذا هم يباشرون المادة الكونية بنظر يفسرها على وحدة من القانون"¹.

فالدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح هي منهج الأنبياء والرسل كما جاء في قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النور: 55]، فالعمران غايته الإصلاح في الأرض وتكوين الإنسان في دائرة منظومة معرفية قرآنية متكاملة منسجمة مع الواقع ومبني على صراط مستقيم لا اعوجاج فيه، حيث تتفاعل كلّ الطاقات الإيجابية في الكون مع الإنسان لتنشئ لنا دائرة مركزية أساسها التوحيد وتفرعاتها من العمل الصالح والعلم النافع.

وبذلك حقق الإيمان بالله وتوحيده ﷻ المرجع الأساس الذي تنبني عليه كلّ القيم لإنشاء الحضارة، إذ بلغ المسلمون في أوج رقيهم وازدهارهم مرحلة رفيعة من التقدم في شتى الميادين العمرانية من خلال تركيزهم على أهم مبادئ الدين الإسلامي المتجلية في التوحيد، والإقرار بربوبيته وتوحيد أسمائه وصفاته، وعُدّ الإسلام هو أعدل نظام في تاريخ البشرية قائم على رعاية مصالح الناس، يدعو إلى الوحدة والجماعة والتعاون على البر والتقوى ونشر الخير والصالح، والمحافظة على كرامة الإنسان من خلال منهج معتدل ومتوازن، يقضي على الظلم والفساد في الأرض، وهذا التشريع الرباني المنبثق من السنن الإلهية في الكون وُضع لتحقيق مصالح العباد ورفع الحرج عنهم.

¹ - عبد المجيد النجار، فقه التضرع الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م، ج1ص: 66.

فالمشكل الذي وقعت فيه الأمة والذي أدّى إلى تمزقها وانحلالها وتخلفها عن مكانتها في الصدارة التي وضعت فيها في أوج عصورها الأولى - إذ بدأت البشرية موحدة ثم اضطربت بها السبل فانحرفت عن طريق الحق، وربطت الإصلاح بالشعائر التعبدية من صلاة وصيام وزكاة وصوم وحج؛ مما خلف المفهوم السلي للتركية المتجلى في الانطواء والانعزال وعدم الانفتاح على العالم الخارجي، ودفع البشرية إلى رسم طريق مغاير للدين الإسلامي، ومخالف لمنهج الإيمان وما ينبثق عنه من الأركان، لتعيش حياة التمزق والتشرد والضياع والانفصال والخوض في الأباطيل والجدال والأوهام؛ فحادت عن طريق الحق عوض الإيمان بالله وحده واتخذت مساراً آخر مخالفاً لطريق الصواب وذلك في عبادة الطّاغوت وتمجيد التّزعات المادية والعقلية والاقتصار على العالم المحسوس، وهذا الإنكار لوجود الإله قد تولّد عنه إنكار لمركزية الإنسان بل إنكار لفكرة الطّبيعة البشرية نفسها، وهذا فيه تمرد على الحقيقة الدّينية وتسلط على قيمة الإنسان الرّوحية والمعنوية الأخلاقية.

أثيرت مجموعة من الإشكالات للتشكيك في العقيدة الإسلامية مآلها ما وصل إليه المسلمون اليوم من تدهور أحوالهم في جميع المجالات، ولم يغن عنهم إيمانهم شيئاً، بعكس ما وقع في الأمم الأخرى من رفاهية وازدهار بالتحريض من الانسلاخ من بوتقة الإسلام، وهذا ما أشار إليه عبد المجيد النّجار بقوله: "أن الإيمان بالله من شأنه أن يعطّل طاقات الإنسان عن العمل والإنتاج مع الاستشهاد في ذلك بما نشأ من حياة التّمدن الرغيدة قائمة على غيبة من الإيمان بالله، وهو ما يغري العقول والنفوس بالاعتقاد أن العيش الرغيد في حياة الناس ليس له في حدوثه علاقة سببية بالإيمان إن لم يكن الإيمان سبباً عكسياً في ذلك، وهذه فتنة لا يمكن أن تقاوم إلا بمنهج مضاد يبرهن على أن رغادة العيش إنما هي رهينة الإيمان بالله"¹.

وذلك أحدث خللاً في الواقع الإنساني بعدم وجود التّوازن والانسجام داخل الكون، وبقي الإصلاح بعيداً عن مجاله لحدوث الانفصام بين النص والواقع، وادّعت العلمانية أنّها السلطة الغالبة على أنظمة الحكم في معظم بلدان العالم الغربي والإسلامي، وأصبح يروج لها بوسائل الإعلام حيث تسعى إلى إقامة الحياة على أساس مادي ونشر الإباحية والفوضى، فالنظم الديمقراطية

¹ - عبد المجيد النّجار، "الإيمان والعمران"، إسلامية المعرفة، السنة 2، العدد 8، (1417 هـ - 1997م)، ص: 41 بتصرف.

الغربية تقدم الفرد وترى أسبقيته في الوجود على الجماعة، وتأثر أبناء الأمة بالأفكار الغربية نتج عنه اضمحلال أخلاقي وانحزام نفسي، ومازالت الأمة تعاني من التأثير الأوربي بفعل السيطرة الاستعمارية الناتجة عن غربة الذات وتمزيق وحدتها وإحداث كيانات تجزئية، وضياح الهوية الحضارية الإسلامية والالتجاء إلى التبعية والاستهلاك.

فكانت حاجة المسلم إلى منهاج معرفي حضاري متكامل بين الرؤية القرآنية والرؤية الكونية لتشكيل عقل إبداعي انطلاقاً من منهج التغيير مبني على رؤية كلية سليمة شاملة للكون والإنسان والحياة وعلاقتها بخالقها في إطار ثلاثية "التوحيد والاستخلاف والتسخير"؛ فالعلاقة الكائنة بين الوحي والكون والإنسان قائمة على التفاعل والتكامل والخضوع المطلق لله ﷻ يقول تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر: 21]؛ فالكون كله خاشع وخاضع لسلطة الله ﷻ وما على الإنسان إلا أن يستخدم منهج التفكير للتدبر والتبصر والاستكشاف للسّنن الإلهية في الكون.

إن الإيمان والعمل الصالح يعطيان دفعة قوية للسير في حركة الحياة والعمل بالجد والفعالية، يقومان على منهج الوسطية والاعتدال ليتكامل المجال العلمي والمعرفي لإنشاء حضارة كونية أساسها التوحيد والإخلاص لله تعالى يسعى الفرد من خلالها إلى تحقيق مبدأ العبودية لله والخضوع له بالسمع والطاعة، وإصلاح القلب وتركيته من كلّ الشوائب وتطهيره ليرتقي إلى مراتب الإحسان، ويعطي الإيمان القوة والطاقة الإيجابية للتخلي بالأخلاق الفاضلة، ونشر الخير والصّلاح وتحقيق العدل والمساواة، والسعي للعمل والاجتهاد لتحقيق الغاية الأسمى لتكوين الشخصية الراقية لتوظيف السلوك والعمل في مجال الحضارة لتتفاعل ضمن دائرة عالمية القيم.

فمهما بلغت الدول من ازدهار وتقدم في عمراتها وحضارتها تبقى تعاني من الجانب الروحي المعنوي الذي هو أساس السعادة الدنيوية والأخروية، فكم من دول عاشت الرفاهية في حياتها المطلقة، ولكنها عانت من فقدانها للجانب الإيماني، فتعرضت بذلك لأمراض جمة من اكتئاب وضنك عيش وانتحار، ولفقدانها هذه النعمة "الأمن الروحي" فقد استخدمت كلّ طاقاتها في صنع وسائل الدمار والتخريب في الكون والإفساد فيه من قتل الأبرياء وسفك الدماء وتخريب البلدان؛ مما انعكس على فكرهم، ففقدوا طعم الراحة والطمأنينة والسكينة مقابل حياة الرهبة والخوف والقلق، وتلك سنة الله في الكون لقوله تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (124) قَالَ رَبُّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا { [طه: 124، 125]،

بخلاف المؤمن التقي مرتاح البال ومطمئن القلب والسريرة، يمنحه إيمانه المناعة والقدرة والصبر والإرادة والشعور بالرضا قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28].

فالإيمان بالله ورسوله يحقق الغايات العظمى في حياة الإنسان من خلال تركية النفس والراقي بها في مدارج السالكين، وحث النفس على المسارعة في الخيرات، ونهيها عن ارتكاب كل المعاصي والمنكرات، فـ"لا يخفى أن شعور الإنسان بالأمن والطمأنينة في الحياة هو الشرط الضروري لكي يقوم بالعمل والإنتاج والتعمير في الأرض، ففي مناخ الأمن النفسي تنمو القدرات الذهنية وتتجه نحو الإبداع، وتنشط القدرات الإنجازية وتتضاعف فعاليتها. وأما إذا سكنت النفس بالحزن فإن كل طاقتها وقدراتها تنكمش عن النمو، وتضعف في الأداء، وتنكفي النفس على ذاتها بما أصابها مقتصرة عليه فلا يبقى لها مجال لأن تمتد بآمالها إلى التعمير"¹.

ومن خلال ما سبق فالإيمان والعمل الصالح متلازمان لتحقيق مبدأ الاستخلاف في الأرض، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [المالك: 15]، فخلقت الأرض للسعي فيها والعمل، قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النور: 55]؛ فالعمل الصالح يتمثل في قوة إرادة الإنسان للسعي نحو العمران وتوظيف طاقاته في بناء الكون واستكشاف القوانين واستثمارها في المجال النافع للبشرية جمعاء، "فإعمار الكون ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية، فلا بد للإنسان من أن يكتشف ويخترع، من أجل تذليل العقبات التي تعترض طريقه وتحول بينه وبين تحقيق ما يطمح إليه من سبل العيش الآمن والحياة الكريمة"²؛ فالعمل له ارتباط بالباطن من خلال تقويم السلوك الفعلي بالتركية، وصلاحية العمل تنبثق من حقيقة الإيمان بالله تعالى لتحقيق العبودية والسعي إلى ادّخار عمله للآخرة، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم: 96].

¹ - عبد المجيد النجار، "الإيمان والعمران"، إسلامية المعرفة، العدد 8، ص: 43.

² - زياد الدين خليل الدغامين، "إعمار الكون في ضوء نصوص الوحي"، إسلامية المعرفة، العدد 54، السنة 14، (خريف 1429هـ- 2008م)، ص: 28.

ثالثاً: العمران الحضاري وواقع تزكية النفس

شكلت التزكية محوراً أساسياً لبناء الإنسان، هدفها تحقيق العبودية لله تعالى، لتنسجم مع الكون في إطار الخضوع الرباني الشامل بتطبيق أوامره تعالى واجتناب نواهيه؛ فالتزكية شرط أساسي لاستكمال العمران والبناء الحضاري، فهما مفهومان متجانسان لا يتحقق كل واحد منهما إلا بالآخر، فالقيم المادية وحدها لا تستطيع الرقي إلا بتناسق مع القيم الروحية بشكل متوازن لتحقيق السعادة والطمأنينة للفرد والمجتمع؛ فمبدأ التزكية يقوم على العمران، والعكس كذلك، وهما أساسا كل مشروع يهدف إلى تحقيق النهضة، وتنمية المجتمع والرقى به إلى الخير والصّلاح، واستمدادهما منبثق من المنهج القرآني، فلا يتحقق عمران حضاري إلا من خلال إصلاح الذات الفردية والتّرفي بها إلى التّزكية والانتقال بها إلى روح الجماعة من خلال التكافل والتّعاون والمحبة والإخاء لكي تستوعب المقاصد القرآنية، ومن سنة التّعمير في الأرض أنّها تكليف من الرحمن بأداء الأمانة والسعي للإصلاح في الأرض واستكشاف حقائقها والاستفادة من خيراتها لقوله تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [العنكبوت: 20]، وهذا الخطاب الرباني دعوة للعبد للتّشبث بالإيمان، والحثّ على الكسب، وعدم الانقطاع للاستعداد للآخرة، فلا تقصير في الأداء، ولا رهبانية بالعزوف والانعزال، ليدل على أن هناك علاقة تلازم بين التّزكية والعمران، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال:

أ- إصلاح الذات:

تمثل التزكية مجالاً محورياً في عملية التغير انطلاقاً من الذات من خلال ترقيتها وتطهيرها بإخلاص العبادة الحقّة لله تعالى ودوام المراقبة والمحاسبة، ومع الآخر من خلال معايير الاحترام والتقدير والتراحم والتّعاطف "فالتّغير من النّفس يبدأ، وإليها يعود، ولقد بنى الإسلام كلّ مناهجه التّغيرية وبرامجه على تغيير ما بالنّفس فمن خلال الذات الإنسانية تنطلق عمليات التّغير، وتغيير ما بالنّفس يبرز أول ما يبرز بعملية التّزكية التي من شأنها أن تقوم بتحسين الإنسان من داخله ضد سائر استعدادات الشرّ والانحراف فيه وسائر المؤثرات الخارجية عليه، وتحجيم نوازعه الدّاخلية، وتوجيه طاقاته باتجاه البناء العمراني في إطار من الضوابط العقلية والتّزكية والسلوكية والأخلاقية ليصبح الإنسان عمرانياً بناءً نافعاً لنفسه مفيداً لبني جنسه مدرّكاً لانتمائه الإنساني ودوره العمراني"¹. فعلاقة التلازم بين حال النّفس وما تكون عليه من اعتقاد وقيم وأخلاق سامية أو دنيئة، وبين حال الحضارة التي تسهم في بنائها وطبعها

¹ - طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية ومناهج التغير، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، (1424هـ 2003م)، ص: 17.

بقناعاتها وتوجهاتها الخاصة من خلال تفاعل الإنسان داخل الكون ومع نفسه؛ وقد توسّع القرآن في إبراز هذه العلاقة المطردة، مما يجعل بناء الإنسان أساساً متيناً لبناء العمران وإقامة الحضارات.

فالقرآن الكريم يحث النفس على التشبع بالإيمان والاتصاف بالصفات الحميدة من التقوى والإحسان لتعم في الجسد الراحة والطمأنينة، ويتقوى على الصبر، ليكون سيّداً على الطبيعة منسجماً معها في نظام متوازن وفكر مندمج بين الروح والطبيعة يستمتع بأحضانها ويتدبر في مخلوقاتها مبرزاً دوره الفعال في تحقيق أمانة الاستخلاف من خلال فعله السلوكي الحضاري، ف"النفس نتاج تفعيل كوني جدلي لظواهرات الطبيعة الكونية المتقابلة.. تملك هذه النفس (قابلية الاختيار) لأنها مركبة على أساس الانقسام الكوني وتفاعله الجدلي، قابلة لأن تنقسم بين فجورها وتقواها، فحرية الاختيار لدى النفس لا يتناقض مع إرادة الله وهيمته الكونية لأن تركيبة النفس الكونية مستمدة من تفاعلات الانقسام وفي هذا الإطار تولد النفس اختياراتها"¹.

ومن خلال هذا القول لأبي قاسم حاج حمد نستخلص أن النفس من خلال فطرتها تجمع بين متناقضين، بين (الخير والشر) و(الإيمان والكفر)؛ فخلق - سبحانه - للإنسان إرادة الاختيار ليقوم بأعباء الاستخلاف كما في قوله تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: 3]. فالاستخلاف الإيماني يبعث في النفس الراحة والطمأنينة ويرقيه إلى الفلاح والصّلاح من خلال التّركية الإيجابية الشّاملة للجانب الرّوحي التي تربط القلب بخالقه وتقوي إيمانه وتصلح سريره، وتّمي عقله على التّفكير والتّأمّل والتّدبر والإدراك والاستبصار مما ينمي بذلك الشّعور والإحساس بالمسؤولية ودوره في هذا الكون الفسيح، ف"المسلم مطالب في سعيه الحضاري أن يمارس عملية العكوف على الذات لتربيتها على أمر الله وأخذها بشرع الله، ولا نعني بذلك ضرباً من السّلبية والهروب من الحياة وفقدان التّوازن الاجتماعي وبذلك بالانسحاب من المجتمع"².

¹ - محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية: أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي، الطّبعة الأولى، (1424هـ - 2003م)، ص: 91.

² - عمر عبيد حسنة، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، كتاب الأمة، العدد 8، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، الطّبعة الأولى، (1405هـ - 1985م)، ص: 81.

فالإسلام دين وسط واعتدال لا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا انغلاق على النفس، يدعو الفرد إلى اتخاذ منهج متوازن في كلّ أمور حياته، فيعطي كلّ ذي حق حقه، ويراعي بين الجانب الروحي والمادي، عكس ما وقعت فيه الأنظمة الأخرى في قراراتها، إما الركون إلى التعمير في الأرض والانصراف عن العبادة، وإما العزوف والانطواء والعزلة، بينما وضعت شريعة الإسلام لبناء الذات وتكوينها في إطار منهج شمولي متكامل ومتوازن؛ فلا رهبانية ولا انطواء يكبت رغائب النفس ومتطلباتها ويعطل حيويتها وإنتاجها؛ ولا إفراط في متع الحياة والاعتزاز بها وتجاوز الحدود والضوابط الشرعية.

فالغاية القرآنية من "مخاطبة النفس هي الوصول بها لتتطابق أخلاقنا مع مبادئ الوجود الكوني وقوانينه، أي: قوانين الحق الماثلة في الخلق، فالنفس هي التي تعطي المعرفة وظيفتها الأخلاقية، فإما تتجه بالمعرفة إلى الدمار وإما أن تتجه إلى البناء وفقاً لنوعية الاستجابة النفسية لفلسفة القوانين العلمية ومبادئها الكونية، ففي النفس تكمن صياغة الوجود وتحديد الموقف"¹. فخلق الإنسان لم يكن عبثاً، إنما خلقه لحكمة وغاية تنسجم مع الكون لأداء العبادة وفق منهج مسطور منذ وجوده على الأرض ومن خلال الاستسلام لخالقه وطاعته بأنه الواحد المتصرف في خلقه، وفر له كلّ شروط العيش والاستقرار، وسخر له الكون الفسيح لخدمته وكل أسباب الرعاية النفسية والعقلية من أجل الوقاية والتكيف والتوافق بين المكونات النفسية والكونية. فحاجة الإنسان الفعال المتصف بالإيجابية والنفعية، لبناء حضارته وتعمير الأرض إلى الأمن النفسي ضرورة أساسية لاستمرار الحياة وديمومتها وتحمل الأمانة التي استخلف الله تعالى عليها بني آدم كما أشار إلى ذلك حاج حمد من خلال قوله: "بقدر ما يكون الانسجام النفسي مع المبادئ الكونية وضوابطها الغائية المستمدة منها هي نفسها بقدر ما يكون (الأمن النفسي) والتواصل الحضاري الإيجابي وبقدر ما يكون التضاد النفسي مع صياغة هذه المبادئ الكونية يكون الانفصام وتنشأ العقد النفسية والأشكال الفردانية من السلوك المدمر في وسط الجماعات البدائية أو المتخلفة أو المتحضرة"².

¹ - محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، مرجع سابق، ص: 160.

² - محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، مرجع سابق، ص: 164.

فإذا تزكت النفس البشرية بالخضوع لله تعالى وتحقيق العبودية بالسمع والطاعة، نالت كرامته ورضوانه بالفلاح الدنيوي والأخروي، وحقت شهادة التوحيد والاستخلاف في الأرض بحمل الأمانة ونشر الخير والصّلاح في الكون؛ ونالت محبته لتصل إلى مدارج السّالكين يقول تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّاتِي { [الفجر: 27 - 30]، وحصول بشارة الملائكة للذين عاشوا على التوحيد والإخلاص وما كانوا عليه من حياة طيبة سواء في عقائدهم أو معاملاتهم أو أخلاقهم وأقوالهم بالفوز والرضوان كما قال تعالى: { الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [النحل: 32].

أما إذا ركنت النفس إلى الشّهوات والأهواء وحب الذات وطغى عليها الجانب المادي، فقدت قيمتها ومحورية وجودها قال تعالى: { الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (28) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليُسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ } [النحل: 28، 29].

إن التزكية في الجانب العمراني ضرورة أساسية لتقويم سلوكيات الذات الإنسانية، وإعطائها قدرة فعالة في الإنتاج والاستثمار، ساعية لتحقيق الإيمان وربطه بالعمران لتشكّل هدفاً أساسياً لبناء حضارة الإنسان، وأشار إلى ذلك عبد المجيد النجار بقوله: "فالعنصر الروحي فيه تعود إليه جملة من القوى والملكات مثل العواطف والمشاعر والحواس الباطنية والمدارك العقلية، وكل ما يعود إلى هذه العناصر بخير فإننا ندرجه ضمن الانتفاع الروحي، وذلك في مقابل الانتفاع المادي الذي هو خير يحصل لمادة الجسم، مع التسليم بأن العلاقة بين الروح والجسم علاقة وثيقة"¹؛ فالعمران الرّاقى ينطلق من الذات ليستوعب الواقع، ويصلح فيه من خلال نشر مبادئ القيم الممزوجة بالوعي الحضاري والموازنة بين الجانب الروحي والمادي، فقيم العمران لا تنهض إلا من خلال روح الأمة، فلا تكفي الطّاقات الفردية كما أشار إلى ذلك عبد المجيد النجار بقوله " فإذا كان بناء العمران لا تنهض به إلا جماعة الأمة، فإن ذلك لا يكتفي في متطلباته بالمقدرات الفردية من وجوه الكفاءات علما وفاعلية وقوة وريادة وإنما يتطلب بالإضافة إلى ذلك قيماً أخرى ذات بعد جماعي... فالقرآن الكريم والسنة الشريفة كانا يوجهان في تأكيد إلى حفظ الجماعة وقوتها وترقيتها من أجل أن تنهض بصفاتها الجمعية للتعمير في الأرض"².

¹ - عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي، مرجع سابق، ج 1 ص: 138.

² - عبد المجيد النجار، "دور المجتمع في بناء العمران مقصداً شرعياً"، سلسلة مؤتمرات بعنوان: الدين والحضارة، حفظ العمران مقصد شرعي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى، (1440 هـ - 2018 م)، ص: (138-139).

فالمقوم الأوّل لل عمران هو الإنسان الإيجابي الذي تتوفر فيه كلّ الفضائل النبيلة والقيم الراقية انطلاقاً من مبدأ التّوحيد ليسعى إلى التّزكية وتطبيقها في الواقع الإنساني فيحرر فكره من كلّ القيود والضلالات ليأخذ سبيلاً للنهوض والإصلاح في الأرض من خلال تطهير مجتمعه من كلّ العاهات.

ب- تفعيل القيم المادية والروحية

تمثل القيم جوهر الإنسان الحقيقي، فيستمد مبادئها من الشريعة الإسلامية، وبدونها يفقد نعمة الحياة وطعمها؛ فالقيم الحضارية هي شرط أساس لاستكمال عمران الحضاري، وتستند إلى المرجعية الإسلامية، وتسعى إلى تحقيق إنسانية الإنسان من خلال مبدأ الاستخلاف والتسخير في الكون، وتفعيلها لا يكون إلا بتزليل الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة على الواقع المعيش، وتوليد روح التعاون والرحمة بين الناس، وإصلاح الذات وتطهيرها لترتقي إلى الإحسان للآخر ومساندته مادياً ومعنوياً، وهذه الروح العالية التي استنبطها الإنسان المؤمن لتحقيق مفهوم الخيرية، تدفعه إلى السعي لإقامة عمران بالابتكار والاختراع وجلب المنفعة لأكبر عدد ممكن من الناس.

وبذلك سعت القيم الإسلامية إلى تحقيق إنسانية الإنسان ضمن دائرة القيم الإنسانية، فالعالم الذي يتميز بالقيم الراقية لا بد أن يكون حضارة إنسانية تعبر عن القيم الإسلامية التي تعطيها ملامحها الصحيحة، وتضبط حركتها السديدة، وترسم لها وجهتها الرشيدة، فإذا انعزل عمران عن هذه القيم، وقع الفصل التام بينهما، فإن نتائج ذلك إنما تنعكس على الفرد خاصة والمجتمع عامة، والملاحظ في الواقع تأخر جانب التّزكية في المجال العمراني نظراً لابتعادها عن المنهج القيمي الأخلاقي.

فغياب مفهوم التّزكية داخل منظومة عمران عطل أجهزة حضارتها، وسيرها وقوتها وأفقدتها توازنها داخل المنظومة الدّينية والأخلاقية، مما أدى إلى فساد الاستهلاك وقلة الإنتاج، وظهور المصالح الفردية واندثار روح الجماعة، وبذلك تلاشى مفهوم الإنسانية بتحويل الإنسان من مؤسس لل عمران إلى مستهلك مادي فقط، وهذا ما سعت إليه الفلسفة المادية الجدلية القائمة على الإنتاج والربح، إذ اغتر الإنسان باختراعاته وصناعاته وعلمه، فأخذ الكبرياء والغرور ونسي مبادئه وقيمه والغاية التي خلق من أجلها، مما أدى به إلى تطوير سلوكياته على حساب المادة فقط، وبقيت الحضارة تحاكي القيم الدّينية رغم ما حققته من التّقدم العلمي والابتكار.

والملاحظ اليوم في العالم المعاصر تراجع العمران تراجعاً ناتجاً عن غياب الجانب الروحي وسيطرة الجانب المادي في أغلب الأحوال، مما أدى إلى اختلال التوازن الحضاري، فحفاء الحضارة الغربية وأزمته تتجلى في ابتعادها عن الوحي الإلهي الحق وتركيزها على الجانب المادي فقط الذي يركز على العقل وحده كوسيلة للمعرفة؛ مما أوقعها في كثير من الأوهام، وأخضعها للأهواء والغرائز والشهوات، وتحول الغرب إلى مرجع يعول عليه في القيم والأخلاق والمبادئ بعده قوة حاكمة ومهيمنة في جميع المجالات بعدما غابت سلطة المسلمين في الساحة وتأثروا بالأفكار الوافدة من الغرب.

وكل ذلك ساهم في تراجع القيم الأخلاقية واستغلال المفاهيم القرآنية وتحويلها مع الأحداث والوقائع فاتهموا الملتزمين بالشريعة الإسلامية بالرجعية، والحجاب بالتزمت والانغلاق، ودعوا إلى إعطاء الحرية المفرطة من أجل تحقيق الرغبات والانغماس في ملذات الحياة، حق الفرد في التمتع بالحرية في اختيار أفعاله وأقواله وكل ما يحلو له؛ إلى غير ذلك من المفاهيم حسب هواهم، وكل ذلك ساهم في تدهور القيم الأخلاقية، وظهور القيم الفردانية والمصلحة الشخصية، مما أسهم في القضاء على روح الجماعة، والسعي في نشر كل الصفات الذميمة من الكذب والغش والرشوة والظلم والفساد وكل أنواع الجرائم والمنكرات؛ فوصف المسلمون بالتخلف والتزمت، وجردت المفاهيم عن محتواها الأصلي مما أوقع المجتمعات الإسلامية في كثير من الأخطاء والتبعية للغرب في ثقافتهم ولباسهم وحضارتهم، وكل ذلك أحدث خللاً في بناء الشخصية الإنسانية.

وسعت الفلسفة المادية إلى إنكار ما وراء الطبيعة وتقدمتها على الإنسان بعدها الكفيلة لتحقيق البناء الحضاري والعمراني، وقد تميزت كتابات المسيري بمناقشة مجموعة من الإشكاليات التي تخص الإنسان والطبيعة، فهي فكرة محورية في مشروعه الفكري وهذه الثنائية تركز على ثلاثة محاور: الله والإنسان والطبيعة بقوله: "ومن هنا تصبح الطبيعة غير الواعية هي مرجعية الحضارة المعاصرة؛ وهي نظام يتحرك بلا هدف أو غاية، نظام واحد مغلق مكتف بذاته، توجد مقومات حياته وحركته داخله، يحوي داخله ما يلزم لفهمه، لا يشير إلى أي هدف أو غرض خارجه، وهو نظام ضروري كلي شامل، تنضوي كل الأشياء تحته"¹.

¹ - ممدوح الشيخ، "المسيري من المادية إلى الإنسانية الإسلامية"، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 2008م، ص: 210.

فالعمران لا يقوم فقط على القيم المادية وحدها بل متناسقاً مع القيم الروحية بشكل متوازن لتحقيق السعادة والطمأنينة للفرد والمجتمع، وهذا ما أشار إليه كذلك طه عبد الرحمن بقوله: " ذلك لأن واجب الإنسان في العالم الائتماني أن يطلب التقدم المعنوي كما يطلب التقدم المادي، بل واجبه أن يجعل التقدم المادي تابعاً للتقدم المعنوي، وإلا فلا تقدم في إنسانيته حتى ولو بلغ ما بلغ من التحقيق المادي لذاته، وحصل المجتمع الذي يؤويه ما حصل من ألوان الازدهار التقني" ¹.

فما الفائدة من البناء والتشييد من فلاحه وصناعة وتجارة في فقه العمران إذا لم يتوفر الشرط المعنوي في حياة الإنسان من إقامة العدل والمساواة والحرية وتوفير الأمن والسلام والطمأنينة وخلق روح التعاون والإخاء والمحبة؟ فيكون شأن الخاصة من الأغنياء والحكام هو السهر على مصالح الناس والرحمة بهم، ويكون شأن العامة من الناس الدعاء للأغنياء والحكام بالخير ومزيد من البركة والقوة" ².

ورغم توفر الجانب المادي للعمران إلا أنه يشكل جانباً ضيقاً أمام الجانب الروحي، فأزمة الحضارة ترجع إلى سبب قيمي أخلاقي، فالحضارة تنهار إذا أعوزها العامل الأخلاقي، فهي تحتاج إلى مقومات التقوى والتزكية، فالفكر الغربي وكل ما قام به من تقدم سعى إلى تحويل الإنسان من كيان روحي إلى مجرد إنتاج مادي تحت تأثير العولمة التي سلبت قيمته وحرية، ففقد تركيزه وطهارة قلبه ونقاء عقله، وهذا ما أشار إليه المسيري في كتاباته بقوله "وكل ما يمكن التوصل إليه هو أخلاقيات براجماتية تأخذ شكل فلسفة القوة والهيمنة للأقوياء وفلسفة الإذعان والتكليف للضعفاء، إذ لا توجد معايير متجاوزة للإنسان، ولا توجد وسيلة لتعريف الظلم والعدل، والحديث عن قمع الإنسان لبعض رغباته وإرجاء تحقيق البعض الآخر مستحيل، فتمثل هذا لا يمكن أن يتم إلا باسم كل متجاوز وفي إطار قصة عظمى، ومن هنا تصبح الرغبة والتعبير عنها معياراً أخلاقياً أساسياً، فما يعبر عن الرغبة هو الخير" ³.

¹ - طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، ص: 17.

² - فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا، ص: 127 بتصرف.

³ - المسيري، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية"، ج 1، ص: 297، بتصرف.

فالغرب أسس فكره على الجانب المادي والمنفعة الذاتية وإشباع الغريزة المبنية على الحرية والتحرر، مما عرض حضارته للخواء الروحي وتم استبعاد كل ما هو غيبي والاقتصار على الجانب الوضعي، الذي يسعى إلى تعظيم الإنسان وجعله مركز الكون، والاهتمام بالربح والإنتاج بعدهما هو مصدر التفوق في الأرض؛ ف"التقدم المادي لا يصلح أن يكون مقياساً قيمياً للتحضر، وأن المقياس الحقيقي في ذلك إنما هو ما يتحقق للناس من الأمن والاطمئنان والتآخي والتعاون، فأما تحضر تحققت فيه تلك المعاني فهو تحضر حقيقي، وأما تحضر جلب معه الخوف والعداوة فهو ليس بتحضر على الحقيقة"¹.

وما نلاحظه اليوم من تراجع للعمران ناتج عن سيطرة التزعة المادية الطبيعية على الإنسان، وابتعاده عن المنهج الرباني (الوحي)، فبدل أن يكون متحكماً في الطبيعة، أصبحت الطبيعة هي المتحكمة فيه، وأصبح يمثل مجرد علاقات إنتاجية لكون العالم الطبيعي هو أساس المنظومة المعرفية، فحينما "سيطرت التزعة المادية على الإنسان، طغت فيه الطبيعة على الروح، وفسرت الأخلاق تفسيراً مادياً خاضعاً تماماً للقانون الطبيعي الآلي العام. والطبيعة وحركتها وبنيتها لا تقع خارج نطاق الوحي الإلهي وحسب، وإنما تقع خارج نطاق الوعي الإنساني والإرادة أو الرغبة أو الغاية الإنسانية، أي أن الطبيعة لا علاقة لها لا بالإله ولا بالإنسان، فهي متجاوزة لهما"².

فالقيم الإسلامية تقوم على منهج متوازن كما أُشير إلى ذلك في السابق؛ وتقوم على غاية تعبدية من أجلها خلق الإنسان للقيام بوظيفته الاستخلافية في الكون لقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ { [الدَّارِيَات: 56 - 58]}. وهذا التكليف الذي حظي به الإنسان وشرف به يحقق من خلال أداء الأمانة على أحسن وجه بالإصلاح وعدم الإفساد في الكون وبناء مجتمع مبني على قيم الأخوة والتعاون والإخاء والرحمة ونشر العدل والسلام وتحقيق الأمن والأمان.

¹ - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ج1، ص: 24.

² - المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج 1، ص: 302.

فكل هذه القيم النبيلة تحقق مفهوم العمران، وترسخ مفهوم الإيمان والطمأنينة، وتنمي استقامة الضمير والرقابة الذاتية للإنسان ليرتقي من خلالها إلى أسمى المقامات وهي الإحسان؛ فيسلم الأمر كله لله ويعتقد أن كل ما يقع في الكون بتقدير من حكيم عليم، فيتحقق من خلال إيمانه الصادق الجزاء الدنيوي والأخروي. ف"تصحيح وتقوية العلاقة الروحية بين الفرد وربّه، وتحقيقاً للعبودية الكاملة لله والاتصال المباشر بالله في إنتاج القيم والمبادئ الصالحة وإعمار الأرض بما يليق بمقام الاستخلاف لا بد من نهج طريق تركية النفس والارتقاء بها إلى مدارج الفضيلة والسمو الكفيلين يجعل الفرد ضمن عباد الرحمن"¹.

فلا بد من العودة إلى القيم الإسلامية بمنظورها الصحيح من خلال ربط حضارتها بالجانب الروحي والمادي معاً، وعدّ العقل ملازماً للوحي لا يمكن أن يفصل بينهما واستخدام الكون لاستكشاف سنن وقوانين الحياة وقوانينها وضبطها بالمنهج الإسلامي، وبذلك تكون الحضارة الإنسانية تعبيراً حياً عن القيم الإسلامية الراقية التي تعطيها عمراً متكاملًا من خلال صورة تجمع بين الإنسان والوحي والواقع، بشهادة الإنسان على وحدانية خالقه وأنه مستحق للعبادة فهو المدبّر الحكيم، والكون كله يشهد بوحدانيته ودلائل إعجازه.

إن الفكر الغربي من خلال حضارته ساهم في نشر مجموعة من الآفات النفسية كالقلق والاضطراب والخوف وعدم الأمان واليأس والقنوط، بينما مقياس الحضارة الإسلامية يقوم على الإيمان ونشر المحبة والتعاون والإخاء، وبذلك فالحضارة الإسلامية تقوم على التوازن بين القوى العقائدية والفكرية، وهذا ما حصل في العصور الإسلامية الأولى من التقدم والازدهار، والتفنن في جميع الأشياء، ذوقية وجماليات الإسلام، فهو رسالة ثقافية فنية جمالية عمرانية إنسانية تجمع بين العالم المادي والروحي، حيث صنع المسلمون خير حضارة إنسانية، وكل صورة لها معنى وغاية وروعة من الخالق المبدع، ففي آياته الشمس والقمر والليل والنهار والكواكب والنجوم والضحي والغسق والشجر والأنهار والجبال والدواب وغيرها هي آيات تعبر عن العمران الكوني، وتلفت النظر إلى التأمل والتدبر والتفكير في عظمة الخالق من تسخير كل ما في السماوات والأرض

¹ - سعاد رحائم، "الشباب والشهود الحضاري من منطلق الاستخلاف الإيجابي"، أعمال الندوة العلمية المنعقدة بكليّة الآداب والعلوم الإنسانية - الجديدة، منشورات المجلس العلمي بعنوان: الأمن الثقافي والسلم العالمي، بتاريخ 12 نونبر 2015، ص: 69.

من أجل الإنسان؛ إذ هياً له كلّ الظروف لتحقيق الشّهود الحضاري والانبعث الكوني وتطبيق سنة الله في كونه؛ فلا بد من ربطه بالقيم الإسلامية، فهي شرط أساس لاستكمال البناء الحضاري، وهي أساس كلّ مشروع يهدف إلى تحقيق النهضة، تستمد مرجعيتها من الرؤية القرآنية الحضارية المتكاملة الجامعة بين كتاب الله المنظور وكتاب الله المسطور، وتسعى إلى تحقيق إنسانية الإنسان لتراعي كلّ المصالح وتدفع كلّ طغيان وفساد في الكون.

ج- التكامل المعرفي بين التّزكية والعمران

مثلت التّزكية بعداً محورياً في عملية التّغيير وإقامة مجتمع إسلامي راقٍ عن طريق تفاعل الإنسان مع الواقع والنص، فالكون منسجم مع آيات الله؛ إذ حقق للإنسان الراحة والطمأنينة للعمل والكسب وعمارة الأرض، ومقصد الشريعة الإسلامية هو السير على منهج الاستقامة والتعبد لله والإصلاح لإقامة مجتمع سليم، وإنشاء حضارة إنسانية شاملة؛ فالتكامل المعرفي بين التّزكية والعمران يقوم على "الانسجام بين آيات الكون وآيات الوحي: وهو المذهب الذي يقيم المعرفة الإنسانية على ساقين اثنتين: الوحي وعلومه، والكون وعلومه وليس على ساق واحدة"¹.

وقد تطرق الحاج حمد إلى أن قضية الجمع بين القراءتين رهينة بالجمع بين القرآن بوصفه محتوى الوعي للوجود الكوني وحركته، فكل منهما يكمل الآخر، وينفتح عليه في الكشف عن دلالات الوجود وقوانينه، يقول: "فمفهوم الجمع بين القراءتين لا يثبت إلا بالقراءة المنهجية والمعرفية في كليهما؛ القرآن والواقع، وهذا هو معنى (الجمع بين القراءتين)، فمن لا يكتشف في القرآن الكريم منهجيته المعرفية، ولا يكتشف في الواقع منهجيته المعرفية لا يستطيع الجمع بين القراءتين"².

فالفرد يسعى إلى تحقيق الإصلاح، وتعمير الأرض، واستثمار مواردها ومنتوجاتها بروح إيمانية وطاقة متجددة وقلب مطمئن ساعياً إلى العمل وفعل الخير بالتوكل على الله، وإن كلّ ما في الكون هو مسخر له بحكمة وغاية، محققاً وظيفة الاستخلاف ليربط بين عالم الغيب والشهادة ومحدد الجمع بين القراءتين يربط بين الغيب والواقع.

¹ - محمد عمارة، إسلامية المعرفة ماذا تعني...؟، مصر، الطبعة الأولى، يناير 2007م، ص: 10.

² - محمد أبو القاسم حاج حمد، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، دار الهادي، الطبعة الأولى، (1425هـ - 2004م)، ص: (11-12).

فالتعامل مع القرآن الكريم يكون من خلال منهجيته المعرفية بعدّه الكتاب المعادل للوجود الكوني واستيعابه لحركته عبر الزّمان والمكان؛ فخلق ﷻ الكون للإنسان انطلاقاً من قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: 29]. فالرؤية القرآنيّة تقوم على رؤية معرفية ذات أبعاد حضارية تتجلى من خلال علاقة الإنسان بالله والكون، وكل ذلك يدعو إلى الإيمان بأن كلّ ما في الكون مخلوق لخدمة الإنسان، فلا مجال للفساد واللهو والعبث، ففقه الواقع والنّص متداخلان، وحينما فصل بينهما انهارت الأمة وضعفت؛ إذ لا يكفي فقه النّص بمعزل عن فقه الواقع ما دام النّص والواقع متلازمين أبداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وما دام سياق النّص لا معنى له بارتباطه بسياق الواقع، لأنه لأجله نزل تكليفاً وإصلاحاً وترشيداً وتصويبا¹.

إن هذا الإعمار حقيقة كونية شاملة للجانب المادي والمعنوي، فلا يمكن للإعمار أن يقتصر فقط على الشّعائر التّعبديّة، بل إن التعمير المادي يسير مع التعمير المعنوي وفق شروط وضوابط منهجية، فهو عملية مندمجة متواصلة عبر الزّمان والمكان، بين الوحي والواقع، بين العقل والنّقل، بين الروح والمادة، فسبب هلاك الأمم والشّعوب وتراجع الحضارة ناتج عن النظرة التجزيئية التي أهملت الإنسان وكل ما يحيط به من مقومات ومغريات ماديّة، ساهمت في إبعاده عن القيم الروحيّة.

فالوحي هو مصدر المعرفة إلى جانب الكون من خلاله يكتشف الإنسان سنن الكون، وينظم حياته انطلاقاً من مبادئ الوحي الأساس، ويستوعب كلّ القدرات والطّاقات الإيجابيّة ليحقق مهمّة الاستخلاف والعمارة في الأرض، ف"القراءتان متضافرتان متلازمتان؛ قراءة القرآن المسطور قراءة تحليلية متدبرة، وقراءة الكون المنشور قراءة سننية علمية، وإن إعمال القراءتين معاً والجمع بينهما بمنهجية كونية، والانطلاق منهما مع الاستفادة بسائر الوسائل تجعل من هذه القراءة الكاملة الوسيلة الدائمة المتجددة لتحقيق الغاية من الخلق وبناء الحياة الطّيبة في الدّنيا والآخرة، كما أن تعطيل أي من القراءتين أو تجاوزهما أو الإخلال بالتوازن بينهما هو إعراض عن ذكر الله يترتب عليه من الحرج ما يجعل المعيشة ضنكاً"².

¹ - سعيد شبار، الثقافة والعولمة وقضايا إصلاح الفكر والتجديد في العلوم الإسلامية، مركز دراسات المعرفة والحضارة، دار الإنماء الثقافي، الطّبعة الأولى، 2014، ص: 164.

² - محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، ص: 19.

وأشار طه جابر العلواني إلى أن كلّ المقولات الفلسفية تفتقد إلى الجمع بين القراءتين، فالواقع هو مصدر للمعرفة، والقرآن الكريم والسنة لا ينفصلان عن الواقع، ومنهج التعامل مع النص هو منهج تنزيل ما خلاص من القرآن في الواقع يقول: "فالقراءة المأمور بها قراءتان: قراءة باسم الله في كتابه، وقراءة الكون المخلوق وكل ما يتعلق به من عالم الخلق والتشيؤ بما في ذلك تراث الأمم الذي دونته وآثارها"¹.

فالجمع بين القراءتين عند طه جابر مسألة منهجية في المعرفة، فالإنسان الذي وفق للجمع بين القراءتين، لا يستغني عن الله تعالى، ولا يهمل دوره الذي وكل إليه، فلا يطغى، ولا يفسد في الأرض، ولا يخرب، سعيه دائم نحو التعمير وفعل الخير والصّلاح، يقول: "فالقرآن العظيم والكون البديع كلاهما يدل على الآخر ويرشد إليه، ويقود إلى قواعده وسننه، فالقرآن يقود إلى الكون، ويمارس دوره في الهداية فيه، ويوظفه بوجوه عديدة لتسخير مكنوناته، ولتوضيح قضاياها، وتأييد دعاواها، والكون أيضاً يقود إلى القرآن ليسقط أسئلته عليه، ويستعين به لإرشاد الإنسان إلى كيفية التعامل معه، واستثمار تسخير"².

فالربط بين القراءتين ينبغي أن يكون ربطاً منهجياً، وليس بأن نضع شيئاً من القرآن وشيئاً من الكون، ونحاول التلفيق بينهما، بل إن عملية الجمع هذه من أعقد العمليات، فهي عملية تعتمد على منهج علمي، والقارئ في كلتا الحالتين هو الإنسان المتعامل مع هذا المنهج المنفعل بكلتا القراءتين، بعد القرآن الكريم كتاباً كونياً عالمياً مستوعباً لظروف الزّمان والمكان، فخصائصه وعطاءاته متجددة وفيه حل لكل المشاكل الإنسانية والكونية؛ فهو "القادر على مخاطبة عالم اليوم في أعلى درجات تقدمه، وفي مستوى سقفه المعرفي، وقادر على الأخذ بيد الإنسان المعاصر لإخراجه من أزماته، وتجاوز مشكلاته، وذلك إذا تمكن حملة القرآن المجيد من أن يكشفوا خصائص القرآن، ويكشفوا عنها للعالم"³.

¹ - طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، (1435هـ - 2014م)، ص: 18.

² - طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين، ص: 30.

³ - طه جابر العلواني، "خصائص لسان القرآن الكريم"، ضمن ندوة مناهج الاستمداد من الوحي، الرابطة المحمدية للعلماء، دار أبي رقرق، الطبعة الأولى، 2008م، ص: 27.

فكان لا بد من تأسيس البناء المنهجي للتعامل مع كتاب الله تعالى، والجمع بين الوحي والكون؛ إذ إن إغفال مصدر الوحي والاعتماد على القراءة الأحادية، جعلاً الغرب ينتقل من منهج الثابت والمتغير ليدخل داخل دائرة النسبية، لينتقل بعدها إلى دائرة الاحتمالية، وإن قراءة القرآن وفهمه وتزويله على القواعد المشتركة تؤدي بنا إلى نتيجة مفادها أن الوجود قائم على ثلاثية "الله - الخلق - الإنسان"، وأي إغفال لأي عنصر يؤدي إلى معرفة ناقصة ومتناقضة، كما حصل للغرب حين أغفل الله والغيب.

وتطرق إسماعيل الفاروقي في قوله: "من خلال الجمع بين القراءتين تتكامل المعرفة وتتخلص العلوم الإنسانية من متزلقاتها ونزعاتها المادية... فالجمع بين القراءتين هو السبيل الوحيد لتحرير العلوم من أزماقتها لأن قراءة كتاب الكون من دون كتاب الوحي تفضي بالتدرج إلى الفكر الوضعي الذي يسجن الوعي البشري في ظلمات المادة، أما قراءة كتاب الوحي "القرآن" وإهمال قراءة الكون فيقود بالتدرج إلى نفي النواميس والسنن التاريخية والاجتماعية والنفسيّة... فكل من القراءتين تعضد الأخرى وتكملها، فقراءة القرآن تؤدي إلى الكون، كما أن قراءة الكون تدل وترشد إلى القرآن، بمعنى أن القرآن والكون كلاهما يوصل إلى الآخر ويدل عليه"¹.

فالجمع بين القراءتين هو أهم محدد منهجي لبناء المعرفة الإسلامية سواء كانت هذه المعرفة كونية أو اجتماعية أو إنسانية، وازدواجية هذه القراءة هي المخرج للعالم عامة والمسلمين خاصة من أزمت المعرفة المعاصرة، وما آلت إليه؛ وقد اقترح الحاج حمد للخروج من هذه الأزمة إعداد الإنسان روحياً وعقلياً من خلال البناء الحضاري المنهجي المتحرر من اللاهوت الوضعي من أجل تأسيس حضارة إنسانية بديلة حيث "يتكافأ الخلق مع الحق ويتجه إليه، وهو تأسيس في إطار ذات الجدلية المتوازنة - جدلية الغيب والإنسان والطبيعة - حيث يعاد سحب القيم الكونية بعد اكتشافها على النظم الأخلاقية نحو السلم والوحدة بدل اللذة والمنفعة والصراع انطلاقاً من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [البقرة: 208]"².

¹ - إسماعيل فاروقي، إسلامية المعرفة: المبادئ العامة - خطة العمل - الإنجازات، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، (1431هـ - 2001)، ص: 10.

² - سرمد الطائي، تحولات الفكر الإسلامي المعاصر: المرجعيات - المناهج - أسئلة التجديد، دار الهادي، بيروت، 2003م، ص: (135-13) بتصرف.

وخلاصة القول: إن العمران يقوم على حقيقة إبداعية من خلال الترابط بين آيات الكون وآيات الوحي في إطار المنظومة الثلاثية (التوحيد والتزكية والعمران)، فتوحيد الله وَجَّهَ حقيقة مطلقة يقود إليها التفكير والتأمل والبداهة الفعلية، ويريح الإنسان من حالات الحيرة والقلق، والتزكية ارتقاء بالنفس الإنسانية وسمو بها، وتطهير المجتمع الإنساني من ألوان الفساد والانحراف يؤسس مجتمعاً موحدًا متماسكًا في بنيته وأنظمتها، والعمران سعي بشري لتوظيف طاقات الإنسان في بناء الكون للاستكشاف والاختراع؛ وبذلك تستكمل المنظومة (التوحيد، التزكية والعمران) في إطار رؤية مقاصدية قرآنية حضارية لتشكيل داخل دائرة القيم منظومة معرفية شاملة لكل ما يتعلق بالله والإنسان والكون.

المبحث الثالث: التزكية ودورها في تحقيق الاستخلاف الإسلامي

المطلب الأول: الاستخلاف في القرآن الكريم

دعا القرآن الكريم الإنسان إلى استثمار عقله وعلومه ومعارفه، لتسخيرها في عمارة الكون وتحقيق وجوده في الحياة، فكان استخلافه دعوة لعمارة الأرض وتأسيس نظام اجتماعي يسمح بتطوير القدرات الإنسانية داخل المجالات المعرفية والثقافية، وهذه المكانة العظيمة التي شرفه الله بها من تقديس الملائكة له وتحمل أمانة الاستخلاف ليؤسس حضارة ذات قيم عالية مبنية على تحقيق العدل والمساواة قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 30].

فالاستخلاف هو بداية الوجود الإنساني على الأرض؛ ومثل الإنسان محورية وجوده إلى جانب المخلوقات الأخرى من الإنس والحيوانات، وميزه الله سبحانه عن غيره من تلك المخلوقات بالاصطفاء والتقدير، وقد أشار عبد المجيد النجار إلى أن: "وظيفة الخلافة ارتبطت بأمانة التكليف، فالإنسان هو الوحيد الذي حمل أمانة التكليف، مخاطبته وتمكينه من الاختيار بين أن يفي بما كلف به وبين أن يخل بالتزامه على أساس من حرية الإرادة في الاختيار، وهذا التكليف على أساس حرية الإرادة هو السبيل الوحيد إلى الترقى والاكتمال في منهج العبودية الذي هو روح الخلافة"¹.

وبموجب هذا الاستخلاف زود الإنسان بما يكفل له القيام بهذه المهمة، وفي مقدمة ذلك العلم الذي شكل أعلى مقامات التكريم الإلهي للإنسان، وميزه عن باقي المخلوقات، فقال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَقْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 31]. وتجلت مكانة الاستخلاف في بعثة الأنبياء والرسل لنشر قيمة العدل والمساواة في الأرض والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه؛ إذ خاطب الحق ﷺ نبيه داوود في قوله ﷻ: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} (26) {ص: 26}

¹ - عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: بحث في جدلية النص والعقل والواقع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن - فيرجيا، الولايات المتحدة، الطبعة الثالثة، (1425هـ - 2005م)، ص: 64 بتصرف.

فالاستخلاف الغاية منه تحقيق مبدأ العبودية لله تعالى، بدعوة الإنسان إلى التصرف والإصلاح في الأرض لتحقيق غاياته ومكتسباته وحاجياته؛ فاستخلف الله الإنسان على دينه ليؤمن به باختيار واقتناع ويلتزم بشرعه على المستوى الفردي والجماعي، واستخلفه على نفسه كي يزيكها على أساس الدين ونهجه الشامل، واستخلفه في الأرض كي يعمرها ويسعى في صلاحها بالتقوى ونشر العلم، يقول تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النور: 55].

فالاستخلاف سنة الله في كونه ليثبت للبشرية جمعاء أن دين الله واحد عبر كل زمان ومكان، وهذا ما وقع في الأمم السابقة حينما جحدوا بآيات الله تعالى، وعمهم الفساد، فستخلفهم بقوم آخرين يقول تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ} [يونس: 73] وقوله تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأعراف: 69]، وقوله سبحانه: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [الأعراف: 74].

وكل هذه الآيات تدل على استخلاف الأقوام في الأرض لحكمة الله تعالى وتبيان سنة الله في الكون مبنية على العدل وعدم الظلم والجور والطغيان، فعقد الاستخلاف مبني على شروط وضوابط منهجية تقوم على مبدأ العدل، وذلك بأن يقوم المستخلف (الإنسان) بمهامه التي أوكلها الله إلى الناس بكل أمانة وإخلاص، وأن ينشر قيم الخير والصلاح التي لا تستقيم الحياة إلا بها، وأن يكون سعيه فاعلاً وإيجابياً في الأرض متفاعلاً مع توجيهات الوحي؛ فلا مفاضلة بين الناس إلا من خلال ما استخلفوا فيه، فإن هم أطاعوا الله وابتغوا سبيل الرشاد كان ذلك كفيلاً بأن يمكن لهم في أرضه ما شاء الله لهم، وإلا استبدلهم الله بغيرهم فينظر ما هم عاملوه وتلك سنة الله في خلقه منذ آدم عليه السلام ولن تجد لسنة الله تبديلاً يقول تعالى: {هَآ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَنْخُلُ وَمَنْ يَنْخُلُ فَإِنَّمَا يَخْلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد: 38].

فالمقصد العام الذي جاءت به الشريعة الإسلامية هو إصلاح أمور البلاد والعباد والنهي عن الظلم والفساد؛ فكانت الحاجة الضرورية لتحقيق هذا التغيير هي الإصلاح في الكون حيث "إن صيرورة استبدال المستخلفين إذا ما أخلّوا بشروط الاستخلاف سنة ثابتة تتضح من خلال القول الصريح في قوله تعالى: { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ } [هود: 57]"¹ فكانت العبرة من استخلافهم بغيرهم للدلالة على أن سنة الله قائمة على القسط والتوحيد وعدم الإشراك به.

المطلب الثاني: مبادئ الاستخلاف

الاستخلاف مفهوم يتمركز حول إنسانية الإنسان فهو العنصر الأساس في تنشئة هذا العمران، وهو القيمة المحورية العاملة في نظم البناء الحضاري الإنساني، من خلال علاقة الإنسان بخالقه من جهة، وعلاقته بالكون وأخيه الإنسان من جهة أخرى، وهذه العلاقة المحورية بين الإنسان وأخيه والكون تبين عظمة الخالق لكل شيء؛ إذ إن العلاقة بين الإنسان والكون ليست علاقة امتلاك، أو سيادة، وإنما علاقة أمانة ومسؤولية على عاتقه، من خلالها يؤدي دوره الاستخلافي، ويمثل الدور الإيجابي التكريمي وتحمله للأمانة كما جاء في قوله تعالى: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } [الأحزاب: 72]. فهو "تصور كامل لحقيقة الوجود والكون والإنسان والحياة، فالمستخلف هو الله، والمستخلف هو الإنسان وأخوه الإنسان والمستخلف عليه هو الأرض وما عليها و"الاستخلاف" بهذا المعنى مفهوم يؤطر حركة الإنسان وبهذه النظم الله والكون والإنسان"² فالمستخلف من طرف الخالق ﷻ يجب أن تتوفر فيه شروط الخلافة بأن يكون إنساناً صالحاً إيجابياً فاعلاً في الأرض منسجماً مع الكون ومتفاعلاً معه تحت ظل توجيهات الوحي، والكون مترابط ومتوازن ومتماسك ودور الإنسان أن يكشف السنن الإلهية، فخلقه للعبادة وعمارة الأرض، وهذا ما أشار إليه سعيد شبار بقوله: "إن حقيقة استخلاف الله تعالى للإنسان وتكليفه بمهمة التعبير والسعي في الأرض بالإصلاح والصّلاح، والاعتبار بأحداث الماضي تجنباً وتفادياً لمزالق الحاضر

¹ - سعاد رحائم، "الشباب والشهود الحضاري"، مرجع سابق، ص: 67.

² - محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية: نحو إنسانية جديدة، كتاب الأمة، السنة 30، العدد 139، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة - قطر، الطبعة الأولى، رمضان 1431هـ، غشت 2010م، ص: (51-52).

والمستقبل، كل ذلك يفيد أن لواقع الإنسان، الذي هو مجال استخلافه وعمرانه، وميدان حركته وفعله، دوراً مهماً وحاسماً في أداء هذا الإنسان لمهامه تلك، المنوطة به كمكلف مخاطب بالعلم بأحكام التكليف والعمل بها¹.

وأشار محمد الناصري بخصوص مبدأ الاستخلاف إلى أنه "يقوم على قدر كبير من الأهمية في تحديد رؤية العالم من المنظور القرآني، ومما يدل على ثقله وأهميته تكرار وروده أكثر من مرة في الخطاب القرآني كما جاء في قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ} [الأنعام: 165]؛ {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} [فاطر: 39]؛ {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [يونس: 14]؛ {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ} [النمل: 62] وإن الاستخلاف البشري يقوم على نوعين: استخلاف عام: وهو استخلاف البشر بعدهم مستعمرين فيها، والثاني: استخلاف خاص أو استخلاص السلطة والحكم بقوله تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [ص: 26]².

فمبدأ الاستخلاف في القرآن الكريم يقوم على مبادئ كلية، وقواعد عامة، هي بمثابة الشروط الأساس لقيام الإنسان بمهمته في خلافة الله على الأرض نذكر منها:

أولاً: التكريم: ومن مظاهر التكريم القرآني للإنسان بعدد الكائن الوحيد الذي خصه الله بالمرتلة الرفيعة وفضله على سائر المخلوقات بقوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} [الإسراء: 70] وقوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: 4]، {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [التغابن: 3]. وغير هذه الآيات كثيرة كلها تدل على تكريم الخالق للإنسان، وتمييزه عن سائر المخلوقات، بعدما كان في الجاهلية يعبد الشمس والقمر والنجوم والكواكب وفي حيرة واضطراب وقلق، رفعه الله تعالى، وعظم شأنه، واستخلفه في الأرض، وهياً له العالم وجعله صالحاً منسجماً معه، ووفر له الكون الفسيح للإسكان، وخلق له كل ما يحتاجه

¹ - سعيد شبار، الثقافة والعولمة، مرجع سابق، ص: 163.

² - محمد الناصري، العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، دار الهادي، الطبعة الأولى، (1430هـ / 2009م)، ص: (74-78) بتصرف.

من أكل وشرب ونعم وخيرات وكل شروط العيش والاستقرار، ويسر له كلّ السبل للعبادة والطاعة، ولتحقيق العدل والعمران والنصر والتمكين فهذا" النسق العقائدي في صلة الإنسان بالكون: وحدة ورفعة وتسخيرًا ينطوي على عناية إلهية بالإنسان تتمثل في إعداده ليتعامل مع الكون بما يحقق وظيفة الخلافة التي خلق من أجلها، فوحدة الإنسان والكون من شأن الإيمان بها أن ينشئ في النفس الشعور بالقرابة من الكون والوفاق معه ويدفع مشاعر الخوف منه والعداء له"¹. وبما أن الله ﷻ كرم الإنسان، وسخر له كلّ ما في الكون من أجل اعتماره الأرض وإنشاء حضارته وتثبيت معالمه؛ فتكريمه عطاء رباني، وسجود الملائكة تواضع منها وإجلال لعظمة الخالق وكل ذلك من أجل تحقيق العبودية والخلافة في الأرض والسعي لتطبيق منهج الاستخلاف كما أراده الحق ﷻ بقوله تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [الحجر: 29]. فمظاهر التكريم الإلهي للإنسان تتجلى في كونه مخلوقاً مكرماً ومقدساً ومُمتّعاً بكلّ معاني الاستخلاف التي تربط الإنسان بواقعه من جهة من خلال تمييزه عن سائر المخلوقات؛ حيث حباه بالعقل للتفكير والجد والاجتهاد والتطوير والابتكار والاختراع، وحباه بنور العلم والمعرفة وربطه بقيم الوعي الحضاري لتشكيل ثقافته؛ ورغم هذه النعم التي كرم بها دون غيره من المخلوقات فقد قابل النعم بالعصيان والجحود وعدم الشكر لنعمة المنعم، فتوسل بغيره، وتجاهل قيمة التكريم الإلهي له، وكل ذلك باختياره؛ إما أن يكون مكرماً منسجماً مع أصل خلقته، وإما أن يتزل إلى مستوى الدناءة الحيوانية كما جاء في قوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ} [التين: 4، 5].

فالتكريم عطاء رباني للبشرية جمعاء، فهو تكريم مطلق دون تمييز بين أبيض وأسود، بين غني وفقير بين مسلم وغير مسلم "يشمل البشر كافة في الماضي والحاضر والمستقبل، ويمتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالإنسان في نظر القرآن مكرم بصرف النظر عن أصله وفصله ودينه وعقيدته، مركزه وقيّمته في الهيئة الاجتماعية، فالكرامة البشريّة حق مشاع يتمتع به الجميع من دون استثناء"².

¹ - عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص: 59.

² - عبد العزيز عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الأولى، (1998/1419م)، ص: (126-127) بتصرف.

إن هذا التَّكْرِيمَ الرَّبَّانِي لِلْإِنْسَانِ، منوط بالتكليف الذي في قدرته، قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: 286]، من أفضل ما كرم به الإنسان نعمة العقل، وجعل كلَّ المخلوقات في خدمته، وذلك من أجل القيام بمهمته وهي تحقيق العبودية للخالق بالامتثال والطاعة لأوامره واجتناب نواهيه كونه مسئولاً في الأرض وفق قوانين وضوابط إلهية محكمة؛ فالإسلام شرع الحدود حفاظاً على كرامة الإنسان؛ فلا يحق لأحد أن ينتهك حرمة، وأن يعتدي عليه بأي شكل من أشكال العنف أو التعذيب والاحتقار والاستهزاء.

ولذلك كانت قضية السلوك البشري من أهم الركائز التي اهتمت بها الحضارة الإسلامية لبناء العمران وصيانة الكرامة الإنسانية؛ فلقد مُنح الإنسان الخلافة، وكرم بالعقل، وخلق على أحسن صورة وهيئة، وسخر له الكون، وكل هذا التمييز والتَّكْرِيم يقتضي منه واجبات تجاه خالقه لكي يكون إنساناً صالحاً لنفسه ولغيره من خلال التعليم والتربية على المبادئ السامية والأخلاق النبيلة باستحضار جلالة الخالق وعبادته، وعدم الشُّرك به، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونشر قيم العدل والخير والإحسان، ونبد الشر والظلم والطغيان والفساد؛ فهو مستخلف على جسده وعرضه وعقله وماله ونفسه ليحقق من ذلك الغاية العظمى التي خلق من أجلها؛ فالتَّزَوُّد بالتَّقْوَى يعدّ من أعظم الكرامات للإنسان؛ فهي كلمة جامعة لمجامع الدِّين ومقياس القرب من الله تعالى، وطريق الاستقامة، والهداية، والتَّزْكِيَّة بإصلاح النَّفس، وتنويرها بروح الإيمان وترشيدها بالعقل والسعي نحو العمل الصَّالح كما في قوله تعالى: {إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13] فتسخير كلِّ ما في الكون لخدمته، وجعله صالحاً له، وإعداد كلِّ الوسائل التي توفر له راحته وسعيه وعيشه الكريم يستدعي منه تزكية نفسه، والرقى بها، وتطهيرها من كلِّ الرذائل.

ثانياً: التسخير:

أ- التسخير في القرآن الكريم والحديث الشريف

إن معظم الآيات تدل على تسخير الكون لخدمة الإنسان، وأنه مخلوق لمهمة الإعمار، والبناء على المنهج الرباني، كما في قوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} [إبراهيم: 32، 33]؛ {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} [لقمان: 20]، {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [النحل: 12]؛ {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [الحج: 63]؛ {اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ { [الجناتية: 12، 13]: {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى { [الرعد: 2].

فالعديد من الآيات القرآنية تحمل مفهوم التسخير؛ فكل ما في عالم الشهادة مسخر لخدمة الإنسان بما فيه من سموات وأرض وجبال، وشمس وقمر ونجوم وكواكب وأهجار وبحار وشجر ودواب وحيوان ونبات وغيرها من المخلوقات تدل على عظمة الخالق، وتدعو العقل إلى الهداية والتفكير والتدبر والتعقل والتبصر والاعتبار ف" ليس هناك شيء محظور يحرم على الإنسان اكتشافه أو التفكير فيه، أو تذييله لمصلحته، أو البحث فيه ودراسته... إن كل هذه المسخرات ينبغي أن تكون عوناً للإنسان في أداء مهامه في الأرض لا أن تكون عبئاً له تبعات ثقيلة عليه، وبعبارة أخرى ينبغي أن يكون التسخير باباً عظيماً من أبواب الشكر والثناء"¹؛ وهذا التسخير ينطوي على عناية خاصة بالإنسان؛ إذ وضع الكون تحت تصرفه مسخراً له لتحقيق وظيفة الخلافة عن طريق العبادة وعمارة الكون بما يرضي الخالق سبحانه، ورسمت له كل الخطوط التي تحقق سعادته في الدنيا والآخرة؛ ليشعر الإنسان أن هذه الطبيعة لا تتحرك بعشوائية أو بفوضى، وإنما بإرادة الخالق سبحانه، مما يدفع الفرد إلى تحقيق الأمن النفسي وطرده القلق والاضطراب، ويسعى إلى الإبداع وتجديد الأفكار والمكتسبات.

ب- تسخير الكون للإنسان:

خلق الله السنن الكونية تحت نظام محكم ومتوازن، وهياً للإنسان الاندماج معها، وتكييف حياته داخلها، والاستفادة منها لاستيعاب طاقته وتوظيف مجهوداته في الاستثمار والإنتاج من فلاحه وزراعة وصناعة وتجارة لسد رمق العيش وتحقيق أمنه الغذائي؛ فالإنسان هو ثمرة الإصلاح في الأرض لا انفصل عن الكون، وإنما خلق لهدف وغاية ليتفاعل مع المنظومة الكونية ويحقق الاستخلاف، والعمران لا يستقيم إلا من تمازج بين المادة والروح من خلال الرؤية القرآنية التي تربط الخلق بالخالق من خلال التدبر والتفكير، كقوله تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ { [العنكبوت: 20].

¹ - مسفر بن علي القحطاني، "سؤال التسخير الكوني للإنسان"، مرجع سابق، ص: 457.

فقد حظي الإنسان بعناية إلهية تتمثل في تسخير الكون له، لتوظيف طاقاته في فعل الخير من عبادة وتقوى وتزكية، داعية إياه إلى التشبث بصفة الإيمان وإصلاح القلب والتحرر من الأهواء والشهوات والبدع والضلالات وتحقيق العدل وإظهار الحق، فوجوده داخل الكون يحيل النفس البشرية إلى الشعور بالاطمئنان وعدم الخوف والفرع؛ فلا يشوبها قلق ولا اضطراب، وهذا النسق العقائدي في صلة الإنسان بالكون: وحدة ورفعة وتسخيرًا ينطوي على عناية إلهية بالإنسان تتمثل في إعداداته ليتعامل مع الكون بما يحقق وظيفة الخلافة التي خلق من أجلها، فوحدة الإنسان والكون من شأن الإيمان بما أن ينشئ في النفس الشعور بالقرابة من الكون والوفاق معه، ويدفع مشاعر الخوف منه والعداء له.... والإيمان بتسخير الكون للإنسان يدفع به إلى اقتحام الكون فعلًا لاستثمار مرافقه؛ إذ يؤمن بأنه منفتح له مهياً للعطاء، فيمتلئ ثقةً واطمئنانًا بإيجابية المردود، وينتفي من نفسه كلَّ شعور باليأس والاستصعاب"¹.

فالكون يحكمه نظام دقيق، يبنى على مجموعة من القوانين التي تؤطره وتنظمه، من خلال وحدته المتكاملة مع الخليقة، تسعى هذه القوانين إلى توثيق الصلة بين الخالق والمخلوق، وتجعل المؤمن يشعر بعظمة ربه وقدرته في إطار سننه الكونية من خلال علاقة عليّة تربط العلل بالمعلول، وعلاقة غائية تربط الغاية بالوسيلة، وقد "سخر الله الكون للإنسان ليكون صالحاً لممارسة الخلافة عن الله، فحدد الأبعاد والأحجام والقوانين بما يلائم الإنسان، ويبدو ذلك التسخير في ما ركب عليه الكون من قوانين كمية وكيفية تحكم عناصره، وفي ما يسر فيه من أسباب لحفظ حياة الإنسان كالخصوبة لتوفير الغذاء، والانبساط لإمكان التنقل في البر والبحر والثبات في القوانين"².

فالكون كتاب مفتوح للعطاء والقراءة والتدبر والتزود بالإيمان والعمل الصالح، والسعي في كسب الرزق، وتتمين العلاقات الأخوية، ومساعدة المحتاج من سد رمق الجائع، وإغاثة الملهوف، وزيارة المريض، والإحسان إلى اليتيم والأرملة والمسكين، ونصر المظلوم، وبناء المراكز التعليمية ودور الأيتام، ونشر الثقافة الإيجابية، وتعليم القيم والمبادئ الأخلاقية، ونشر السلم والحوار البناء والهادف إلى التعايش إلى غير ذلك من أنواع البر والتقوى التي تصلح الشخصية الإنسانية

¹ - محمد ناجي عمر، "خلافة الإنسان بين الوحي والعقل لعبد المجيد النجار"، قراءات ومراجعات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، إسلامية المعرفة، العدد 3، ص: 59.

² - نفسه، ص: 152.

ليكون الفرد إيجابياً مع الله والبشر والكون؛ فالقصد من نزول القرآن هو هداية الخلق وإرشادهم من خلال دعوة الأنبياء والرسل وتعمير الأرض وتحقيق العدل والمساواة، وترسيخ العقيدة في النفوس وربطها بالتوحيد وتطهير النفس وتزكيتها، فهي الغاية الأسمى لتكوين الشخصية الراقية لتوظيف السلوك والعمل في مجال الحضارة لتتفاعل ضمن دائرة عالمية القيم؛ فكل ما في الكون منفتح لخدمة الإنسان منسجم معه لتحقيق سيورته التاريخية.

فالكون مبني على قوانين محكمة، وكل ما فيه مسخر لخدمة الإنسان ف" قد بني الكون بالقدرة الإلهية على قوانين كمية وكيفية تناسب تمام الكيان الإنساني في وجوده ابتداءً، فكأنما هو صنع لاستقبال الإنسان، فتسخير الشمس والقمر إشارة إلى إعداد الكون كميّاً؛ ليناسب وجود الإنسان، وتسخير الليل والنهار إشارة إلى إعداده كيفيّاً لذلك، كذلك سخره لاستمرار الحياة الإنسانيّة؛ فقوانين الكون مدللة لاستقبال الوجود الإنساني ولحياته وسيورتها ولتحقيق غاياتها"¹؛ وكل ما في الكون سخر له من أجل تثمير موارده بحفظها وصيانتها وتعهدا بالرعاية من أن يصيبها التلف أو التشويه، أو العبث، مما يستدعي في عملية البناء الحضاري والاستخلاف العمراني توثيق الصلة بالخالق وإصلاح النفس.

ف "الكون وموجوداته ليست مستقلة عن الإنسان ووجوده، بل إن الكون لم يوجد إلا من أجل الإنسان، فقد أعد لاستقباله، واستمرار وجوده، وتبعاً لذلك هو رهين الوجود الإنساني، وبينهما وحدة في التكوين؛ ووحدة في التركيب، إذ ركبت الموجودات كلها بكيفية التزاوج كما يثبتته قوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الدّاريات: 49]. وقد جاء التعبير القرآني رائعاً في دلالاته على الوحدة الجامعة بين الإنسان والنبات والجماد وفي الترابط التكويني بينهما، إذ يقول تعالى: {وَاللَّهُ أُنْتَبِئَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا} [نوح: 17]... ففي التفاضل القيمي يبقى الإنسان متميزاً على الكون تميز استعلاء ورفعة، لذلك يظهر الإنسان في علاقته مع الكون"². فكان المقصد من استخلافه هو منحه مسؤولية الاختيار للفعل، وما مدى دوره في الإصلاح، ونفيه عن الفساد سواء مع ذاته، أو غيره، أو بيئته، فخلقه لم يكن عبثاً إلى جانب الكون، بل من أجل تحقيق العبادة والقيام بشريعة الإسلام من خلال المنهج القرآني بعده كتاب هداية وإرشاد .

¹ - القحطاني، "سؤال التسخير الكوني" مرجع سابق، ص: 455.

² - نفسه ، ص: 440.

ج- الحفاظ على البيئة من خلال المنظور القرآني:

أوصى القرآن الكريم بصيانة الكون والمحافظة عليه من التلّف والفساد، وحذر من العبث به، ونهى عن التعدي على البيئة وتلويثها بكل أنواع الظلم والطغيان وإهلاك الحرث والنسل لقوله تعالى: {وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [البقرة: 60]، وقوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (41) { [الروم: 41]. ففي تفسير المراغي قوله: "ظهر الفساد في العالم بالحروب والغازات والجيوش والطائرات والسفن الحربية والغواصات، بما كسبت أيدي الناس من الظلم وكثرة المطامع، وانتهاك الحرمات وعدم مراقبة الخلاق وطرح الأديان وراء ظهورهم، ونسيان يوم الحساب، وأطلقت النفوس من عقالها، وعاثت في الأرض فساداً"¹.

فالشرع الإسلامي حث الإنسان على الحفاظ على الكون والعناية بترابه ومائه وهوائه وجباله وأشجاره وأنهاره وضمان سلامته لوجود علاقة تلازمية بينهما، إذ "العلاقة بين الإنسان والبيئة تقوم على الوئام والانسجام، والتكامل والوفاق، والتجانس والالتحام، بين الإنسان والطبيعة فما دامت قوى الطبيعة وطاقتها قد سخرت أساساً لخدمة الإنسان ومساعدته على الرقي الحضاري وإعمار الأرض. إنها علاقة انسجام وتقابل، وتواصل وتعاون، وتكامل وكشف وتنقيب. إنها علاقة الخادم المطيع بالسيد القدير علاقة تسودها الطاعة والمحبة والإبداع"².

وقد أشار عبد المجيد النجار إلى الرفق بالكون وضمان سلامته لتحقيق مهمّة الخلافة والتعمير في الأرض من خلال قوله: "فالرفق بالكون مؤصل في التحضر الإسلامي على أصل عقدي؛ إذ هو كما بيناه شرط لتحقيق الخلافة في الأرض، وهي أساس في العقيدة الإسلامية، يقوم عليها التصور العقدي للإنسان، وإذا كانت مهمّة الخلافة لا تتحقق إلا في نطاق الرفق بالكون، فإن الحكم الاعتقادي الذي يتوجه إلى الخلافة يتوجه أيضاً إلى الرفق بالكون، وهو ما يجعل الإفساد في الأرض الذي هو نقيض الرفق بالكون صفة نفاق يقول تعالى: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ} [البقرة: 205]"³.

¹ - تفسير المراغي، ج 21، ص: 55.

² - محمد الناصري، "الارتقاء والسماحة بين الإنسان والبيئة في الإسلام"، منظمة التعاون الإسلامي، التعايش والتعارف في

الإسلام: مفاهيم ميسرة جدة، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، 1441هـ، ص: 282.

³ - عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي، ج 1، ص: 7.

ومن صور الحفاظ على الكون نجد قوله ﷺ: "ما من مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ؛ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ"¹. ودعا الإسلام إلى التوسط والاعتدال وعدم الإسراف في جميع الأمور؛ ففي الماء نجد حديث: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الوضوء، فأراه ثلاثًا ثلاثًا ، ثم قال: هذا الوضوء ، فمن زاد على هذا فقد أساء - أو تعدى، أو ظلم "²، وفي سنن أبي داود قوله ﷺ: "إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالِدُّعَاءِ"³ ومن أدلة المنع من إتلاف البيئة قوله ﷺ: "دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ"⁴ وقوله أيضا في مقابل ذلك: " غُفِرَ لَامْرَأَةٍ مُؤَمِّسَةٍ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِّي يَلْهَثُ قَالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، فَزَرَعَتْ خُفَّهَا فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا فَزَرَعَتْ لَهُ مِنَ الْمَاءِ، فُغْفِرَ لَهَا بِذَلِكَ"⁵، وقوله عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ"⁶ وقد درج عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في منهاجه التربوي على تحبيب الطَّيِّبَةِ لِلنَّاسِ وأنها زينة للنفس، من ذلك قوله عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ هِيَ النَّخْلَةُ"⁷.

¹ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه رقم: 2320، صحيح

مسلم، كتاب المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع، رقم: 1553.

² - سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب: ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه، رقم 422، قال الشيخ الألباني : حسن صحيح.

³ - سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب: الاسراف في الوضوء، رقم: 96، وصححه الشيخ الألباني.

⁴ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، رقم 3318، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب: تحريم قتل الهرة ، رقم 2242.

⁵ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: إذا وقع الذباب في شراب أحدكم ، رقم : 3321، وصحيح مسلم ، كتاب السلام، باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها ، رقم 2245.

⁶ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب: الزكاة. باب: خرص التمر رقم 1481، وصحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: أحد جبل يحبنا ونحبه، رقم: 1392.

⁷ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: قول المحدث (حدثنا) أو (أخبرنا) و(أنبأنا) رقم: 61، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: مثل المؤمن مثل النخلة رقم: 2811.

ومن الأثر وصية أبي بكر في الحفاظ على البيئة وصيانتها من أن تهلك حيواناً أو نباتاً في الوثيقة الشهيرة: "ليزيد بن أبي سفيان أحد قواد جيشه وهو يشيعه في فتح الشام، إذ قال له من بين ما قال: "لَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا صَبِيًّا، وَلَا كَبِيرًا هَرِمًا، وَلَا تَقْطَعْ شَجَرًا مُثْمِرًا وَلَا تَخْرِبَنَّ عَامِرًا، وَلَا تَعْقِرَنَّ شَاةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِمَا كَلَلَهُ، وَلَا تَعْرِقَنَّ نَخْلًا وَلَا تَحْرِقْنَهُ وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَجَبُنُوا"¹. وأمر بحفظ البيئة من التلوث و" ذلك بتصريف الفضلات الإنسانية، وهي التي تعدّ في البيئة البدائية البسيطة من أهم عناصر التلوث. ومن تلك الآداب ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم " اتَّقُوا الْمَلَاعِينَ الثَّلَاثَ: الْبَرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ"²؛ ففي هذه المواقع: مجاري الماء، ووسط الطريق، وأماكن الظل، يكون البراز أكثر تلويثاً للبيئة، إذ هي مواقع حركة من شأنها أن تزيد انتشاراً وتمددًا وانتقالاً، ولذلك ورد النهي عنها مقاومةً لتلوث البيئة"³. وفيها التحذير عن تلوث تلوث المياه: قوله عليه الصلاة والسلام: لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ"⁴ فالشريعة الإسلامية حققت المقاصد والغايات للإنسان من خلال انتفاعه بالطبيعة دون تخريبها والإفساد فيها، وقد تقدم ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تنص على ذلك، والهدف منه هو القدرة على الاستمرار في الحياة، وتحقيق الاستخلاف، فإذا تلوث الكون وانهارت الطبيعة ساهم ذلك في التخريب الكوني وبما أن الإنسان وصي عليها بعده مكرماً على سائر المخلوقات، وامتنازه بالعقل للتفكير والتمييز بأن يتصرف فيها تصرف العقلاء والحكماء والأمين عليها بالمحافظة على كلّ ما فيها من أنهارها وبحارها وهوائها وأشجارها و"على هذين الأصلين: العقدي، والأخلاقي، تأسس الفقه الإسلامي في التعامل مع الكون بالرفق، ومنهما، تصرف الإنسان إزاء الطبيعة في سعيه الحضاري يقوم على احترامها وإكرامها، وذلك بالحفاظ عليها في تراكيبها ونظمها التي أحكمت لنفع الناس وصيانتها عن أن تتعرض للتخريف أو الإتلاف والتحطيم، وكذلك بالاستهلاك منها في سبيل البناء الحضاري استهلاكاً رشيداً مصوناً عن الإسراف المخل بمقدراتها مما قد يكون له أثر سلبي على نظامها في الانتفاع به عبر أجيال"⁵.

¹ - موطأ مالك، كتاب: الجهاد، باب: النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو رقم: 1627.

² - سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب: المواضع التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البول فيها رقم: 26، وحسنه الشيخ الألباني.

³ - عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي، ج 1، ص: 164.

⁴ - صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، رقم 282.

⁵ - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ج 1 ص: 158.

فالعقيدة السليمة هي المؤسسة لمبادئ الأخلاق والمرشدة للعقل للتعامل مع محيطه الخارجي بلطف ورحمة، وإن هذا العمل السلوكي يكتسبه الفرد منذ طفولته في أسرته، ومدرسته ليشب مع بيئته بالمحافظة عليها بعدها مستخلفاً عليها، فهي واجب من الواجبات المراعاة في حقه من أجل استمرارية عطائها، وهي سبيل نيل سعادته واستقرار حياته، "فعلاقة الإنسان، إذن، انبنت على توافق وانسجام بين الإنسان والكون، فلا يحق للإنسان الإساءة للكون وتدميره. إن الجانب الأقصى الذي شرعه الإسلام وهو العقوبات والحدود أو حتى الجهاد في سبيل الله. ما شرعه إلا للمحافظة على عمارة الأرض واستقرارها وبتهديد العابثين بها وبأمن الناس فيها من المفسدين"¹.

وفي الواقع نلاحظ اليوم عكس ذلك من تلويث الهواء واستنزاف الثروات وإتلاف الطبيعة وتخريبها والاعتداء عليها وتدمير الكون بإثارة الحروب المدمرة والسّموم القاتلة، الملوثة للهواء والماء والمؤثرة بقوة على صحة الإنسان؛ فهو فعل عدواني إجرامي غير أخلاقي منافٍ لطبيعة الدين الإسلامي ولا يمت إليه بصلة؛ وهذا ما سعى إليه الغرب، وهو التخريب من خلال الحروب المدمرة، ونشر الغازات القاتلة للبشرية وللبيئة بتلويث هوائها والقضاء على جوهرها، فلا يحق لأحد أن يسيء إلى الكون، ويدمره، ويفعل ما يشاء برغبته وهواه لقوله تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [الأعراف: 56]؛ والقاعدة الأصولية تقول: "لا ضرر ولا ضرار"؛ فبين الحق ﷻ صفات المفسدين في الأرض المعتدين على مظاهر الكون بالطغيان والاستبداد المؤذنين حتماً إلى اختلال التوازن والانحراف وإتلاف الطبيعة وإحداث الكوارث؛ فدور الإنسان هو الإصلاح في الأرض وعدم الإفساد، فهي منشؤه الأصلي، يقول تعالى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: 61].

وخلاصة القول: إن العمران والتزكية هما سعيان في الأرض باستثمار خيراتها وعدم الاعتداء عليها والمحافظة عليها من الفساد، فالإسلام يدعو إلى حماية البيئة والإصلاح في الأرض؛ فهي من النعم العظيمة التي منحها الله لخلقه، تدعو إلى التأمل والتدبر وتستوجب شكر نعمة المنعم بعدها من شعب الإيمان وتزكية النفس ولو بإماطة الأذى عن الطريق، فقد خلقها الله صالحة من أجل تحقيق رسالة الاستخلاف وتحمل الأمانة التي حملها الإنسان وكان جهولاً بها.

¹ - القحطاني، "سؤال التسخير الكوني"، مرجع سابق، ص: 443.

ثالثاً: الحرّية:

تعد الحرّية من أصول الإسلام ومقتضيات الإيمان، وقد تحدث القرآن الكريم عن حرية الاختيار لإرادة الإنسان للفعل، وحمله كامل المسؤولية في ذلك كما جاء في قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} [الكهف: 29]، فهي شرف الاختيار من الحق سبحانه من خلال أمانة الخلافة في الأرض، وهذه الحرية ليست مطلقة بأن يفعل الفرد ما يشاء، إنما هي حرية مقيدة بشروط وضوابط، فحرية العقيدة تعني أن يدخل الإنسان في دينه بإرادة واختيار وطوعية بدون إكراه كما جاء في قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: 256]. فالإسلام دين الحرية ولم يُرغم أحداً على الدخول للإسلام قهراً؛ إنما امتازت الدعوة المحمّدية بالرحمة للعالمين، فالإسلام يدعو إلى السلم بالحجة والبيان والبرهان عن طريق الإقناع.

وأشار محمد عمارة إلى أن حرّية الإنسان هي حرّية خليفة وليست حرّية سيد هذا الوجود، إنه حر في حدود إمكاناته المخلوقة له، والتي لم يخلقها هو في إطار الملابس والعوامل الموضوعية الخارجية التي ليست من صنعه¹ إذ إن مبدأ الخلافة يقوم على مبدأ الامتحان والابتلاء والمحاسبة على العمل، فحرّيته لا تتجاوز حدود غيره والاعتداء على نفسه بل محاطة بقواعد وضوابط محكمة لإنشاء عمران حضاري انطلاقاً من مبدأ الاستخلاف وتزويل الحكم على الواقع مربوطاً بقوانين الحرية والعدالة والأمن الاجتماعي لتحقيق الحرّية الانتماء والشّعور بالطمأنينة والراحة والشّعور بقيمة العبوديّة للخالق سبحانه.

ولقد أوجبت الشريعة الإسلامية مجموعة من العقوبات من خلال تحريم الاعتداء على حقوق الآخر كما جاء في قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة: 38] وتحريم أكل أموال الناس بالباطل لقوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْخُلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 188] وتحريم القتل: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} [الإسراء: 33]، وبذلك شرع الله الحدود لكل من ظلم وتجاوز يقول تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 179].

¹ - محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى (1418هـ-1998م)، ص: 90.

فلقد استخلف الله الإنسان في الأرض بعدما تحمّل الأمانة الثقيلة التي أبت السموات والأرض أن يحملنها، وأطلق له حريته في استثمار ما في الكون من خلال إلزامه بالحقوق والواجبات، فإما أن يتخذ سبيل الحق والصواب والهداية، وإما أن يختار طريق الضلال والفساد؛ فالإنسان مخلوق منذ بدايته على الفطرة الربانية، فالإيمان والاهتداء هما الأصل، أما الكفر والعصيان فطارئان ناتجان إما عن الجهل أو التقليد أو الغفلة وغيرها من الرذائل المهلكة والمتسببة في الانحراف، يقول تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} [الأعراف: 172، 173].

فالفطرة التي فطر الله الخلق عليها هي الحبة والاتباع والإقرار بوحدانيتها وبأسمائه وصفاته، فلا يوفق من العباد في مهمتهم الاستخلافية إلا من حباه الله نور العلم والمعرفة، وزكى نفسه عن كل المعاصي والآثام، واتبع طريق الهداية والرشاد، فجعل حريته مستمدة من الوحي القرآني، وبالضوابط الشرعية، وبملازمة العقل، فيستمتع بمهمته الاستخلافية وحريته الذاتية بتوازن واعتدال وراحة وطمأنينة وتماسك وانسجام مع الكون، وتلك من ثمرات الإيمان يستشعرها أولو العقول والألباب، قال تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس: 62 - 64].

فالإنسان هو الذي يتولى تدبير أمور حريته باختياره؛ وما نلاحظه اليوم هو التجاوز والتجروء على حدود الله تعالى من خلال إطلاق الأفكار المغلوطة للتضليل والعصيان، والاعتقاد بأمر الحرية تعني فعله ما يشاء، قال تعالى: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يوسف: 103]، وقد أشار عبد السلام الأحمري إلى ذلك بقوله: "ولكن الله تعالى شاء أن يخلق الإنسان ويعرض عليه أمانة تقرير مصيره وتشكيله بإرادته الحرة في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة بحيث يكون في وسعه أن يعترف بألوهية الله أو يرفضها، وأن يطيعه أو يعصاه، وأن يتحمل مسؤولياته كاملة عما يفعل أو يترك، وعما يحب أو يكره وأن يسعد ويهنا بحسن فهمه وسديد رأيه، ويجني ثماره في العاجل والآجل، أو يشقى ويجزى إذا أساء التقدير فخالف قانون الخالق وتدبيره وحكمته من خلقه"¹.

¹ - عبد السلام محمد الأحمري، "استخلاف الإنسان في الأرض: نحو رؤية قرآنية كليّة"، أعمال الندوة العلمية الدولية بعنوان: القرآن الكريم ورؤية العالم: مسارات التفكير والتدبير، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، 5-6 شعبان 1435هـ/3-4 يونيو 2014م ص: 308.

فاستخلاف الإنسان فوق الأرض مرهون بمرحلة زمنية معينة ينتهي بانتهاء أجله، وبما أنه ليس مطلقاً فله حدود ومعايير وشروط لتحقيق سنّة الله في الكون بالعمل الصّالح، والعلم النّافع، وهو منح الإنسان حرّية الاختيار والفعل في الحياة الدّنيا، ثم محاسبته على اختياراته وأفعاله في الدار الآخرة، فالحرية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية تعطي للإنسان اعتباره وعزته فلا يقبل الفرد أن يكون عبداً لغير الله، فقد ولد الناس أحراراً ولا قيمة للحياة الإنسانية بدون الحرّية المقيدة بالضوابط الشرعية من أجل الحفاظ على سلامة النّفس، وإقامة العدل، ونشر الأمن بين الناس في إطار متوازن.

فالحرية في المنظور الإسلامي تكليف إلهي تتأسس عليه وتنشق منه رسالة الاستخلاف، فالحرية ضد العبوديّة، هي تعبير الفرد عن إرادته بالفعل بالاستجابة أو الرفض؛ فالإنسان مختار وسيحاسب على اختياره ليجازى عليه يوم الحساب، فحرّيته محصورة بالعمل الدنيوي، واستخلافه مرتبط بحرية اختياره، وهو مثاب على ذلك أو معاقب عليه كما في قوله: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: 7، 8]. ف" الاستخلاف هو أن الله تعالى منح الإنسان مسؤولية الاختيار والفعل في مجال الحياة الدّنيا ليتولى محاسبته على اختياراته وأفعاله في الدار الآخرة، وكأن الإنسان خلف الله في جانب ضئيل مما هو من شأنه الخاص، المتعلق بتدبير أمر الخلائق كلها. ولم يُستثنَ من ذلك إلا الإنس والجن اللذان وكلّ حيزاً ضيقاً من تدبيره المطلق إليهما، وهو المتعلق بالصّيرورة السلوكية للذات الإنسانية وعملها العمراني بحيث تصنع مصيرها بنفسها على الأرض وفي العالم الآخر"¹.

وخلاصة القول: إن الإسلام أعطى للإنسان قيمة وكرامة ونظاماً يفوق جميع الأنظمة الوضعية التي تتحدث عن حقوق الإنسان، فلا حرّية مطلقة في نشر الظلم والفساد والاعتداء على حقوق الغير، وكم عانت المجتمعات من التّعدي والسيطرة على الحقوق وإهدار الكرامة باسم الحرية؟ فإذا كانت الحرية سابقاً تهتم بتحرير الإنسان من العبوديّة للأصنام والأوثان وإخلاص العبادة لله وحده؛ فقد أصبح مفهومها اليوم أكثر تعقيداً لابتعادها عن المنظور الشرعي وارتباطها بالجانب المادي فقط، وهيمنة المصالح الفردية. فلم يحقق الإنسان الغاية الأسمى من وجوده، ولم يستغل حرّيته في البناء الحضاري والإنشاء العمراني، مما أثار الفوضى والإرهاب والقمع وظهور السلوك العدواني المنحرف وتعرّض الحياة البشريّة للاستهجان وإلغاء الحدود وقتل الأرواح البريئة باسم الحرية.

¹ - عبد السلام محمد الأحمري، "استخلاف الإنسان في الأرض"، مرجع سابق، ص: 307.

إن الحرية في ضوء الإسلام لها مقاصد وغايات لا تعد ولا تحصى، ولا تعطي ثمارها للفرد والمجتمع إلا من خلال الارتباط بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، والتشبث بالأخلاق الإسلامية الرفيعة، والجمع بين المنظور القرآني والكوني؛ فالإسلام ضبط كل السلوكيات للحياة البشرية حتى تزول الغشاوة، ويستنير العقل، ويستيقظ الضمير لمن شاء أن ينال رحمة الخالق لقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} [الجاثية: 15]. وحرر الإنسان من كثير من المعتقدات الخاطئة، والتصورات المغلوطة من خلال إصلاح العقيدة، وتنوير العقول بنور العلم والمعرفة، وفتح البصيرة على الآفاق الكونية لتستمد الحرية منهجها الواضح في الحياة الإنسانية انطلاقاً من التعاليم القرآنية والسنة النبوية؛ فقد تعامل سيد الخلق مع جميع الأجناس دون أن يجمع حرية الآخرين لين لنا أن دعوة الإسلام تقوم على اللين والرحمة وحسن المعاملة من خلال الحفاظ على حقوق الآخرين وواجباتهم لتعطي للحرية مفهوماً متميزاً يخص كرامة الإنسان والغير.

رابعاً: العدل

العدل في الرؤية الإسلامية فريضة واجبة وضرورة من الضرورات الاجتماعية لتحقيق شرع الله في الكون والقيام بمهمة الخلافة والتعمير في الأرض لقوله ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: 58]؛ فالمقصد الحضاري من الاستخلاف هو إقامة العدل، ونشر الأمن بين الناس؛ ومنهج الأنبياء والرسل في دعوتهم ينص على تحقيق العدل والمساواة، قال ﷺ: {وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ} [الشورى: 15]؛ فلا فرق بين غني وفقير، وأسود وأبيض إلا بالتقوى.

فالعدل مقصد أساس في الشريعة الإسلامية ينطلق من الإنصاف من الذات، ويعم الواقع؛ ففي واجب الإصلاح بين المؤمنين جاء قوله تعالى: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: 10] وهذه دعوة إلى الرحمة والألفة والعدل ونشر الحبة والانسجام في الكون من خلال تطبيق حكم الله في أرضه، ومن خلاله تنظم الحياة الإنسانية في مجالاتها المختلفة على أساس مبادئ الوحي. فللعدل غاية عظمى في عمارة الأرض تنطلق من الرؤية الإسلامية حسب منهج التوازن والاعتدال لتحقيق المقصد الحضاري لنهضة الأمة، وتحقيق شهودها ووسطيتها، فهو الشرط الضروري للتقدم، ونجاحها يتطلب تحريك جميع الطاقات والقوى حكماً ومحكوماً، صوب أهداف محددة وغايات مشتركة.

فالحلّافة البشريّة قامت على العدل من خلال المزج بين العنصرين المادي والروحي، كما في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [الحجر: 28، 29] ومن خلال نشأته حقق الغاية العظمى في تدبير أموره، وتحقيق مكتسباته، واستغلال ثروات أرضه بمنهج وسطي معتدل ومتوازن؛ وقد أشار عبد المجيد النجار إلى أن "التحضّر الإسلامي بني على شهادة العدل: حكمًا وصفيًا على أحوال الناس وآرائهم وأقوالهم، وحكمًا تنفيذيًا في التعامل بالقسط، وفي نصرة المظلومين المسلوبة حقوقهم برفع يد الظلم عنها وتمكينهم منها، فأصبحت هذه الشّهادة عنصرًا من العناصر الفقهيّة في التحضّر الإسلامي"¹.

فاستخلاف الله تعالى للإنسان، وتكليفه بمهمة التعمير، والسعي في الأرض بالإصلاح والصّلاح، والاعتبار بأحداث الماضي "تجنبًا وتفاديًا لمزالق الحاضر والمستقبل، وكلّ ذلك يفيد أن لواقع الإنسان، الذي هو مجال استخلافه وعمرانه، وميدان حركته وفعله، دورًا مهمًا وحاسمًا في أداء هذا الإنسان لمهامه تلك المنوطة به كمكلف مخاطب بالعلم بأحكام التكليف والعمل بها"²، فالإنسان منوط بمهمة عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش، والصّلاح والإصلاح مع خالقه، ومع نفسه ومع الآخر ومع بيئته، والقيام بما كلف به من عدل واستقامة وبر وطاعة لخالقه، وكل ذلك "شرط أساس لتحمل الإنسان مسؤولياته الحضارية بصدق وجد، فبمقدار ما تنزكي النفس وتصفو من كدورات الأهواء تتحمل مهام وظيفتها، وبمجرد ما تنطوي تلك النفس على شوائبها تعد مجرد أداة للإفساد في الأرض"³.

فالعدل ليس مجرد حق من الحقوق التي يجوز لصاحبها أن يتنازل عنها، وإنما هو مقصد من مقاصد الشريعة، يرتبط مفهومه بالوسطية والتوازن والإنصاف، وهو اسم من أسمائه تقدست بالجلال والكمال، فبالعدل تصان القيم، وتعطى الحقوق، وتستقر المبادئ، وتلك غاية الغايات لكل مجتمع متحضر ينشد الأمن والتقدم والازدهار لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: 8].

¹ - عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي، ج1، ص: 120.

² - سعيد شبار، الثقافة والعولمة، ص: 163.

³ - محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، (1419هـ - 1998م) ص: 24.

والعدل يظهر في جميع المجالات "العدل في الإسلام شامل: عدل اجتماعي وأخلاقي وعدل مالي واقتصادي وعدل إداري وسياسي وعدل أمام القضاء بتطبيق شرع الله في الكتاب والسنة والاجتهاد في ما لا نص فيه وصولاً إلى مقصد الشرع فيه وتحقيق مصالح الناس ودرء المفساد عنهم"¹.

فمقصد الشريعة الإسلامية هو تحقيق العدل، ونشر الرحمة بين الناس، وتقويم السلوك والأخلاق ليحقق الإنسان وظيفته في الأرض من خلال تفاعله ضمن دائرة القيم الأخلاقية لتكوين حضارة عمرانية.

خامساً: الوسطية:

شكلت التزكية محوراً أساسياً لبناء الإنسان، هدفها تحقيق العبودية لله تعالى، والانسجام مع الكون، وذلك بالإصلاح فيه وعدم الفساد؛ فكثير من الناس لم يستوعبوا مفهوم العمران ومجالاته المختلفة؛ فاقترضوا على شعائر العبادة، وأهملوا مجال العمل، حيث مالت نفوسهم إلى التطرف والانعزال والغلو، وأغفلوا دور العبادة واشتمالها على الجانب الديني والدنيوي، فعقيدة الإسلام عقيدة وسط، تمثل المنهج الوسطي بين المدرستين (المادية والمثالية)، والإسلام دين الوسطية في كل أحكامه وتشريعاته في عباداته ومعاملاته كقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ} [البقرة: 143].

فدعوة الإسلام ومنهجه قائمان على أساس العمل، وبناء حياة الإنسان على التعمير، وتحمل الأمانة، والمنهج الإسلامي يقوم على التوفيق بين الأمرين لا إفراط ولا تفريط، يقول تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: 77]. وقد أشار عبد المجيد النجار إلى أن "عقيدة الخلافة ليست قائمة على معنى التّعبد بالمعنى الخاص المتمثل في الشعائر المعروفة، وإنما هي قائمة على العبادة بمفهوم عام تصير به كل حركة الإنسان المادية والمعنوية عبادة لله تعالى، إن مهمة الخلافة تدفع بالإنسان إلى الاستثمار المادي للكون في أعلى درجاته، ولا مجال في عقيدة الخلافة لأي معنى من معاني العزلة والابتعاد عن عالم المادة والاقتصار على التّعبد بالمعنى الخاص"².

¹ - أحمد فؤاد عبد المنعم، ابن تيمية والولاية السياسية الكبرى في الإسلام، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1417هـ - ص: 259.

² - النجار، فقه التحضر الإسلامي، ج1، ص: 52.

فالمسلم مطالب في سعيه الحضاري بالانسجام مع الكون وفق ضوابط محكمة، وأن يمارس عملية العكوف وتربية الذات انطلاقاً من المنهج القرآني ليحقق التوازن النفسي من خلال الرؤية الشاملة لتحقيق الاستخلاف والعمارة في الأرض، فالمنهج الوسطي هو منهج مقاصدي حضاري عمراي ينفي الذاتية والأنانية عن النفس ليسعى بها إلى الأمن والاطمئنان من خلال التوافق والعمل الجماعي، أما عكس ذلك فيؤدي إلى الاضطراب والقلق والخوف والحيرة، فالإنسان بفطرته يحيا داخل الجماعة، ولا يستطيع العيش منعزلاً عنها في إطار نظام اجتماعي متوازن، وبقدر ما يكون التضاد النفسي داخل البيئة الاجتماعية يحصل الانفصام والعقد النفسية والانطوائية وظهور كل السلوكيات العدوانية.

فالمنهج الوسطي منهج تركيبي مزدوج شامل للعنصرين معاً، ف" إما روحانية مغرقة يضطهد فيها الجسم، فلا يقوى على فعل تعميري، وإما مادية مغرقة تكلُّ بها الروح عن أن تتصل بربها لتستلهم هداياه، وتصل الإنسان به على حبل من العباداة، وفي كلا الموضعين يتعطلُّ الترقى في ذات الفرد، بل يكون الانتكاس في مجال الخلافة، وذلك ما صورته قوله تعالى في حق الموضع الأول بقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} [الحديد: 27] وهو ما صورته في الموضع الثاني قوله تعالى: {وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا} [النساء: 27]¹.

فصناعة الاستخلاف تقوم على أساس التوازن والوسطية ونفي الفساد والطغيان بأن يكون إنساناً منتجاً يسعى إلى الإصلاح في المجتمع، وينهى عن الظلم والتخريب من خلال منهج الاعتدال، فكانت "الوسطية هي الضابط الأمني للاستقامة العمرانية التي تحمي الأمة من مخربات العمران، كالملاذات التي تغمس صاحبها في وحل الاستكبار، فتترلق قدمه، فيغرقه الكفر والتهيه في وحل الترف. يقول تعالى: {وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} [هود: 116]..... وليس الترف مظهراً عمرانياً لأن العمران انشغال بمهمة الاستخلاف، والترف معول لتخريب الأمة لانفصال أهله عن النهايات، قال تعالى: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: 55]².

¹ - النجار، فقه التضرع الإسلامي، ج 1 ص: 55.

² - رشيدة زغواني، "المعمار المنظور للرؤية العمرانية في القرآن الكريم" أعمال الندوة العلمية الدولية بعنوان: القرآن الكريم ورؤية العالم: مسارات التفكير والتدبير، الرابطة الحمديّة للعلماء- الرباط، (5-6 شعبان 1435هـ/3-4 يونيو 2014م)، ص: 251.

فالإسلام دين وسط في عباداته وشعائره يجمع بين الماديّات والروحانيّات لكون الإنسان جسداً وروحاً، فمعالم الوسطية في الشريعة الإسلاميّة منبثقة من الخيرية، وهي صفة ملازمة للأمة الإسلاميّة التي آمنت بالله، وأمرت بالمعروف، ونهت عن المنكر، فهي قائمة على مبدأ التكافل والتعاون بين المسلمين وغيرهم، بين الفقراء والأغنياء؛ والإسلام دعوته شاملة فلم يلغ ثقافات الشّعوب ولغاتهم وعاداتهم، بل يدعو إلى الوحدة والمساواة؛ والملاحظ اليوم ما يعيشه المسلمون برؤية سلبية ناتجة عن أزمة الإقصاء من طرف الآخر، فلم تستفد من ثقافة الاختلاف والتعددية، بل بقيت حييسة التزمت والانغلاق، ولم تستوعب مفهوم الوسطية الحضارية لتحقيق التوازن البيئي والنفسي لتؤدي مهمّة الاستخلاف، وتحقيق التّركية الفعلية من خلال الممارسة والفعل، والجمع بين المادة والروح، وخلق الانسجام والأمن النفسي داخل الأسرة وخارجها، ليعمّا البشريّة جمعاء، ويضيفاً على الكون صبغة الاعتدال والتوازن والوسطية، فيتحقق للأمة شهودها الحضاري وانبعاثها الكوني.

فمنهج الوسطية شمل كلّ المجالات والميادين سواء العبادات أو المعاملات، فنظّم سيرورة العيش؛ ففي مجال الإنفاق حدد كيفية السير بمنهج وسطي معتدل، قال تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } [الفرقان: 67]، وفي مجال الأكل والشرب قال تعالى: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } [الأعراف: 31] وفي مجال النّهي عن التبذير قال سبحانه: { وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27) } [الإسراء: 26، 27]، ونهى الشّارع عن اتّباع أمر المفسدين بقوله تعالى: { وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ } [الشعراء: 151، 152] إلى غير ذلك من الآيات.

فالإسلام دين وسطية واعتدال، ومنهج متوازن، لم يغفل جانباً على حساب آخر بل أعطى لكل واحد حقه، ففي مجال الطّبيعة أمره بالحفاظ عليها وعدم إتلافها وصيانتها من التلوث والفساد، واهتم بالإنسان وحقق له التّوازن النفسي والانسجام مع الطّبيعة ومع الآخر انطلاقاً من المنهج القرآني الجامع بين الرؤية التّوحيدية والكونية " فأولى خطوات الجمع بين القراءتين أن يستوعب الباحث الإشكالات المنهجية والمعرفية التي تأخذ بخناق فلسفة العلوم الطّبيعية والإنسانيّة في الواقع بمنطق نقدي تحليلي، ثم يحيل تساؤلاته في مجال هذه العلوم إلى القرآن الكريم لا لبحث عن التعارض أو التوافق، ولكن لبحث عن (الفهم الكوني) الذي يأخذ بالأبعاد الثلاثة في مركبات هذه العلوم"¹.

¹ - محمد أبو القاسم حاج حمد، جدلية الغيب والإنسان والطّبيعة، ص: (11-12).

فالوسطية قيمة محورية تستمد مرجعيتها من القرآن الكريم، وتقوم على العدل والمساواة وتجاوز الظلم والطغيان، فهي سمة شاملة للدين كله في كل أحكامه ونظمه وتشريعاته، وللإنسان من خلال ضبط معاملاته مع الآخر وإصلاح نفسه؛ فالقرآن الكريم نظم حياة الإنسان في كل حركاته وسكناته داعيًا إلى التوسط والاعتدال لتطبيق منهج الاستخلاف القائم على مبادئ أساسية منها منهج التوازن والاعتدال في إطار التفاعل بين الإنسان والكون.

وخلاصة القول: إن مبادئ الاستخلاف (التَّكْرِيم - الْحُرِّيَّة - التَّسْخِير - العدل - الوسطية) ارتبطت بمقاصد الوحي في بناء الحضارة وتحقيق العمران والتَّزْكِيَّة وفق ما جاء به الوحي من أجل إصلاح وتيرة العيش في الأرض والقيام بمهمة الاستخلاف على منهج متوازن ومعتدل؛ فالتَّزْكِيَّة الإيمانية أساس كل بناء عمراني، ودور الأمة أن تنهض بمنظورها الحضاري، وتسترجع همتها وعزها من خلال ارتباطها بعقيدتها الجامعة للعمل الصَّالح والعلم النافع، وتحقيق الخلافة والتَّعمير في الأرض، ولا يتأتى ذلك إلا بالجد والاجتهاد والإرادة القوية والثقة بالنفس والتَّوكل على الله والسعي للفلاح والاستقامة والإنابة والخضوع والتَّوكل والتَّعاون والتَّآخي والتَّعاطف لتحقيق وسطية حضارية، واسترجاع الأمة الخيرية باستخلاف مبني على التَّوحيد والتَّزْكِيَّة والعمران.

المطلب الثالث: التَّزْكِيَّة وحمل أمانة الاستخلاف

ينطوي مصطلح التَّزْكِيَّة على مفهوم عميق لتأسيس مفهوم الاستخلاف، حث عليها الشَّرع للوصول إلى الإحسان، والنَّفس البشريَّة لتزكيتها تحتاج إلى تربية ذوقية وصبر ومجاهدة للانتقال بها من النَّفس الأمارة إلى النَّفس اللوامة لترتقي إلى النَّفس المطمئنة. فالتَّزْكِيَّة هي غاية الاستخلاف الإيماني، وهي اللبنة الأساس في الهداية والصَّلاح ونشر الخير بين الناس، واستقامة النَّفس والسعي إلى تزكيتها والرقى بها بتطهيرها من برائن الشَّرك والكفر، والعلو بها إلى درجات الإيمان لترقى إلى مقامات الإحسان.

إن أساس التَّزْكِيَّة الحقَّة، لا يصح ولا يستقيم دون تنمية الإحساس بالمسؤولية الاستخلافية في أبعادها المختلفة، والعمل على تنمية قدرات النَّفس على حمل الأمانة العظمى، التي تطوق أعناق الآدميين، وجعلها قادرة على القيام بالواجبات وتحقيق المصالح، والامتناع عن المحظورات والمفاسد، والتَّهوض بأمانة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، فالاستخلاف سنَّة إلهية في الكون مرتبطة بمقاصد الدِّين الإسلامي الخفيف غايته تحقيق العبوديَّة لله - تعالى - واتباع الشَّريعة

في أمور الحياة؛ فالتزكية تمثل " منهجية إسلامية في ترقية الذات الإنسانية وترسيخها من خلال تربية الإنسان المنوط به أمر الخلافة في الأرض، فبتزكية النفس يتم ترقية الواقع ومن ثم يعد التغيير الداخلي مقدمة ضرورية للتغيير الخارجي"¹.

والتزكية لها دور كبير في عملية البناء والإصلاح، تتفاعل مع معطيات الكون والوحي لتحقيق الاستخلاف، وبناء النفس الإنسانية انطلاقاً من التكوين الذاتي لترتقي إلى شخصية ربانية، تجمع بين الدنيا والآخرة؛ فالتزكية والاستخلاف مفهومان متلازمان لإنشاء مجتمع من خلال علاقة الإنسان مع نفسه وبأخيه الإنسان، وعلاقة الإنسان بربه، فالنفس الإنسانية تربيتها منوطة بخلافتها؛ فإذا تزكت صلح أمر الإنسان وصلح واقعه الذي يعيش فيه، وبذلك فحضارة الإنسان تنبع من داخله بالإصلاح الداخلي بالمجاهدة والمحاسبة لتنتقل للإصلاح الخارجي،" من ثم كان المسلم مطالباً في سعيه الحضاري دائماً أن يمارس عملية العكوف على الذات، لتربيتها على أمر الله، وأخذها بشرع الله ولا تعني بذلك ضرباً من السلبية والهروب من الحياة، وفقدان التوازن الاجتماعي"².

وقد ارتبط الاستخلاف بمقاصد الشريعة الإسلامية، التي تسعى إلى بناء الشخصية الإنسانية وتحويلها إلى ذات فاعلة ومنتجة في الواقع تسعى من خلال وجودها إلى الإصلاح في الأرض وعمارتها، ونشر الخير والمحبة بين الناس بالتعاون والتراحم والترقي إلى الإحسان، وتعمير القلوب بالإيمان، وبذلك ينتظم الكون مع حياة الإنسان في طمأنينة وسلام، فتؤدي كل حركة في الحياة بتوازن وانتظام؛ فالإنسان سيد الكون بعمارته؛ والغاية من ذلك تحقيق مقصد الاستخلاف من خلال الخضوع لله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وترك التكبر والتجبر ونشر فضيلة الخير والمحبة والتعاطف والتراحم والألفة بين الناس، والتفاعل الإيجابي مع الكون، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال الجمع بين فهم الإنسان والمقصد من وجوده وغايته، وكيف يسعى إلى خلق استخلاف مبني على قوة الإيمان ووعي الضمير؛ فليس المقصود من تسيده فوق الأرض بأن يطلق لنفسه العنان ويفعل ما يشاء، بل وجوده مرتبط بضوابط وأحكام وقوانين، تربطه بالسّنن الإلهية والكونية،

¹ - محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية، مرجع سابق، ص: 53.

² - عمر عبيد حسنة، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، مرجع سابق، ص: 81.

فصلاح الكون مرتبط بصلاح الإنسان، والنفس البشرية بين أمرين: إما أن تتزكى كما في قوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا " وإما أن تقع في التدسية، بقوله تعالى: " قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا "، وبذلك كان الإيمان هو محور صلاح الإنسان، في بناء الفرد وتقويته من خلال حبه لله تعالى، وارتباطه بالعقيدة الإسلامية.

فالاستخلاف والتزكية مرتبطان بالإيمان، ويعطيها ذلك بعداً حضارياً راقياً، من خلال تحمل الإنسان لمسؤوليته في بناء الكون وأداء وظيفته تجاه خالقه من شعائر العبادة (الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج، وغيرها). تجاه الناس بحسن المعاملة (الصدق، الوفاء، الإيثار، البر، والتقوى....) وتجاه الكون وما يعيشه من نعم وخيرات، مؤدياً حق شكرها، فالنفس المؤمنة تسعى إلى تحقيق الاستخلاف من خلال ما يجب عليها بعدها الدنيا محطة ودار ابتلاء واختبار وامتحان، ساعية إلى العمل راغبة في الآخرة، ف "الإيمان يعتبر ممارسة للاستخلاف على مستوى النفس، التي استخلف الله الإنسان عليها، يزكّيها ويوجهها لما يصلح لها ويسعدها دنيا وأخرى، فالله خلق النفس وجعلها قابلة للهداية والضلال والطاعة والمعصية والاستقامة والانحراف، فالإيمان ممارسة استخلافية تأسيسية لكثير من التصورات الفكرية ولأفعال القلب والجوارح التي دعا إليها القرآن الكريم"¹.

فبقدر ما يحصل الانسجام بين النفس والطبيعة تحصل الاستجابة بتطبيق أوامره واجتناب نواهيه، فالغاية القرآنية تتجلى في مخاطبة النفس البشرية لتنسجم مع قوانين الكون للبناء والتعمير ونشر الخير والنفع، وعلى هذا، فإن المقصد القرآني في العمران الاستخلافي قائم على "حقيقة إبداعية قرآنية، وتوجه في جميع مناحيه بتوجيه قرآني، واصطبغ في روحه العامة ومظاهره الواقعية بصيغة التوحيد، وإذا هو عمران عرض نفسه على الناس ليستفيدوا منه، وأقام مع بني الإنسان جميع علاقات التعارف المبنية على العدل وإرادة الخير، فهو عمران سعى في الأرض باستثمار خيراتها وتوظيفها لمصلحة الإنسان مع المحافظة عليها من الفساد"².

¹ -عبد السلام محمد الأحمر، "استخلاف الإنسان في الأرض باعتباره مقصداً عاماً للقرآن والشرعية والحضارة" إسلامية المعرفة، العدد 89، السنة 23، صيف (1438هـ - 2017م) ص: 114.

² -عبد المجيد النجار، "مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني" إسلامية المعرفة، العدد 89، السنة 23، صيف (1438هـ - 2017م) ص: 76.

إن المنهج القرآني جمع بين عالم الغيب والشهادة، بين المادة والروح في إطار وحدة القيم لتحقيق الهداية والتوحيد والتزكية والعدل والمساواة والحرية، وجعل للإنسان غاية وهدفاً بعيداً عن كل عبثية، فإذا كانت النظرة المادية قد طمست هوية الإنسان، وعدته عنصراً من عناصر الطبيعة لا يخضع للقوانين الإنسانية الخاصة به، بل يشارك كبقية الكائنات الخاضعة لقوانين الطبيعة، مما ألغى وظيفته الاستخلافية في الكون، وألحقه بمجال الحيوان والنبات والجماد؛ فالحضارة الإسلامية في مختلف مناحيها، وجميع إنجازاتها، مرتبطة بالعامل الديني، تحت العقل على الاجتهاد والابتكار والاختراع والفهم العميق لتلك الظواهر الكونية، وعلى التفكير والتدبر والتبصر والتعقل في الكون الفسيح المرتب على منوال دقيق كما في قوله تعالى: {قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس: 101] وقوله ﷻ {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} [النمل: 69] وقوله تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [العنكبوت: 20] وكثير من الآيات تدعو إلى التدبر في خلق الله تعالى وما فيه من إبداع وإتقان وجمال يوحى للنفس باستشعار عظمة الخالق وتعويد القلب على التفكير والتدبر والخشوع والخشية والإنابة لله تعالى.

فرسالة القرآن رسالة عالمية كونية، يقول تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة: 33]، لكونه الإطار العام لعمل الإنسان، وفق المنهج الرباني الكفيل، بتحقيق التزكية والاستخلاف والتعمير في الأرض، فهو كتاب معادل موضوعي للكون مستوعب لجميع شروط الوعي الحضاري والبناء المعرفي، يسعى إلى إنماء قيم المشترك الإنساني لبناء المجتمع وعمارة الكون، لتحقيق الهداية والتزكية، فالإنسان المكلف بالاستخلاف منوط بالسنن التاريخية والاجتماعية بعمارة الأرض وحفظ نظام التعايش والصّلاح والإصلاح مع خالقه ومع نفسه ومع الآخر ومع بيئته والقيام بما كلف به من عدل واستقامة وبر وطاعة لخالقه وكل ذلك "شرط أساس لتحمل الإنسان مسؤولياته الحضارية بصدق وجد، فبمقدار ما تنزكي النفس وتصفو من كدورات الأهواء تتحمل مهام وظيفتها وبمجرد ما تنطوي تلك النفس على شوائبها تعد مجرد أداة للإفساد في الأرض"¹.

¹ - البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص: 24.

فمقاصد التّركية مقاصد حضارية قرآنية مبنية على القيم الرّوحيّة، وكلما كانت الاستجابة لهذه القيم نالت الأمة شرفها حينما يعمل بها؛ فلا تبقى مجرد أقوال، حتى تكون استجابة الفرد لمقاصد القرآن استجابة صادقة منبثقة من قلب صافٍ، وعقل رزين لا تغيّره الأهواء ولا يستجيب للشهوات؛ فالتّوحيد هو رمز عبادته، والإسلام مصدر قوته، والعمل هو ميدانه، والنجاح سبيله، والفوز غايته، والأخلاق مبدؤه والتّركية مناطه التّكليفي ومكسبه العمراني.

وخلاصة القول: تعد التّركية والاستخلاف حركتان دائمتان تستمرّان باستمرار الإنسان من خلال تحمله الأمانة وسعيه لنشر قيم الخير والصّلاح في الأرض، فمنطلقات التّغيير تبدأ من نظرة كلية شاملة ابتداء من النّفس البشريّة لنعم الكون والإنسانية جمعاء، وتشمل القيم والمبادئ العليا (التّوحيد والاستخلاف والتّركية والتّسخير...)؛ فإصلاح الواقع ينطلق من الفرد بتغيير سلوكيّاته وتوجيهاته نحو المسار الصّحيح ووفق المنهاج القويم، وتركيزه نفسه وترقيتها إلى المراتب العلى؛ وإصلاح الآخر من خلال معاملته معه بالإحسان والصّدق والتّقوى، وحركته داخل الكون بالسعي فيه، والعمل بالجد والاجتهاد والانتفاع به والحفاظة عليه بأداء الأمانة التي وكلت إليه؛ "فإذا كان التّوحيد يتعلق أساساً بالرؤية الإسلامية للإله الخالق المدبّر، والتّركية تتعلق بالرؤية الإسلامية للإنسان المخلوق المستخلف، فإنّ العمران يتعلق بالرؤية الإسلامية لوظيفة الإنسان في الأرض المستخلف فيها، فيكون العمران وفق هذه الرؤية قيمة معيارية تقاس بها قيمة الحياة في عمر الإنسان الفرد أو عمر الجماعة أو عمر الأمة"¹.

فأسس العمران تكمن في الرؤية القرآنيّة المعرفيّة، ولا يتحقق ذلك إلا بانسجام الوحي مع الواقع، وكل انفصال بينهما مآله الخراب والخسران، وتلك سنة الله في الكون؛ فلا بد من "تجديد الصّلة بين الإنسان وخالقه: لأجل تصحيح وتقوية العلاقة الرّوحيّة بين الفرد وربّه، وتحقيقاً للعبودية الكاملة لله والاتصال المباشر به في إنتاج القيم والمبادئ الصّالحة وإعمار الأرض بما يليق بمقام الاستخلاف لا بدّ من نهج طريق تركية النّفس والارتقاء بها إلى مدارج الفضيلة والسمو الكفيلين يجعل الفرد ضمن عباد الرّحمن"².

¹ - ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي، ص: 273.

² - -سعاد رحائم، "الشباب والشهود الحضاري"، مرجع سابق، ص: 69.

فالعمران يسعى إلى الرقي الحضاري من خلال التمازج بين الجانب المادي والجانب المعنوي (تزكية النفس) لتحقيق الاستخلاف انطلاقاً من تفاعل إرادة الإنسان وإرادة الله وما شرعه الله له من عقائد وعبادات ومعاملات؛ فلا مجال لتحقيق الاستخلاف إلا بالعودة إلى الرؤية القرآنية بطريقة استنهاضية استشرافية بنائية لمسيرة الواقع، واكتشاف آليات الوحي وتزليلها في الواقع، والمنهج القرآني يدعو إلى القراءة الجامعة، وينبه إلى ما في الكون من عناصر ومؤثرات، وإلى ترابط الأسباب بالمسببات وفعل الغيب بالواقع.

خلاصة الفصل الثالث:

"التوحيد التزكية العمران والاستخلاف" شكلت هذه المنظومة للقيم الروحية المبادئ الأساسية لتكوين الشخصية المسلمة ؛ فالتوحيد إلى جانب التزكية والعمران والاستخلاف مرجعية مقاصدية وبنية منهجية متكاملة، تجمع بين القراءتين قراءة الوحي، وقراءة الكون، من خلالها يصدر فعل الإنسان، بحسن القراءة والتدبر لهما، ويحقق أهدافه وغاياته؛ حيث عدت التزكية مصدراً أساسياً في قيام حضارة العمران والاستخلاف، إذ ارتبطت بمقاصد الوحي في بناء حضارتها وحققت مكاسب كثيرة في حياة الإنسان، ناتجة عن ترقية النفس نحو بناء حضاري عمري لتحقيق الاستخلاف في الأرض؛ فلم تقتصر التزكية على الأبعاد الروحية فقط، بل تجاوزت ذلك لتدخل ضمن دائرة المنظومة المعرفية القيمية من فرد وأسرة ومجتمع داخل انسجام دائرة النص القرآني لتحقيق العبودية لله عز وجل. ولا يتأتى ذلك إلا بتضافر الطاقات البشرية بالجمع بين ما هو روحي ومادي (عالم الغيب والشهادة) باعتماد منهج التوسط والاعتدال والتوازن في الكون ضمن دائرة المنظومة المعرفية القرآنية.

خاتمة:

في خاتمة هذه الرسالة تم الكشف عن حقيقة مفهوم التزكية وتبيان أهميته في حقله المعرفي، لما يحتويه من قضايا كبرى ومعان ودلالات ومقاصد وغايات، من شأنها أن تسهم في بناء عقيدة المسلم، لإعادة العلاقة الصحيحة للإنسان بالكون وتحديداتها، كما أراد رب العالمين؛ إذ صلاح الأمة الإسلامية وإخراجها من الوهن والنكوص الحضاري والدفع بها إلى استرداد مكانتها يحتاج إلى تزكية الفرد خاصة والمجتمع عامة؛ فالقرآن الكريم عني بالنفس الإنسانية عناية عظيمة في جميع جوانبها من جسم وعقل وروح، فأعطى لكل زاده، وعدت التربية القرآنية أرقى تربية للنفس البشرية، وهو ما ظهر أثره في الجيل الأول حيث غرست العقيدة في نفوسهم ومبادئ التوحيد والتزكية في قلوبهم. فسيل كل بناء حضاري هو مداواة النفوس وإصلاحها، وتبدأ المداواة بتجديد الصلة بالله تعالى وبناء الجانب الروحي من خلال وسائل التزكية من ذكر وتلاوة للقرآن وإنفاق في سبيل الله وعمل صالح وغيره.

ومن أهم خلاصات هذا البحث ونتائجه:

أولاً: أن التزكية مفهوم مركزي في القرآن الكريم والحديث الشريف، وهي مشتقة من الأصل الثلاثي (ز ك ا)، وتدور معانيها حول التطهير والتماء والزيادة في الحسن والنفع. تنسب تارة إلى الله تعالى لكونه مشرعاً لها، كما في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء: 49]، وتارة إلى النبي ﷺ باعتباره معلماً لأصول الفضائل، كما في قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: 103]، وتارة إلى العبد باعتباره مناط التكليف، كما في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ} [المؤمنون: 4].

ثانياً: أن التزكية وردت ضمن الدائرة الرباعية المقاصدية لتزول الوحي وبعث الرسول ﷺ وهي: (تلاوة الآيات، والتزكية، وتعليم الكتاب، والحكمة) في أكثر من آية لتحقيق مقصد الخيرية، فهي أمة الشهود قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143]، فلا يكفي العلم النظري ما لم يقترن بالتربية والتزكية لتحقيق أمانة الاستخلاف، فتقاس التزكية بمقدار التخلي عن كل الصفات القبيحة

والتَّحْلِي بِالصِّفَاتِ الْإِيجَابِيَّةِ الَّتِي أَمْتَدَحَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الجمعة: 2].

ثالثاً: أن التَّزْكِيَّةَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَرْتَبِطُ بِمَفْهُومِ الزَّكَاةِ؛ الَّتِي هِيَ رَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَشَعِيرَةٌ مِنْ شَعَائِرِهِ، وَالْهَدَفُ مِنْهَا تَهْذِيبُ السَّلُوكِ الْإِنْسَانِيِّ وَتَرْبِيَّتُهُ عَلَى مَبَادِئِ الْإِسْلَامِ وَتَعَالِيمِهِ، وَتَحْقِيقُ مَعَانِي الْعِبَادِيَّةِ مِنْ خِلَالِ تَطْهِيرِ النَّفْسِ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ؛ فِرَوحِ الْمَرْكِيِّ تَصْفُو وَتَتَطَهَّرُ وَتَزْدَادُ إِيمَانًا بِأَمْتِثَالِهَا لِأَمْرِ اللَّهِ الْمَتَمَثِّلِ فِي إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ وَإِعْطَائِهَا لِلْمَحْتَاجِينَ.

رابعاً: اشْتَمَلَتِ التَّزْكِيَّةُ بِاعْتِبَارِهَا مَفْهُومًا قُرْآنِيًّا عَلَى بَعْدَيْنِ:

- 1- بَعْدُ تَعَبُّدِيٍّ مَرْتَبِطٍ بِضَبْطِ السَّلُوكِ وَتَطْهِيرِ النَّفْسِ مِنْ بَرَاثِنِ الشَّرِّ وَالْهَوَى؛ إِذِ التَّزْكِيَّةُ مَصْطَلَحٌ يَسْتَجْمَعُ كُلَّ مَعَانِي النَّمُوِّ وَالْخَيْرِيَّةِ وَالصَّلَاحِ وَالزِّيَادَةِ فِي الْبِرِّ وَالطَّاعَةِ.
- 2- بَعْدُ مَقَاصِدِيٍّ مَهْتَمٍّ بِقَضَايَا الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ وَفَقْ نِظَامٍ رَبَّانِيٍّ مُتَوَازِنٍ يَتِمَثَّلُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِاعْتِبَارِهِ مِنْهَاجًا لِلأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَخَطَابًا تَرْبَوِيًّا لِلْإِصْلَاحِ وَتَحْقِيقِ مَبْدَأِ الْإِسْتِخْلَافِ وَالْعِمَارَةِ فِي الْأَرْضِ.

خامساً: أَنَّ التَّزْكِيَّةَ مَقْصَدٌ مِنْ مَقَاصِدِ الْوَحْيِ يَنْبَنِي عَلَى مَنْهَجٍ شَامِلٍ يَنْطَلِقُ مِنَ الذَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، لِتَجْعَلَ نَفْسَهَا مُطْمَئِنَّةً مُؤْمِنَةً تَحْقِيقُ مَبْدَأَ الْإِسْتِخْلَافِ انْطِلَاقًا مِنْ تَطْبِيقِهَا لِّلْسَلُوكِ الْعَمَلِيِّ الْحَضَارِيِّ وَمُلْتَزِمَةً بِالْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَمُرَاعِيَةً حَقُوقِهَا وَحَقُوقَ غَيْرِهَا. لِهَذَا كَانَ أَطْوَلُ قِسْمٍ فِي سُورَةِ الشَّمْسِ لِلرِّبْطِ بَيْنَ تَزْكِيَّةِ النَّفْسِ وَفَلَاحِ الْإِنْسَانِ، ذَلِكَ الْفَلَاحُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ عِزٌّ وَجَلٌّ مِنْ أَسْمَى غَايَاتِ الْخَلْقِ.

سادساً: أَنَّ التَّزْكِيَّةَ انْطَلَقَتْ مِنْ رِحَابِ الْقُرْآنِ، حَيْثُ تَعَدَّدَتْ وَسَائِلُهَا مِنْ صَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَحَجٍّ، وَذِكْرِ، وَدَعَاءٍ، وَغَيْرِهَا؛ إِذِ الْقَصْدُ مِنَ الْعِبَادَاتِ كُلِّهَا هُوَ الْحَثُّ عَلَى النَّفْعِ الْإِنْسَانِيِّ وَتَحْقِيقِ التَّقْوَى وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْإِتْيَانِ بِالْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ وَالْمَنْهِيَّاتِ، فَالتَّزْكِيَّةُ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى الْخُطْبِ وَالْمَوَاعِظِ بِالْأَقْوَالِ فَحَسْبُ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ السَّلُوكِ الْعَمَلِيِّ، فَهِيَ تَحْتَاجُ إِلَى مَجَاهِدَةٍ وَمُكَابَدَةٍ لِنَيْلِ الْفَلَاحِ.

سابعاً: شملت التزكية مجموعة من القدرات التي بها ترتقي النفس البشرية في مجالها المادي والروحي كتركيز المال والجسم والقلب والعقل، بحيث تتكامل فيما بينها لتشكل خلية عملية بناءة وطاقات إيجابية رفيعة لمن استغلها في طاعة ربه، فبمقدار حضورها والسعي في تطبيقها يكون الفرد عاصماً لنفسه من الزلل والانحراف، فطبيعة النفس البشرية تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنّيا، وتركيتها لا تتم إلا من خلال إصلاحها وتعميرها بالطاعة وتجنب كل معوقاتها.

ثامناً: يشكل التوحيد مدار العمل التطبيقي في عملية تركيز النفس الإنسانية باعتباره قيمة مركزية في المنهج الرباني القائم على بناء الذات الإنسانية السليمة وتحقيق العبودية الخالصة لله ﷻ، مما يسهم في تحقيق العمران الذي هو غاية الاستخلاف؛ إذ هو منوط بالتزكية التي بدورها تشكل شرطاً أساساً لتحقيق هذا الفعل الحضاري.

تاسعاً: إن أساس التزكية الحقّة مرتبط بالمسؤولية الاستخلافية؛ فاستخلاف بني آدم في الأرض إنّما كان لأجل إعمارها بالحقّ والإصلاح، ولا مجال لتحقيق الاستخلاف إلا بالعودة إلى الرؤية القرآنية بطريقة استنهاضية استشرافية بنائية لمسيرة الواقع، واكتشاف آليات الوحي وتزليلها في الواقع. فالتزكية ليست مسألة فردية وإنّما هي ضرورة جماعية تستدعي إصلاحاً شاملاً متكاملًا، وتضافر مجهودات كل من العلماء والمربين والمدرسين والآباء والأمهات في تفعيلها في الواقع الإنساني وفي كل جوانب الحياة سواء على مستوى النفس أو الفكر أو السلوك العملي.

عاشراً: ارتباط العمران بالعنصر الأخلاقي، لتكون التزكية والعمران ثنائية متلازمة، فبقدر تحقق التزكية يكون الترقّي، فكلما تركّزّت النفس أقبلت على الفعل الإيجابي وحققت عجلة التقدم والإبداع، وكلما ساءت الأخلاق فقدت الطمأنينة والراحة النفسية وشلت آمال النهوض والارتقاء؛ فكانت الحاجة اليوم إلى اللجوء لمقاصد القرآن وربط النفس البشرية بمعامله والتخلق بأخلاقه لكي تحقق التزكية فعلها ودورها الحضاري الراقي في بناء فكر المسلم وتوجيهه نحو الاستخلاف وتحقيق العمران.

توصيات:

- الاشتغال بالقضايا الحضارية، التي تساهم في إعادة الشهود للأمة الحضارية
- الهدف الأسمى من التّزكية هو تكوين الفرد المسلم الصالح النّاجح، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تنشئة أجيال واعية بمقاصد القرآن وغاياته.
- التّزكية ليست فقط مجرد آيات قرآنية تتلى، بل تربية وجدانية يتشكل بها الضمير الخلقي وفقا لمعايير الإسلام.
- إصلاح الفرد فهو المحور الأساس في عملية التغيير.
- إصلاح المناهج التعليمية على ضوء مقاصد القرآن الكريم والسنة النبوية.
- ربط التربية بالقيم الإسلامية وتفعيل قيم التّزكية داخل الأسر.

الفهارس العامة

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع

رابعاً : فهرس الموضوعات

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآيات
سورة الفاتحة		
1	1	بسم الله الرحمن الرحيم
290	2	رَبِّ الْعَالَمِينَ
سورة البقرة		
195	3	الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
164	4	وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ
117	5	أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
281	7	خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
296	21-22	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
322	25	وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
337	29	هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
341	30	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ
341	31	وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَقْبُلُوا بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
181	33	قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَغْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ
246	38	فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
78-76-169	43	أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ
213	45	وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
169	55-56	إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ
350	60	اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

173-60	83	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِأَلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ
249	87	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ
312	96	يَوْمَ أَخَذْتُمُوهُمُ لَوِيعَمْرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْجَرْجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ
112	105	وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
174-61	110	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
55	111	لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى
312	126	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
-86-49 148	128- 129	رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
69	129	رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
39	143	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
-56-49 85	151	كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ
206	153	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ
153	159	إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ
268	164	{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
268	170	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ
268	171	وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بكم عَمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
264	172	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ
150	174	إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
171-79	177	لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ

		وَالْكِتَابِ وَالتَّيِّبِينَ
354	179	وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
207	183	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
219	185	شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ
212	186	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ
354	188	وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
162	189	وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
207	197	الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ
350	205	وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ
339	208	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ
172	215	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَالَّذِينَ الْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ
112	218	أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
272	219	كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ
96	222	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ
166-58	232	وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ آزَكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
-208 242	238	حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ
190	256	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ
119	256	فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
169	257	اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
192-61	-261 262	مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

69	264	وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
236	268	الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
100	272	لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
-236 258	274	الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
192-81	276	يَمَحِقُ اللَّهُ الرَّبَّاءَ وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ
175	277	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
176	-278 279	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ
-149 162	282	وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ
346	286	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
سورة ال عمران		
282	8	رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ
230	14	زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ
289	18	وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
89	33	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ
302	36	وَإِنِّي أُعِيدُهَا بَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
89	38	رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ
169	43	يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ
153	71-70	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (70) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
-150 151	77	إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
258	92	لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ
224	97	وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا
107	102	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

272	103	كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
117	104	وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
183-39	110	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ
192	130	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
108	133	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ
158	138	هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ
86	159	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ
-78-68 -85-82 148	164	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
215	180	وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
-272 314	190	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ
سورة النساء		
-107 134	1	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا
87	41	فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا
-55-49 59-153	50-49	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (49) انْظُرْ كَيْفَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا
174	53	أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا
357	58	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا
233	76	فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا
253	99-97	إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا

89	113	وَعَلَّمَكُمَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا
232	120	يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا
244	135	فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا
61	162	لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا
232	165	رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَمَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ
سورة المائدة		
63	2	وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
95	6	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
358	8	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
170	12	وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ
-101 - 102 180	16-15	قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
55	18	نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ
106	27	قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ
144	35	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
354	38	وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
89	41	يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ
169	55	إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ
184	57	لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُورًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
174	62	وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
174	79-78	لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

		يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
236	91	إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ
69	108	وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ
134	-114 116	قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (115) وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَلَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ
سورة الانعام		
235	43	وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
158	52	وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ
-112 133	54	وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
210	71-72	قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنَسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ
104	104	قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ
16	115	وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
162	117	إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
244	119	يُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ
112	133	وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ
187	141	آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ
135	151	وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ
187	153	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
187	153	ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
-289 299	164	قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ
-314 344	165	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ
سورة الاعراف		

249	12-13	قَالَ مَا مَنَّكَ أَلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ
233	17-16	فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَا تَجِدُ فِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ
234	21-20	فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ
318	25	قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ
108	26	وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ
232	27	يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا
96	31	وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ
-238 266	32	قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ
101	43	وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ
249	35-36	يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (35) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
290	54	أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
134	55	ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
82	56	وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
112	57	وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ
342	69	وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
342	74	وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
-247 252	146	سَاءَصْرَفَ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
-80 -113 -114 188	156	وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ
264	157	وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ
319		قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ

319	158	فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
355	172-173	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ
244	176	وَاتَّبِعْ هَوَاهُ فَتَمَثَّلَ لَكَ الْكَلْبُ
291	180	لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
100	186	مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ
194	201	إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ
240	204	وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
250	206	إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ
سورة الأنفال		
237	48	وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ
78	63	وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ
سورة التوبة		
185	5	فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
185-79	11	فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِذُوا مِنْهُمْ فِي الدِّينِ وَفُصِّلَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
194	17	مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ
194-79	19-18	إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ
237	20	الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ
292	30	وَقَالَتِ الْيَهُودُ غَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَمَّا يُؤْفَكُونَ
292	31	اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ
-319 365	33	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ

174-201	35-34	وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ
360	55	فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ
178-206	60	إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
184	67	الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
183	71	الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
25-23-93-82-94-97-56-124-146-206	103-104	خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
96	108	لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ
107	119	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ
114-86	128	لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ
سورة يونس		
104	9	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ
314-344	14	ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ
103	57	يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
177-76	63-62	أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
342	73	فَكَذَّبُوهُ فَتَبْجِثْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ

		عَاقِبَةُ الْمُتَنَذِرِينَ
365	101	قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ
سورة هود		
343	57	فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ
-312 313	61	وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا
210	114	وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ
360	116	وَاتَّبِعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتْرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ
سورة يوسف		
136	53	وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ
355	103	وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ
سورة الرعد		
347	2	وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى
102	7	وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ
-149-6 97	11	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ
123	29-28	الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا بَدَأَ
301	38	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً
سورة ابراهيم		
219	7	لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ
237	22	وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
346	33- 32	وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
312	37	رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ
243	43	وَأَفْنِدْهُمْ هَوَاءً
سورة الحجر		

296	4-3	وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3) وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِصِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
69	29-28	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ
312	72	لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ
-164 181	99	وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ
سورة النحل		
-272 346	12	وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُوسُ مُسْتَخَرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
252	23-22	إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (22) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ
330	32	الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.
53	36	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
259	53	وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ
120	59-58	وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ
312	70	وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ
131	72	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
60	89	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ
104	92	وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
75-62	97	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
-233 238	-99 100	إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ
103-53	125	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
105	128	إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ
سورة الاسراء		
121	15	مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا

102	9	إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا
301	24-23	{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا
215	27-26	وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا. 26 {وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا
40	29	وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا
263	36	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا
263	37	وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا
318	44	تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ
344	70	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا
112	100	قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا
الكهف		
-100 101	17	مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ
-25 57-165	19	فَلْيَنْظُرْ آيُّهَا أَرْكَىٰ طَعَامًا
244	28	وَلَا تُطْع مَنْ أَغْلَقْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا
-102 121	29	وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ
164-62	74	أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا
61-23	81	فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
322	107	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا
سورة مريم		
-58-23 196	13-12	يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا
89	18	إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا
89-50	19	قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا
186-89	33-30	قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ

		وَالزَّكَاةَ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبِرًّا بَوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا
89	38	رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ
88	55-54	وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا
326	96	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا
سورة طه		
208	14-13	وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي
-101 155	50	قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى
318	55	مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى
117	64	فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى
57	75	وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى
—56 155-58	76-75	{وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى
234	120	فَوْسُوسٍ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَذُنْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكُ لَا يَنْلِي
104	123	فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى
-117 123	-124 125	{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا
سورة الأنبياء		
296	22	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ
53	25	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ
318	30	وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ
251	41	وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
312	44	بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ
-80 -101 195	73	وَجَعَلْنَاهُمْ أُنْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ
88	86-85	وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ
303	92	إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ
114	107	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

سورة الحج		
318	18	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
207	28	لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
224	32	وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ
181-80	40 41	{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ
-280 281	46	فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ
148	54	وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
346	63	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ
178-80	78	فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ
سورة المومنون		
-79-60 -117 187	4-1	{ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ } [المؤمنون: 1 - 9].
249	48-45	ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (46) فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (47) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ
261	51	يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ
303	52	إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ
194	61-57	إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ
245	71	وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ
292	89-84	قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85) قُلْ مَنْ رَبُّ

		السَّمَاوَاتِ السَّعَةِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87) قُلْ مَنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ
239	98-97	وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ
سورة النور		
-67-49 -111 -113 -142 125	22-21	وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21)
57	27	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ
—50 165-58	28	وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ
-50 —58 166-59	30	قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ
193	37-36	فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالًا لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
242	41	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ
108-68	52	وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ
179	54	قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا...
148	55	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا
-80 -179 184	56	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
272	61	كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ
58	62	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

سورة الفرقان		
319	2	وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا
196	63	وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا
-257 -260 361	67	وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا
سورة الشعراء		
312	18	وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ
280	87-89	وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ
361	-151 152	وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ
سورة النمل		
180	3-1	طَسَ تَلَكُ الْآيَاتِ الْقُرْآنَ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ
3	40	{وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}
344	62	وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ
365	69	قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
سورة القصص		
249	5-4	إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ
249	39-38	وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38) وَاسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ
312	45	وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ
-243 245	50	وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
100	56	إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
113	73	وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
359	77	وَاتَّبَعَ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

سورة العنكبوت		
301	8	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا
-327 -347 365	20	قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
268	43	وَمَا يَعْزُبُ عَنْهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ
-208 211	45	اِنَّ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ
85	48	وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ
292	61	وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ
292	63	وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
سورة الروم		
321	8	أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ
311	9	وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا
318	20	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ
301	22	وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ
244	29	بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ
-81-60 191	39	وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لَّيْرَبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُبُّو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ
-308 350	41	ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
سورة لقمان		
180	4-1	الم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (3) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ
208	17	يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ
346	20	أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ لَهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً
134	28	مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
سورة السجدة		
155	7	الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ

189	18	فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ
سورة الأحزاب		
307	21	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
189	33	وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا
193	42-41	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
89	46-45	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا
107	70	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا
106	71	يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
343	72	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا
سورة سبأ		
81	39	قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ
سورة فاطر		
232	6	إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ
312	11	وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مَّعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ
159-23	18	{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَآ لَا يَحْمِلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكَىٰ فَإِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ
344	39	هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ
سورة يس		
295	40	لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ
232	62-60	أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ
312	68	وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ
سورة الصافات		
302	100	رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ
303	102	افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ

سورة ص		
341-344	26	يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا الْحِسَابَ
19	29	كِتَابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ
88	48-45	وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ (46) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (47) وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ
248	78-71	إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
سورة الزمر		
196	18-17	فَبَشِّرْ عِبَادَ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ
281	22	أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
104	36	وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ
134	42	اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
250	60-59	بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ
سورة غافر		
281	35	كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ
250	60	وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ
296	62	ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا تَوْفِكُونَ
252	76	ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ
سورة فصلت		
80-61-190	7-6	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (6) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ

317	11	ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ
250	15	فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
100	17	وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ
263	46	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ
138	53	سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ
سورة الشورى		
187	13	أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ
357	15	وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ
266	20	مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ
230	27	وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ { وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ
210	38	الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
101	52	وَأِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
سورة الزخرف		
-239 285	37-36	مَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ
177	69-68	يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (68) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ
292	87	وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ
سورة الدخان		
249	31-30	وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (30) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ
سورة الجاثية		
346	13-12	اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
37	15	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ
244	23	أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ
سورة الأحقاف		

163	9	قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ
152	20	وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ
سورة محمد		
101	17	الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ
244	14	وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
273	17	وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ
289	19	اعْلَمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
180	24	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا
342	38	هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (38)
سورة الفتح		
163	2	لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ
281	4	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ
سورة الحجرات		
357	10	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
263	11	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْمُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
-68 -107 110	13	إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ
322	14	قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
218	15	وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
		إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ
سورة قاف		
317	8-7	وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
134	16	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ
280	37	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ

سورة الذاريات		
135-137	21	وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ
318-349	49	وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
206	58-56	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ
سورة الطور		
312	4-1	وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ
سورة النجم		
102	30	ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى
49-25-68-76-54-160-162	32	الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى
سورة القمر		
107	55-54	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ
سورة الرحمن		
231	15	وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ
سورة الحديد		
219	7	آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ
237	20	اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
360	27	وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا
سورة المجادلة		
167	12	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

177	13	أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
194	19	اسْتَحْذَرُوا الشَّيْطَانَ فَإِنَّ سَاهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ
سورة الحشر		
217	7	كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ
-218 258	9	وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
237	17-16	كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16) {فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ}
107	18	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
325	21	لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضُرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
248	24	هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)
سورة الصف		
308	3-2	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ
سورة الجمعة		
-78-49 148-84	2	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
سورة المنافقون		
272	3	فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ
250	6-5	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (5) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ
سورة التغابن		
344	3	خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ
-107 -117 156	16-15	إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (15) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
سورة الطلاق		

106	10	فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا
سورة الملك		
268	10	وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
-313 326	15	هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ التُّشُور
سورة القلم		
86	4	وَالَّذِي عَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ
سورة المعارج		
81	25-19	إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25)
سورة الحاقة		
81	34-30	خُدُّوهُ فَعْلُوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34)
سورة نوح		
250	7	وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا
349	17	وَاللَّهُ أَنْتَبَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا
سورة المزمل		
26	20	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
سورة المدثر		
95	4	وَنَبَأَكَ فَطَهَّرَ
سورة القيامة		
136	2-1	لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ
152	23-22	وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ
152	25-24	وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (24) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (25)
سورة الإنسان		
328	3	إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا
سورة النازعات		

-103 -124 155	19-16	ذُ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (16) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19)
-54-53 59	19-18	فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى
99	24-17	اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (20) فَكَذَّبَ وَعَصَى (21) ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى (22) فَحَشَرَ فَنَادَى (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى
-133 230	41-37	فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى.
سورة عبس		
157	4-1	عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهَ يَزَكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى
سورة الأعلى		
-25 -116 -117 125	14	قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى
سورة الفجر		
313	10-6	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ
218	20-19	وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا
-136 137	30-27	يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29)
سورة الشمس		
-25-6 -70-32 -49-39 -117 -118 -120	10-7	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا

-125 144		
سورة الليل		
-25 -105 125	18-17	وَسِجِّجْهَا اللَّاتِي (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى
159	21-14	{فَأَلْزَمْنَا كُمُ نَارًا تَلْظَى (14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (16) وَسِجِّجْهَا اللَّاتِي (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21) [الليل: 14 - 21]}
سورة التين		
344	5-4	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ
سورة العلق		
19	1	اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ
سورة البينة		
82-79	5	وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ
63	8-7	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ
سورة الزلزلة		
175	8-7	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ
سورة العاديات		
258	8	وَاللَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ
سورة العصر		
322	3-1	وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

رقم الصفحة	الحديث
3	مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ
31	أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا
221-31	إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُكَدِّرُكَ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ
31	مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ
31	سُئِلَ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَلِجُ النَّاسُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ: حُسْنُ الْخُلُقِ
35-95- 279	أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ
209	رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي
64-109- 124	اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبَخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ
52-149	ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
66	ادْفِنْنِي مَعَ صَوَاحِبِي، وَلَا تَدْفِنْنِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْبَيْتِ
162	أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ مِنَ اللَّهِ
291-54	يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
63	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ
63	ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ
81	مَا تَقَصَّتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ
81	وَاللَّهُ لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا
68	أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمُ اللَّهَ وَأَتَقَاكُمُ لَهُ
86	قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: اقْرَأْ عَلَيَّكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»
96	أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ
97	الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَاتِّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ
137-107	قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ ﷺ: أَتَقَاهُمْ
108	

109-64	اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبَخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ
110	سئل أي النَّاسِ أَفْضَلُ: كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ. قَالُوا مَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: ﷺ هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ
110	سمعت رسول الله ﷺ يقول: إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ،
221	مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ
137	اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا
137-64	اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا
139	قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَذَا الطَّعْنُ عَرَفَنَاهُ فَمَا الطَّاعُونَ؟ قَالَ: يُشَبِّهُ الدَّمْلَ
139	سَتَهِجَرُونَ إِلَى الشَّامِ، فَيَفْتَحُ لَكُمْ، وَيَكُونُ فِيكُمْ دَاءٌ كَالدَّمْلِ، أَوْ كَالْحَرَّةِ يَأْخُذُ بِمِرَاقِ الرَّجُلِ، يَسْتَشْهَدُ اللَّهُ بِهِ
152	وَيَحِكُ، فَطَعَتْ عُنُقَ صَاحِبِكَ
157	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرُشِكُمْ
160	لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ
162	أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ
171	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ
181	يَأْيُهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ
184	الْإِسْلَامَ يُحِبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ
150	مَنْ حَرَّ نَوْبَهُ خِيَلَاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
181	يَأْيُهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ
192	أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي
196	الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ
112-197	سمعت رسول الله ﷺ يقول أنا الرَّحْمَنُ، وَهِيَ الرَّحْمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ
198	بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ
199	حَقَّ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْمُؤْمِنِ سِتٌّ
199	اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّوْبِيلَ
199	إِنَّكَ سَتَاتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ
206	يَا بَلَّالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرْحَنَّا بِهَا
207	إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ
196	دَلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَالَ: "تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ
207	سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا"، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "بِرُّ الْوَالِدَيْنِ
197	أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَذَكَرَ حَدِيثَهُ مَعَ هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ فَقَالَ لَهُ: بِمِ يَأْمُرُكُمْ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَأْمُرُنَا
	بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ وَالْعَفَافِ.
197	أَخْبَرَنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ الْقَوْمُ: مَا لَهُ؟ مَا لَهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَرَبُّ مَا لَهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَعْبُدُ اللَّهَ
113	تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ

157	لو أنكم تكونون إذا خرجتم من عندي كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة
161	وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟ فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهُ مَا أَذْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ، مَا يُفْعَلُ بِي» قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَا أَزْكِي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا
209	أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ.
209	أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ حَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟ قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا.
209	الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تَغْشَ الْكَبَائِرُ
210	إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ، فَتَمَضَّمَصْ خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ فِيهِ وَإِذَا اسْتَنْشَرَ خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ أَنْفِهِ
210	مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ
211	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى
213	فَاعْلَمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ إِلَى فَقَرَائِهِمْ.
213	وَاللَّهُ لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ.
214	مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَفْرَعُ لَهُ زَبْيَتَانِ يُطَوِّفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
218	يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ
219	إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ: أَتَيْنَ الصَّائِمُونَ؟
219	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: "إِنَّمَا تَرَكْ شَهَوَاتِهِ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي، فَالصَّيَّامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ
219	كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَّامَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصَّيَّامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ صَوْمُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرِفْ وَلَا يَصْحَبْ
220	مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ
222	مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا
223	سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَيِّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
223	أَيُّهَا النَّاسُ: قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلُ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
225	الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ
225	مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ
227	وَاللَّهُ إِنِّي لَأُقَبِّلُكَ وَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، وَأَنَّكَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبَّلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ
231	يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ
234	قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِنِي؟ قَالَ: "لَا تَغْضَبُ" فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: لَا تَغْضَبُ
234	إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ
234	يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟
235	مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا
236	إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ
237	فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا

	تَنَافَسُوها، فَتَهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ
239	أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ
239	مِثْلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأَثْرِجَةِ؛ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالثَّمَرَةِ.
240	مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ.
244	إِنَّ مَا أَحْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتُ الْغِيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضَلَّاتِ الْهَوَى
250	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرِّجْلَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَتَعْلُهُ حَسَنًا.
260	أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ
261	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ
263	مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتُ يُقَمِّنُ صَلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَهَ فَنُلْتُ لِطَعَامِهِ
264	اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ،
264	فَإِنْ لِحَسَدِكَ عَلَيَّ حَقًّا، وَإِنْ لِعَيْنِكَ عَلَيَّ حَقًّا، وَإِنْ لِرِوَجِكَ عَلَيَّ حَقًّا
282	إِنْ أَحَدُكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تُطْفَأَ ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ
298	ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا
301	إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ
321	أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ هَلْ تَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ،
350	إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالِدُّعَاءِ
350	دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ.
350	غَفِرَ لَامْرَأَةٍ مُؤَمِّسَةٍ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ قَالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، فَتَزَعَتْ خُفُّهَا
350	هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ
350	إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟
171	قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ،
191	لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ، وَقَالَ هُم سَوَاءٌ
233	إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعْدَ لَابْنِ آدَمَ بِطَرَقٍ، فَقَعْدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: أَتَسْلِمُ وَتَتْرِكُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ؟ فَعَصَاهُ
212	جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ
247	قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ
352	لَا ضَرَرَ وَلَا ضَارَرَ

فهرس المصادر والمراجع

المتن المدروس:

– القرآن الكريم.

– الحديث النبوي الصحيح.

– أ –

- 1) إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار (مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، (1425هـ – 2004م).
- 2) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، نزهة الأعين النواظر في الوجوه والتناظر، دراسة وتحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، (1407هـ – 1987م).
- 3) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ذم الهوى، تحقيق خالد عبد اللطيف، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى (1418هـ – 1998م).
- 4) ابن بطل، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الثانية، (1423هـ – 2003م).
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم:
- 5) السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، راجعه محمد عبد الله السمان، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.
- 6) تزكية النفس، تحقيق محمد بن سعيد القحطاني، دار المسلم، الطبعة الأولى، (1415هـ – 1994م).
- 7) درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، الطبعة الثانية، (1411هـ – 1991م).
- 8) مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، دون طبعة، (1416هـ – 1995م).
- مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، 1426هـ – 2005م.
- 9) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، (1419هـ – 1999م).
- 10) ابن جبرين، عبد الله بن عبد الرحمن، التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية، تحقيق أبو أنس علي بن حسين، دار الوطن للنشر، 1998م.

11) ابن جزري، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي أبو القاسم، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبية على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق: ماجد الحموي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، (1434هـ - 2013م)

12) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني أبو الفضل:

فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، (1414هـ - 1993م).

13) ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، (1422هـ - 2001م).

14) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء:

15) مجمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، (1406هـ - 1986م).

16) مقاييس اللغة، راجعه وعلق عليه أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، (1429هـ - 2008م).

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب:

17) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار التقوى، الطبعة الأولى، 1999م.

18) الفوائد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (بدون طبعة).

19) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، صححه وخرج أحاديثه محمد عبد الله، دار التقوى، شبرا الخيمة، 2004م.

20) الرسالة التبوكية، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، (1430هـ - 2009م).

21) زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة والعشرون، (1415هـ - 1994م).

22) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي:

تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، (1420هـ - 1999م).

تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت: الطبعة الأولى، 1419هـ.

- 23) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، السنن، دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
- 24) ابن منظور أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ.
- 25) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، الطبعة الثانية، (1375 هـ - 1955 م).
- 26) أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر، عقيدة المؤمن، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثانية، (1398 هـ - 1978 م).
- 27) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، 1420 هـ .
- 28) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، كتاب السنن، دار الكتاب العربي، بيروت، دون طبعة ودون تاريخ، والأحاديث مذيلة بأحكام الشيخ الألباني.
- 29) أحمد ابن عجيبة أبو العباس، إيقاظ المهمم في شرح الحكم، دار المعرفة، بيروت، دون طبعة ودون تاريخ.
- 30) أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني، المسند، مؤسسة قرطبة - القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها، دون طبعة ودون تاريخ.
- 31) أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، أبو العباس: مختصر منهاج القاصدين، دار العقيدة - الإسكندرية، الطبعة الأولى (2005 هـ - 1426 م).
- مختصر منهاج القاصدين، دار إحياء العلوم - بيروت، (1418 هـ - 1997 م).
- 32) أحمد فرج، مقال في الإنسان والتوحيد، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، (1414 هـ - 1993 م).
- 33) أحمد فؤاد عبد المنعم، ابن تيمية والولاية السياسية الكبرى في الإسلام، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1417 هـ.
- 34) الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001 م.
- 35) الأسترابادي، ركن الدين حسن بن محمد الحسيني، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، (1425 هـ - 2004 م).
- 36) إسماعيل راجي الفاروقي: إسلامية المعرفة، المبادئ العامة - خطة العمل - الإنجازات، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001 م.

التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، ترجمة السيد عمر، مدارات للأبحاث والنشر، دار الكتب المصرية، (ربيع الأول 1435هـ - يناير 2014م).

37) الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.

38) أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تركية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، (1415هـ - 1995م).

39) ايف لاكسوت، العلامة ابن خلدون، دار الفرائي، بيروت، الطبعة الثانية، 1982م.

- ب -

40) الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية - لبنان، (1407هـ - 1987م).

41) البخاري أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، حققه طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان بالمنصورة، طبعة جديدة محققة، (1423هـ - 2003م).

42) بشير الجلطى، حقيقة التصوف بين التأصيل والتأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1433هـ، 2012م).

43) البغوي، محيي السنة، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1420 هـ.

البوشيخي، الشاهد بن محمد:

44) مصطلح الأمة بين الإقامة والتقويم والاستقامة، دراسة مصطلحية: 8، ندوة مناهج الاستمداد من الوحي بتطوان، (5-6 مارس، 2008م).

45) القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2002م.

مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين: قضايا ونماذج، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، 1982م.

46) نظرات في المصطلح والمنهج، دراسة مصطلحية: 2، مطبعة أنفو - فاس، المغرب، الطبعة الثالثة، 2004م.

47) نظرات في المصطلح والمنهج، دراسة مصطلحية، مطبعة أنفو - فاس، المغرب، الطبعة الثانية، 2003م.

48) البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، (1419هـ - 1998م).

- ت -

- 49) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، السنن، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دون طبعة ودون تاريخ.
- 50) التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى، 1996م.
- 51) التويعري، عبدالعزيز بن عثمان، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الأولى، (1419هـ - 1998م).

- ج -

- 52) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الشريف، التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.
- 53) جميلة بوزيان، منهجية البحث في المصطلح القرآني من الدراسة المصطلحية إلى التفسير الموضوعي، فاس، الطبعة الأولى، (2013-2014م).

- ح -

- 54) الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، كتاب آداب النفوس، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الثانية، (1411هـ - 1991م).
- 55) الحاكم أبو عبد الله، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، (1411هـ - 1990م)، مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص.
- 56) الحبيب مغراوي، مفهوم الهدى في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، دبي، الطبعة الأولى، (1432هـ - 2011م).

- 57) حسن حنفي، بحوث في علوم أصول الدين - أصول الفقه - العقل والنقل، دار المعارف 1994م.

- خ -

- 58) الخليل الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دون طبعة ودون تاريخ.

- د -

- 59) الدارمي أبو محمد، عبد الله بن عبد الرحمن، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني - السعودية، الطبعة: الأولى، (1412هـ - 2000م).

- ر -

60) الرازي زين الدين، محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية،
الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، (1420هـ-1999م).

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد:

61) الذريعة إلى مكارم الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1400هـ-1980م).

62) مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة، (1430هـ-2009م).

- ز -

63) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، (1405هـ-1985م)

64) الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ.

- س -

65) سرمد الطائي، تحولات الفكر الإسلامي المعاصر: المرجعيات - المناهج - أسئلة التجديد، دار الهادي، بيروت، 2003م.

66) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (1420هـ-2000م).

67) سعيد النورسي، كليات رسائل النور، ترجمة إحسان قاسم الصالح، دار سوزلز للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، (1412هـ-1992م).

68) سعيد حوى، المستخلص من تركية الأنفس، دار السلام، القاهرة، الطبعة التاسعة، (1423هـ-2002م).

69) سعيد شبار، الثقافة والعولمة وقضايا إصلاح الفكر والتجديد في العلوم الإسلامية، مركز دراسات المعرفة والحضارة، دار الإنماء الثقافي، الطبعة الأولى، 2014م.

70) سليمان الخطيب- منى أبو الفضل- أميمة عبود، الحوار مع الغرب: آلياته، أهدافه، دوافعه، دار الفكر، دمشق.

71) سميح عاطف الزين، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، الطبعة الأولى، (1411هـ، 1991م).

سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي:

- 72 في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة السابعة عشر - 1412هـ.
- 73 خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الثانية عشر، (1413هـ - 1993م).

- ش -

- 74 الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، (1417هـ - 1997م).
- 75 الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر - بيروت، (1415 هـ - 1995 م).
- 76 الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ.
- 77 الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - 1414 هـ.

- ط -

- 78 الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، الطبعة الأولى، (1405هـ - 1985م).
- 79 الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (1420هـ - 2000 م).

طه جابر العلواني:

- 80 الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، (1424هـ - 2003م).
- 81 التوحيد والتزكية والعمران: محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، دار الهادي - بيروت.
- 82 الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، (1435هـ - 2014م).
- الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، (1427هـ - 2006م).
- 83 معالم في المنهج القرآني، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، (1431هـ - 2010م).
- 84 نحو الاجتهاد والتجديد: مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية، دار التنوير، الطبعة الأولى، (1429هـ، 2008م).

طه عبد الرحمن:

85 يؤس الدهرانية: النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2014م.

86 روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2012م.

87 سؤال العمل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2012م.

- ع -

88 عبد الرحمن العضراوي، مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي، مركز نماء للبحوث والدراسات بيروت، الطبعة الأولى، 2015م.

89 عبد الفتاح عاشور، منهج القرآن في تربية المجتمع، دار الجليل، مصر، الطبعة الأولى، (1399هـ-1979م).

90 عبد الله طاهيري، الإنسان والعمران من خلال قصص القرآن، دار الكلمة، المغرب، الطبعة الأولى، 2018م.

عبد المجيد النجار:

91 الإيمان بالله وأثره في الحياة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

92 فقه التحضر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م.

عبد الوهاب المسيري:

93 موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول، دار الشروق، الطبعة 1999م.

94 العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، (1423هـ-2002م).

95 فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، دار النهضة، مصر، الطبعة الأولى، 1998م.

96 عزيز البطيوي، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنند-فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، (1439هـ-2018).

97 علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، 1993م.

98 عمر عبيدة حسنة، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1405هـ-1985م).

99 العيني بدر الدين، أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دون طبعة ودون تاريخ.

- غ -

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي:

- 100 إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، دون طبعة وتاريخ.
- 101 الاقتصاد في الاعتقاد، الطبعة الثانية، مصر، 1327هـ.
- 102 التبرك المسبوك في نصيحة الملوك، دراسة وتحقيق: محمد أحمد دمج، المركز الإسلامي للبحوث، الطبعة الأولى، (1407هـ-1987م).
- 103 مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الفكر - بيروت، (1421هـ-2000م).
- 104 معارج القدس في مدارج معرفه النفس، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الثانية، 1975م.
- 105 ميزان العمل، شرحه ووضع فهارسه: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية، 2012م.
- 106 المنقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبي، دار الأندلس، بيروت، دون طبعة، 1973م.

- ف -

- 107 فخر الدين الرازي، محمد بن عمر الشافعي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ.
- 108 الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، (1426هـ-2005م).
- 109 الفيومي، أحمد بن محمد المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية - بيروت، دون طبعة ودون تاريخ.

- ق -

القرضاوي، يوسف بن عبد الله:

- 110 العبادة في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة والعشرون، (1416هـ-1995م).
- 111 فقه الزكاة: دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن الكريم والسنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، (1393هـ-1973م).
- 112 تيسير الفقه في ضوء القرآن والسنة (فقه الصيام)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، (1414هـ-1993م).
- 113 القرطبي أبو عبد الله، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، (1384هـ-1964م).

114 القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر أبو العباس، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، 1323هـ.

— ك —

115 كارين آرمستروغ، الله والإنسان، ترجمة محمد الجورا، دار الحصاد، دمشق، الطبعة الأولى، 1996م.

116 الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1419هـ - 1998م).

— م —

ماجد عرسان الكيلاني:

117 مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، قطر، الطبعة الأولى بدون تاريخ.

118 مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الثانية، (1416هـ - 1995م).

119 مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني، الموطأ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (1406هـ - 1985م).

120 المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة ودون تاريخ.

محمد أبو القاسم حاج حمد:

121 إبستمولوجية المعرفة الكونية، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م.

122 جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، (1425هـ - 2004م).

123 منهجية القرآن المعرفية: أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي، الطبعة الأولى، (1424هـ - 2003م).

124 محمد أبو زهرة، تحريم الربا تنظيم اقتصادي، الدار السعودية، جدة، الطبعة الثانية، (1405هـ - 1985).

125 محمد البوزي، مفهوم التقوى في القرآن والحديث: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس - دارالسلام، القاهرة، الطبعة الأولى (1432هـ، 2011م).

126 محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية، تونس، 1984م.

127) محمد الناصري، العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، دار الهادي، الطبعة الأولى، (1430هـ، 2009م)

128) محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل بيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 2010 م.

محمد رشيد رضا:

129) تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

130) الوحي المحمدي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1406 هـ .

131) محمد شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، الطبعة الثامنة عشرة، (1421هـ-2001م) .

132) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة، (1421هـ-2001م).

133) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، الطبعة الأولى، (1417هـ، 1997م).

محمد عمارة:

134) إسلامية المعرفة ماذا تعني..؟ مصر، الطبعة الأولى، يناير 2007م.

135) الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى (1418هـ-1998م).

136) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، دار الكتب المصرية- القاهرة، دون طبعة، (1364هـ-1945م).

137) محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة - نموذج هيرماس-، أفريقيا الشرق، بيروت، الطبعة الثانية، 1998م.

138) محمود قاسم، في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، 2019م.

139) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، (1365هـ، 1946م).

140) مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الحليم الطحاوي، راجعه عبد الستار أحمد فراح، مطبعة حكومة الكويت، (1400هـ-1980م).

141) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، دار الاعتصام- القاهرة، الدار الذهبية طبعة جديدة مضبوطة ومحققة، 2011م.

- 142) مقدار الجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1983م.
- 143) الملا علي القاري، علي بن (سلطان) محمد أبو الحسن، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (1422هـ - 2002م).
- 144) ممدوح الشيخ، "المسيرى من المادية إلى الإنسانيّة الإسلامية"، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 2008م.

- ن -

- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب:
- 145) السنن، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، (الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها)، مكتب المطبوعات الإسلامية-حلب، الطبعة الثانية، (1406هـ - 1986م).
- 146) السنن الكبرى، حققه حسن عبد المنعم شلي، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى (1421هـ - 2000م).
- السنن الكبرى، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى (1421هـ - 2001م).
- 147) نظمي لوقا، الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 2003م.
- 148) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392هـ.

- ه -

- 149) الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان أبو الحسن: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي - القاهرة، (1414 هـ، 1994م).

مقالات وأبحاث منشورة في المجلات والدوريات والندوات:

- 152) إبراهيم البيومي غانم، "مقصد حفظ العمران في الآداب والأحكام السلطانية والسياسة الشرعية"، سلسلة مؤتمرات بعنوان: الدين والحضارة، حفظ العمران مقصد شرعي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى، (1440 هـ - 2018م).
- 153) أحمد إبراهيم منصور، "دراسة في منهج الفعالية الاقتصادية: العمران والعقل الخلدوني أنموذجاً"، إسلامية المعرفة، السنة 13، العدد 51، (1428هـ - 2007م).
- 154) إسماعيل فاروقي، إسلامية المعرفة: المبادئ العامة، خطة العمل، الإنجازات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، رقم 1، الطبعة الأولى، (1421هـ، 2001م).

- 155) جميلة بوزيان، "قراءة في مفهوم التزكية وقضاياها التنموية أنموذجا" المؤتمر العالمي الرابع للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع المصطلح القرآني وعلاقته بمختلف العلوم، 15-16-17 رجب 1438هـ الموافق 13-14-15 أبريل 2017م بالمركب الثقافي الحرة فاس، المغرب .
- 156) رشيدة زغواني، "المعمار المنظور للرؤية العمراني في القرآن الكريم"، أعمال الندوة العلمية الدولية بعنوان: القرآن الكريم ورؤية العالم: مسارات التفكير والتدبير، الرابطة المحمدية للعلماء- الرباط، 5-6 شعبان 1435هـ -الموافق 3-4 يونيو 2014م.
- 157) رقية طه جابر العلواني، "منهج ابن قيم الجوزية في تزكية النفس"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد 31، المجلد 19، (رمضان 1425هـ-2004م).
- 158) زياد الدين خليل الدغامين، "إعمار الكون في ضوء نصوص الوحي"، إسلامية المعرفة، العدد 54، السنة 14، (خريف 1429هـ-2008م).
- 159) سامية عرعار، "الالتزام بالسلوك الأخلاقي وقاية من الأمراض النفسية"، دار المنظومة، جامعة عمار التليجي، العدد 33، دجنبر، 2014م.
- 160) سعاد رحائم، "الشباب والشهود الحضاري من منطلق الاستخلاف الإيجابي"، أعمال الندوة العلمية المنعقدة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة، منشورات المجلس العلمي للجديدة، بعنوان: الأمن الثقافي والسلم العالمي، بتاريخ 12 نونبر 2015.
- 161) سعيد حوى، "النظر العقلي وأثره في تزكية النفوس؛ مقدمة في ضرورة بناء علم التزكية على الحقائق الثابتة"، مجلة إسلامية المعرفة، السنة 14، العدد 54، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي - فرجينيا، (1429هـ-2008م).
- 162) سعيد شبار، "الحدود المنهاجية في القرآن الكريم، أصول تفسيرية ذات أولوية، محدد الكمال والتمام نموذجا"، المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، قصر المؤتمرات- فاس، المغرب، (19-20-21 جمادى الآخرة 1436هـ، الموافق 9-10-11 أبريل 2015).
- 163) سليمان الخطيب- منى أبو الفضل- أميمة عبود، الحوار مع الغرب آلياته، أهدافه، دوافعه، دار الفكر، دمشق.
- 164) طه جابر العلواني، "خصائص لسان القرآن الكريم"، ضمن ندوة مناهج الاستمداد من الوحي، الرابطة المحمدية للعلماء، دار أبي رقرق، الطبعة الأولى، 2008م.
- 165) عبد الرزاق بلعقروز، "منظومة القيم العليا، التوحيد التزكية العمران- حسن ملكاوي" مراجعة للكتاب، إسلامية المعرفة، العدد 85، السنة الثانية والعشرون، صيف (1437هـ-2016م).

عبد السلام محمد الأحمر:

166 "استخلاف الإنسان في الأرض باعتباره مقصداً عاماً للقرآن والشريعة والحضارة" إسلامية المعرفة، العدد 89 السنة 23، صيف (1438هـ - 2017 م).

167 " استخلاف الإنسان في الأرض: نحو رؤية قرآنية كلية "، أعمال الندوة العلمية الدولية بعنوان: القرآن الكريم ورؤية العالم: مسارات التفكير والتدبير، الرابطة المحمدية للعلماء- الرباط ، 5-6 شعبان 1435هـ -الموافق 3-4 يونيو 2014م.

عبد المجيد النجار:

168 خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: بحث في جدلية النص والعقل والواقع، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، هيرندن- فيرجينيا، الولايات المتحدة، الطبعة الثالثة، (1425هـ-2005م).

169 " الإيمان والعمران"، إسلامية المعرفة، السنة 2، العدد 8، (1417هـ - 1997م).

170 مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني، إسلامية المعرفة، السنة 23، العدد 89، صيف، (1438هـ - 2017 م).

171 "دور المجتمع في بناء العمران مقصداً شرعياً"، سلسلة مؤتمرات بعنوان: الدين والحضارة، حفظ العمران مقصد شرعي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى، (1440هـ - 2018م).

172 عمر عبيد حسنة، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، كتاب الأمة، العدد 8، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، الطبعة الأولى، (1405هـ - 1985م).

فتحي حسن ملكاوي:

173 منظومة القيم العليا: التوحيد، التزكية، العمران، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن- فرجينيا - الطبعة الأولى، (1434هـ - 2013م).

174 منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثانية، (1437هـ - 2016م).

175 مازن موفق هاشم، مقاصد الشريعة الإسلامية مدخل عمراني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن - فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، (1435هـ - 2014م).

176 محمد الأزهرى، "أركان منهج الدراسة المصطلحية"، الدورة التأهيلية الأولى في موضوع: " القرآن الكريم والدراسة المصطلحية- الرؤية والمنهج"، فاس، (27 ذو الحجة 1434هـ - 3 محرم 1435، الموافق (2-7) نوفمبر 2013م).

177 محمد الناصري، " الارتقاء والسماحة بين الإنسان والبيئة في الإسلام"، ضمن : التعايش والتعارف في الإسلام: مفاهيم ميسرة، مكتبة الملك فهد الوطنية، جدة ، 1441هـ.

- 178) محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية: نحو إنسانية جديدة، كتاب الأمة، السنة 30، العدد 139، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة - قطر، الطبعة الأولى، رمضان 1431هـ، غشت 2010م.
- 179) محمد ناجي عمر، "خلافة الإنسان بين الوحي والعقل لعبد المجيد النجار"، قراءات ومراجعات، إسلامية المعرفة، العدد 3 المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- 180) مسفر بن علي القحطاني، "سؤال التسخير الكوني للإنسان: رؤية مقاصدية"، سلسلة ندوات علمية بعنوان: مقاصد الشريعة والسياق الكوني المعاصر، الرابطة المحمدية للعلماء، مطبعة المعارف الجديدة - الرباط، الطبعة الأولى، (1434هـ - 2013م).
- 181) معاذ سعيد حوى، "النظر العقلي وأثره في تركية النفوس: مقدمة في ضرورة بناء علم التزكية على الحقائق الثابتة"، إسلامية المعرفة، العدد 54، خريف (1429هـ - 2008م).
- 182) نصر الجويلي، "التصوف الإسلامي: مدرسة التربية الروحية" مجلة قوت القلوب، التكامل بين الفقه والتصوف، ملف عدد: 4، (1435هـ - 2014م).
- 183) يوسف القرضاوي، "شروط نجاح تطبيق الزكاة"، الندوة الدولية بعنوان: الزكاة وانعكاساتها في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، جامعة محمد الخامس، (1994م).
- 184) بناء علم أصول التفسير: الواقع والآفاق، المؤتمر العالمي الثالث للباحثين للقرآن الكريم، في القرآن الكريم وعلومه بقصر المؤتمرات - فاس، (19-20-21 جمادى الآخرة 1436هـ الموافق 9-10-11 أبريل 2015م).
- 185) ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، عالم الكتب، بيروت - لبنان، سلسلة أصول التربية الإسلامية 3، الطبعة الأولى (1416هـ - 1995م).

فهرس المحتويات

1	البسمة
2	إهداء
3	شكر وتقدير
4	مقدمة
6	أهمية الموضوع
7	إشكالية البحث
7	أسباب اختيار الموضوع
8	أهداف البحث
9	الدراسات السابقة
10	منهج البحث
12	خطة البحث
14	صعوبات البحث

الباب الأول :

	الدراسة المصطلحية لمفهوم التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف
16	توطئة
21	❖ الفصل الأول: تعريف التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف
22	المبحث الأول: التزكية في اللغة والاصطلاح
22	المطلب الأول: دلالة التزكية في اللغة
25	المطلب الثاني: التزكية في الاصطلاح العام
26	المطلب الثالث: التزكية في الدلالة الفقهية
26	أولاً: عند الفقهاء
26	أ. ابن تيمية
27	ب. ابن القيم الجوزية
30	ج. ابن جزى الغرناطي
31	ثانياً: عند أهل الحديث

32	ثالثاً: عند المتصوفة.
33	أ. التزكية عند أبي حامد الغزالي
36	ب. التزكية عند سعيد حوى
37	رابعاً: عند بعض المعاصرين
37	أ. طه عبد الرحمن
39	ب. طه جابر العلواني
41	ج. حسن الملكاوي
44	المبحث الثاني: دلالة لفظ التزكية في اصطلاح القرآن الكريم والحديث الشريف.....
44	المطلب الأول: موارد التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف.....
44	أولاً: وصف وإحصاء.....
44	أ. في القرآن الكريم
46	ب. في الحديث الشريف
47	ثانياً: تحليل معطى الإحصاء
47	أ. في القرآن الكريم
47	ب. في الحديث الشريف
48	ثالثاً: تحليل معطى شكل ورود
53	المطلب الثاني: المعاني والدلالات الجزئية لموارد التزكية في القرآن والحديث.....
53	أ. في القرآن الكريم
63	ب. في الحديث الشريف
67	المطلب الثالث: استخلاص التعريف.....
71	خلاصة الفصل الأول
74	❖ الفصل الثاني: خصائص التزكية وصفاتها في القرآن الكريم والحديث الشريف..
75	المبحث الأول: خصائص التزكية ...
75	أولاً: على مستوى حجم ورود
77	ثانياً: على مستوى الدلالة المعجمية
77	ثالثاً: على المستوى الوظيفي
84	المبحث الثاني: صفات التزكية
84	أولاً: صفة الرسول

89	 ثانيا: صفة للغلام (غلاما زكيا)
90	 خلاصة الفصل الثاني
92	 ❖ الفصل الثالث: علاقات التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف
93	 المبحث الأول: علاقة التعاطف
93	 المطلب الأول: التزكية والطهارة
99	 المطلب الثاني: التزكية والهداية
105	 المبحث الثاني: علاقة التداخل والتكامل
105	 المطلب الأول: التزكية والتقوى
111	 المطلب الثاني: التزكية والرحمة
116	 المطلب الثالث: التزكية والفلاح
120	 المبحث الثالث: علاقة التضاد
120	 المطلب الأول: التزكية والتدسية
124	 خلاصة الفصل الثالث
128	 ❖ الفصل الرابع: ضمائم ومشتقات مصطلح التزكية في القرآن والحديث
129	 المبحث الأول: ضمائم التزكية
129	 المطلب الأول: ضميمه: تزكية النفس
129	 أولا: تعريف النفس في اللغة
130	 ثانيا: تعريف النفس في الاصطلاح
131	 ثالثا: النفس عند الفلاسفة
133	 رابعا: النفس في القرآن الكريم
140	 المطلب الثاني: ضميمه: تزكية الأعمال
142	 المبحث الثاني: مشتقات التزكية في القرآن الكريم والحديث الشريف
142	 المطلب الأول: مشتقات الفعل الماضي لمصطلح التزكية
142	 أولا: صيغة (زكا)
144	 ثانيا: صيغة (زكاها)
145	 ثالثا: صيغة (زكى)
146	 المطلب الثاني: مشتقات الفعل المضارع لمصطلح التزكية

146	أولاً: صيغة (تزكيهم).....
148	ثانياً: صيغة (يزكيهم).....
150	ثالثاً: صيغة (لا يزكيهم).....
153	رابعاً: صيغة (يُزَكِّي).....
155	خامساً: صيغة (تَزَكَّى).....
157	سادساً: صيغة (يَزُكِّي).....
159	سابعاً: صيغة (يتزَكَّى).....
160	ثامناً: صيغة (تزكُّوا).....
163	تاسعاً: صيغة (أُزَكِّي).....
164	المطلب الثالث: المشتقات الاسمية لمصطلح التزكية.....
164	أولاً: صيغة اسم فاعل (زاكية - زَكِيَّة).....
165	ثانياً: صيغة اسم التفضيل (أزكى).....
168	المطلب الرابع: صيغة المصدر: الزكاة.....
203	خلاصة الفصل الرابع.....

الباب الثاني

الدراسة الموضوعية المعرفية

206	الفصل الأول: وسائل التزكية ومعيقاتها.....
206	المبحث الأول: وسائل التزكية.....
208	المطلب الأول: الصلاة.....
208	أولاً: الصلاة في حياة المسلم.....
210	ثانياً: دور الصلاة في تزكية النفس.....
214	المطلب الثاني: الزكاة.....
214	أولاً: مكانة الزكاة في الإسلام وأهميتها.....
218	ثانياً: دور الزكاة في تزكية النفس.....
219	المطلب الثالث: الصوم.....
219	أولاً: فضله.....
221	ثانياً: الصوم وسيلة من وسائل تزكية النفس.....
224	المطلب الرابع: الحج.....

224	أولاً: فضله.....
225	ثانياً: الحج وسيلة من وسائل التزكية
230	المبحث الثاني: معوقات التزكية.....
231	المطلب الأول: الشيطان
231	أولاً: لغة واصطلاحاً.....
235	ثانياً: مغرياته
238	ثالثاً: تزكية النفس من كيد الشيطان
243	المطلب الثاني : الهوى
243	أولاً: الهوى لغة واصطلاحاً.....
244	ثانياً: ذم الهوى وتأثيره على النفس
245	ثالثاً: تزكية النفس من الهوى
247	المطلب الثالث: الكبر.....
247	أولاً: تعريف الكبر لغة واصطلاحاً.....
248	ثانياً: الكبر في القرآن الكريم.....
251	ثالثاً: الكبر في الحديث الشريف
252	رابعاً: تزكية النفس من الكبر
254	خلاصة الفصل الأول
255	❖ الفصل الثاني:تزكية النفس الإنسانية.....
256	تقديم:
257	المبحث الأول: تزكية المال.....
261	المبحث الثاني: تزكية الجسم
261	أولاً: الجسم لغة واصطلاحاً.....
262	ثانياً: تزكية الجسم.....
267	المبحث الثالث: تزكية العقل
267	أولاً: العقل لغة واصطلاحاً.....
268	ثانياً: العقل في القرآن
269	ثالثاً: تأليه العقل في الفكر الغربي
271	رابعاً: تزكية العقل انطلاقاً من العلم والمعرفة

272	خامسا: العقل مناط الهداية والتركية
279	المبحث الرابع: تركية القلب
279	أولا: القلب لغة واصطلاحا
280	ثانيا: القلب في القرآن الكريم
282	ثالثا: أقسام القلب
283	رابعا: تركية القلب
286	خلاصة الفصل الثاني
287	الفصل الثالث: التركية ودورها في بناء العمران الحضاري
288	المبحث الأول: أثر قيمة التوحيد على الحياة الفردية والجماعية
288	المطلب الأول: التوحيد لغة واصطلاحا
289	المطلب الثاني: التوحيد أساس الإسلام
295	المطلب الثالث: التوحيد من خلال الرؤية المعرفية
298	المطلب الرابع: تجليات التوحيد على حياة الفرد والأسرة والمجتمع
298	أولا: تجليات التوحيد على حياة الفرد
300	ثانيا : تجليات التوحيد على حياة الأسرة
303	ثالثا : تجليات التوحيد على حياة المجتمع
306	رابعا: التوحيد مبني على القيم والأخلاق
310	المبحث الثاني: العلاقة بين واقع النفس وواقع العمران
310	المطلب الأول: العمران لغة واصطلاحا
311	المطلب الثاني: العمران في القرآن الكريم
314	المطلب الثالث: العمران عند ابن خلدون
317	المطلب الرابع: أسس ومقومات العمران
317	أولا: العمران مقصد من مقاصد القرآن الكريم
322	ثانيا: الايمان والعمل الصالح
327	ثالثا: العمران الحضاري وواقع تركية النفس
327	أ- صلاح الذات
331	ب- تفعيل القيم المادية والروحية
336	ج- التكامل المعرفي بين التركية والعمران
341	المبحث الثالث: التركية ودورها في تحقيق الاستخلاف الإسلامي

341	المطلب الأول: الاستخلاف في القرآن الكريم
343	المطلب الثاني: مبادئ الاستخلاف
344	أولاً: التكريم
346	ثانياً : التسخير
346	أ- التسخير في القرآن الكريم والحديث
347	ب- تسخير الكون للإنسان
350	ج- الحفاظ على البيئة من خلال المنظور القرآني
354	ثالثاً : الحرية
357	رابعاً: العدل
359	خامساً: الوسطية
362	المطلب الثالث: التزكية وحمل أمانة الاستخلاف
367	خلاصة الفصل الثالث
368	❖ خاتمة
371	توصيات

الفهارس العامة

373	فهرس الآيات القرآنية
340	فهرس الأحاديث النبوية
404	فهرس المصادر والمراجع
419	فهرس المحتويات

تمت